

بَيْمَاتُ الدَّهْرِ

فِي مُحَاسِنِ أَهْلِ الْعَصْرِ

تَأَلَّفَ

أَبِي مَنْصُورٍ عَبْدِ الْمَلِكِ الشَّعَالِيِّ النِّسَابُورِيِّ
الْمُتَوَفَّى ٤٢٩ هَجْرِيَّةً

شَرَحَ وَتَحَقَّقَ

الدُّكْتُورُ مُفِيدٌ مُحَمَّدٌ قَمِيحَةٌ

الْجُزْءُ الرَّابِعُ

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

يطلب من: دار الكتب العلمية - ص ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

نيو ملكارت ستر - الرملة البيضاء - قرب محلات سينيز

هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٠٨٤٢

الباب التاسع

ذكر من هم شرط الكتاب من أهل جرجان وطبرستان
١ - القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز

حسنة جرجان ، وفرد الزمان ، ونادرة الفلك ، وإنسان حدقة العلم ، ودرة تاج الأدب ، وفارس عسكر الشعر ، يجمع خط ابن مقلة إلى نثر الجاحظ ونظم البحري ، وينظم عقد الإتيقان والإحسان في كل ما يتعاطاه ، وله يقول صاحب [من الطويل] :

إذا نحن سلّمنا لك العلم كلّهُ فدعْ هذه الألفاظ ننظّمْ شذورها^(١)
وكان في صباه خلف الخضر^(٢) في قطع عرض الأرض ، وتدوين بلاد العراق والشام وغيرها ، واقتبس من أنواع العلوم والآداب ما صار به في العلوم علما وفي الكلام عالما ، ثم عرج على حضرة صاحب وألقى بها عصا المسافر ، فاشتد اختصاصه به ، وحل منه محلاً بعيداً في رفعتة ، قريباً في أسرته ، وسير فيه قصائد أخلصت على قصد ، وفرائد أتت من فرد ، وما منها إلا صوب العقل^(٣) ، وذوب الفضل ، وتقلّد قضاء جرجان من يده ، ثم تصرفت به أحوال في حياة صاحب وبعد وفاته ، بين الولاية والعطلة ، وأفضى محله إلى قضاء القضاة ، فلم يعزله عنه إلا موته رحمه الله .

(١) شذورها : قطعها ومتفرّقها النفيس والشّدْر ، قطع من الذهب .

(٢) خلف الخضر : يعني النبيّ الذي ورد ذكره في القرآن مع النبي موسى ، كناية عن كثرة تجواله .

(٣) صوب العقل : عطاؤه وفيضه .

وعرض عليّ أبو نصر المصعبي كتاباً للصاحب بخطه إلى حسام الدولة أبي العباس تاش الحاجب في معنى القاضي أبي الحسن ، وهذه نسخته بعد الصدر والتشبيب :

« قد تقدم وصفني للقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز أدام الله تعالى عزه فيما سبق إلى حضرة الأمير الجليل صاحب الجيش أدام الله تعالى علوه من كتبي ما أعلم أنني لم أؤد فيه بعض الحق ، وإن كنت دللته على جملة تنطق بلسان الفضل وتكشف عن أنه من أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب والعلم ، فأما موقعه مني فالموقع تخطبه هذه المحاسن وتوجيه هذه المناقب ، وعادته معي أن لا يفارقني مقيماً وظاعناً^(١) ومسافراً وقاطناً ، واحتاج الآن إلى مطالعة جرجان بعد أن شرطت عليه تصوير المقام كالإمام ، فطالبني مكاتبتني بتعريف الأمير مصدره ومورده ، فإن عنّ له ما يحتاج إلى عرضه وجد من شرف إسعافه ما هو المعتاد ليستعجل انكفاء إليّ بما يرسم أدام الله أيامه من مظاهرتة على ما يقدم الرحيل ويفسح السبيل من بدرقة^(٢) إن أحتاج إليها وإلى الاستظهار بها ، ومخاطبة لبعض من في الطريق بتصرف النجح فيها ، فإن رأى الأمير أن يجعل من حظوظي الجسيمة عند تعهد القاضي أبي الحسن بما يعجل رده ، فإني ما غاب كالمضل الناشد ، وإذا عاد كالغانم الواجد ، فعل أن إن شاء الله تعالى .

ولما عمل صاحب رسالته المعروفة في إظهار مساوئ المتنبي عمل القاضي أبو الحسن كتاب (الوساطة بين المتنبي وخصومه في شعره » فأحسن وأبدع وأطال وأطاب ، وأصاب شاكلة الصواب^(٣) ، واستولى على الأمد في فصل الخطاب ، وأعرب عن تبحره في الأدب ، وعلم العرب ، وتمكنه من جودة الحفظ

(١) ظاعناً : من الظعن وهو الارتحال .

(٢) البدرقة أو البذرة : الحفرة ، أو الجماعة التي تتقدم القافلة لحراستها .

(٣) شاكلة الصواب : مذهب الحق وطريقه .

وقوة النقد ، فسار الكتاب مسير الرياح ، وطار في البلاد بغير جناح ، وقال فيه بعض العصريين من أهل نيسابور [من المتقارب] :

أيا قاضياً قد دنت كتبه وإن أصبحت دائرة شاحطة^(١)
كتاب الوساطة في حسنه لعقد معاليك كالواسطة

فصل من هذا الكتاب المذكور^(٢)

ومتى سمعتني أختار للمحدث هذا الاختيار ، وأبعثه على الطبع ، وأحسن له في التسهل ، فلا تظنن أنني أريد بالسهل السمع الضعيف الركيك ، ولا باللطيف الرشيق الخنث المؤنث ، بل أريد النمط الأوسط ، وما ارتفع عن الساقط السوقي وانحط على البدوي الوحشي ، وما جاوز سفسفة نصر ونظرائه ، ولم يبلغ تعجرف هميان بن قحافة وأضرابه ، نعم ولا أمرك بإجراء أنواع الشعر كله مجرى واحداً ، ولا أن تذهب بجميعه مذهب بعضه ، بل أرى لك أن تقسم الألفاظ على رتب المعاني ، فلا يكون غزلك كافتخارك ، ولا مديحك كوعيدك ، ولا هجأؤك كاستبطائك ، ولا هزلك بمنزلة جدك ، ولا تعريضك مثل تصريحك ، بل ترتب كلاً مرتبة وتوفيه حقه ، فتلطف إذا تغزلت ، وتفخم إذا افتخرت ، وتتصرف للمديح تصرف مواقعه ، فإن المدح بالشجاعة والبأس ، يتميز عن المديح باللباقة والظرف ، ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والمدام ، ولكل واحد من الأمرين نهج هو أملك به ، وطريق لا يشاركه الآخر فيه ، وليس ما رسمته لك في هذا الباب بمقصود على الشعر دون الكتابة ، ولا بمختص بالنظم دون النثر ،

(١) شاحطة : بعيدة .

(٢) انظر (ص ٢٣ من كتاب الوساطة للجرجاني طبع دار احياء الكتب العربية) ففيه بعض الاختلاف اليسير .

بل يجب أن يكون كتابك في الفتح أو الوعد أو الوعيد أو الإعذار ، خلاف كتابك في الشوق أو التهنة أو اقتضاء المواصله ، وخطابك إذا حذرت وزجرت أفخم منه إذا وعدت ومنيت ، فأما الهجو فأبلغه ما جرى مجرى التهكم والتهافت وما اعترض بين التعريض والتصريح ، وما قربت معانيه ، وسهل حفظه ، وسرع علوقه بالقلب ولصوقه بالنفس ، فأما القذف والإفحاش فسباب محض وليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن وتصحيح النظم .

فصل آخر منه

وكانت العرب ومن تبعها من سلف هذه الأمة تجري على عادة في تفخيم اللفظ وجزالة المنطق لم تألف غيره ولا عرفت تشبيهاً سواه ، وكان الشعر أحد أقسام منطقها ، ومن حقه أن يخص بتهذيب ويفرد بزيادة عناية ، فإذا اجتمعت تلك العادة والطبيعة وانضاف إليها العمل والصنعة خرج كما تراه فخماً جزلاً وقوياً متيناً ، وقد كان القوم أيضاً يختلفون في ذلك وتباين فيه أحوالهم فيرق شعر الرجل ويصلب شعر الآخر ، ويدمث^(١) منطق هذا ويتوعر منطق غيره .

وإنما ذلك بحسب اختلاف الطباع وتركيب الخلق . فإن سلاسة اللفظ تتبع سلاسة الطبع ، ودماثة الكلام بقدر دماثة الخلقة ، وأنت تجد ذلك ظاهراً في أهل عصرك وأبناء زمانك وترى الجافي الجلف منهم كثر الألفاظ^(٢) جهم الكلام^(٣) وعر الخطاب ، حتى إنك ربما وجدت الغضاضة^(٤) في صوته ونغمته وفي حديثه ولهجته ، ومن شأن البداوة أن تظهر بعض ذلك ، ومن أجله قال النبي صلى الله عليه وسلم « من بدا جفا » .

(١) الدمث : اللين السهل

(٢) كثر الألفاظ : جافي الألفاظ وقبيحها .

(٣) جهم الكلام : كربه ومستثقله .

(٤) الغضاضة : الذلة والمنقصة .

ولذلك تجد شعر عدي بن زيد وهو جاهلي أسلس من شعر الفرزدق وجريير وهما إسلاميان ، لملازمة عدي الحاضرة ، وإيطانه الريف وبعده عن جلافة البدو وجفاء الأعراب ، وترى رقة الشعر أكثر ما تأتيك من قبل العاشق المتيّم ، والغزل المتهالك . وإذا اتفقت الدمائية والصبابة وانضاف الطبع إلى الغزل ، فقد جمعت لك الرقة من أطرافها .

ولما ضرب الإسلام بجرانة^(١) واتسعت ممالك العرب وكثرت الحواضر ونزعت البوادي إلى القرى ، وفشا التأدب والتظرف^(٢) ، اختار الناس من الكلام أليّنه وأسهله ، وعمدوا إلى كل شيء ذي أسماء فاستعملوا أحسنها مسمعا ، وألطفها من القلب موقعا ، وإلى ما للعرب فيه لغات فاقتصروا على أسلسها وأرشقها كما رأيتهم فعلوا في صفات الطويل ، فإنهم وجدوا للعرب نحواً من ستين لفظاً أكثرها بشع شنع ، فنبذوا جميع ذلك وأهملوه ، واكتفوا بالطويل لخفته على اللسان وقلة نبوّ السمع عنه في البيان^(٣) .

قال مؤلف الكتاب : وأنا أكتب من خطبة كتاب القاضي في تهذيب التاريخ فصلين ، بعد أن أقول : إنه تاريخ في بلاغة الألفاظ وصحة الرواية وحسن التصرف في الانتقادات ، وأجريتهما وما تقدمهما من كتاب الوساطة مجرى الأنموذج من نثر كلامه ، ثم أقفّي على أثره بلُمعٍ من غرر أشعاره ، إن شاء الله تعالى .

فصل - ولولا التاريخ ، لما تميز ناسخ من منسوخ ، ومتقدم من متأخر وما استقر من الشرائع وثبت مما أزيل ورفع ، ولا عرف ما كان أسبابها وكيف مست الحاجة إليها ، وحصلت وجوه المصلحة فيها ، ولا عرفت مغازي رسول الله صلى

(١) الجران : أصله مقدم عنق البعير من مذبحه إلى منحره ، ويريد هنا انتشار الاسلام .

(٢) فشا : انتشر وذاع .

(٣) نبوّ السمع : نفوره .

الله عليه وسلم وحروبه وسراياه وبعوثه ، ومتى قارب ولاین وسارر وخافت ، وفي أي وقت جاهر وكاشف ونبذ أعداءه وحارب ، وكيف دبر أمر الله الذي ابتعثه له ، وقام بأعباء الحق الذي طوّقه ثقله^(١) ، وأي ذلك قدم وأيها آخر ، وبأيها بدأ وبأيها ثنى وثلث ، وإن الولد البر ليتفقد من آثار والده ، والصاحب الشفيق ليغني بمثله من شأن صاحبه ، حتى يعد إن أغفله مستهيناً به مستوجباً لعتبه ، فكيف لمن هو رحمة الله المهداة إلينا ونعمته المفاضة علينا ، ومن به أقام الله ديانا وديننا وجعله السفير بينه وبيننا ؟ وأي أمر أشنع وحاله أقبح من أن يحل الرجل محل المشار إليه المأخوذ عنه ثم يسأل عن الغزوتين المشهورتين من مشهور غزواته والأثرين من مستفيض آثاره ، فلا يعرف الأول من الثاني ، ولا يفرق بين البادي والتالي .

فصل آخر

وهذا كتاب قصدت به غرضي دين ودنيا : أما الدين فان اقتديته^(٢) من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخباره ومعارف أحواله وأيامه ، وذكر ما طمس الله من معالم الشرك وأوضح معارف الحق ، وما خفض بعلو كلمته وعلى أيدي أنصاره وشيعته ، من رايات كانت عالية على الأبد ، مكتوفة بحصافة العدد ،^(٣) وكثافة العدد ، ما يعلم به العاقل المتوسم أن تلك الفئة القليلة والعدة اليسيرة - على قلة الأهبة ، وقصور العدة وخمول الذكر وضعف الأيدي وعلو أيدي الأعداء وشدة شوكة الأقران - لا تستمر لها ولا تتفق بها مغالبة الأمم جمعا . ومقاومة الشعوب طرّاً ، وقهر الجنود الجمة ، والجموع الضخمة ، وإزالة الممالك الممهدة والولايات الموطدة . في الدهر الطويل والزمن المديد - مع وفور العدة وانبساط القدرة . واستقرار الهيئة - إلا بالنصرة الإلهية . والمعونة السماوية وإلا بتأييد لا يخص الله

(١) طوّقه ثقله : أي سلّم إليه مقادير أموره والقيام بأمره .

(٢) اقتديته : أتعلّمه وأتبعه .

(٣) مكتوفة بحصافة العدد : محاطة ومحروسة بالرأي والعدة معاً .

به إلاّ الأنبياء ، ولا ينتخب له إلاّ الأولياء . وإن اختص فيه من معاناة أنصاره وأتباعه ، والقائمين بإظهار دينه في حياته ، وعمارة سبيله بعد وفاته ، من مصابرة اللأواء^(١) ، ومعالجة البأساء . وبذل النفوس والأموال وأخطار المهج والأرواح ، ما يزيد القلوب للإسلام تفخيماً . وبحقه تعريفاً . ولما عساها تستكبر من أفعالها تصغيراً . وفي الإزدیاد منه ترغيباً ، ما أجره في خلال ذلك من تذكير بآلاء الله ، وتنبيه على نعم الله ، بما أقتص من أنباء الأولين ، وأبث من أخبار الآخرين ، وأبين من الآيات التي أمر الله بالمسير في الأرض لأجلها ، وبعث على الاعتبار بها وبأهلها . فقال ﴿ أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾ فيحرص العاقل على استبقاء نعمة الله عنده بالشكر الذي ضيعه من سلبه الله تلك النعم ، ويتحرّز^(٢) من غوائل الكفر^(٣) الذي أحل بهم تلك النقم .

وأما غرض الدنيا فإن أقيم بفناء الصاحب الجليل أدام الله بهاء العلم بدوام أيامه من يخلفني في تجديد ذكرى بحضرته ، وتكرير اسمي في مجلسه ، ومن ينوب عني في مزاحمة خدمته ، على الاعتراف بحق نعمته ، وعلمت أني لا أستخلف من هو أفس به رحماً ، وأقرب منه نسباً ، وهو أرفع عنده موضعاً ، وألطف منه موقعاً ، وأخص به مدخلا ومخرجا ، وأشرف بحضرته مقاما وموقفاً ، من العلم الذي يزكو عنده غراسا ، فيضعف ريعا ويحلو طعما . ويطيب عرفا ويحسن إسما . فاخترت لذلك هذا الكتاب ثقة بوجاهته ، وعلماً بقرب منزلته ، وكيف لا يكون عنده وجيهاً مكيناً ، ومقبولاً قريناً^(٤) . وإنما هونتاج تهذيبه ، وثمره تقويمه ، وجناء تمثيله ، وريع تحريكه ؟ فلولا عنايته لما صدقت النية ، ولولا إرشاده لما نفذت الفطنة . ولولا معونته لما استجمعت الآلة ، وما يبعد به عن إثارة

(١) اللأواء : الشدة في العيش .

(٢) يتحرّز : يحترس ويتجنب ، ومنها الحرز الذي يحتمي به المرء ويتعوذ .

(٣) غوائل الكفر : دواهيهِ ومهالكه .

(٤) القرين : الصاحب .

العلوم وتعظيمها ، وعن تقديمها وتقريبها ، وهو الذي نصبه الله لها مثالا ، وأقامه عليها مناراً ، وجعله لها سنداً ، ولاحياتها سبباً .

ملح من شعره في الغزل والتشبيب وسائر الفنون

قال [من السريع] :

أفدي الذي قال وفي كفِّه مثل الذي أشرب من فيه
الورد قد أئعن في وجنتي قلتُ فمي باللثم يجنيه

وقال [من المنسرح] :

بالله فضَّ العقيق عن بردٍ يروي أقاحيه من مدام فمه
وامسحْ غوالي العذار عن قمري نَقْط بالوردِ خدَّ ملتَمه

وقال [من المنسرح] :

قلْ للسقام الذي بناظره دعه وأشركْ حشاي في سقمه
كلُّ غرامٍ تخاف فتنته فبين الحاظه ومبتمه

وقال [من السريع] :

أنثر على خديَّ من وردك أودعُ فمي يقطف من خدك
أرحم قضيب البان وارفق به قد خفت أن ينقذ من قدك^(١)
وقلْ لعينيك بنفسي هما يخفّفان السقم عن عبدك

(١) البان : شجر لين الاعطاف ، وينقذ : ينقطع وينكسر .

وقال [من السريع] :

قد برّح الشوق بمشتاقك فأوّلُهُ أحسن أخلاقك^(١)
لا تجفُّهُ وارِعَ له حقُّهُ فإنه خاتم عشّاقك

وقال في الفصد [من المنسرح] :

يا ليت عيني تحمّلت ألمك بل ليت نفسي تقسّمت سقمك
وليت كفّ الطبيب إذ فصدت عِرْقَكَ أجرت من ناظري دمك^(٢)
أعرتَه صبغَ وجنتيك كما تعيره إن لثمت من لثمك
طرفك أمضى من حدٍّ مبضعه فالحظُّ به العرق وارتجز ألمك

وله [من الطويل] :

وفارقتُ حتى ما أسرُّ بمن دنا مخافةً نأيٍ أو حذارٍ صدودٍ
وقد جعلتُ نفسي تقول لمقلتي وقد قربوا خوف التباعد جودي
فليس قريباً من يخافُ بُعاده ولا من يرجىُ قربه ببعيد

وله [من السريع] :

من ذا الغزالُ الفاتنُ الطرفِ الكامل البهجة والظُرفِ
ما بال عينيهِ وألحاظِهِ دائبةً تعمل في حتفي^(٣)
واهياً لذاك الورد في خدِّه لو لم يكن مُمتنعَ القطفِ
أشكو إلى قلبك يا سيدي ما يشكي قلبي من طرفي

وله [من الكامل] :

هذا الهلالُ شبيههُ في حسنه وبهائه كلاً وفترة جفنه

(١) برّح : من البرح وهو الألم .

(٢) الفصد : الشق .

(٣) الحف : الهلاك والموت .

هَبْكَ ادْعَيْتَ بهاءَهُ وضياءَهُ كيف احتيالك في تأوُد غصنه^(١)
لو لاحظتكَ جفونه بفتورها أقسمتَ أنَّك ما رأيت كحسنة
وقال [من المنسرح] :

يا قبلَةَ نلتها على دهشٍ من ذي دلالٍ مهفهفٍ غنجٍ
قد حيرَ الخشفُ غنجَ مقتله والورد توريد خدَّه الضرج^(٢)
إذا تثنى أو قام معتدلاً قال له الغصنُ أنت في حرج
قد قسَّم الحسن مقلتيك أبا القاسم بين الفتور والدَّعج^(٣)
قل لهما يرفقا بقلب فتى طويت أحشاءه على وهج
فمنهما لا عدمتُ ظلمهما سقمُ فؤادي ومنهما فرجي
وله ساعده الله [من السريع] :

وغنجُ عينيك وما أودعت أجفانها قلب شجٍ وامق^(٤)
ما خلق الرحمن تفاحتي خديك إلا لفم العاشق
لكنني أُمْنَعُ منها فما حظي إلا خلصة السارق
وله أيضاً [من السريع] :

من عاذري من زمنٍ ظالمٍ ليس بمستحي ولا راجمٍ
تفعل بالأحرار أحداثه فَعَلَّ الهوى بالدنفِ الهائم
كأنما أصبح يرميهم عن جفن مولاي أبي القاسم
وله أيضاً [من المنسرح] :

ولو تراني وقد ظفرتُ به ليلاً وستر الظلام منسدلُ

(١) التأوُد : الانثناء والميل .

(٢) الخشف : ولد الغزال ، الضرج : المدمى أو المحمر بلون الدماء .

(٣) الفتور : الذبول ، والدَّعج سعة العين .

(٤) شجٍ وامق : أي محبٌ متشوق .

وللكرى في الجفون داعيةٌ
وحوصت أعينُ الوشاة كما
فذاك مغفٍ وذاك مختلطٌ
وقلت يا سيدي بدا علم الـ
ثم انثى يتغي وسادي إذ
فبات يشكو وبت أعذره
لخلتنا ثمة شعبتى غصنٍ
يا طيها ليلة نعمت بها

وقد حداها حادٍ له عجلٌ
جمش معشوقه الفتى الغزل^(١)
يهذي وهذا كأنه ثمل
صبح وكاد الظلام يرتحل
أيقن أن الوشاة قد غفلوا
وليس إلا العتاب والعلل
يوم صبا نلتوي ونعتدل^(٢)
غراء أدنى نعيمها القبل

وله ساعده الله تعالى [من الخفيف] :

يا نسيم الجنوب بالله بلغ
قل لأحابه فداكم فؤادٌ
بنتم فالسهاد عندي مقيمٌ
فعلى الكرخ فالقطيعة فالشـ

ما يقول المقيم المستهام
ليس يسلو ومقلة لا تنام
مذ نأيتم والعيش عندي حام^(٣)
ط فباب الشعير مني السلام^(٤)

يا ديار السرور لا زال يبكي
رب عيش صحبه فيك غضٍ
في ليال كأنهن أمان
وكان الأوقات فيها كؤوسٌ

بك في مضحك الرياض غمام
وجفون الخطوب عنا نيام
من زمان كأنه أحلام
دائرات وأنسهن مدام

ومنى تستلذها الأوهام
قبل لقياكم علي حرام
كل أنس ولذة وسرورٍ

- (١) حوصت : من الحوص وهو ضيق في العين ، وجمش : من التجميش وهو الملاعبة والمداعبة .
(٢) الخلّة : الصداقة ، والمحبة ، والصبا الريح مهبها من الشرق ، وهي ريح كان العربي يأنس إليها ويتمناها لأنها منعشة .
(٣) بنتم : هجرتم وابتعدتم ، والسهاد : الأرق ، والحمام : الموت .
(٤) باب الشعير وما قبلها : أماكن في بغداد .

وله [من الطويل] :

سقى جانبي بغداد إخلاف مزنة
فلي فيها قلبٌ شجاني اشتياقه
سأغفر للأيام كلَّ عزيمة
لئن قرّبت بعد البعاد مزارها

وله من قصيدة يتشوق فيها بغداد ، ويصف موضعه بناحية رامهرمز ، ويمدح
صديقاً له من أهلها [من الطويل] :

أراجعةً تلك الليالي كعهدها
وصحبة أقوامٍ لبستُ لفقدهم
إذا لاح لي من نحو بغداد بارقٌ
وإن أخلفتها الغاديات رعوها
سقى جانبي بغداد كلَّ غمامةٍ
معاهد من غزلان أنسٍ تحالفت
بها تسكن النفس النفور ويغتدي
يحن إليها كل قلب كأنما
فكلُّ ليالي عيشها زمن الصبا
وما زلت طوع الحادثات تقودني
ومنها :

فلما حللت القصرَ قصرَ مسرتي
بدارٍ لها يسلى المشوق اشتياقه
تفرّقن عني آيساتُ جموعها
ويأمنُ ريب الحادثات مروعها^(٥)

(١) إخلاف مزنة : أي غيم ممطر ، وصوبها : انهماكها بالمطر .

(٢) استطير هجوعها : أي فارقها الرقاد .

(٣) هموعها : مطرها وسيلها .

(٤) نزيعها : التزيع : الذي يحن إلى وطنه وأهله .

(٥) يسلى : من السلوان وهو التبر والاشتئاس في الإقامة ، وريب الحادثات : أي مصائب الدهر
ومروعها : من الروع وهو الخوف .

بها مسرحٌ للعين فيها يرونها
يرى كلُّ قلبٍ بينها ما يسره
كأنَّ خرير الماء في جنباتها
إذا ضربتها الريح وانبسطت لها
رأيت سيوفاً بين أثناء أدرع
فمن صنعة البدر المنير نصوها
صفا عيشنا فيها وكادت لطبيها
وله من قصيدة [من البسيط] :

ومستروحٌ للنفس ممَّا يرونها
إذا زهَّرت أشجارها وزروعها
رعودٌ تلتق مزنةٌ تستريحها
ملءة بدرٍ فصلتها وشيعها^(١)
مذهبةٌ يغشى العيون لميعها
ومن نسج أنفاس الرياح دروعها
تمازجها الأرواح لو تستطيعها

من أين للعارضى السارق تلهبهُ
هل استعان جفوني فهي تُجده
بجانب الكرخ من بغداد لي سكنُ
وصاحب ما صحبت الصبر مذ بعدت
في كلِّ يومٍ لعيني ما يؤرقُها
ما زال يبعدني عنه وأتبعهُ
حتى لوت لي النوى من طول جفوته
وما البعاد دهاني بل خلاثقه

وكيف طبَّق وجه الأرض صيبهُ؟
أم استعار فؤادي فهو يلهبهُ؟
لولا التجمل ما أنفك أندبهُ
ديارهُ، وأراني لست أصبحه
من ذكره، ولقلبي ما يعذبهُ
ويستمرُّ على ظلمي وأعتبهُ^(٢)
وسهَّلت لي سيلا كنتُ أرهبه
ولا الفراق شجاني بل تجنبهُ

لمع من شعره في حسن التخلص

قال من قصيدة في الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد [من المتكامل] :

أوما انثيتَ عن الوداع بلوعةٍ ملأتُ حشاكَ صباةً وغليلا
ومدامع تجري فيحسب أن في آماقهنَّ بنانُ إسماعِلا

(١) وشيعها : من الوشيع وهو علم الثوب أو رسمه .

(٢) أعتبهُ : ألومه وأصفح عنه .

ومن قصيدة في أبي مضر محمد بن منصور [من الطويل]:

إذا استشرفتُ عيناك جانب تلعة ^(١)	جلت لك أخرى من رباها جوانبا ^(٢)
يضاحِكُنَا نَوَارِهَا فَكأنما	نغازلُ بين الروض منها حبا ^(٣)
تبسّم فيها الأقحوانُ فخلتُه	تلقاك مرتاحاً إليك مداعبا
وحلّ نقابُ الورد فاهتزَّ يدعي	بواديه في ورد الخدود مناسبا
أقول وما في الأرض غير قرارة	تصافحُ روضاً حولها متقاربا
أبأت يد الأستاذ بين رياضها	تدفعُ أم أهدت إليها سحائبا
ألبسها أخلاقَه الغرَّ فاغتدت	كواكبها تجلو علينا كواكبا
أوشّت حواشيها خواطر فكره	فأبدت من الزهر الأنيق غرائبا
أهزَّ الصبا قضبانها كاهتزازه	إذا لمست كفيه كفك طالبا ^(٤)
أخالته يصبو نحوها فتزيت	تؤمل أن يختار منها ملاعبا

ومن قصيدة في دلير من بشكروز [من البسيط]:

وما أقيم بدارٍ لا أعزُّ بها	ولا يقرُّ قراري حيث أبتذل ^(٥)
وقد كفاني انتجاعُ الغيث معرفتي	بأن دلير لي من سبيه بدل ^(٥)
تجنّبتُ نشواتُ الخمر همته	وأعلمتنا العطايا أنه ثمل

ومن قصيدة في شیرزاد بن سرخاب [من الطويل]:

ألم تر أنواء الربيع كأنما	نشرن على الأفاق وشياً مذهباً
فمن شجرٍ أظهرن فيه طلاقه	وكان عبوساً قبلهنّ مقطباً

(١) استشرفت: تطلعت وتفحصت، والتلعة: المرتفع من الأرض.

(٢) نوارها: أزهارها.

(٣) الصبا: الريح الشمالية.

(٤) أبتذل: أرخص وأهان.

(٥) انتجاع الغيث: مطلبه وورود أماكنه والغيث: المطر وهو هنا كناية عن الممدوح، وسبيه: عطاؤه.

ومن روضة قضى الشتاء حدادها فوشحن عطفها ملاءً مُطياً
سقاها سلاف الغيث ريثاً فأصبحت تمايل سكرأً كلماً هبت الصبا
كأن سجايا شيرزاد تمدّها فقد أمنت من أن تحول وتشجبا^(١)

ومن قصيدة في الأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير [من الطويل]:

ولما تداعت للغروب شمسهم وقمنا لتوديع الفريق المغرب
تلقين أطراف السجوف بمشرق لهنّ وأعطاف الخدور بمغرب
فما سرن إلا بين دمع مضيع ولا قمن إلا فوق قلب معذب
كأن فؤادي قرن قابوس راعه تلاعبه بالفيلق المتأشب^(٢)

ومن قصيدة له فيه أيضاً [من الخفيف]:

ليلة للعيون فيها وللأسـماع ما للقلوب والآمال
نظمت للندام فيها الأمانى مثل نظم الأمير شمس المعالي

ومن قصيدة في الصاحب [من الطويل]:

وما بال هذا الدهر يطوي جوانحي على نفس محزونٍ وقلب كئيب
تقسمني الأيام قسمة جائرٍ على نضرة من حالها وشحوب
كأنني في كف الوزير رغبةً تقسم في جدوي أغرّ وهوب

ومن أخرى فيه وصف الإبل [من الطويل]:

يقربن طلاب العلا من سمائها ويهدين رواد الندى لجوادها
فلاقين مولانا وقد صنع السرى بهنّ صنيع كفّه بتلادها

(١) سجايا : طباع وصفات ، وتحول أي تتحول .

(٢) المتأشب : المجتمع والمختلط .

غرر من شعره في المدح ، وما يتصل به

قال من قصيدة في الصاحب [من الكامل]:

يا أيها القمر الذي بعلوّه نال العلاء من الزمان السولا^(١)
قسمت يداك على السورى أرزاقها فكثّوك قاسم رزقها المستولا

ومن أخرى فيه [من الطويل]:

فتىّ كيف ما ملنا رأينا له يداً بعيدة رمى الشكر مطلبها سهل
خفيف على الأعيان محمل منها ولكن على الأفكار من عدّها ثقل^(٢)
ووالله ما أفضى من المال مانسا إلى كفّه إلاّ العنان أو النصل^(٣)

ومن أخرى فيه [من مجزوء الكامل]:

يا من إذا نظر الزما	ن إليه أكثر عجبهُ
رحل المصيف فلا تزل	أبدأً تودّع ركه
وبدا الخريف فحيّ خا	لصة الزمان ولبه
زمن كخلقك ناصر	إن كان خلقك يشبه
رقّ الهواء فما ترى	نفساً يعالج كربه
وصفا وإن لاحظت	أبعده ظننتك قربه
فلو استحال مدامة	ما كنت أحظر شربه
فتهنه يا فردة	وتملّهُ يا قطبه

(١) القمر : السّيد .

(٢) منها : من المنّ : الانعام والعطاء .

(٣) ما نشا : ما رجع وامتلك ، والعنان : جمع أعة وهو زمام الخيل وغيرها ، والنّصل : حديدة الرمح والسهم والسيف .

ومن أخرى فيه [من الطويل]:

إذا احتشدت لم تنتفع باحتشادها
خواطرك الألفاظ بعد شرادها
حصلنا على مسروقتها ومعادها

ولا ذنب للأفكار أنت تركتها
سبقت بأفراد المعاني وألفت
فإن نحن حاولنا اختراع بديعة

ومن أخرى فيه [من البسيط]:

في المال والقرن عن صفين والجمل
حجر المكارم مفطوم عن البخل
تغشاه إن مال مضطر إلى العلل^(١)

أغرر أروع تلهينا وقائمه
مسترضع بشدي المجد مفترش
أمضى من السيف لفظاً غير لجلجة

ومنها [من البسيط]:

تفصيلها مستحيل فارض بالجمل
عرفت حرفهما فانظر ولا تسل

وسائل لي عن نعماك قلت له
هذي صاباة ما أبقت يداي وقد

ومن أخرى فيه [من المنسرح]:

عن وجنات تذيها القبل^(٢)
تعيث فيها القدود والمقل
آخر ميقات يومه الأجل

لا وجفون يغضها العذل
ومهجة للهوى معرضة
ما عاش من غاب عن ذراك وإن

ومن قصيدة عيادة له [من الطويل]:

فنورهما من فضل نعمائه عندي
فإن أنا لم أقبل فما لي سوى جهدي
وما خلت أن الشكو بعدي على البعد

بعيني ما يخفي الوزير وما يدي
سأجهد أن أفدي مواطيء نعله
لأعدي تشكيك البلاد وأهلها

(١) اللجلجة: التردد في الكلام، والعلل: أي التعلل بالأسباب.

(٢) يغضها العذل: أي ينجلها اللوم فتطرق حياء.

ولم أدر بالشكوى التي عرضت له
وما أحسب الحمى وإن جل قدرها
وما هي إلا من تلهب ذهنه
ليفدك من نعماك مالك رقة
وما زالت الأحرار تفدي عبيدها

ومن أخرى في التهنة بالبرء [من الطويل]:

بك الدهر يندي ظلّه ويطيب
ونحمد آثار الزمان وربما
أفي كل يوم للمكارم روعة
تقسمت العلياء جسمك كله
إذا أملت نفس الأمير تألمت

ومنها:

ووالله لا لاحظت وجهاً أحبه
وليس شحوباً ما أراه بوجهه
فلا تجزعن تلك السماء تغيمت
تهلل وجه المجد وابتسم الندى
فلا زالت الدنيا بملكك طلقة

ومن قصيدة في أبي مضر محمد بن منصور [من الكامل]:

هذا أبو مضر كفتنا كفه
هذا الجسم مواهباً هذا الشريف
شكوى اللثام فما ندّم لثيماً
مناصباً هذا المهذب خيماً^(٣)

(١) الوجيب: الخفق والارتجاف.

(٢) ندوب: علامات.

(٣) خيماً: أصلاً وطبعاً وجوهاً.

سمكت كهتمه السماء ومثلت فيها خلائقه الشراف نجوما
نشوان قد جعل المحامد والعلا دون المدامة ساقياً ونديما
أعدى الأنام طباعه فتكروما لو جاز أن يدعى سواه كريما

ومن قصيدة في دلير بن بشكروز [من الطويل]:

كريم يرى أن الرجاء مواعد وأن انتظار السائلين من المطل^(١)
وخير الموالي من إذا ما مدحته مدحت به نفسي وأخبرت عن فضلي

ومن أخرى [من البسيط]:

قل للأمير الذي فخر الزمان به ما الدهر لولاك إلا منطق خطل^(٢)
كفتك آثار كفيك التي ابتدعت في المجد ما شاده آباؤك الأول
ما زال في الناس أشباه وأمثلة حتى ظهرت فغاب الشكل والمثل

درر من شعره في وصف الشعر

قال من قصيدة [من الطويل]:

وما الشعر إلا ما استفز مدحاً وأطرب مشتاقاً وأرضى مغاضبا
أطاع فلم توجد قوافيه نفراً ولم تأته الألفاظ حسرى لواغبا^(٣)
وفي الناس أتابع القوافي تراهم ييثون في آثارهن المقانبا^(٤)
إذا لحظوا حرف الروي تبادروا وقد تركوا المعنى مع اللفظ جانبا .

(١) المطل : من المماثلة أي التسوية .

(٢) الخطل : الفساد .

(٣) اللواغب : الضعاف .

(٤) المقانبا : جمع مقناب وهو ظفر الأسد أو غطائه ، أو الوعاء الذي يجعل فيه الصائد ما يصيده .

حواشيه فاجتاحوا الضعيف المقاربا
يثنّ بألباب الرجال لواعبا
وتكسبُ حفاظ الرجال المراتبا
ولوعاً وإمّا مستعيراً وغاصبا
على حسبي إن لم أصنها المعاييا
سمحت بها مستشرفات كواعبا^(١)
مكارمك اللاتي أتين خواطبا

وإن منعوا حرّ الكلام تطرّفوا
ولكنّي أرمي بكلّ بديةٍ
تسير ولم ترحل وتدنو وقد نأت
تري الناس إمّا مستهماً بذكرها
أذود لثام الناس عنها وأنقي
وأعضلها حتى إذا جاء كفؤها
وأى غيورٍ لا بجيب وقد رأى
ومن أخرى [من الطويل] :

ثناءً يسدى أو مديحاً ينظّم
تكاد إذا ما أنشدت تبسم^(٢)
يقال أبايات تراها أو أنجم

ووفاك وفد الشكر من كلّ وجهة
يزفّ إلى الأسماع كلّ خريدة
أطافت بها الأفكار حتى تركنها
ومن أخرى [من الكامل] :

تكسو الحسود كآبةً وذبولاً
منها وشائع نسجها تفصيلاً^(٣)
والبحتري دماءةً وقبولاً

أهدنّ لمجدك حلّة موشية
أحيت حبيباً والوليد ففصيلاً
فأفادها الطائي دقة فكرة
ومن أخرى [من الكامل] :

ما انقباد نحوك خاطري مزموماً
يهدي إليك لبابةً المكتوماً
قطعت إليك مقاصداً وعزوماً^(٤)

لو لم أشرف بامتداحك منطقي
لكن رأى شرف المصاهر فاغتدى
فحباك من نسج العقول بغادة

(١) أعضلها : أضيق عليها وأحبسها ، والكاعب : الفتاة الناهد .

(٢) الخريدة : الفتاة العذراء ، ويقصد هنا القصائد البكر التي لم يسبق إليها .

(٣) وشائع : الوشيع : علم الثوب أو رسمه ويريد بالحبيب والوليد : أبا تمام والبحتري .

(٤) حباك : أعطاك ومنحك .

لما تبَيَّنَتِ الكفاءةُ أقسمت
لا تبغها مهراً فقد أمهرتها
ألزمتُ شكرك منطقي وأنا ملي
من أخرى [من الطويل]:

أن لا تغرَّب بعدها وتقيما
نعماك عندي حادثاً وقديما
وأقمتُ فكري بالوفاء زعيما

أتنا العذارى الغيدُ في حُلِّ النُهي
تلاعبُ بالأذهان روعةً نشرها
ألذُّ من البشري أت بعد غيبةٍ
فلم أر عقداً كان أبهى تألقاً
ترى كل بيتٍ مستقلاً بنفسه
تحلَّت بوصف الجسم ثم تنكرتُ
أرئتُ سحاب الفكر فيها فأبرزت
فجاءت ومعناها مازجُ لفظها
أشدُّ إليه نسبةً من حروفه
نظمتها عقداً كما نظم الحجي
كأنك إذ مرَّت على فيك أفرغت
كفتنا حمياً الخمر رقةً لفظها

تنشُر عن علمٍ وتطوي على سحرٍ
وتشغل بالمرأى اللطيف عن السر^(١)
وأحسن من نعمي تقابل بالشكر
وأشبه نظماً متقناً منه بالشر
تباهى معانيه بألفاظه الغرُّ
ومالت مع الأعراض في حيزٍ تجري
لآليءٍ نورٍ في حدائقها الزهر^(٢)
كما امتزجت بنتُ الغمامة بالخمر
وأحوج من فعلٍ جميلٍ إلى نشر
وفاءك في عقد السماحة والفخر^(٣)
ثناياك في ألفاظها بهجة البشر
وأمننا تهذيها هفوةً السكر

وكتب إليه بعض أهل رامهرمز أبياتاً يمتدحه فيها ، وقد كان بلغه عنه أبيات
يشكو فيها أهل ناحيته ، فقال : هلا انتقل ، واتصل ذلك بقائلها فضمن أبياته
اعتذاراً من المقام لتعذر النقلة . فكتب إليه مجيباً له قصيدة منها [من الطويل]: .

بدأت فأسلفت التفضُّلَ والبرا وأوليت إنعاماً ملكت به الشكرا

(١) السير : الكشف ، والنشر : الرائحة الطيبة .

(٢) أرئت : من الإرنان ، أو من الإرناء وهو إدامة النظر مع سكون الطرف ، والنور : الزهر الأبيض .

(٣) الحجي : العقل .

وللسابق البادي من الفضل رتبة
أتتنا عذاراك اللواتي بعثتها
فأفصحن عن عذري وطوقن منة
فأوليئها حسن القبول معظماً
تناهي النهى فيها وأبدع نظمها
إذا لحظت زادت نواظرتنا ضياءً
تنازعها قلبي ملياً وناظري
فنزّهت طرفي في وشي رياضها
تضاحكنا فيها المعاني فكلما
فمن ثيب لم تفتزع غير خلصة
يظل اجتهادي بينهما مقصراً
إذا رمت أن أدنو إليها تمنعت
وقد صدرت عن معدن الفضل والعلل
فتمت لك النعمى وساعدك المنى
كفتنا وإياك المعاذير نية
مدحت فعددت الذي فيك من عللاً
وما أنا إلا شعبة مستمدة
وقد كان ما بلغته من مقالة
إذا البلد المعمور ضاق برحبه

تقصّر بالتالي وإن بلغ العذرا
لتوسعنا علماً وتلبسنا فخراً^(١)
وقلن كذا من قال فليقل الشعرا
لحق فتى أهدى بهن لنا ذكرا
خواطر ينقاد البديع لها قسرا
وإن نشرت فاحت مجالسنا عطرا
فأعطيت كلاً من محاسنها شطرا
وألقت فكري بين ألفاظها الدرا
تأملت منها لفظة خلقتها شعرا
وبكر من الألفاظ قدز وُجت بكرا^(٢)
وئسمي ظنوني دون غايتها حسرى^(٣)
وحق لها في العدل أن تظهر الكبرا
وقد صحبت تلك الشمائل والنجرا^(٤)
ومليت في خفض أبا عمر العمرا^(٥)
إذا خلصت لم تذكر الوصل والهجرة
والبستني أوصافك الزهر الغرا
لمغرز فيض منك قد غمر البحرا
أنفت بها للفضل أن يآلف الصغرا
على ماجد فليسكن البلد القفرا

(١) عذاراك : أي أبياتك العذراء التي لم يسبق إليها في المعنى .

(٢) الثيب : المرأة التي ليست بكر ، وتفتزع : أي اقتضت بكارتها .

(٣) حسرى : ضعيفة متعبة خائبة .

(٤) النجر : الأصل الكريم .

(٥) الخفض : السعة في العيش ولينه .

وكم ماجد لم يرضَ بالخسف فانبرى
ومن علقت نيلُ الأمانى همومه
فلا تشكُ أحداثُ الزمانِ فإنني
وهل نصرتُ من قبلُ شكواك فاضلاً
وما غلب الأيَّامُ مثلُ مجرَّبٍ
يقارع عن هماته البيض والسمرا^(١)
تجشَّم في آثارها المطلبَ الوعرا
أراه بمن يشكو حوادثه مُغرى
لتأمل منهنَّ المعونة والنصرا
إذا غلبته غايةُ غلب الصبرا

فقر له من كل فن

قال من قصيدة [من الطويل]:

يقولون لي فيكَ انقباضٌ وإنما
وما زلتُ منحازاً بعرضي جانباً
إذا قيل هذا مشربٌ قلت قد أرى
ولم أقضِ حقَّ العلم إن كان كلما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي
أأشقى به غرساً وأجنيه ذلَّةً
وقال من أخرى [من الطويل]:

وقالوا اضطرب في الأرض فالرزق واسعٌ
إذا لم يكن في الأرض حرٌّ يعينني
ومن أخرى [من الطويل]:

على مهجتي تجني الحوادثُ والدهرُ
فأما اضطباري فهو ممتنعٌ وعُرُ

(١) الخسف : النقصان والظلم ، والبيض : السمر : السيوف والرماح .

(٢) أحجماً : ابتعد وتجنَّب وتمنَّع .

(٣) اعتدَّ الصيانة مغناً : أي أحسب وأعدَّ صون النفس والعرض مغناً .

بذنْبٍ ، وما ذنبِي سوى أنْني حرٌّ
أضيقُ به ذرعاً فعندي له الصبرُ^(١)
وما علموا أنَّ الخضوعَ هو الفقر
على الغنى : نفسي الأبيَّةُ ، والدهرُ

كأنَّني ألاقِي كلَّ يومٍ ينوبني
فإن لم يكن عند الزمان سوى الذي
وقالوا توصل بالخضوع إلى الغنى
وبيني وبين المال بابان حرماً
ومنها :

مواقفَ خيرٍ من وقوفي بها العسرُ
بنفسٍ فقيرٍ كلُّ أخلاقه وفر
مطامعه في كفٍّ من حصل التبر

إذا قال هذا اليسرُ أبصرتُ دونهُ
إذا قدّموا بالوفر أقدمت قبلهمُ
وماذا على مثلي إذا خضعت له
وكتب على لسان غيره [من الطويل] :

رجتك لما يُرجى له الماجدُ الحرُّ
يحلُّ لهم عن وعدك الموثق الأسر
وحاربهم فيك اختيارك والدهر
فعوضهمُ راحاً يزول بها الفكر
وإن فاته الخلُّ المساعد فالخمر
وإلا فلا تغضب إذا غضب الشعر

أبا حسنٍ طال انتظارُ عصابةٍ
وقد حان بل قد هان لولا المطالُ أن
وقد فاتهم من قربك الأنس والمنى
فإن كنتَ عوّضت عنهمُ بغيرهمُ
فأنس الفتى في الدهر خلُّ مساعدُ
فأمّا رسولُ بالنبيذ مبادرُ

وقال من قصيدة كتبها إلى أخوين له من انقباضه عنهما وإغبابه زيارتهما
[من الطويل] :

ودمٌ لي ، وإن دام البعاد ، على الودِّ
يفوتني حظي ويمنعني رُشدي
تعدُّ جفاءً والوفاء لهم وكدي^(٢)

أيُّها معهدُّ الأحباب ذكرهم عهدي
ولي خلقٌ لا أستطيع فراقه
نفورٌ عن الإخوان من غير ريبةٍ

(١) ذرعاً : من ذرع المكان ذهاباً وإياباً برماً منه .
(٢) الوكد : الجهد والسعي .

غذيتُ به طفلاً فإن رمت هجره
 كما ألفت كفاً كما البذلُ والندی
 على أنني أقضي الحقوق بنيتي
 ويخدمهم قلبي وودّي ومنطقي
 فإن أنتم لم تقبلوا لي عذرةً
 فقولوا لطبعي أن يزول فإنّه

وقال [من الوافر] :

جفاؤك كلَّ يومٍ في مزيدٍ
 فإن يكن الصدود رضاك فاذهبُ
 فحسبي منك أن يهواك قلبي
 وما تنفكُ تُشمت بي حسودي
 فإنّي قد وهبتك للصدود^(١)
 وحسبك أن أزورك كل عيد

وأهدى إلي صديق له بعض إخوانه تحفة وفيها أفراخ وبقلاء وباذنجان فقال
 على لسانه يذكر ذلك [من الطويل] :

أبى سيدُ الساداتِ إلّا نظرفاً
 وساعدني فيه الزمان فخلته
 وأهيفُ لو للغصنِ بعضُ قوامه
 تحينُ غفلات الوشاة فزارنا
 فما باشرت نعلاه موضع خطوة
 وتلحظ خديّه العيون فتشني
 وإلّا وصالاً دائماً وتعطفاً
 تحرّج من ظلمي فتاب وأسعفاً^(٢)
 تقصّف عاراً أن أسمىه أهيفاً
 يعرّج عن قصد الطريق تخوفاً^(٣)
 من الأرض إلّا أورثاه تصلّفاً^(٤)
 تساقط فوق الأرض ورداً مقطفاً

(١) تأبى : امتنع .

(٢) الصدود : الإعراض .

(٣) تحرّج : تأثّم .

(٤) تحينُ : أي ترقّب ، يعرّج : يميل .

(٥) التصلّف : التكبرُ والادعاء بما ليس فيه .

فقلبت أحلمُ أم خواطر صبوة
وفيم تجلّى البدر والشمس لم تغب
أما خشيت عيناك عيناً تصيبها
ولم يحذر الواشين من لحظاته
فقال اشتياقاً جئتكم وصبايةً
وليس الفتى من كان ينصف حاضراً
ومرّ فلم أعلم لفرط تحيري
فيازورة لم تشف قلباً متيمّاً
فلما تمثلنا الهدية خلته
ولما مددنا نحوهنّ أناملأ
إلى باقلاء خيف أن لا تقله
حملنا بأطراف البنان ولم نكد
وسوداً تروّت بالدهان وبدغت
كأفواه زنج تبصر الجلد أسوداً
كخلق حبيب خاف إكثار حاسد
ومنتزع من وكر أم شائقة
يغذى غذاء الطفل طال سقامه
فلما بدت أطراف ريش كأنه
تكلفه من يرتجي عظم نفعه

تصوره أم أنشر الله يوسف
أحاول منها أن تحول وتكسفا
وغصنك ذا إذ مال أن يتقصفا
تقلب سيفاً بين جفنيه مرهفا
إليكم وإكراماً لكم وتشوقاً
أخاه ، ولكن من إذا غاب أنصفا
أطير سروراً أم أموت تأسفا
ولكنّها زادت غرامي فأضعفا
تمثل فيها بهجة وتظرفاً
براهما الضنى في حبه فتحيفاً^(١)
يداي لما بي من هواه فنصفاً
بنائاً زهاها الحسن أن تتظرفاً
بتوريدها لوناً من النار أكلفاً
وتبصر إن فرّت لجيناً مؤلفاً^(٢)
فأظهر صرماً وهو يعتقد الوفا^(٣)
يعزّ عليها أن يصاد فيعسفاً^(٤)
فحنّ عليه والداه ورففا
مبادي نبات غيب قطر تشرفاً^(٥)
فكان به أحفى وأحنى وأرففا

(١) يراها الضنى : أي أنحللتها الأوجاع فتحيفاً : أي تظلم ، والحيف هو الظلم .

(٢) أكلفا : الكلف هنا لون بين الحمرة والسواد .

(٣) اللجين : الفضة ، وفرّت : افترت وكشفت .

(٤) الصرم : القطيعة والمجران .

(٥) بعسفا : من العسف وهو الظلم .

(٦) غيب قطر : بعد ماء .

يزقُ بما يهوي ويعلف ما اشتهى
فلما تراءته العيون تعجباً
أراق دماً قد كان قبلُ يصونه
تضربُ حتى خلت أن جناحه
فجىء به مثل الأسير تمكنت
له أخواتُ مثله ألفت ثنى
وقال لي الفأل المصيب مبشراً
فيا لك من أكلٍ على ذكر من به
ولم أر قبل اليوم تحفة بعده

ويمنع بعد الشبع أن يتصرفاً
وقيل تناهى بل تعدى وأسرفاً
كدمعة مضى القلب روعه الجفا
فؤادي حيناً ثم عوجل وانظفا
أعاديهِ منه بعد حربٍ فكتفماً
على مثل ما كانا زماناً تألفاً
كذا أبداً ما عشتما فتألفاً
تطيب لنا الدنيا تعطف أم جفا
ومن عاشر الحرَّ الظريف نظرفاً

* * *

٢ - أبو الحسن علي بن أحمد الجوهري

نجم جرجان في صنائع الصاحب وندمائه وشعرائه ، فسكن دورة صناعة
الشعر في ريعان عمره ، وعنقوان أمره ، وتناول المرمى البعيد بقريب سعيه ، وكان
في إعطاء المحاسن إياه زمامها كما قيل « جذع بين على المذاكي القرح »^(١) .

وكان الصاحب يعجب أشد الإعجاب بتناسب وجهه وشعره حسناً ، وتشابه
روحه وشمائله خفة وظرفاً ، ويصطنعه لنفسه ، ويصرفه في الأعمال والسفارات ،
وعهدي به وقد ورد نيسابور رسولاً إلى الأمير أبي الحسن في سنة سبع وسبعين
وثلاثمائة يملأ العيون جمالاً ، والقلوب كمالاً ، وحين انكفاً إلى حضرة الصاحب
وجهه إلى أبي العباس الضبي بأصبهان ، وزوده كتاباً بخطه ينطق بحقائق أوصافه
وأخباره ، وهذه نسخته بعد الصدر .

(١) الجذع : الحدث ، والقرح : جمع قارح وهو ما كملت أسنانه ، والمذاكي : ما أتى عليها سنة أو اثنتان
بعد قروحها .

أوصافي لمولاي - أدام الله تعالى عزه ! - تودع الشوق إليه حبات القلوب كما تملأ له بالمحبة أوساط الصدور . فلا تغادر ذا قدح فائز في الفضل وخصل سابق في خصال العلم ، إلا ونار الحنين حشوثابه أو يرحل إليه ، وينىخ ركائب السير لديه ، لا جرم أن جلّ من يحضرني يطالبني بالإذن له في قصده ، ويهتبل^(١) غرة الزمان في الخطوة بقربه ، نعم وذوو التحصيل إذا حظوا لدي بزلفة ، وأحصفوا عروة خدمة ، واعتقدوا أنهم إن لم يعتمدوا ظله ، ولم يعتلقوا حبله ، كانوا كمن حج ولم يعتمر ، ودخل ظفار ولم يحمر^(٢) ، إلا أن جميعهم إذا دفعته اندفع ، وإذا خدعته انخدع ، غير واحد ملط ملحف مشط^(٣) يغريه الرد بالمراجعة ، ويغويه المنع للمعاودة ، ويقول بملء لسانه إلى أن يسأم ، ويقتضي طول زمانه حتى يسأم ، وكم جررتة على شوك المظل ، ونقلته من حزن إلى سهل . وصرفته على إنجاز وعد بوعد ، ودفعته من استقبال شهر إلى انسلاخ شهر ، ثم خوفته كلب الشتاء أجعل الربيع موعداً ، وحذرتة وهج المصيف أعطيه للخريف موثقاً . وكم شغلته بعمالة بعد عمالة ، ووفادة بعد وفادة ، أريد في كل أن أصدفه عن وجهته^(٤) ، وأصدّه عن عزمته ، ليس لغرض أكثر من أن السؤال منه والدفاع مني تساجلا ، والالتماس منه والامتناع من جهتي تقابلا ، فلما خشيت صابته بأصبهان أن يردّها ، بل بخدمة مولاي أن يعتقدها ، تجنّى على قلبه ، أو يتحيف بمس من الجنون ثابت عقله ، ألقيت حبله على غاربه^(٥) ، وبردت بالإذن جمرات

(١) يهتبل : يغتنم .

(٢) ظفار : بوزن قظام مدينة بالقرب من صنعاء ، وأصل هذا من قول بعض ملوكهم : « من دخل ظفار حمر » أي تكلم بالخميرية .

(٣) المِلْط : الرجل الخبيث الذي يسرق كل ما يقع نظره عليه ويستحلّه. الملحف : الكثير الإلحاح في سؤاله المشط : أي يجاوز الحد في أموره .

(٤) أصدقه عن وجهته : أصرفه عنها .

(٥) ألقيت حبله على غاربه : أي جعلته يتحمل نتائج أعماله : والغارب : الكاهل ، وأعلى كل شيء .

جوانحه^(١) ، فإن يقل مولاي من ذا الذي هذا خطبه وهذه خطته ؟ أقل من فضله برهان حق ، وشعره لسان صدق . ومن أطبق أهل جلده ، على أنه معجزة بلدته . فلا يعد لجرجان بعيداً ولا قريباً أو لأختها طبرستان قديماً ولا حديثاً مثله ، ومن أخذ برقاب النظم أخذه . وملك رق القوافي ملكه ، ذاك على اقتبال شبابه وريعان عمره ، وقبل أن تحدثه الآداب ، وقيل جري المذكيات غلاب ، أبو الحسن الجوهري أيده الله وبنائه عند مولاي منذ حين ، وخصوصه بي كالصبح المبين ، إلا أن لمشاهدة الحاضر ، ومعينة الناظر ، مزية لا يستقصيها الخبر ، وإن امتد نفسه ، وطال رعانه ومرسه^(٢) ، وقد ألف إلى هذه الفضيلة التي فرع بنيتها^(٣) ، وأوفى على ذوي التجربة والتقدمة فيها ، نفاذاً في أدب الخدمة ، ومعرفة بحق الندام والعشرة ، وقبولاً يملأ به مجلس الحفلة ، إنصاتا للمتبوع إلا إذا وجب القول ، وإعظاماً للمخدوم إلا إذا خرج الأمر ، وظرفاً يشحن مجلس الخلوة ، وحديثاً يسكت به العنادب ويطول البلايل ، فإن اتفق أن يفسح له في الفارسية نظماً ونثراً طفح آذيه . وسال أتبه ، فآلسنة أهل مصره إلا الأفراد بروق إذا وطئوا أعقاب العجم ، وقيدوا إذا تعاطوا لغات العرب ، حتى إن الأديب منهم المقدم ، والعليم المسوم^(٤) ، يتلثم إذا حاضر بمنطقة كأنه لم يدر من عدنان ، ولم يسمع من قحطان ، ومن فضول أختينا أو فضله أنه يدعى الكتابة ويدارس البلاغة ، ويمارس الإنشاء ، ويهذي فيه ما شاء ، وكنت أخرجته إلى ناصر الدولة أبي الحسن محمد بن إبراهيم فوق التوفيق كله صيانة لنفسه ، وأمانة في ودائع لسانه ويده ، وإظهاراً لنسك لم أعهد في مسكه . حتى خرج وسلم على نقده ، وإن نقده لشديد لمثله . ومولاي يجريه بحضرته مجراه بحضرتي ، قطعاه ومنامه وعوده وقيامه .

(١) الجوانح : أوائل الأضلاع مما يلي الصدر .

(٢) الرعان : الشدة ، ومرسه : أي تمرسه واحتكاكه .

(٣) فرع بنيتها : أي علاهم شرفاً وجاهاً .

(٤) المسوم : سومه الأمر : كلّفه إياه ، وسومه في ماله : أي حكمه فيه .

إما بين يدي ، أو بأقرب المجالس لدي . ولا يقولن هذا أديب وشاعر ، أو وافد وزائر . بل يحسبه قد تخفف بين يديه أعواماً وأحقاباً ، وقضى في التصرف لديه صباً وشباباً . وهذا إنما يحتاج إلى وسيط وشفيع ما لم ينشر بزه^(١) ، ولم يظهر طرزه . وإلا فيسكون بعد شفيع من سواه . ووسيط من عداه . فهناك بحمد الله درقه وحدقه^(٢) ووجنة مطرفه ، وما أكثر ما يفاخرنا بمناظر جرجان وصحاريها . ورفارفها وحواشيها ، فليملأ مولاي عينه من منتزهات أصبهان ، فعسى طماحه أن يخفف ، وجماحه أن يقل .

وشريطة أخرى في بابه : وهي أنه ليس موضعاً لماله ، فسبيل ما يرزأه^(٣) أن يكون ما أقام في حجره ، وإن أذن له مولاي في العود داخلاً في حظر . فما أكثر ما يباري البرامكة تبرماً بجانب الجمع ، وتخرفاً^(٤) في مذاهب البذل . ونسبة للرياح الى الإمساك والبخل . فبينما تراه والثروة أقرب وصفيه ، حتى تلقاه والحاجة أحد خصميه ، وكم وكم تداركت امره فما ازداد الخرق إلا وسعاً لا يقبل رتقاً ، وتهاوناً لا يسع تلافياً ، وما كنت مع إبرامه لأفسح له في الخروج وأمد له طول النهوض مع أنسي الشديد بحضوره ، واستمتاع النفس بعقله وجنونه ، غير أنني أزرت من ينظر بعيني . ويسمع بأذني ، ومن إذا ارتاح للأمر فقد ارتحت ، وإذا انشرح صدره فقد انشרכת .

ونكتة أخرى : وهي واسطة التاج ، وفاتحة الرتاج . مولاي سمح بماله ، مقرب لمناله ، بخيل بجاهه ، ضنين بكلامه . وأبو الحسن لا يقبل العذر ، أو يصدق النذر ، فيجعل جوده بلسانه ، أبلغ من جوده بيناته ، وحقاً اخبر أن قصده الأكثر الارتفاع ، لا الانتفاع ، غير أنني أنبأت عن سره . وعن سن بكره ، وانقضت

(١) البز : الأثواب .

(٢) الدرق : الصلب من كل شيء ، ومنها الدرقه وهي الترس ، وحدقه : أي نظره وإحاطته .

(٣) يرزأه : من الرزء وهو المصاب .

(٤) تخرفاً : جهلاً .

الخطبة ، والسلام .

ولما انقلب من أصبهان إلى جرجان ، مسروراً لم تطل به الأيام حتى أصبح مقبوراً .

* * *

ملح من مقطوعاته في كل فن

قال [من الكامل] :

ومغلفٌ بالمسك في خديهِ سطرّاً يشوق العاشقين إليه
ما جاءه أحدٌ ليخطف نظرةً إلاّ تصدّق بالفؤاد عليه

وقال [من السريع] :

مَنْ عاصمي يا ابن أبي عاصم من لحظك المقتدر الظالم
يا خاتم الحسن أغث مدنفاً صارت عليه الأرض كالخاتم^(١)

وقال [من السريع] :

يا ليل أفدي أختك البارحة ما كان أذكى ريحها الفاتحة
كانت لها خاتمةٌ لو درت وجدي بها كانت هي الفاتحة

وقوله [من المتقارب] :

عشقت وكم من كريمٍ عشق وخفت وكم من حُودٍ فرق^(٢)
لقد سرق اللحظ منك الفؤاد وكم مثل قلبي سرق ؟

(١) المدنف : المريض .

(٢) الفرق : الخوف .

وقال [من المنسرح] :

يا حبذا الكأس من يديّ قمرٍ يخطر في معرضٍ من الشفق^(١)
بدا وعين الدجى محمّرةً أجفانها من سلافة الفلق^(٢)

وقال يصف حب الرمان [من الطويل] :

وجّباتُ رمانٍ لطافٍ كأنّها شوارد ياقوتٍ لطفن عن الثقب
أشبهها في لونها وصفائها بقطرات دمعٍ ورّدت من دم القلب

وقال يصف الباذنجان [من الوافر] :

وباذنجانةٍ حشيت حشاها صغار الدرّ باللبن الحليب
تقمّصت البنفسج واستقلت من الأس الرطيب على قضيب

ولابن الرومي [من المنسرح] :

إذا أجاد الذي يشبهه وأحكم الوصف فيه بالنعث
قال كرات الأديم قد حشيت بسمسم قمعت بكيمنت

وقال في ليلة راكدة الهواء هب فيها نسيم طيب [من الرمل] :

بادِرِ الصهباء فالدهر فرصٌ ولقد طاب نسيماً وخلصُ
أهدت الريح إلينا نسماً جمّش الأرواح منّا وقرص^(٣)
فكأنّ الكأس لما جليت طرب الجوُّ عليها فرقصُ
وإذا خُصَّ زمانٌ بمنىً فزمان الورد باللّهُو أخصُ

(١) يخطر : يتخطر في مشيته .

(٢) السلافة : الخمر ، والفلق : الصبح .

(٣) التجميش : المداعبة .

وقال [من المنسرح] :

وعارضٍ كالبنفسج الغض
سألت عنه فقيل ذا قمرٌ
نظرت فيه فصدَّ معتدياً
يزهي على صحن سوسنٍ فضيٍّ^(١)
درعٌ ثوب الظلام للعرض^(٢)
وكاد بعضني يصدُّ عن بعضني

وقال يستدعي صديقاً له [من الطويل] :

عفا الدهر عناً واستقلتُ بنا المنى
وضمتُ أكفُ الراح شملَ عصاةٍ
فإن زرتني شوقاً وإلاً فإنني
وحتُّ بنا ربعٌ من الانس عامر
وجوههم للزهرات ضرائر
إذا جدَّ جدُّ السكر والشوق زائر

وقال في معنى لم يسبق إليه [من الوافر] :

ألا يا أيها الملك المعلّى
لعبدك حرمةٌ والذكر فحشٌ
أنلني من عطايك الجزيله
فلا تحوج إلى ذكر الوسيله

وقال يهجو [من الرجز] :

انظر إلى أمرٍ عجيب قد حدث
أبو تميمٍ وهو شيخٌ لا حدث^(٣)
قد يحبس الأصلع في بيت الحدث^(٤)

وقال في أبي نصر الكاتب النيسابوري [من البسيط] :

إنني قصدت أبا نصرٍ بمسألةٍ
فظلَّ يرعد خوفاً من مكالمتي
فقلت نفسك إنني وفد مكرمةٍ
يقلُّ وصفِي إياها عن الكلم
وكاد يسقط قرنائه على القدم
واذهب فإنك في حلٍّ من الكرم

(١) العارض : صفحة الحدّ ، والغض الطوي والنضر .

(٢) درع : لبس .

(٣) شيخ لا حدث : أي ليس صغير السن .

(٤) بيت الحدث : بيت الخلاء .

وقال فيه [من الهزج] :

حكوا لي عن أبي نصر وقد أورد من حَقَّقْ
بأنَّ الشيخ يستدخل أيرين إذا استحلَّقْ
فما صدقت حتى قلت للشيخ وقد أطرق
أيحوي الغمد سيفين فقال الشيخ يا أحمقْ
وما تنكر أن يعمل ملاحان في زورقْ

وقال فيه [من الهزج] :

أبو النصر قد أبدع في إبنته بدعه
حكوا لي أنه ييلع عرض الأير في دفعه
وذا من كاتب شيخ عميد مثله شنه
ولولا أنه شيخ تركنا عذله فظعه
وخليناه يستدخل خمساً شاء جو سبعة
ومن يحسد طست الشمع يا قوم على الشمعة

* * *

غرر من قصائده

قال من قصيدة [من الخفيف] :

يا سقيط الندى على الأفحوان	شأنك الآن في الصبح وشاني
أنت أذكرتني دموعي وقد صوّ	بن بين العتاب والهجران
إن يكن للخليج فيك أوان	بتقضّي المنى فهذا أوابي
شجر مدنف وجو عليل	وصباحٌ يميل كالنشوان
صاح إنَّ الزمان أقصرُ عمراً	أن يراع المنى بصرف الزمان

رقّ عني ملاحف الليل فانفض برقيقٍ من صوب تلك الدنان^(١)
 قهوة عَقَّها النواظر لما حسبتهَا عصارة العقيان^(٢)
 كعصير الخدود في يقق الأو جه أو كالدموع في الأجفان^(٣)
 ومن قصيدة في صاحب يمدحه ويعتذر من خروجه حاجاً من غير إذنه
 ويعرض بقوم أساءوا المحضر له بجرجان [من الطويل] :

قليلٌ لمثلي أن يقال تغيراً وفارق مخضلاً من العيش أخضراً^(٤)
 زمانٌ كعتبي من حبيبٍ نودُهُ إذا مرّ منه أدهرٌ كنّ أشهراً
 يقولون بغداد الذي اشتقت برهَةً دساكرها والعبقريّ المقيراً^(٥)
 إذا فُضّ عنه الختم فاح بنفسجاً وأشرق مصباحاً ونورَ عصفاً^(٦)
 ودجلتها الغناء والزو نافضاً جناحيه يحكي الطائر المتحدراً
 إذا رفع الملاح جنبيه خلته تشقّق من غيظٍ على الماء معجراً^(٧)
 وقمرة روضٍ حسنُها وحديثها إذا رقصت حول المثنائي بنانها
 وليلٍ على النجمي شطت نجومه ترى كلّ جزءٍ من فؤادك مزهرا
 تغورُ ويديها الظلام كأنها عن العين حتى قيل لن يتصورا
 عكفنا على صهباء لو مرّت الصبا عيونُ سكارى منتشين من الكرا
 بها لاكتست ثوباً من الحسن أحمرأ

(١) صوب الدنان : أي خمرها ، الصوب المطر ، والدنان : جمع دن : وهو زقّ الخمر وآتيته .

(٢) القهوة : من أساء الخمر ، والعقيان : الذهب الخالص .

(٣) يقق الأوجه : أي يبض الأوجه ، واليقيق : هو القطن .

(٤) مخضلاً من العيش : أي عيشاً ناعماً هائلاً .

(٥) دساكرها : الدسكرة : القرية ، والبناء الضخم الذي يكون حوله بيوت فيها الشراب والملاهي .

والعبقري المقيراً : العبقرى من الشراب : أي المتميّز المبرّز الذي لا يفوقه شيء ، والمقيراً أي الموضوع في الزق المطلي بالزفت .

(٦) العصف : صباغ أصفر يستخرج من الثياب .

(٧) معجراً : مسرعاً - ملتقاً .

فإن عزموا يوماً على البين أنكرا
نداماك فيها الغول والقهوة السرى^(١)
لطال على العذال أن أتسترا
أرض بمرو الثعلبية عنبرا
جواداً إلى العلياء لن يتغيراً
فلست أرى شيئاً سواه ولا أرى
وقد كنت عنواناً عليها مسطراً
بجرجان أبدت دهشةً وتحيراً
وكنت بحجّي ذلك الباب أعذرا
فطيرني من قبل أن أتخيراً^(٢)
فأعمينني من قبل أن أتبصراً
بخلت بنفسي أن تملّ وتهجرا
وسلتُ فكنت الماء ينصبُّ في الثرا
وكنت على قتلي بسيفك أقدرا
لأورق بالودّ الصريح وأثمراً^(٣)
وكم مقبلٍ تلقاه بالودّ مدبراً
ومن قصيدة كتبها من دهستان إلى صاحب وهو على بعض ضياعها يصف
تبرمه بها وخراب مستغله بجرجان [من الكامل] :

ندامى كأن الدهر يعشق شملهم
أذلك خيرٌ أم بساطٌ تنوفة
فقلت أما والله لولا تقاته
دعوني ومرو الثعلبية إنني
رعى الله مولانا الوزير ورأيه
يمثل ديناً بين قلبي وناظري
لقد طويتُ عن خطبتي صحف الندى
تحيرٌ عيشي بالعراق وهمتي
حججتُ لعمر الله مكةً معذراً
رأى الدهر أني ناهضٌ بقوادمي
وأبصر أيامي تفتح ناظري
رويدك لم أهجر علاك وإنما
وقدتُ فكنستُ النارَ تأكل نفسها
قدرتُ على قتلي فاقصد
وأقسم لو رويتُ سيفك من دمي
فكم مدبرٍ بالودّ تلقاه مقبلاً

يا ليلةً قصُرتُ فطابتُ وانقضتُ
حميتُ بأنفاسي نجومك فانشئتُ
أيديّ ضَعُفتُ عن الأعنة فاقنعي

(١) الغول : الصداق الناشئ عن شرب الخمر أو السكر ، والقهوة السرى : أي الخمرة براثعتها المنتشرة .

(٢) القوادم : ريش مقدمة الجناح عند الطائر .

(٣) الودّ الصريح : الحب الخالص الصافي .

لم أرض إلا الفرقدين حذاءً
قد كان يسبق عدوه النكباء
مثل الأثافي ما يرمن فناء^(١)
حسرى تخال أمامهن وراء
كف الوزير توزع النعماء
يستعرض الشعراء والندماء
ضحوا بأكواب وعفوا الشاء^(٢)
فيزفها في كأسها حمراء
بيد السحاب غلالة دكاء
فيه الغيوم فأشبه الغبراء
حتى تراه في الإناء إناء^(٣)
أعلاه ليس يكفكف الأنداء
نمل هوت من أصلهن هباء
غرفاتها عن أهلن خلاء
أبدأ وأحذر فوقها الأنواء
أن القريض يهجن الرؤساء^(٤)
أو نafs العمال والضماء
أعمالها عن حملي الأعباء
إنني خدمت ببعضها الوزراء
وخدمت تلك الحضرة الغراء

لو لم تخن قدمي مقاصد همتي
نكبتني الأيام في مستحضر
أبقى الحفا منه ثلاث قوائم
ولطالما ترك الرياح هبوبة
هذا وقد أخذت بآفاق المدى
وقد استقل سريه بعلائه
عيد أنو شروان قال لعظمه
يتقرب الدهقان فيه بينته
نسج الزمان من الندى لثائه
واغبر وجه الجو ممًا رفرفت
وسجا أديم الأرض من برد الضحى
ونعى الشتاء إلي بيتي إذ رأى
وسوارياً لو دب فوق متونها
وعليّة بليت بلاي وأصبحت
أخشى الرياح إذا جرت من حولها
قولا لمن ذم القوافي وادعى
ويقول بغياً هل تصرف شاعر
سائل دهستان العتود بمن يلي
هيهات لا تحقر عيون قصائدي
وبها وصلت إلى ابن عبّاد العلا

(١) الأثافي : جمع أثفية وهي الحجر التي توضع عليه القدر .

(٢) عفوا الشاء : أي أكثروا من ذبحها .

(٣) سجا أديم الأرض : غطى وجه الأرض .

(٤) يهجن : يعيب ويقبح ، والقريض الشعر .

ومتى لثمت يديه أو أنشدته
فارقت بطحاء المكارم عنده
مغنى اللصوص ومنبع الشر الذي
قومٌ إذا شبقوا أتوا أنعامهم
مثلُ الثعالب ينبعثن فإن عوى
كانوا ذوي ثقتي فصرت كأني
وولايتي عزلٌ إذا لم أعتق

لم أقتنعُ بالمشركين حباء^(١)
ونزلت أرضاً بعده شنعاء
أفنى الرجال وجشَّم الأمراء
أو أعدموا باعوا البنات إماء^(٢)
ذئبٌ دخلن الأيكة العوصاء^(٣)
عينٌ تقلَّب منهم الأقذاء^(٤)
باب الوزير وتلكم الآلاء^(٥)

ومن أخرى يصف فيها ضيق ذات يده ، وخراب حجرته ، وكثرة عياله ،
ويهنئ الصاحب ببنائه الجديد بجرجان [من الطويل] :

أهشُّ لأنواء الربيع إذا انبرت
تظلُّ جفوني كلما مرَّ بارقٌ
حذاراً على خاوي الجوانب مائلٍ
لدى عرصاتٍ أصبحت غرفاتها
أساطين حكتها السنون كأنها
رثى لي أعدائي بها وتطيَّرت
يقولون هلاً تستجدُّ مرمّةً

وأكره أبواء الربيع وأنكرُ^(٦)
تطول إلى خيط السماء وتقصرُ
يكاد بأنفاسي عليه يقطرُ
مناخل أمطارٍ تروح وتبكرُ^(٧)
قيامٌ تشئت للركوع تكبرُ
برؤيتها العين التي لا تطيرُ
وحالي منها بالمرمة أجدرُ^(٨)

(١) حباء : عطاء .

(٢) شبقوا أتوا أنعامهم : أي أنهم في حالة الشبق والتهيج لا يتورعون عن مجاعة حيواناتهم ، وأعدموا : أي اقتروا .

(٣) الأيكة العوصاء : أي المكان الكثير الشجر والشديد الصعوبة .

(٤) الأقذاء : جمع قذى وهو ما يقع في العين من وسخ وغيره .

(٥) الآلاء : النعم .

(٦) أبواء الربيع : إخلافه وعدم سقوط الغيث فيه .

(٧) عرصات : ساحات .

(٨) المرمّة : متاع البيت .

وأظهرت الحال التي أنا مضمّر
 وكلُّ لباسٍ للتهتُّكِ مئزّر
 على أنه من صوب طبعي أنزّر^(١)
 وتفتح أفواهُ السباعِ وتفغر^(٢)
 أناملهم نحو الندى تشمّر
 يحدثُ عن آلائه ويخبر
 هي الجنّة العليا وأنت المعمر
 تعثرُ فيها فكرتي وتحير
 تربّع في صحن العلا وتدور
 وهل سوددُ إلا بربّك يعمر

إذا كشف الأيام وجهه تجملني
 فكلُّ مكانٍ للتبذُّل موقفُ
 ثمانية يرجون صوب قصائدي
 يمدّون أعناق النعام إلى يدي
 إذا رحت عن دار الوزير تبسّط
 يرون خطيباً ملء بردي ومطرفي
 بنيت إلى دنياك دنياً جديدة
 معارجُ مجدٍ واحدٍ فوق واحدٍ
 طرائحُ عزٍّ لبنة فوق لبنة
 بنيت لعمرى سودداً لا بنية

ومن أخرى [من الطويل] :

ييثُ جوى من قلبه المتشوّف^(٣)
 توقّد من حرّ الغرام وتنظفي
 أجرُّ إليها شملة المتظرف
 سلاله مجدٍ في غلالة مدنف

تشئى إلى برد النسيم المرفرف
 تنسّم أنفاس الضحى بحشاشة
 تجافيت إلا عن محاسن قهوة
 دعوا رمقي يستنصر الراح إنها

ومن أخرى [من البسيط] :

ومدّت الريح منها واهي الطنب^(٤)
 ينفضن أجنحةً من عنبر الزغب

زرّ الصباح علينا شملة السحب
 صكّ النسيم فراخ فانزعجت

(١) أنزّر : أقل ، وأبطأ .

(٢) تفغر : تتسع وتفتح .

(٣) المتشوّف : المتطلّع إلى من يحبّ المتشوق إليه .

(٤) الطنب : العمدة .

لو لم يقل إلا هذا البيت لكان أشعر الناس !

تسعى الجنوب بطرفٍ حولها ثملٍ من الندى وفؤادٍ نحوها طربٍ ومنها :

كفى العواذلُ أنِّي لا أرى قدحاً إلا شققتُ عليه جلدة الطرب
إن قيل تاب يقول الغيُّ لم يتب أوقيل شاب يقول اللهو لم يشب

ومن أخرى [من البسيط] :

لو ثار ما اقتدحته النفسُ من هممي لو أن ساعديَ اليمنى تساعدني
يا مسرجاً صهوات الريح متجعاً لا تركب البحر إلا بحر مكرمة
سكنتُ روعة حالي بعدما أدّرت فصرت منك أقوى بالغنى سيباً
لصكُّ ناصية الجوزاء ملتها على سوى الجود صغت الأرض لي ذهاباً
قربُ خطاك فإن الجود قد قربا يسقي الفرات ولا يودي بمن ركبا^(١)
من اعتراض عوادي فقرها رعباً وأدعى لمحلي في العلا سيباً

ومن أخرى في فخر الدولة [من الطويل] :

سريرٌ بأحداق النجوم مسمرٌ تقود صروف الدهر في عرصاته
جياذاً بسلطان السياسة تلجمُ يزُمُ بفخر الدولة الدهر مذعناً
ويملك أعناق الخطوب ويخزم^(٢) مكارمه في جبهة الدهر غرّةً
وسؤده في غرّة الدهر ميسم^(٣)

(١) يودي : يذهب ويهلك .

(٢) معممٌ : من العمامة كناية عن رفعة ملكه وشموخته .

(٣) يزُمُ : ينقاد ، ويخزم : يذلّ .

(٤) ميسم : علامة ، أو حسناً وجمالاً .

ومن أخرى [من الكامل] :

الصبحُ يرمقُ عن جفونٍ مخمِرٍ والليل يرفع من ذيول مشمِرٍ
والجوُّ في حجب النسيم كأنما تسعى إليه يد الشمال بمجمِرٍ^(١)
ريحُ تمايل بين أنفاس الضحى بممسك من ثوبها ومعنيرٍ
ملك تهيبه النجوم إذا بدا وتحار بين مهللٍ ومكبرٍ
يكفي القوافي أنها بعنايتي تختال بين سريره والمنيرِ
لو أنها شعرت بعظم مقامها لم تقتنع بعمومة في بحتِرٍ^(٢)
ما زال يأمل أن يعود إلى المنى شعري بتشريفٍ عليه مزررٍ
فبعثت منه جوهرياتٍ أبتُ أن لا تكون ضرائراً للجوهرِ

ومن أخرى في أبي العباس الضبي بأصبهان [من البسيط] :

إنِّي ملكت عنان الرأي من زمنٍ إذا سعت لمجدٍ كان لي قدما
إنِّي أهينُ جُمان الدمع منشراً إذا رأيت جمان العزِّ منتظما^(٣)
أفدي بوجهٍ هرند زندروزٍ وإنْ شربت ماء حياتي عندها شبما^(٤)
تركت فيه على الجسرين دسكرةً يشدو بذكرى فيشجي طيرها نغما^(٥)
محلّة ما طرقتُ الدهر جانبها إلا عزمتُ على دهري كما عزما
أنِّي أحجُّ بطاح اللهو آونة إذا رأيت محلّي عندها حرما
لم تثني لَمعٌ للشيب في لمي عن أن ألمَّ بأطراف المنى لهما^(٦)

(١) المجرم : البخور .

(٢) بحتِر : زي الشاعر البحتري .

(٣) الجمان : الفضة .

(٤) شبما : بارداً .

(٥) دسكرة : بيت ضخم حوله الملاهي والحنانات .

(٦) لمع : نتف ، واللّمة : الشعر الذي يتجاوز شحمة الأذن ، واللّمم : مقاربة الذنب من غير أن يقع .

وإنما قدم التوفيق تحمّلني إلى فتى ملء حيزوم العلاهما^(١)
ومن أخرى [من الطويل] :

إذا ما أدلّ السابقون فإنني
وربّ مصلاً سابق بوفائه
سأخدمه عمري ويخدم بابه
إذا متّ عني خادمٌ بعد خادم

ومن أخرى [من البسيط] :

قد كان أمسك وحي الشعر مذ قطعتُ
فما نظمت لمعنى عقد قافيةٍ
وهذه لليالٍ قد سهرت لها
وقلتُ حين رأيت الطبع ينسجها
عسى خطرتُ ببالٍ فاتسقتُ
يد الحوادث عن نعمائه علقى^(٢)
إلا نثرت له عقداً من العرقِ
أروي معالي مولانا على نسقِ
نسج الربيع حواشي روضه العبقِ
له فرائد نظمي كلّ متسقِ

ومن أخرى في يوم ميلاده وتحويل سنه [من مجزوء الكامل] :

يومٌ تبرّجت العلا فيه ومزّقت الحجب^(٣)
يوم أتاه المشتري بشهاب سعدٍ ملتهبٍ
بسلالة المجد الفصيح وصفوة المجد الزرب^(٤)
ملكٌ إذا أدّرع العلا فالدهر مسلوب السلبِ
وإذا تنمّر في الخطو ب فيا لنارٍ في حطبٍ
وإذا تبسّم للندى مطرتُ سحائبه الذهبِ

(١) الحيزوم : الصدر ، المرتفع من الأرض .

(٢) العلق : النفيس من كلّ شيء .

(٣) التبرّج : التزيّن والسفور .

(٤) الزرب : السائل .

يا غرة الحسب الكريم وأين مثلك في الحسب
 هذا صباحٌ حُلِّيت بسعوده عطل الحقب^(١)
 ميلادك اليمون فيه وهو ميلاد الأدب
 عرَّج عليه بمجلس رِيَّان من ماء العنب
 واضرب عليه سرادقاً للأنس ممتدَّ الطنب
 فرَّخ وعشَّش في المسرَّة منه واستأنس وطب

ومن أخرى [من البسيط] :

بشعلة الرأي تُذكي شعلة الباس
 ما كُلُّ ما احمرُّ للعنين منظره
 ليت الجهول بطرق المجد يتركه
 لا تنفع المرء في الهيجاء شكته
 كل يشنَّج عند السيف جبهته
 الحقُّ أبلجُ بادٍ لا خفاء به
 وليس كُلُّ ابتسامٍ من أخِي كرمٍ
 ولذة المجد تُنسي لذة الكاس
 وردُّ، ولا كُلُّ ما يخضرُّ بالأس
 ما كُلُّ غصنٍ له ماءٌ بمياس
 حتى يشدُّ إليها شكةُ الباس^(٢)
 ولا هودة عند السيف للراس^(٣)
 والملك أشوس لا يعنوا أنكاس^(٤)
 بشراً، ولا كُلُّ تقريبٍ بائناس
 ومن أخرى في الأستاذ أبي الحسن محمد بن علي بن القاسم العارض يستدعي منه

الشراب [من البسيط] :

الدهرُ مخبرُهُ مسكٌ ومنظره والسروض مطرفه وردٌ ومعجزة^(٥)

(١) عطل الحقب : الحقب جمع حقبه وهي مدة من الزمن ، وعطل : يقال جيدٌ عطل : أي جيدٌ تنقصه الخلية .

(٢) الشكة : السلاح .

(٣) يشنَّج : من شَنَج الشيء : أي قبَّضه وقلَّصه .

(٤) الأبلج : المشرق المنير ، وأشوسن : شديد ومنيع . ويعنوا : يخضع ، والأنكاس : مفرداها : النكس وهو الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه .

(٥) المطرف : الرداء أو الشال : والمعجز : ثوب النساء .

والجوُّ يفتح جفنأ في محاسنه
يسعى الشمال بندأ في جوانبه
طاب الصبوح وكأسي جدأ فارغة
أشواقه ونسيم الورد يعذلني
ومن أخرى في الحسن الحسنی [من البسيط] :

لا عتبَ إن بذلتُ عيني بما أجدُ
لو أن لي جسداً يقوى لطفْتُ به
تبعثهم بدماءٍ كان يمسكه
يا ليلةً غمضت عني كواكبها
أهوى الصباح وما لي فيه منتصفُ
لو أن لي أمدأ في الشوق أبلغه
بكيت بعد دموعي في الهوى جلدي
تذوب نار فؤادي في الهوى بردأ
قالوا : ألفت رُبأ جي ، فقلت لهم :
أندي محاسن جي أنه بلد
إذا استحبَّ بلاد للمعاش بها
وللمكارم قوم لا خفاء بهم
لله معشر صدق كلما ثلثت
ذرية أبهرت طه بجدهم
وإن تصنع شعراً في ذوي كرم
أصبت فيك رشادي غير مجتهد

فقد بكى لي عوادي لما عهدوا^(١)
على العزاء ولكن ليس لي جسدُ
تعللي بخيال كلما بعدوا^(٢)
ترفقي بجفون غمضها رمد
من الظلام ولكن طالما أجد
صبرتُ عنك ، ولكن ليس لي أمد
وهل سمعت بياك دمعته جلد
وهل سمعت بنار ذوبها برد
الحب أهل ، وإدراك المنى ولد^(٣)
طلق النهار ، ولكن ليله نكدُ
فحيثما نعمت حالي به بلدُ
هم يعرفون بسماهم إذا شهدوا
على الورى سورة من مجدهم سجدوا
وهل أتى بأبيهم حين ينتقد
يا ابن النبي فشعري فيك مقتصد
وليس كل مصيب فيك مجتهد

(١) أجدُ : من الوجد وهو الحب الشديد ، والعواد : الزوَّار .

(٢) اللّماء : بقية الروح .

(٣) جي : لقب أصبهان قديماً ، أو اسم قرية بها .

بسطت عرض فناء الدهر مكرمة طرائق الحمد في حافاتها قدد
ومن أخرى يصف فيها سقامه وكربه ويشكو تأخر إخوانه عن عيادته
ويخاطب بها أبا الفتح محمد بن صالح ليعرضها في مجلس الصاحب [من
الخفيف] :

قلت لما تأخر العوَادُ	أي سقمٍ عليه لا يعادُ ^(١)
ما لكم إخوة الرجاء ومالي	كل أيامكم نوىً وبعاد
قد صددتم عني صدود التعالي	لسقامي كأن سقمي وداد
إن تجنبتم العدوى فلم لم	أعديكم بالهوى وسقمي سهاد
ملني مضجعي وعاف نديمي	مجلسي واجتوى جفوني الرقاد ^(٢)
طرز السقم ما كسانيه	بالعز فهذا حتفٌ وهذا حداد
لي وشاح من الضنا ونجاد	ووساد من الأسى ومهاد ^(٣)
قلمي يتقي بناني ، وسيفي	وعناني ، ويتقيني الجواد
وتناسست يدي مناولة الكأ	س وسمعي ما ينفر العوَاد
لو سوى العز نالني مرصنتي	خدمة دونها الشباب المفاد ^(٤)
قد لوانني عن جنة العز سقمي	ويح نفسي كأن سقمي ارتداد
روضة نورها العلا وغدير	كل أكنافه ندى معتاد ^(٥)
باعد العر بين عيشي وبينني	فبياض الزمان عندي سواد
يا أبا الفتح قد تفردت عني	بمنى لا تخصها الأعداد

(١) السقم المرض ، يعاد : يزار أثناء المرض .

(٢) اجتوى : كره المقام ، فارق .

(٣) الضنا : الألم ، والتجاد : اللحاف ومنه التجاد : الذي ينجد الفرش والوسائد والمهاد : السرير والفراش .

(٤) العر : الجرب ، أو مرض اعتراه .

(٥) الأكناف : الجوانب ، وكنف الانسان حضنه .

بلغ المجلس الرفيع سلامي واشتياقي وقل سقاك العهد^(١)
 واجتهد أن تقبل الأرض عني حيث لا يستطيعه القواد
 حيث يبدو الوزير في معرض الفضل ويهتز غصنه المياد
 وتغنم خير التبسم فيه إن بشر السلطان غنم مفاد
 ثم قل إن حال خادم مولا نا لحال يملها العواد
 سقم مجحف وعز كربه واختصاص بكرسة وانفراد
 كل عضو مني له حشرات واشتياق كأن كلّي فواد

ومن أخرى [من الكامل] :

قولا لعاذلتي جمحت فلم أزد إلا لجاجاً في الهوى وجماحاً^(٢)
 جنح الظلام فبادري بمدامة بسطت إليك من العقيق جناحا
 صهباء لو طافت بها قمرية أذكت عليها ريشها مصباحا
 رعت الزمان ريعه وخريفه فأتت تبث الورد والتفاحا

* * *

٣ - أبو معمر بن أبي سعيد بن أبي بكر الإسماعيلي

جمع شرف النفس إلى شرف الطبع ، وكرم الأدب إلى كرم النسب
 واستولى على أمد الفقه في اقتبال العمر ، وحسن تصرفه في الشعر ، حتى كتب
 الصاحب في وصف قصيدة نفذت منه فصلاً من كتاب طويل إلى أبيه أبي سعيد ،
 وهذه نسخة الفصل .

« وبعد » فهل أذاك حديث الإعجاب منا ، وقد طلعت من أرضك فقرة

(١) العهد : أول المطر .

(٢) جمحت : تمردت وشردت، وجمعت المرأة خرجت غاضبة، اللجاج : الإلحاح .

الفقر ، وغرة الغرر ، وحديقة الزهر ، وخليفة المطر ، تلك حسنة انتشرت عن ضوئك ، وغمامة نشأت بنوئك . ونار قدحت بزندك . وصفيحة فضل طبعت على نقدك ، وإنها لقصيدة ولدنا أبي معمر ، عمره الله تعالى ما اختار ، وعمر به الرباع والديار . خطت بأقدام الإجابة ، وقطعت مسافة الإصابة ، وسعت إلى كعبة القبول ، وحلت حرم الأمن خير الحلول . تلبي وقد تعرت من لباس العمل ، وتجردت عن عطف التبذل . فلم تدع منسكا من البر إلا قضته ، ولا مشعراً من الفضل إلا عمرته . ولا معرفاً من العلم إلى شهادته ، ولا محصباً من الفهم إلا حضرته . واجتمعنا حولها وأنا لأعداد جمّة ، وفينا واحد يقال إنه أمه ، كأنا عديد الموسم يعظمون الشعائر . ويعلقون الستائر . ويحتضنون الملتزم ، ويلثمون المستلم . وهذا الكتاب يرد عليكم بالخبر أسرع من اللحم البارق ، نعم ومن اللحم الخاطف ، وأخف من سابق الحجيح وإن كان المثل الأعلى لبيت الله العتيق . فأحمد الله إذ قرن فضل فتاك بفضلك ، وجعل فرعك كأصلك ، وأنبت غصنك على شجرك ، واشتق هلالك من قمرك ، وأراك من ظهرك ، ومن يحذو على نجرك^(١) ، ويصل فخره بفخرك ، ويشيد من بناء الدراية ما أسست ، ويسقي من شجر الرواية ما غرست .

قال مؤلف الكتاب : فمن غرر شعر أبي معمر قوله من قصيدة صاحب [من الخفيف] :

ما عهدتُ القضيْب بالحَقْف ولا البدر للثَّمام استسرا^(٢)
حبذا الطارق الذي زار وهناً فأعاد الظلام إذ زار فجرا
ثمل العطف وهو ما نال خمراً عطر الحبيب وهو ما مسَّ عطرا

(١) النّجر : الأصل .

(٢) الحقف : الرمل الكثير ، واستسراً : من السّرار : وهو : الاختفاء ، أي عندما يكون القمر في المحاق .

والحياء الملم بالخد منه صيرفي يبدل العين أخرى^(١)
ضممني ضمة الوداع فعاد الشفع منا عند التعانق وترا^(٢)
وسقاني بفيه خمراً بروداً عاد بعد الفراق في القلب جمراً
ملك طوعه الملوك علاء وهو طوع العفاة جاهاً وقدرأ
ملك أنهب العروض فأضحى العرض منه على البرية حظراً
ملك لا يرى سوى الحمد مالا لا ولا الكنز غير ما جر شكراً
فاذا المحل حل حل غماماً وإذا النقع ثار ثار هزبراً^(٣)
وإذا ما أفاد نحل كعباً وإذا ما أفات نهنه عمراً
وإذا ما سطا تطاول جهراً وإذا ما حبا تطول سراً

وقوله من قصيدة في وصف الثلج [من الطويل]:

لك الخير من سار معان على السرى
أجاز الدجى حتى أناخ إلى الضحى
فرحنا وقد بات السماء مع الثرى
كان غيوم الجو صواغ فضة
وللقطر نفحات تصوب خلالها
لقد عم إحسان الشتاء وبرده
نصينا قري الأرض الفضاء له قري
قلائصه غر الشواكل والذرى^(٤)
وغاب أديم الأرض عنا فما يرى
تواصوا برد الحلي عمداً إلى الورى
كصوب دلاء البئر أسلمها العرى^(٥)
بلى خص أرباب الدساكر والقري

وقوله [من الرجز]:

وليلة من الليالي القاسية مدت ظلاماً كالجبال الراسية

(١) العين : المال ، والذهب والفضة .

(٢) الشفع : المزدوج ، والوتر : المفرد وهنا يقصد أنه استحال وحيبه جسماً واحداً .

(٣) المحل : انقطاع المطر ، والنقع : الغبار ، والهزبر : الأسد .

(٤) أجاز : أي اجتاز وقطع ، والقلائص : النوق ، والشواكل : الطباع ، والسجايا والجوانب .

(٥) الدلاء : جمع دلو ما يستخرج به الماء من البئر ، العرى : البرد .

فغادرتُ كلَّ الورى سواسيه البيض دهماً والعراة كاسيه^(١)
لبستُها والصبر من لباسيه بهمةً على الأسى مواسيه
ونبعةً صليبة لا جاسيه حتى شملت الصبح في أنفاسيه^(٢)
* فالصبر صبر النفس لا عن ناسيه *

وكتب إليه بعض العصريين من أهل نيسابور [من الخفيف]:

يا فريداً في المجد غير مشاركُ عزَّ باريك في الورى وتباركُ
يا أبا معمر عمُرت ولا زَا لَت سَعُود الأفلاك تعمُرُ داركُ
يا هلالَ الأنام قد كتب الأيام في دفتر العلا آثاركُ
ولسانُ الزمان يدرس في كلِّ مكانٍ على الورى أخباركُ
سيدي أنت من يَشُقُّ غباركُ بأبي أنت من يروم فخاركُ
أنت من فيه خالق الخلق باركُ وحباك العلا وزكى نجاركُ
ما ترى في مناسبٍ في الآ داب قد صار دأبه تذكاركُ
شوقتهُ إليك أوصافك الغرُّ فجاب البلاد حتى زاركُ
هل تراه لديك أهلاً لأن تمنحه يا أخا العلا إشاركُ
فهو ضيفٌ قراه أنفس علقٍ فاقره الودَّ واسقيه أشعارك^(٣)
وتملَّ الزمان في ظلَّ عيشٍ ثمرٍ لا يملُّ قطُّ جواركُ
فأجابه بهذه الأبيات [من الخفيف]:

زارك الغيث وانتحى القطر داركُ كلُّما التفت صوبه وتداركُ
فلها من نذاك ديمة فضلٍ طبقتها فأظهرت آثارك^(٤)

(١) الدَّهْم : السواد .

(٢) الصليب : الخالص النسب الصافية ، والجاسية : التي يخالطها الفساد .

(٣) القرى : الضيافة ، والعلق : النفيس .

(٤) ديمة : المطر الذي يتساقط في سكون بلا رعد ولا برق .

ولها من علاك شمسٌ حوتها فهي تجلو على الورى أنوارك
وبها منك للعلوم بحارٌ جاورتها فمن يخوض بحارك
يا قريباً في البرّ ما يتجافى وبعيداً إلى مدى لا يشارك
وبديعاً ملء الصفات فلو رمت فخاراً لما حصرت فخارك
جاءنا نظمك البديع فقلنا السروض إمّا أعرتة أو أعارك
هو روضٌ أطاعك الحسن فيه فأطاع الإحسان فيه اختيارك
وسطاً بالبياض خطُّك حتى مدّ ليلاً وما خلعت نهارك
وتناهيت في الخطابة حتى عجز القرن أن يشقّ غبارك^(١)
راعاه شأوك البعيد ومن يجري ويجري إذا رأى مضمّارك^(٢)
فانشئ جامد القريحة يستشعر أن الأشعار باتت شعارك
يا كريماً ضمّت عليه المعالي فادّرعها واشدد بها آزارك^(٣)
قد أتاك الثناء وهو أبيّ ذاك ممّا منحتة إيثارك
فاصحب الفخر وامض في الخير قدماً واقض في طاعة الندى أوطارك^(٤)

٤ - القاضي أبو بشر الفضل بن محمد الجرجاني

صدر كثير الفضل . جم المناقب ، جزل الأدب ، فصيح القلم ، حريص
على اقتناء الكتب . وله يقول صاحب وقد اعتل [من الوافر]:

تشكّي الفضل من سقمٍ عراهُ فإن الفضل أجمع من أنينه
وعاد بعقوتي يشكو جواه كما يحنو القرين على قرينه^(٥)

(١) القرن : المثل ، ويشقّ غبارك : أي أن يلحق بك .

(٢) الشأو : السبق ، والمضار : مكان تضمير الخيل من أجل السباق .

(٣) فادّرعها : أي جعلها درعاً يلبسه ، والأزر : القوة .

(٤) الأوطار : الغايات والمرامي .

(٥) العقوة : المحلّة وساحة الدار .

فقلت له وقاك الله فيه فإنَّ السعد يطلع من جبينه
هو العين التي أبصرت منها وصار سواد عيني في جفونه
ستفديه يميني لا شمالي فعين المرء خيرٌ من يمينه

وكان ولاه قضاء جرجان : فلما انقضت أيام صاحب وعاد الأمير شمس المعالي من خراسان إلى مملكته ولاه قضاء قضاته مضافاً إلى رئاسة جرجان ، وله شعر ينطق به لسان فضله ، كقوله من قصيدة في الأمير شمس المعالي [من الخفيف]:

سنةً أقبلت مع الإقبال وزمانٌ من الميامن حالي
رفرفت فوقنا سحائب نعمي مطرنا السرور في كلِّ حالِ
حسبي الله في الأمور نصيراً ثم حسبي الأميرُ شمس المعالي
قد رآه خليفة الله في الأر ض فريداً فقال للإقبال
ما رأينا له مثلاً وهذا لقبٌ مثله فقيدُ المثال
عانق اللفظ وفق معناه فانظر كيف أنس الأشكال بالأشكال
ولدا توأمين كالجسم والرو ح بعيدين من سماء المنال
ومعالٍ مشتقةٍ من معانٍ ومعانٍ مشتقةٍ من معالي
لم ينل من جداهُ مثل الذي نلت ولا قيل في علاه مقالي^(١)
ويشيع الذي يشيد من المجد بد وقولي يسير كالأمثال
لي من شبيه ضياعي وأفرا سي ودوري وأعدي وبغالي^(٢)
حرس الله ملكه ووقاه في بقاءٍ يطيب بالأمهال
سائسُ الملكِ سالمُ النفس طلق العيش مستوفياً شروط الكمال

(١) جداه : عطائوه .

(٢) والسبب : العطاء .

٥ - أبو القاسم العلوي الأطروش

من نازلي إستراباذ ، وأفاضل العلوية ، وأعيان أهل الأدب ، كتب إلى القاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز رقعة تشتمل على النظم والنثر ، نسختها :
الشيخ أدام الله عزه قد أعلقني من مودته ما لا أزال أحرص عليه ، وأفادني حظاً كثرت المنافسة مني فيه ، إذ هو الأوحد الذي لا يجاري إلى غاية طول وكرم طبع . وإن من اعتلق منه سبباً واستفاد منه ودأ ، فقد أحرز الغنيمة الباردة ، وفاز بالخير والسعادة ، ورجوت أن تكون الحال بيننا زائدة ، إذ محله عندي المحل الذي لا يتقدمه فيه أحد ، وشغل قلبي بانقباضه عني مع الثقة الوكيدة^(١) بأني مغمور المحل عنده ، موفور الحظ من رأيه وعنايته ، لا أعدمني الله النعمة ببقائه ودوام سلامته ، وأنهضني بالحق في شكره ، وما هو إلا قصر النفس على تطلب محمدته والسعي بها إلى مرضاته . وقد كتبت في هذه الرقعة أبياتاً ، مع قلة بضاعتي في الشعر ، وكثرة معرفتي بأن من أهدي إليه الشعر الجيد المطمع الممتنع ، المصبوب في قلبه ، فكمن حمل التمر إلى هجر ، والقضب إلى اليمن^(٢) ، وهي هذه [من البسيط] :

يا وافر العلم والإنعام والمنن	ووافر العرض غير الشحم والسمن
لقد تذكرت شعر الموصلي لما	سمعت من لفظك العاري عن الدرن ^(٣)
يا سرحة الماء قد سدّت موارده	أما إليك طريق يا أبا الحسن
إنني رأيتك أعلى الناس منزلةً	في العلم والشعر والآراء والفطن

(١) الوكيدة : الأكيدة .

(٢) هجر : بلدة كثيرة التمر ، وبلاد اليمن مشهورة بالسيف حتى انه يقال للسيف يمان ، والقضب : هنا السيف .

(٣) الدرن : الوسخ ، أو ما يلطخ الثوب منه .

فاسمع شكاة ودود ذي محافظةٍ يُعفى المودة عند السرِّ والعلن
لقد نمتك ثقيفٌ يا عليُّ إلى مجر سيقى على الأيام والزمن
مجدٌ لو أن رسول الله شاهده لقال إيه أبا إسحاق للفتن
صلى الإله على المختار من رجلٍ ما ناحت الورق فوق الأيك والفنن^(١)

فإن وقع فيها خطل أو زلل فعلى الشيخ اعتماد في إقالة العثرة وصرف الأمر
إلى الجميل الذي يوازي فضله ويشاكل نبه . لأنني كنت من قبل أهدي البيت
والبيتين إلى الإخوان ، وبعد العهد به الآن . فإن رأى - أراه الله محابه ! - أن يتأمل
ما خاطبته به فعل إن شاء الله .

وأنشدت له في بعض رؤساء جرجان [من المتقارب]:

خليلي قرأ من الدهمخذا خذا حذراً من وداده خذا
يكنى بسعدٍ ، ونحساً حذا وكل الخلائق منه كذا

٦ - أبو نصر عبد الله بن محمد البجلي الإِستراباذي

أنشدني أبو نصر محمد بن عبد الجبار العتبي قال : وجدت بخط البجلي هذه
الآيات من قصيدة في الأمير شمس المعالي [من البسيط]:

لله شمسان تذكيرٌ لخيرهما وللمؤثثة النقصان ملتزمٌ
أزرى بتلك سناً من غير معرفةٍ فيها ، وزين هذا المجد والكرم
يا أيها الملك الميمون طائره وخير من في الورى يمشي به قدم
لو كنت من قبل ترعانا وتحرسنا لما تهدى إلينا الشيب والهرم

(١) الورق : الحمام ، والأيك : الأشجار ، والفنن : الأغصان .

وأنشدني له غيره [من الكامل]:

دمعي يفيضُ ولا يفيضُ كأنما من ماء ذاك الوجه جاد بمدّه^(١)
وأرى فؤادي فوق جمرٍ محرقٍ فكأنه من فوق حمرة خدّه
وجهُ أعار الصبح من مبيضه شعرٌ أعار الليل من مسودّه
وكأنّ وجنته اكتست من وصله وكأنما الصّدغ اكتسى من صدّه^(٢)

٧ - فصل في ذكر شعراء طبرستان

أبو العلاء السبروي

واحد طبرستان أديباً وفضلاً ، ونظماً ونثراً . وقد تقدم ذكره فيما جمعه وابن العميد من مشاكلة الأدب . وما كان يجري بينهما من المساجلة في المكاتبة ، وله كتب وشعر سائر مشهور كثير الظرف والملح ، فمنها قوله [من الطويل]:

مررنا على الروض الذي قد تبسّمتُ ذراه وأوداجُ الأبارق تُسفكُ^(٣)
فلم نر شيئاً كان أحسن منظراً من الروض يجري دمه وهو يضحك

وقوله من قصيدة [من البسيط]: .

أما ترى قضب الأشجار قد لبست أنوارها تتشّنى بين جلاسٍ
منظومةٌ كسموط الدرّ لابسَةٌ حسناً يبيح دم العنقود للحاسي^(٤)
وغرّدت خطباء الطير ساجعةً على منابر من وردٍ ومن آسٍ

(١) يفيض : يغور وينضب ، جاد : فاض تكرم .

(٢) الصّدغ : ما بين العين والأذن من جانب الوجه ، والصدّ : الامتناع .

(٣) الأوداج : عروق في العنق .

(٤) السمط : العقد ، والحاسي : الشارب .

وقوله في النرجس [من البسيط]:

من نرجسٍ بهاء الحسن مذكورٍ
كأسٌ من التبر في منديل كافورٍ

حيّ الربيع فقد حياً بباكور
كأنما جفنه بالغنج مفتحاً

وقوله في التفاح [من الطويل]: .

فما شعرُ ذي حذقٍ يحيط بوصفها
وبالعاشق المهجور صفرة نصفها

وتفاحةٍ قد همتُ جداً بظرفها
أشبهُ بالمعشوق حمرة نصفها

وقوله في الغزل [من الكامل]:

لولا التمنطق بائناً من نصفه^(١)
يسعى إليك بخده في كفه
سلّم فؤاد محبه من طرفه^(٢)

ومعشّق الحركات تحسب نصفه
يسعى إليك بكأسه فكأنما
يا من سلّم خصره من ردفه

ومن قصيدة [من الرجز]:

صفحة الفضة شباك سبج^(٣)
تزهّر فيه وجنة ذات وهج
من ورق النسرين والورد نسج

ذو طرّو كأنما ركّب في
وعارضٍ كالماء في رفته
كأنما نساج ديباجته

وقال [من الطويل]:

فقلت : رويداً إنّما أنت أوّل^(٤)
يولّى على أمرٍ كمن عنه يُعزل

نبا قلبه من شغل قلبي بغيره
فقال : دع العذر الضعيف فليس من

(١) التمنطق : وهو وضع النطاق على الخصر .

(٢) الردف : مؤخر كل شيء .

(٣) الطرّة : الجبهة ، والسبج : الخرز الأسود .

(٤) نبا : نفر .

وقوله من قصيدة [من الخفيف]:

حيّ شيئا أتى لغير رحيل وشباباً مضى لغير إياب
أي شيء يكون أحسن من عا ج مشيب في آبوس شباب

وكتب إليه شاعر غريب يشكو إليه حجابهُ أبياتاً أولها [من السريع]:

جئت إلى الباب مراراً فما إن زرت إلا قيل لي قد ركب
وكان في الواجب يا سيدي أن لا تُرى عن مثلنا تحتجب
فأجابه على ظهر رقعة [من السريع]:

ليس احتجابي عنك من جفوة وغفلة عن حرمة المغترب
لكنّ لدهرٍ نكدٍ خائنٍ مقصّرٍ بالحرّ عمّا يجب
وكنت لا أحجب عن زائرٍ فالآن من ظلّي قد أحتجب

ومن سائر شعره قوله في غلام سكران [من المنسرح]: .

بالورد في وجنتيك من لطمك؟ ومن سقاك المدام لمْ ظلمك؟
خلأك ما تستفيق من سكرٍ توسع شتماً وجفوة خدمك
مشوش الصدغ قد ثملت فما تمنع من لثم عاشقك فمك
تجرّ فضل الرداء منخلع النع لين قد لوّث الثرى قدمك
أظلّ من حيرة ومن دهشٍ أقول لما رأيت مبتسمك
بالله يا أقحوان مبسمه على قضيب العقيق من نظمك

٨ - أبو الفياض سعد بن أحمد الطبري

شاعر مفلّح ، محسن مبدع ، ممتد الأوصاح والغرر في شعره الصاحب ، وهو القائل
من قصيدة فيه ، أولها [من البسيط]:

الدمعُ يعربُ ما لا يعربُ الكَلِمُ والدمع عدلٌ وبعض القوم متَّهمٌ
أما يد الصَّاحِب اليمنى فأكرم ما يدُ تصاحب فيها السيف والقلم
وللأعنة يسري في أناملها أعنة الرزق والآجالُ تنتظم^(١)
تخالف الناس إلَّا في محبته كأثما بينهم في حبِّه رحم
ومنها في وصف أفراس قيدت إليه من فارس :

زارثك من فارس الغنَّاء ناشرةً أعرافها قائداهما العتق والكرم
كأنَّ أعينها وُلِّينَ أرجلها فالعين آمرةً والرجل ترسمُ
من كلِّ أشهب لم تكحل بشبهته عينا فتى فدرى ما الظلمُ والظلمُ^(٢)
ومن أغرَّ يُراع العاشقون له كأنَّ غرَّتْه ثغرٌ ومبتسمُ
وكلُّ أدهم عمَّت جسمه شيءٌ كجدِّ قوم بغوك الشرِّ فاصطلموا^(٣)
ومنها في وصف الخلعة والسيف :

وخلعة تأسر الأحداق مخملةً بالنور للشمس من لآلئها سقمُ
وصارم لم يودَّع قطُّ مضجعه إلَّا وقد ودَّعت أعناقها القمم
كالكوكب الفرد لكنَّ إن رجمتُ به شيطان حرب طوت أوصاله الرِّجمُ^(٤)
يلقى السيوف بوجهٍ مثل وجهك لم يطلع من الغمد إلَّا قيل يتسم
ومنها قوله في وصف السكين والدواة والأقلام :

ومطفِّل من بنات الزنج مرضعةً من لم تلده ولم يخلق لها رجمُ^(٥)
حتى إذا وضعت عادت أجنتها إلى حشاها فلا طلق ولا وحم

(١) الأعنة : جمع عنان وهو الزمام ، والآجال : الأعمار .

(٢) الأشهب : الأبيض الذي غلب على السواد أو بياضٌ يخالطه السواد .

(٣) الشَّيْء : كل لونٍ يخالف سائر لونه الشيء أو العلامة ، واصطلم : قلع من أصله ، أي قضي عليه .

(٤) الرِّجْم : شهب تظهر في السماء وكأنَّها نجوم تتساقط .

(٥) ومطفِّل : أي ذات طفل .

أعجب لأطفالها تبكي عيونهم
الألف مذروبة إن تابعت لهم
إن أَرْضَعْتَهُمْ ولا ييكون إن فطموا
في الذبح صحوا وإن أعفّتهم سقموا^(١)
ومنها في وصف الدست^(٢)

وروضة لم تولّ السحب صنعتها
ترنو العيون إليها والشفاه فيجـنين العلا وهي إلاّ منهما حرم
تفتّر عن شبل عبّاد ولا عجب
فالأسد تفتّر عنها الروض والأجم^(٣)
ومن أخرى [من الكامل] :

بدوية ضربت على حجراتها
ممن يعد الوحش أهلاً والفلا
قالت وقد صبّت عليّ ذراعها
أوهى قناتك بعدنا حمل القنا
يا هذه ممن الوزير جفونه
صابت عليّ يمينه فكأنما
فالعزّ ضيف لا يراه بربعه
والجود أعلى كعب كعب قبلنا
أغرّت يمين ابن الأمين وفيضها
ودعت بني الأمال من أوطانهم
أيدي العريب من القنا أسداداً
وطناً وأكباد الأعادي زادا
فتمكّنت فوق النجاد نجاداً^(٤)
فطفقتَ تحمل منكباً مناداً^(٥)
وإذا شكوت إليه عاد فزادا
صابت عليّ يمينه حسّاداً^(٦)
من لا يرى بذل التلاد تلاداً^(٧)
فمضى جواداً يوم مات جوادا
بفنائنه الوراد والروادا
فاستوطنوا الأكوار والأقتادا^(٨)

(١) المذروبة : السكين والمديّة .

(٢) الدست : الصحراء ويقال « دشت » ووقع ذلك في شعر الأعشى ميمون بن قيس .

(٣) تفتّر : تكشف ، والأجم : الشجر الكثير الملتف .

(٤) النجاد : محمل السيف .

(٥) مناداً : تعباً ، من الأود ، وهو الإعوجاج أيضاً .

(٦) صابت : سالت وجادت .

(٧) التلاد : المال القديم الموروث .

(٨) الأكوار : جمع كور ، وهي المحمل ، والأقتاد : جمع قند وهو خشب الرجل .

ومن قصيدة في أبي علي الحسن بن أحمد [من الوافر] :

لأختِ بني نمير في فؤادي	صدىً أعياء على الماء النمير
ليالي كان عصيانُ المشيرِ	الذُّ لديّ من رأيٍ مشورِ
وينظمنّا العناقُ ولا رقيبُ	يروّنا سوى القمر المنير
وغشّني بمثل الكرم وحفُ	وبت أعلُّ من أشهى الخمور ^(١)
ولا كرمُ سوى شعرٍ أثيثِ	ولا خمرُ سوى خمر الثغور
أروضتنا سقاك الله هل لي	إلى أفياء دوحك من مصير
غنينّا في ذراك على غناءِ	يوافق رجعه سح الطيور ^(٢)
وكم في فرع أثلك من صفيّرِ	وكم في أصل أثلك من زفير ^(٣)
وأحشاءٍ تولّفها الحشايا	كتأليف العقود على النحور
وشدوٍ ترقص الأعضاء منه	ويمٌ لا يملُ عراكَ زير ^(٤)
فيا لك روضةً راحت فراحت	رضى الأبصار من نورٍ ونورِ
أطاعتها عيون الغيث حتى	جزتها الشكر السنة الشكورِ
كسّون ظهورها ما تكتسيه	بطون الصحف من فكر الوزيرِ
إذا الحسن بن أحمد زفّ خيلاً	يلفُّ بها السهول على الوعورِ
عرائس تحمل الفرسان شوساً	كعقبانٍ تمطّى بالصقور ^(٥)
فقلّ في حومةٍ تعطى بنيتها	بيض الهند بيضاتِ الخدور ^(٦)
أولئك معشرٌ لهم نفوسُ	تكلفهم جسيماتِ الأمور
شعاب المجد سابلةٌ عليهم	ومن ينهى الشعاب عن البحور

(١) الوحف : الشعر الكثير الأسود ، أو النبات الرّيان ، وأعلّ : أنهل .

(٢) رجع الطيور : أصواتها المتتابعة على نسقٍ واحد ، والسجح أصواتها أيضاً المتناغمة المتناسقة .

(٣) والأثل : الأصل والمجد .

(٤) اليمّ : البحر والماء الكثير ، والزير : الجرة الضخمة .

(٥) شوساً : أشداء ، والعرائس كناية عن الخيل ، وتمطّى : تتبختر وتمتد .

(٦) بيض الهند : السيوف ، وبيضات الخدور : النساء السيّدات المترفات .

ومن أخرى [من الكامل] :

الله ما جمعت على عشاقها
فصفاحها أحداقها ورماحها
وحرابها في حربها لمحبيها
سارت أمامة فيك سيرة أهلها
قومٌ إذا ابتسم الصباح أغاروا
يا هذه هلاًّ علقتِ فيعالهم
لن يستجيب خمارها لمحبيها
بكرتْ يشيعها القنا الخطارُ
قالوا سيوجدك الربيع صفاتها
فوجدت حبِّي مكرهاً في فعله
يبكي ويضحك والدموع غزيرةٌ
فكأنه هي إذ تفيضُ دموعها
عقت بما علقتُه من أنفاسها
وتبلّجت آصاله وتبرّجت
أنظر إلى النيروز كيف تسوقه
سحبٌ متى سحبت على هام الرُّبى
فالأرض أرضُ والسماء كأنها
ومصرّعين من الخمار وما بهم
جمعوا على الفلك المدار فكأسهم

تلك العيون ولحظها السحارُ
الحاظها وطعانها الآثارُ
أهدابها وشفارها الأشفارُ
في كلٍّ من نمت عليه نارٌ^(١)
في كلٍّ حيٌّ أنجدوا أم غاروا
فيمن عنوا بجواره فأجاروا
حتى يخاضَ إلى الخمار غمارٌ^(٢)
وتعيثُ في طلابها الأخطارُ^(٣)
فلحسنه من حسنها تذكّار
وكلاهما في فعله مكّار
وبيينُ في استغرابه استعمار
بين البكا والضحك حين تغار
ساعاته فكأنها أسحار
فكأنما أبكاره الأبكارُ
سحبٌ كأجفان المحبِّ غزارُ
أذيالها فغبارها الأمطار
روضٌ ولكن زهرها الأزهار
غير السرور على السرور خمارٌ^(٤)
فلكٌ بما تهوي النفوس مدار

(١) نمت : أظهرت ودلت .

(٢) الخمار : الخباء ، والغبار : المخاطر .

(٣) القنا الخطار : الريح الحارق .

(٤) مصرّعين : مقتلين ، صرعى ، والخمار مفعول الخمرة في الانسان .

ولأهم الأستاذ مولانا المنى
يا دولة الحسن بن أحمد خيمي
ومنها في وصف القلم :

لما زملتُ الدهر عن أفعاليه
حملتُ عبء الدهر أظمى مخطفاً
وسبرت غور الدين والدنيا به
أعجب به يجري على يافوخه
فكأنه الفلك المدار بعينه
جمعه والرمح الأصم ولادة
وله من أخرى في أبي العباس الضبي [من الطويل] :

وإني وأفواف القريض أحوكها
كما تضرب الأمثال وهي كثيرة
ولكنني أملتُ عندك مطلباً
ألم تر أن ابن الأمير أجازني
وأوطأني الشعري بشعري منعماً
ولي أملٌ شدت قواي عداته
عدا الدهر عنه كي يفوز بشكره
لأشعرُ من حاك القريض وأقدرا^(١)
بمستبضع تمرأ إلى أهل خيبر^(٢)
أنكبّه عمّن ورائي من الورى
ولم يرض من أذرائه لي سوى الذرى
ليفطمني عن خلقي السير والسرى^(٣)
ثلاثة أعوام تباعاً وأشهراً
فكن عند ظني شافعاً ومذكراً

(١) عثار : سقطات وهفوات .

(٢) ضميره : نحالته ، والمسبار : ما يسير به الجرح أو نحو ، أي يمتحن عمقه .

(٣) اليافوخ : ملتقى عظم مقدم الرأس ومؤخره ، رهواً : مسرعاً ، أو بسهولة .

(٤) الغرار : حدّ السيف .

(٥) الأفواف : نوع من الثياب المخططة الرقيقة ، والقريض : الشعر .

(٦) مستبضع : أي يحمل التمر بضاعة إلى خيبر وهي بلد مشهورة بالتمر كهجر .

(٧) الشعري : نجم في السماء ، والسرى : المسير في الليل .

ومن أخرى [من الكامل] :

أصبيحةَ النيروز خير صبيحةٍ حيثُ بها الأنواء والأنوارُ
فبكلِّ شعبٍ روضةٌ معطار تفتُرُ عنها ديمةٌ مدرارُ^(١)
ماسّت بها الأفنان في أسحارها نشوى فماست تحتها الأشجار
وتبرّجتْ أزهارها وتبلّجت فكأنّما أزهارها أبصار
وتحدّثتْ عنها الرياض كأنّما بين الرياض ، ولا سرار سرار^(٢)
وعصابةٌ للروض من قسماتهم روضٌ ومن أنوارهم نوار
يتذكرون على علاك فتلتقي الكاساتُ والأوتار والأشعار

* * *

٩ - أبو هاشم العلوي الطبري

هو الذي يقول فيه صاحب [من المنسرح] :

إنَّ أبا هاشم يدُ الشرفِ مادحه آمنٌ من السرفِ^(٣)
حلٌّ من المجد في أواسطه وخلفُ العالمين في طرفِ^(٤)
وأبو هاشم هو القائل [من الكامل] :

وإذا الكريم نبتَ به أيامه لم يتتعث إلا بعونِ كريم
فأعِنَ على الخطب العظيم فإنّما يُرجى الكريم لدفع كلِّ عظيم

وكتب إليه صاحب ، وقد اعتل [من الطويل] :

أبا هاشم ما لي أراك عليلا ترفُقُ بنفسِ المكرماتِ قليلا

(١) ديمة مدرار : أي ديمة هطلاء .

(٢) ولا سرار : ولا خفاء ، وسرار : أي أسرار .

(٣) السرف : مجاوزة الحد والاعتدال .

(٤) في طرف : يعني خلفه .

لترفع عن قلب النبي حزاةً وتدفع عن صدر الوصي غليلاً^(١)
 فلو كان من بعد النبيين معجزٌ لكنت على صدق النبي دليلاً
 وكتب أبو هاشم إلى صاحب [من الطويل] :

دعوت إله الناس شهراً مجرمًا ليدفع سقم صاحب المتفضل^(٢)
 إلى بدني أو مهجتي فاستجاب لي فهذا أنا مولانا من السقم ممثلي
 فشكرًا لربي حين حوّل سقمه إليّ وعافاه ببرء معجلٍ
 وأسأل ربي أن يديم علاءه فليس سواه مفرعٌ لبني علي^(٣)
 فأجابه صاحب [من الطويل] :

أبا هاشم لم أرضَ هاتيك دعوةً وإن صدرت عن مخلصٍ متطولٍ
 فلا عيشَ لي حتّى تدوم مُسلمًا وصرفُ الليالي عن ذراكٍ بمعزلٍ
 فإن نزلتُ يوماً بجسمك علّةً وحاشاك فيها يا علاءَ بني علي
 فناد بها في الحال غير مؤخر إلى جسم إسماعيل دوني تحوّلٍ
 وأطال الله بقاء مولاي الشريف ما علمت ، ولو علمت لعدت . أغناه الله
 بحسن العادة عن العيادة ، وهو حسبي .

ولأبي هاشم في فخر الدولة [من السريع] :

يا فلكَ الأرض وبحر الورى وشمس ملكٍ مالها من مغيبٍ
 دعوتُ مولاك بنيل المنى وقد أجاب الله وهو المجيبُ
 فقال خذْ ما شئت مستوليًا ودبّر الدنيا برأيٍ مُصيبٍ
 يا منْ كتبنا فوق أعلامه نصرٌ من الله وفتحٌ قريبٍ

(١) الحزاة: الألم والأثر ، الغليل : شدة العطش .
 (٢) شهراً مجرمًا : أي شهراً تاماً .
 (٣) مفرع : ملجأ .

الباب العاشر

١٠ - في ذكر الأمير السيد شمس المعالي قابوس بن وشمكير

وإيراد نبذ مما أسفر عنه طبع مجده ، وألقاه بحر علمه ، على لسان فضله .
أختم بها هذا الجزء الثالث من كتابي هذا ، بذكر خاتم الملوك ، وغرة الزمان ، ونبوع العدل والإحسان ، ومن جمع الله له إلى عزة الملك بسطة العلم ، وإلى فصل الحكمة نفاذ الحكم . فأوصافه لا تدرك بالعبارات ، ولا تدخل تحت العرف والعادات . وإلى أن أعمل^(١) كتاباً في أخباره وسيره ، وذكر خصائصه ومآثره ، التي تفرد بها عن ملوك عصره . فإني أتوج هذا الكتاب بلمع من ثمار بلاغته التي هي أقل محاسنه ومآثره . وأكتب فصلاً من عالي نثره ، مختومة ببعض ما ينسب إليه من شريف نظمه .

ما يجري مجرى الأمثال من كلامه

الكريم إذا وعد لم يخلف ، وإذا نهض لفضيلة لم يقف * الرجاء كنور في كمام^(٢) ، والوفاء كنور في ظلام ، ولا بد للنور أن يتفتح ، وللنور أن يتوضح * العفو عن المجرم من مواجب الكرم ، وقبول المعذرة من محاسن الشيم * بزند الشفيح تورى القداح ، ومن كف المفيض ينتظر فوز القداح * الوسائل أقدام ذوي

(١) في المطبوعتين « وأن لي أن أعمل » .

(٢) الكمام : وعاء الطلع ، أو غطاء الزهر .

الحاجات ، والشفاعات مفاتيح الطلبات * من أقدته نكاية الأيام ، أقامته إغاة الكرام * من ألبسه الليل ثوب ظلمائه ، نزع عنه النهار بضيائه * قوة الجناح بالقوادم والخوافي^(١) ، وعمل الرماح بالأسنة والعوالي * اقتناء المناقب ، باحتمال المتاعب ، وإحراز الذكر الجميل ، بالسعي في الخطب الجليل * الدنيا دار تغير وخداع ، وملتقى ساعة لوداع ، وأهلها متصرفون بين ورْدٍ وصدْر^(٢) ، وصائرون خيراً بعد أثر * غاية كل متحرك سكون . ونهاية كل متكوّن أن لا يكون ، وآخر الأحياء فناء ، والعجزع على الأموات عناء ، وإذا كان ذلك كذلك ، فلم التهلك على هالك * حشو هذا الدهر أحزان وهموم ، وصفوه من غير كدر معدوم * إذا سمح الدهر بالحباء^(٣) ، فأبشر بوشك الانقضاء ، وإذا أعار ، فاحسبه قد أغار * للدهر طعمان حلو ومر ، وللأيام صرفان عسر ويسر ، والخلق معروض على طوريه ، مقسوم الأحوال بين دوريه * لكل شيء غاية ومنتهى ، وانقطاع وإن بعد المدى * ترك الجواب ، داعية الارتباب ، والحاجة في الاقتضاء ، كسوف في وجه الرجاء * هم المنتظر للجواب ثقیل ، والمدى فيه وإن كان قصيراً طویل * النجيب إذا جرى لم يشق غباره ، والشهاب إذا سرى لم تلحق آثاره ، من أين للضباب ، صوت السحاب ، وللغراب هوى العقاب * هيهات أن تكتسب الأرض لطافة الهواء ، ويصير البدر كالشمس في الضياء * كل غم إلى انحسار ، وكل عال إلى انحدار .

فصل - يستحسن الشيخ أن يخرس عنه السنة الحمد ، وتلتوي عليه حواجب المجد ، فقد احتجب صبح ذلك الأمر . وصار مطلوباً في ليلة القدر فإن كان أنزله من قلبه ناحية النسيان . وباع جليل الريح به في سوق الخسران فيستحي له فضله من فعله ، وكفى به نائباً عني في عدله ، وإن كان لعذر دعاه إلى التواني ،

(١) القوادم : ريش مقدمة الجناح ، والخوافي : الريش الذي يليه .

(٢) ورد وصدور : أي نهول وارتواء وذهاب وإياب .

(٣) الحباء : بالعطية .

فقد أربى ذلك على سير السواني وكلا فإن كرمه يراوده عن أشرف الخصال ، ويأبى له إلا محاسن الأفعال .

فصل - عاد فلان وقد علته بشاشة النجاح ، ودبت فيه نشوة الارتياح ، تلوح مسرة اليسر على جبينه ، وتصيح بانقضاء العسر أسرة يمينه .

فصل - وأما إعجاب ذلك الفاضل بالفصول التي عرضتها عليه ، فلم يكن على ما أحسبه إلا لخلّة واحدة وهي أنه وجد فناً في غير أهله فاستغربه ، وفرعاً في غير أصله فاستبدعه . وقد يستعذب الشريب من منبع الزعاق^(٢) ، ويستطاب الصهيل من مخرج النهاق . ولكنك فيما أقدمت عليه من بسط اللسان بحضرته ، وإرخاء العنان فيه بمشهده كنت كمن صالت بوقاحتها الحجر ، وحاسن بقباحته القمر . ولا كلام فيما مضى ، ولا عتب فيما اتفق .

فصل - وجرى توقيع له قبيح بمن تسمو همته ، إلى قصد من تغلو عنده قيمته ، أن تكون على غيره عرجته ، أو إلى سوى بيته زيارته وحجته .

* * *

ومن مشهور ما ينسب إليه من الشعر ، قال [من البسيط] .

قل للذي بصروف الدهر عيرنا هل حارب الدهر إلّا من له خطرُ
أما ترى البحر تعلو فوقه جيفُ ويستقرُّ بأقصى قعره الدررُ
فإن تكن نشبت أيدي الزمان بنا ونالنا من تمادي بؤسه الضرر
ففي السماء نجوم ما لها عددُ وليس يكسّفُ إلا الشمس والقمر
كأنه ألمٌ فيها بقول ابن الرومي [من الكامل]:

دهرٌ علا قدر الوضيع به وترى الشريف يحطّه شرفه

(١) سير السواني : نوع من السير ، والتسوّن : استرخاء البطن ، وسوان : كغراب ، اسم علم .

(٢) الزعاق : المر الغليظ .

كالبحر يرسب فيه لؤلؤه سفلاً ، وتعلو فوقه جيفة
ومثله [من البسيط] :

بالله لا تنهضي يا دولة السفلى وقصري فضل ما أرخيت من طول^(١)
أسرفت فاقتدي جاوزت فانصرفي عن التهور ثم أمشي على مهل
مخدمون ولم تخدم أوائلهم مخولون وكانوا أرذل الخول^(٢)

وينسب له هذان البيتان ، وقد يغنى بها [من الكامل] :

خطراتُ ذكرك تستثير مودتي فأحسُّ منها في الفؤاد ديباً
لا عضو لي إلا وفيه صباة فكان أعضاءي خلقن قلوباً

هذا آخر القسم الثالث من كتاب «يتيمة الدهر» ، في محاسن أهل العصر
حسب تقسيم المؤلف رحمه الله تعالى ، ويليه القسم الرابع «في محاسن أهل
خراسان وما رواء النهر» نسأل الله تعالى أن يعين على إكماله بمنه وفضله .

(١) الطول : التادي في الأمر .

(٢) الخول : العبيد والخدم .

في محاسن أشعار أهل خراسان وما وراء النهر من إنشاء الدولة
السامانية والغزنوية ، والطائرين على الحضرة ببخارى من الآفاق ،
والمصرفين على أعمالها ، وما يستظرف من أخبارهم . وخاصة أهل
نيسابور . والغرباء الطائرين عليها . والمقيمين بها .

قال مؤلف الكتاب :

لما كان أول الكتاب مرتيناً بآخره ، وصدره موقوفاً على عجزه ، ولم تك
تحصل تمام الفائدة في فاتحته وواسطته ، إلا عند الفراغ من خاتمته ، واستعنت
الله تعالى على عمل هذا الربع الرابع منه ، وأخرجته في عشرة أبواب ، والله
سبحانه الموفق للصواب .

الباب الأول

في إيراد محاسن وظرف من أخبار وأشعار قوم سبقوا أهل عصرنا هذا قليلا
وتقدموهم يسيرا ، ومن أبناء الدولة السامانية ، وإنشاء الحضرة البخارية ، وسائر
شعراء خراسان الذين هم - مع قرب العهد - في حكم أهل العصر.

١١ - أبو أحمد بن أبي بكر الكاتب

أبوه أبو بكر بن حامد كان كاتب الأمير إسماعيل بن أحمد ، ووزير الأمير
أحمد بن إسماعيل قبل أبي عبد الله الجبهاني الكبير ، وكان أبو أحمد ربيب
النعمة ، وغذي الدولة ، وسليل الرياسة ، ومن أول من تأدب وتظرف وبرع وشعر
بما وراء النهر وحذا في قرض الشعر حذو أهل العراق ، وسار كلامه في الآفاق ،
وهو القائل [من البسيط]:

لا تعجبن من عراقي رأيت له بحرأ من العلم أو كنزاً من الأدب
واعجب لمن ببلاد الجهل منشؤه إن كان يفرق بين الرأس والذنب

وكان يجري في طريق ابن بسام ، ويقفو أثره في عبث اللسان ، وشكوى
الزمان ، واستزادة السلطان ، وهجاء السادة والإخوان ، ويتشبه به في أكثر
الأحوال ، وكان ابن بسام هجا أباه وأخاه حتى قيل فيه [من المجتث]:

من كان يهجو علياً فشعره قد هجاه
لو أنه لأبيه ما كان يهجو أباه

فضرب أبو أحمد على قلبه ، ونسج على منواله ، حتى قال في أبيه [من
مجزوء الكامل]: .

لي والدٌ متحاملٌ من غير ما جرم عَمِلْتُهُ
إن لم يكنْ أشنى إليّ من المنون فلا عدْمَتُهُ^(١)

وقال في أخيه منصور [من الوافر]:

أبوك أبي وأنت أخي ولكنْ أبي قد كان يذُرُّ في السَّبَاحِ^(٢)
تجاريني فلا تجري كجريي وهل تجري البيادق كالرخاخ^(٣)

وكان يرى نفسه أحق بالوزارة من الجبهاني والبلغمي لما له فيها من الوراثة
مع التبريز في الأدب والكتابة ، ولا يزال يطعن عليهما ويصرح بهجائهما ، ولا
يوفيها حق الخدمة والحشمة ، حتى أوحشاه وأخافاه فذهب مغاضباً ولجّ وحجّ .
ثم أقام ببغداد برهة وحنّ إلى وطنه فعاود بخارى ، وحين حصل بقرية يقال لها أمل
قال فأحسن [من مخلع البسيط]:

قطعتُ من أملِ المفازة قطعاً به أملُ المفازة^(٤)

ولم ير ببخارى غير ما يكره من إعراض الأمير ، واستخفاف الوزير . فلزم
منزله ، واشتغل باتخاذ الندماء ، وعقد مجالس الأنس ، والجري في ميدان العزف
والقصف ، وجعل يتخرق في تبذير ماله ، حتى رقت حاشية حاله . وكان مولعاً

(١) أشنى : أبغض .

(٢) السَّبَاح : الأرض المألحة التي لا تصلح للزراعة .

(٣) البيادق والرخاخ : بعض حجارة الشطرنج .

(٤) المفازة : الأرض الصعبة الكثيرة الهلاك .

بشعر العطوي حافظاً لديوانه ، مقدماً على نظرائه ، كثير المحاضرة بأمثاله وغرره في مخاطبته ومكاتباته ، فلقب بالعطواني ، وفيه يقول أبو منصور العبدوني وكان من ندمائه مع أبي الطيب الطاهري والمصعبي [من الطويل] :

أبا أحمد ضيَّعتَ بالخرق نعمةً أفادكها السلطان والأبوان^(١)
فقد صرتَ مهتوكَ الجوانبَ كلَّها ولقُبْتُ للإدبار بالعطواني
وأفكرتَ في عودٍ إلى ما أضعتَه وقد حيلَ بين العير والنزوان^(٢)
فرايكَ في الإدبار رأيٌ أخذته وعلمتهُ من مِشية السرطان

ثم إنه تقلد أعمال هراة وبوشنج وباذغيث ، فشخص إلى رأس عمله واستخلف عليه أبا طلحة قسورة بن محمد واصطنعه ونوه به حتى صار بعده من رؤساء العمال بخراسان ، وكان قسورة من أولع الناس بالتصحيفات فقال له أبو أحمد يوماً : إن أخرجت مصحفاً أسألك عنه وصلتك بمائة دينار ، قال : أرجو أن لا أقصر عن إخراجه ، فقال أبو أحمد : في قشور هينم جمد ، فوقف حمار قسورة وتبلد طبعه وتقشر فلسه ، فقال : إن رأى الشيخ أن يمهلي يوماً فعل ، فقال : أمهلتك سنة ، فحال الحول ولم يقطع شعرة ، فقال له أبو أحمد : هو اسمك قسورة بن محمد ، فازداد خجله وأسفه ، وعلى ذكر أبي طلحة فإنه كان كوسجا وفيه يقول اللحم [من السريع] :

ويك أبا طلحة ما تستحي بلغت سبعين ولم تلتحي
ولما استعفى أبو أحمد من عمله وخطب بنيسابور أجيب إلى مراده فمن قوله بنيسابور وقد طالب العمال أرباب الضياع ببقايا الخراج [من الوافر] :

سلام الله منِّي كلَّ يومٍ على كُتَّابِ ديوان الخراج
يرومون البغايا في زمانٍ عجرنا فيه عن مال الزواج

(١) الخرق : الجهل .

(٢) النزوان : المطامع والمطامح .

وبلغه أن الساجي هجاه بالحضرة فقال [من البسيط]:

إنّا أناسٌ إذا أفعالنا مدحتْ أنسابنا فهجيناً لم نخف عارا
وإن هجوننا بسوء الفعل أنفسنا فليس يرفعنا مدحٌ وإن سارا
وقال للجبهاني [من الخفيف]:

أيها السيد الرئيس ومن ليس عليه فضلاً ونبلاً قياسُ
أنت سهلُ الطباع مرتفعُ القدر ولكنْ منادموكِ خساسُ
ومن هجائه قوله فيه [من الخفيف]:

يا ابن جبهان لا وحقّك لا تصلح فاغضب أو فارضين بالحراسة
عجباً للجميع إذ نصبوا مثلك في صدر ملكهم للرياسة
ولو أن التدبير والحكم في الخلق على العدل ما وليت كناسه
ومن أمثاله السائرة قوله [من الطويل]:

إذا لم يكن للمرء في دولة امرئ نصيبٌ ولا حظٌ تمنى زوالها
وما ذاك من بغضٍ لها غير أنه يرجي سواها فهو يهوى انتقالها
وقوله [من الكامل]:

إني وجعفر بعد ما جرّبه وبلوت في أحواله أخلاقه
كمعيد شك في خرا قد شمة فأراد معرفة اليقين فذاقه
وقوله [من مخلع البسيط]:

أحسن إذا أحسن الزمان وصحّ منه لك الضمان
بادر بإحسانك الليالي فليس من غدرها أمان

وكتب إلى أبي نصر بن أبي حبة يستزيه فلم يجبه واعتذر بعله فكتب إليه أبو
أحمد [من المتقارب]:

تعاللت حين أتاك الرسولُ وليس كذاك يكون الوصولُ
وأقسم ما نابك من علةٍ ولكن رأيك فينا عليل

ومما يستحسن لأبي أحمد قوله [من البسيط] :

أولا فنادمٌ عليها جلةُ الكتبِ	اخترُ لكأسك ندماناً تسرُّ بهم
منزَّهين عن الفحشاء والريبِ	فالأنس بين ندامى سادةِ نجبِ
يأتيك بالخير المستظرف العجبِ	هذا يفيدك علماً بالنجوم وذا
في أنزه الروض بين العلم والأدبِ	وبين كتبٍ إذا غابوا فانت بها
أفضى إلى خبرٍ يلهيك منتخبِ	إذا أنست بيتِ مرٍّ مقتضبِ
يسعى بياقوتةٍ سلَّت من العنبِ	ويكملُ الأنسَ ساقٍ مرهفٍ غنجِ
وأنت من هزلٍ ذا في مرتعٍ خصبِ	فأنت من جدٍّ ذا في منظرٍ أنقِ
مقسَّم الحال بين الجدِّ واللعبِ	وخير عمر الفتى عمرٌ يعيش به
وحظُّ هذا من اللذات والطربِ	فحظُّ ذلك من علمٍ ومن أدبِ

وحكي أن أبا حفص الفقيه عاتب يوماً أبا أحمد على لبسه الخاتم في يمينه .
فقال أبو أحمد : إن فيه أربع فوائد :

إحداها : السنة المأثورة من غير وجه عن النبي ﷺ أنه كان يتختم في
اليمين ، وكذلك الخلفاء الراشدون بعده إلى أن كان من أمر صفين والحكمين ما
كان حين خطب عمرو بن العاص فقال : ألا إني خلعت الخلافة من علي كخلع
خاتمي هذا من يميني وجعلتها في معاوية كما جعلت هذا في يساري ، فبقيت سنة
عمرو بين العامة إلى يومنا هذا .

والثانية من كتاب الله تعالى ، وهي قوله (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها)
ومعلوم أن اليمين أقوى من اليسار ، فالواجب أن يكلف حمل الأشياء الأقوى دون
الأضعف .

والثالثة من القياس ، وهو أن النهي عن الاستنجاء باليمين صحيح ، والأدب في الاستنجاء باليسار ، ولا يخلو نقش خاتم من اسم الله تعالى ، فوجب تنزيهه عن مواضع النجاسة .

والرابعة : أن الخاتم زينة الرجال واسمه بالفارسية (انكشت أراى) فاليمين أولى به من اليسار .

ولما عاود أبو أحمد بخارى من نيسابور، وورد على ماله كدر وأسباب مختلفة مختلة وقاسى من فقد رياسته وضيق معاشه قذاة عينه ، وغصة صدره استكثر من إنشاد بيتي منصور الفقيه ، فقال : [من الكامل] :

قد قلتُ إذ مدحوا الحياة سرفوا في الموت ألفُ فضيلةٍ لا تُعرفُ
منها أمانٌ لقائه بلقائه وفراقُ كلِّ معاشرٍ لا ينصفُ
وقال في معناهما [من الكامل] :

من كان يرجو أن يعيش فإنني أصبحت أرجو أن أموت فأعتقا^(١)
في الموت ألفُ فضيلةٍ لو أنها عرفت لكان سبيله أن يعشقا

وواظب على قراءة هذه الآية في آناء ليله ونهاره (وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم) فقال بعض أصدقائه : إنا لله ، قتل أبو أحمد نفسه ، فكان الأمر على ما قال ، فشرب السم فمات .

(١) العتق : التحرير ، وعتق رقبة : أي تحريرها من الرّق .

١٢ - أبو الطيب الطاهري

هو طاهر بن محمد بن عبد الله بن طاهر ، من أشعر أهل خراسان وأظرفهم وأجمعهم بين كرم النسب ، ومزية الأدب ، إلا أن لسانه كان مقراضاً^(١) الأعراض ، فلا تزال تخرج من فيه الكلمة يقطر منها دمه ، وتبرأ منه نفسه . وكان وقع في صباه في شردمة من أهل بيته إلى بخارى فارتبط بها وردت عليه ضياع نفيسة للطاهرية فتعيش بها ، وكان يخدم آل سامان جهراً ، ويهجوهم سراً . ويطوي على بغض شديد لهم . ويتمنى زوال ملكهم وزوال أمرهم ، لما يرى من ملك أسلافه في أيديهم . ويضع لسانه حيث شاء من ثلبيهم^(٢) ، وذم وزرائهم وأركان دولتهم ، وهجاء بخارى مقر حضرتهم ومركز عزهم

فحدثني أبو زكريا يحيى بن اسماعيل الحربي قال : سمعت أبا عبد الله محمد بن يعقوب الفارسي يقول في يوم من أيام وروده نيسابور على ديوانها : إن أصحاب أخبار السر كانوا ينهون إلى كل من الأميرين الشهيد والسعيد في أيامهما ما يقدم عليه هذا الطاهري من هجائهما ، فيغضبان عليه ويهبان جرمه لأصله وفضله ، ويتذممان من قتل مثله ، فدخل يوماً على السعيد نصر بن أحمد فهش له وبسطه وحادثه ثم قال له في عرض الحديث : يا أبا الطيب حتى متى تأكل خبزك بلحوم الناس ؟ فنكس رأسه حياء ، ثم قام يجر ذيل خجل ووجل . ولم يعد لعادته في التولع به .

قال أبو زكرياء : ومما يحكى من كلمات السعيد الوجيزة الدالة على فضله وكرمه قوله لأبي غسان التميمي وقد حمل إلى حضرته في يوم المهرجان كتاباً من تأليفه : ما هذا يا أبا غسان ؟ قال : كتاب أدب النفس ، قال : فلم لا تعمل به ؟ وكان أبو غسان من الأدباء الذين يسيئون آدابهم في المجالس .

(١) المقراض : من قرض أي قطع .

(٢) ثلبيهم : ذمهم وإعابتهم .

ومن ملح هجاء أبي الطيب للشهيد قوله [من الخفيف] :

طال غزو الأمير للبَطِّ حتى ماله عن عاداته إقفالُ
فهنيئاً له هنيئاً مريئاً كلُّ قرنٍ لقرنه قتالُ

وقوله [من الوافر] :

بخارى من خرى لاشك فيه يعزُّ بربعها الشيء النظيفُ
فإن قلت الأمير بها مقيمٌ فذا من فخر مفتخر ضعيفُ
إذا كان الأمير خرا فقل لي أليس الخراء موضعه الكنيف^(١)

وهو أول من هجا بخارى وذمها ووصف ضيقها وننتها ، حتى اقتدى به غيره
في ذكرها ، فقال أبو أحمد بن أبي بكر [من الوافر] :

لو الفرس العتيق أتى بخارى لصار بطبعه فيها حماراً
فلم تر مثلها عيني كنيفاً تبوَّاه أمير الشرق داراً

وقال ، ويروى لأبي الطيب [من الهزج] :

بخارى كلُّ شيء منك يا شوءاء مقلوبُ
قضاءُ الناس ركابُ فلم قاضيك مركوبُ

وقال أبو منصور العبدوي [من الطويل] :

إذا ما بلاد الله طاب نسيمها وفاحت لدى الأسحار ريحُ البنفسجِ
رأيت بخارى جيفة الأرض كلُّها كأنك منها قاعدٌ وسط مخرج^(٢)
فيا ربَّ أصلح أهلها وانف ننتها وإلا فعنها ربُّ حوْل وفرجِ

(١) الكنيف : بيت الخلاء - المرحاض .

(٢) الجيفة : الجثة النتنه ، ويريد بالخرج : مكان الخروج حيث الروائح الكريهة .

وقال أبو منصور الخزرجي ، ويروى لأبي أحمد [من مجزوء الرمل] :

فقحة الدنيا بخارى ولنا فيها اقتحام^(١)
ليتها تفسو بنا الآ ن فقد طال المقام

وقال الغريامي [من السريع] :

ما بلدة متنتة من خرا وأهلها في جوفها دود
تلك بخارى من بخار الخرى يضع فيها الند والعود^(٢)

وقال أبو علي الساجي [من السريع] :

باء بخارى فاعلمن زائده والألف الأولى بلا فائده
فهي خرا محض وسكانها كالطير في أقفاصها آبه

وقال الحسن بن علي المرورودي [من الوافر] :

أقمنا في بخارى كارهينا ونخرج إن خرجنا طائعينا
فأخرجنا إله الناس منها (فإن عدنا فإننا ظالمونا)

وقوله من قصيدة [من البسيط] :

أودى ملوك بني ساسان وانقرضوا وأصبح الملك ما ينفك ينتقض
أضحى إمارتهم فيهم وجوهرهم عبيدهم وهم في عرضها عرض
فلييك من كان منهم باكياً أبداً فما لما فاتهم من ملكهم عوض
من لان مرقده فالدهر مبدله عنه فراشاً له من تحته قضض^(٣)
هاتيك عادته فيمن تقدمهم وكل مرتفع يوماً سينخفض

(١) فقحة الدنيا : الفقحة مكان مسيل القاذورات .

(٢) الند والعود : نوعان من الأشجار طيبا الرائحة .

(٣) القضض : التراب وصغار الحصى، وقضض المضجع : أي خشن .

دعهم إلى سقر واشرب على طرب
غدا الربيع علينا والنهار به
والنور يضحك في خضر البنان ضحى
وقوّضت دولة قد كنت أكرها
إن أنت لم تصطبح أو تغتبق فمتى
الآن بادر فإنّ اللهو مفترض^(١)
فالفجر في الأفق الغربي معترض^(٢)
يمتد منبسطاً والليل منقبض
والبرق مبتسم والرعد مؤتمض^(٣)
وزال ما كان منه الهم والمرض

ومن عجيب ما يحكى عن أبي الطيب أنه كتب إلى أخيه أبي طاهر الطيب بن محمد بن طاهر بكرة يوم الرام بهذين البيتين [من الوافر] :

وإني والمؤذن يوم رامٍ لمختلفان في هذي الغداة
أنادي بالصبح كه كياداً إذا نادى بحيّ على الصلاة
وإذا برسول أبي طاهر جاءه قبل وصول رقعة برقة فيها [من الوافر] :

وإني والمؤذن يوم رامٍ لمختلفان في هذا الصباح
أنادي بالصبح كه كيادا إذا نادى بحيّ على الفلاح

وكان التقاء رسوليهما بالرقعتين في منتصف الطريق .

ومن سائر شعر أبي الطيب قوله في السعيد نصر بن أحمد [من الطويل] :

قديماً جرت للناس في الكتب عادةً إذا كتبوها أن يعادلها الصدرُ
وأول هذا الأمر كان افتتاحه بنصرٍ وإن ولى فأخره نصرُ

ومما يستحسن من شعره ويغني به ويقع في كل اختيار قوله [من

المتقارب] :

خليليّ لو أن همّ النفوسِ دامَ عليها ثلاثاً قتل

(١) سقر : جهنم .

(٢) مؤتمض : لأمع ، من الومض يقال ومض البرق وليس الرعد .

(٣) الصبح والغبوق : شرب الخمر صباحاً ومساءً .

ولكن شيئاً يسمّى السرور قديماً سمعنا به ما فعل

وناوله غلام له باقة نرجس فقال فيه [من السريع] :

لَمَّا أَطْلَنَّا عَنْهُ تَغْمِيضًا أَهْدَى لَنَا النَّرْجِسَ تَعْرِيفًا
فَدَلَّنَا ذَاكَ عَلَى أَنَّهُ قَدْ اقْتَضَانَا الصَّفَرَ وَالْبَيْضَ^(١)

ومن ملحه قوله في الجبهاني من ضادية [من الطويل] :

تَقَلَّدْتَ بِالْوَسْوَاسِ صَرْفًا وَزَرْتَنَا فَزَدْتَ بِهَا تِيهًا عَلَيَّ عَرِيضًا
وَلَسْتُ بِزَاوٍ عَنْكَ وَدًّا عَهْدَتِهِ وَلَا قَائِلٍ مَا عَنْهُ مَرِيضًا^(٢)
فَمَا كَانَ بِهِلُولٌ مَعَ الشَّتَمِ وَالْخَنَا وَقَذَفَ النِّسَاءَ الْمُحْصَنَاتُ بِغِيضًا^(٣)
وقوله في معناه [من الطويل] :

وَلَسْتُ بِشَيْءٍ مِنْ جَفَائِكَ حَافِلًا وَلَا مِنْ أَذَى جَرَعَتِيهِ مَغِيظًا
فَاطِيبَ أَحْوَالِ الْمَجَانِينِ مَا رَمَوْا وَزَنُّوا وَعَاطُوكَ الْكَلَامَ غَلِيظًا^(٤)
وكان أبوذر الحاكم البخاري عرضة لهجائه فقال فيه من قصيدة [من مجزوء
الخفيف] :

أَفْ	لِلدَّهْرِ	أَفْ	لَهُ	قَدْ	أَتَانَا	بِمَعْضِلَةٍ
بِأَبِي	ذُرٍّ	الَّذِي	كَانَ	مُلْقَى	بِمَزْبَلَةٍ	
كَلِمًا	بَاتَ	لَيْلَةً	وَإِسْتَه	فِيهِ	مَهْمَلَةً ^(٥)	
بَاتَ	يَقْرَأُ	إِلَى	الصَّبَا	ح	(وَبَشَرٍ)	مَعْطَلَةً

(١) الصفر والبيض : يعني بها الدنانير والدراهم .

(٢) زاور : مخفّر .

(٣) البهلول : الكثير الضحك ، والخنّا : الفحش .

(٤) رموا : أفسدوا ومنها رمي المحصنات ، وزنّوا من الزناء .

(٥) الأست : فتحة المؤخّرة .

وقوله في ابنه :

لأبي ذرّ بنيّ طفسٌ لا كان ذا ابنا
فهو لا يقرأ من القرّ آن إلّا والنّا

وقوله في غيرهما [من مجزوء الرمل] :

طلحة يا كبرائي سلحةٌ في الأمراءِ
إن شاهاً أنت فرزا ن له بادي العراءِ

* * *

١٣ - أبو منصور الطاهري

لم يرث الفضل والشعر عن كلاله ، وهو القاتل [من الطويل] :

بكيت لفقد الوالدين ومن يعشُ لفقدهما تصغرُ لديه المصائبُ
فعزّيت نفسي موقناً بذهابها وكيف بقاء الفرع والأصل ذاهبُ

ومن أحسن ما سمعت في المعنى نثراً قول بعض الحكماء لرجل مات أبوه
وابنه : لقد مات أبوك وهو أصلك . ومات ابنك وهو فرعك ، فما بقاء شجرة ذهب
أصلها وفرعها ؟!

ومما يستجاد لأبي منصور قوله [من البسيط] :

شيئان لو أن ليشاً يُتلى بهما في غيله مات من همٍّ ومن كمد^(١)
فقد الشباب الذي ما إن له عوضٌ والبعد بالرغم عن أهلٍ وعن ولد

وهو مأخوذ من قول الآخر [من الكامل] :

شيئان لو بكت الدماء عليهما عيناى حتى يؤذنا بذهاب

(١) الغيل : الشجر الكثير الملثف ، والكمد : الحزن الشديد .

لم يقضيا المعشار من حقيهما شرح الشباب وفرقة الأحباب
وقد ملح أبو منصور في قوله [من الوافر] :

أقول وقد رأيت له خواناً له من لحظ عينه خفيرٌ
أرى خبزاً وبني جوعٌ شديدٌ ولكن دونه أسدٌ مزير
ومثله للرشيد وقد رأى جارية سكرى فراودها ، فقالت : إن أباك ألم بي ،
فكف عنها ، وقال [من الوافر] :

أرى ماءً وبني عطشٌ شديدٌ ولكن لا سبيل إلى الورود

* * *

١٤ - أبو الحسين محمد بن محمد المرادي

كان شاعر بخاري ، وله شعر كثير مدون ، ومن مشهور أخباره أن السعيد
نصر بن أحمد ركب يوماً للضرب بالصوالجة ، فجاءت مطرة رشت السهلة ، ولما
قضى وطره وأقبل إلى الدار تصدى له المرادي فأنشد [من مخلع البسيط] :

أشهدُ أنَّ الأمير نصرا يخدمه الغيث والسحابُ
رشَّ تراب الطريق كي لا يؤذيه في الموكب الترابُ
لا زال يبقى له ثلاث العزُّ والملك والشبابُ

فأمر له بثلاثة آلاف درهم ، وقال : لو زدت لزدناك ، وكان المرادي ينشد
لنفسه [من مجزوء الرمل] :

إنما	همي	كسيره	وإدام ^(١)	من	قديره ^(١)
وخميره	في	زكيره	بلغتي	منها	سكيره

(١) الإدام : الطعام ، والقدير : يعني القدر .

وصيحيّ أو قبيح قد كفى جلد عميره
ودنينير لدينا بات في ضمن صريره
من رأى عيشي هذا عاش لا يطلب غيره

ثم يقرأ على أثرها ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾ .

وورد نيسابور لحاجة في نفسه فرأى من أهلها جفاء فقال [من البسيط] :

لا تنزلن بنيسابور مغترباً إلاّ وحبلك موصولاً بسطان
أو لا فلا أدب يغني ، ولا حسب يجدي ، ولا حرمة ترعى لإنسان
وقال [من البسيط] :

قال المرادي قولاً غير متهم والنصح ما كان من ذي اللب مقبول
لا تنزلن بنيسابور مغترباً إن الغريب بنيسابور مخدول
وقال في المصعبي [من الطويل] :

أرى صحبة الأشراف صعباً مرامها وصحبة هذا المصعبي فأصعب
يذلّلني فيما يروم اكتسابه فأستام عزاً بالمذلة يكسب^(١)
وقال في موت أبي جعفر الصعلوكي [من مخلع البسيط] :

وقد تلفت نفسه الدنية ما كان أولاه بالمنية
ما أخطأ الموت حين أفنى من كان ميلاده خطية

وقال لأبي علي الصاغاني من قصيدة [من البسيط] :

لم ألق غيرك إلا ازددت معرفة بأنّ مثلك في الأفاق معدوم

(١) أستم : يقام استامت الماشية : أي رعت حيث شاءت وهنا بمعنى أسأل وأطلب .

أرى سيوفك في الأعداء ماضيةً ركنُ الضلال بهما ما عشت مهذوم
يهمي الندى والردى من راحتك فلا عاصيك ناجٍ ولا راجيك محروم
وقال في بكر بن مالك [من مجزوء الخفيف] :

قَلَدَ الجِيشَ سَيْدٌ وهو جيشٌ على حده
يد بكرٍ وسيفه ويد الله واحده

ومن ملح وظهره قوله [من مجزوء الخفيف] :

هل لكم في مطلقٍ شربه شرب قبه
لو رأى في جواره خيط زقٍّ لأسكره

ولما احتضر أنفذ إليه الجبهاني ثياباً للكفن . فأفاق ، وأنشأ يقول [من الطويل] :

كساني بنو جبهان حياً وميتاً فأحييت آثاراً لهم آخر الزمن
فأول برٍّ منهم كان خلعةً وآخر برٍّ منهم صار لي كفن

ثم أغمي عليه ساعة فأفاق وقال [من السريع] :

عاش المرادي لأضيافه فصار ضيفاً لآله السما
والله أولى بقرى ضيفه فليدع الباكي عليه البكا

ثم كان كأنه سراج انطفأ .

* * *

١٥ - أبو منصور العبدوني ، أحمد بن عبدون

من أظهر كتاب بخارى تحصيلاً ، وأظرفهم جملة وتفصيلاً ، وكان ريحانة
الندماء ، وشمامة الفضلاء ، ونارنج الظرفاء ، وله شعر عذب المذاق حلو المساغ
في نهاية خفة الروح ، وقد تقدمت له أبيات ، وبلغني أن صديقاً له كتب إليه

يستعير منه دابة ويقول [من المتقارب] :

أردت الركوب إلى حاجة فمن لي بفاعلة من دبيت^١
فوقع تحت البيت [من المتقارب] :
برذوننا يا أخي عامر^٢ فكن بأبي فاعلاً من غدوت^٣
وقال في صاحب ديوان يطيل المكث فيه [من السريع] :

أقسم بالله وآياته أنك في الثقل رحي بزر^(١)
وذا كما قلت وإلا فلم^٢ تقعد في الدار إلى العصر
والناس قد أخلوا دواوينهم وانصرف الطير إلى الوكر^٣

وقال [من الطويل] :

أكتب ديوان الرسائل ما لكم^١ تجملتم بل مثم بالتجمل^٢
وأرزاقكم لا تستبين رسومها لما نسجتها من جنوب وشمال^٣
إذا ما شكا الإفلاس والضرر بعدكم يقولون لا تهلك أسي وتجمل^٤
خلقتكم على باب الأمير كأنكم قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل^٥

وقال في أبي نصر بن أبي حبة ، وكان من تلامذته [من السريع] :

يا قوم إن ابن أبي حبة قد سبق الكتاب في الحلبة^١
وأدخل الكتاب من حذقه في الكوز والجرة والدبة^(٢)

وقال في كتاب « أدب الكتاب » لابن قتيبة [من مجزوء الرمل] :

أدب^١ الكتاب عندي ماله في الكتب ند^(٢)

(١) الرّحى : الطاحون .

(٢) الدّبة : ظرف أو نحوه يوضع فيه الزيت أو غيره .

(٣) الندّ : القرين والمثيل .

ليس للكاتب منه إن أراد العلم بدُّ

وقال [من مجزوء الرمل] :

عنقي يا قوم كانت عند شربي الراح عبلة^(١)
فتركت الشرب أيا ما على عمدٍ لعلُّه
فانحنى الظهر وذاب الجسم في أيسر مهله

وحدثني أبو سعيد عن بعض مشايخ الحضرة ، وقد ذهب على اسمه ، أن مجلساً للأنس جمع يوماً جماعة من أفاضل بخارى كأبي أحمد بن أبي بكر والطاهري والمصعبي والخزرجي والعبدوني وفيهم فتى من أهل أشروسنه يسمى يشكر أحسن من نعم الله المقبلة ، ومن العافية في البدن ، فأفضى به الحديث إلى رواية الأهاجي ، وطفق كل واحد منهم يروى أجود شعره في الهجاء ، فقال بعض الحاضرين إن هجاء من هجوتموه ممكن معرض ، فهل فيكم من يهجو هذا الفتى ، يعني يشكر ، فقالوا : لا والله ما نقدر على هجائه ، وليت شعري أيهجي خلقه أم اسمه ، فارتجل العبدوني أبياتاً منها [من المتقارب] :

ويشكر يَشْكُرُ من ناكه وَيَشْكُرُ الله لا يشكر

فتعجبوا من سرعة خاطره في ذم مثله^(٢) ، واشتقاقه الهجاء من اسمه ، وأقروا له بالبراعة ، وحين رأى خجل الفتى لما بدر من هجائه إياه من غير قصد أخرج من يديه زوجي خاتم ياقوت وفيروزج وأعطاهما إياه ، وقال : هذا بذلك .

* * *

(١) عبلة : ضخمه .

(٢) لزياد الأعجم بيت بهذه الألفاظ وهو قوله :

ويشكر تشكر من ضامها ويشكر الله لا تشكر

فلا دلالة في البيت على سرعة الخاطر ولا على اشتقاق الهجاء من اسم المهجو .

١٦ - أبو الطيب المصعبي محمد بن حاتم

كان في جميع أدوات المعاشرة والمنادمة وآلات الرياسة والوزارة على ما هو معروف مشهور ، وكانت يده في الكتاب ضرة البرق ، وقلمه فلكي الجري ، وخطه حديقة الحدق ، وبلاغته مستمالة من عطار ، وشعره باللسانين نتاج الفضل ، وثمار العقل ، ولما غلب على الأمير السعيد نصر بن أحمد بكثرة محاسنه ووفور مناقبه ووزر له مع اختصاصه بمنادمته لم تطل به الأيام حتى أصابته عين الكمال ، وأدركته آفة الوزارة ، فسقى الأرض من دمه .

ومن مشهور شعره وسائر قوله [من مجزوء الرمل] :

إختلسَ حظّك في دنيّاك من أيدي الدهور
واغتنم يوماً ترجّيه بلهوٍ وسرور
واصنع العرف إلى كلّ كفورٍ وشكور
لك ما تصنع والكفران يزري بالكفور

وقوله في ذم الشباب [من الخفيف] :

لم أقل للشباب في كنف الله وفي ستره غداة استقلّا^(١)
زائرٌ زارنا مقيمٌ إلى أنْ سوّد الصُّحف بالذنوب وولّى

وقوله في غلام أعجمي [من الخفيف] :

بأبي من لسانه أعجميٌ وأرى حسنه فصيح الكلام

ويروى له ما كتب به إلى بعض إخوانه [من مخلع البسيط] :

غبت فلم يأتني رسول ولم يقلّ علّه عليلٌ
ميهات لو كنت لي خليلاً فعلت ما يفعل الخليلٌ

وله [من المجتث] :

اليوم	يوم	بكور	على	نظام	سرور
ويوم	عزف	قيان	مثل	التمائيل	حور
ولا	تكاد	جياذ	تروى	بغير	صغير

ووقع في كتاب [من الكامل] :

قد قلت لما أن قرأت كتابكم عض الملل يبظر أم الكاتب

* * *

١٧ - أبو علي الساجي

من فضلاء المقيمين ببخارى ، ووجه المتصرفين بها ، وفيها يقول في غلام تركي [من البسيط] :

لا سمرّة ، لا بياض فيه ، لا سمنٌ ولا هزالٌ ، ولا طولٌ ولا قصرٌ
ذو قامّةٍ قام فيها عذر عاشقها وصورةٍ قبحت مع حسنّها الصُّور
ويقول [من مجزوء الرمل] :

أنا	بالحضرة	واقف	للتعازي	والتهاني
ولتشيّع	فلانٍ	والتلقي	لفلانٍ	

وله في مرو [من الخفيف] :

بلدٌ طيّبٌ وماءٌ معينٌ وثرى طيّبٌ يفوق العبيرا
وإذا المرء قدّر السير عنه فهويناہ باسمه أن يسيرا

وله [من السريع] :

لا تأسَ من دنياً على فائتٍ وعندك الإسلام والعافيه^(١)

(١) لا تأس : أي لا تأسف وتحزن .

إن فات شيء كنت تسعى له ففiehما من فائت كافيه
وله [من الخفيف] :

لست أدري ماذا أقول ولكن أبتغي من عريض جاهك نفعا
والفتى إن أراد نفع أخيه فهو يدري في أمره كيف يسعى

١٨ - أبو منصور الخزرجي

أديب شاعر في المرتبطين الذين كانوا ببخارى مع أبي غسان التميمي
والبوشنجي والكسروي وأضرابهم من الأفاضل ، كتب إلى أبي أحمد بن أبي بكر
في أوائل شهر رمضان قصيدة منها [من مخلع البسيط] :

الصوم ضيفٌ ثوى فداره قد يؤجر العبد وهو كاره
واحمل على النفس في قراه في ليله منك أو نهاره
فإن تجافى على كريمٍ برّ حريصٍ على مزاره
فالضيف ماضٍ غداً ومثني عليك أن حطت من ذماره^(١)

ومن ملحه ؛ ويروي لغيره [من الوافر] :

أُتدخِلُ من تشاء بلا حجابٍ وكلهم كسيرٌ أو عوير
وأبقى من وراء الباب حتى كأني خصيةٌ وسواي أير

وقال للمصعبي [من البسيط] :

يا من تخلّق حتى صار مرتفعاً من السماء الى أعلى مراقبها
لا تأمنن انحطاطاً وارعَ حرمتنا وانظر إلى الأرض واذكر كوننا فيها

(١) الذمار : ما يحمى ويدافع عنه كالحرم والأهل والشرف .

وقال ، وأنشدنيها له أبو زكريا الحربي ، وتروى لغيره [من مجزوء
الكامل] :

يا ذا الكواكب والدوا نر والعجائب والمجرة
أجحفت بالفطن الأريب فخاض في الغمرات دهره^(١)
يا عرّة في فعله أعطيت خيرك كلّ عرّة^(٢)
أخرفت من طول السرى أم زدت للحركات سرّة

١٩ - أبو أحمد محمد بن عبد العزيز النسفي

قال في رئيس كان ينام بالنهار ويسهر بالليل [من الطويل] :

ينام إذا ما استيقظ الناس بالضحي فإن جنّ ليلٌ فهو يقظانٌ حارسٌ
وذاك كمثّل الكلب يسهر ليله فإن لاح صبحٌ فهو وسانٌ ناعسٌ

وقال في أبي علي الصاغاني [من البسيط] :

الدار داران للباقي وللفاني والخلق كلّهم يكفيهم اثنان
فأحمدُ لمعاش الناس قاطبةً وأحمدُ لمعاد الناس سيّان

وقال [من المجث] :

إن الرؤوس بإجما ع آكلها ثقيله
وحقّها شرب صرف قصيرة من طويله

(١) الأريب : الماهر الذكي ، والغمرات المخاطر .

(٢) العرّة : الجرب ، والعيب .

٢٠ - أبو القاسم الكسروي

هو أردستاني من أهل أصفهان من الأدباء الطائرين على بخارى والمرتبطين بها ، وكان جامعاً بين الكتابة والشعر ، ضارباً بأوفر السهم في الظرف ، وكان يقول : قولي لعدوي أعزه الله إنما أريد أعزه الله حتى لا يوجد في الدنيا ، وقولي أطال الله بقاءك وأدام عزك وتأيدك وجعلني فداك أي من هذا الدعاء كله فصار الدعاء لي دونه .

وكان يبغض الشطرنج ويذمها ولا يقارب من يشتغل بها ويطنب في ذكر عيوبهم ويقول : لا ترى شطرنجاً غنياً إلا بخيلاً ولا فقيراً إلا طفيلياً ، ولا تسمع نادرة باردة إلا على الشطرنج ، فإذا جرى ذكر شيء منها قيل : جاء الزمهرير ، ولا يتمثل بها إلا فيما يعاب ويذم ويكره ، فإذا جرى السكران قيل : قد فرزن ، وإذا كان مع الغلام الصبيح المليح رقيب ثقيل : قيل معه فرزان بيدق ، وإذا استحققر قدر الإنسان قيل : كأنه بيدق ، ولا سيما إذا اجتمع فيه قصر القدر وصغر القدر كما قال الناجم [من الهزج] :

ألا يا بيدقَ الشطرنج في القيمة والقامة

وإذا ذكر وقوع الإنسان في ورطة وهلكة على يد عدو قيل كما قال عبد الله ابن المعتز وأجاد [من الكامل] :

قل للشقيّ وقعت في الفخْ أودت بشاهك ضربة الرخْ

وإذا روي طفيلي يسيء الأدب على المائدة قيل : انظروا إلى يد الكشاحن كأنها الرخ في الرقعة . وإذا روي زيادة لا يحتاج إليها قيل : زاد في الشطرنج بغلة ، وإذا سب دخيل ساقط : قيل من أنت في الرقعة ؟ وإذا ذكر وضع ارتفع قيل كما قال أبو تمام [من مجزوء الكامل] :

قل لي متى فرزنت سر عة ما أرى يا بيدق

ويروى أنه دخل يوماً على أبي عبد الله محمد بن يعقوب الفارسي وقد ولد له مولود فأنشد [من مجزوء الكامل] :

هتئتَ نجمَ سعادة قد حلَّ أولَ أمسٍ رحلكُ
فأحلُّهُ المولى من الـ آدابِ والعليا محلُّكَ
وأطال عزُّكمَا وعمرُكمَا وأكثرَ منك مثلك
فأمر له بثلاثمائة دينار .

وكتب إلى بعض الرؤساء رسالة في الهز والاقضاء وفي آخرها قوله [من الوافر] :

فرأى الشيخ مولى المجد في أن يشرفني بإحدى الحسينين
بنقد أرتجيه أو ييأس فإن اليأس إحدى الراحتين
وله من قصيدة [من البسيط] :

كسبتُ ما شئتُ من مالٍ فأتلفهُ كفَّ كسوبُ بعون الله متلافُ
لن يلبث المال عندي أو يفرقه طبع امرئٍ همَّه بذلٌ وإسرافُ
إنَّ عادتي فيما حوته يدي وعادة الله جلُّ الله إخلافُ
فهذه عادتي فيما حوته يدي وعادة الله جلُّ الله إخلاف^(١)
إنَّ الحقوق ليفني المال واجبها وفي قضاء حقوق الناس إنصاف
وله [من الوافر] :

كفاك مذكراً وجهي بأمري وحسبي أن أراك وأن تراني
وكيف أحتُّ من يعنى بشأني ويعرف حاجتي ويرى مكاني

(١) إخلاف : نمياً جديدة يخلفها عليه .

٢١ - أبو بكر محمد بن عثمان النيسابوري الخازن

وقع إلى بخارى وتصرف بها وتقلد الحزن ، وكان من أدباء الكتاب
وفضلائهم ، وأهدى جزءاً بخطه يشتمل على ملح وغرر بخارية له ولغيره ممن
جاورهم بالحضرة ، فمما كتبه لنفسه قوله [من الطويل] :

لكلبُ عقورُ أسودُ اللون رابضٌ على صدر سوداء الذوائب كاعب^(١)
أحبُّ إليها من معانقة الذي له لحيةً بيضاء فوق الترائب^(٢)
وله [من الوافر] :

وعنينٍ يريد قيام أيرٍ بأدويةٍ لأوقات الجماع
فقلت له هلاكُ الزقِّ يوماً إذا ما احتيج فيه إلى الرقاع
ومما وجدته بخطه ، ولست أذكر أكتبه لنفسه أم لغيره من كتاب عصره لغيبة
ذاك الجزء عني ، هذه الأبيات [من المتقارب] :

وهتُ عزماتك عند المشيب وما كان من حقها أن تهني^(٣)
وأنكرت نفسك لما كبرت فلا هي أنت ولا أنت هي
فإن ذكرتُ شهواتُ النفوس فما تشتهي غير أن تشتهي

٢٢ - الحسين بن علي المروروزي

من أدب أصحاب الجيوش بخراسان وأشعرهم وأكرمهم ، وفيه يقول بعض
الشعراء لما صرف عن مرو بأحمد بن سهل ويذكر دار الإمارة فيها [من الوافر] :

(١) العقور : من عقر أي عض . وسوداء الذوائب : أي سوداء الشعر . والكاعب : الفتاة الناهد .
(٢) الترائب : أعلى الصدر .
(٣) وهت : ضعفت .

أقام بصحنها لؤمُ ابن سهلٍ وفارق ربعها كرمُ الحسينِ
وكانتُ جنةً فغدت جحيماً فيا بُعدَ اختلافِ الحاليتينِ

ومن سائر شعر الحسين قوله في أبي الفضل البلغمي لما تلتطف لإطلاقه من
حبس القمندر بهراة [من مخلع البسيط] :

ألا اسقني من زبيب شمسٍ عدوٌ همّي حبيبَ نفسي
أرقّ من دين آل تيمٍ ومن عديّ وعبد شمس
أشربُ بتذكّار من تولّى بناء مجدي بهدم حبسي

وقوله [من الكامل] :

ثنتان يعجز ذو الرياضة عنهما رأيُ النساء وإمرة الصبيانِ
أما النساء فميلهنّ إلى الهوى وأخو الصبا يجري بغير عنان^(١)

وقوله من أبيات في بعض قواده [من المتقارب] :

وجيشٍ يكون أميراً لهم قصارى أولئك أن يهزموا

٢٣ - محمد بن موسى الحدادي البلخي

كان يقال : أخرجت بلخ أربعة من الأفراد : أبا القاسم الكعبي في علم
الكلام ، وأبا زيد البلخي في البلاغة والتأليف ، وسهل بن الحسن في شعر
الفارسية ، ومحمد بن موسى في شعر العربية ، وكان يكتب للحسين بن علي
وشعره سائر مدون كثير الأمثال والغرر ، كقوله : [من مجزوء الكامل] :

إن كنتُ أشكو من يرقٍ عن الشكاية في القريض
فالفيل يضجر وهو أعظم ما رأيت من البعوض

(١) الصبا : الميل إلى اللهو والمتعة . والعنان : الزمام .

وقوله [من مجزوء الكامل] :

ألقحت منه حرمة	متوقعاً ما تنتج ^(١)
فاذا رعايته لها	والله سقط مخدج ^(٢)

وقوله [من البسيط] :

لا غرو إن كنت بحرأ لا يفيض ندى
أمسيت جاري من بين الأنام فلا
وقوله من قصيدة [من الكامل] :

كم فيك من رشأ أغن كأنما	خلقت مفاصله بغير عظام
كم قد غللت يد النديم بقهوة	شهدت بأن الغل من إكرامي ^(٣)

ومن أخرى [من الكامل] :

ما بال فرقة شملنا لا تجمع	وإلى متى يصل الزمان ويقطع
كم خلقت تلك الركاب وراءها	من منزل فيه لنا مستمتع
فالورد يلطم خده وجداً بنا	وعيون نرجسه علينا تدمع

ومنها :

ولرب كرم قد رضعت ثديه	ومن العجائب أن كهلاً يرضع
-----------------------	---------------------------

ومن أخرى [من السريع] :

أذلت فيما بيننا حرمة	كحرمة الإبريق والكأس
قدك أما يمنعك الفضل أن	رحت على عرش كناس

(١) القح : من اللقاح الذي تتوالد به الأحياء .

(٢) المخدج : بزنة اسم المفعول : المولود ناقصاً .

(٣) غللت : أعطيت وأمسكت وحملت . والقهوة : الخمرة ، والغل : الفائدة والدخل والعطاء .

ومن أخرى [من الكامل] :

وحكى سواداً في شقائق حمرة صلب الغوالي في خدود الروم
ومن أخرى [من البسيط] :

إن كان أغلق دوني بابه فلقد أعددت صبري لذاك الباب مفتاحاً
ومن أخرى [من السريع] :

يسرني من حسد الناس لي أني فيهم غير محروم
وأنتي من كرم لابس وأنتي عار من اللوم^(١)

٢٤ - أبو الفضل السكري المروزي ؛ أحمد بن محمد بن زيد

شاعر مرو وظريفها ، وله شعر مليح خفيف الروح كثير الملح والأمثال ،
كقوله [من الكامل] :

لا تعبتن على الزمان وصرفه ما دام يقنع منك بالأطراف
وإذا سلمت فلا تكن لك همة إلا دوام سلامة الألاف
وقوله [من السريع] :

ما أعجب الرزق وأسبابه كل له في رزقه بابة
مقدوره من بابه واصل والمرء لا يعرف أسبابه
وقوله [من مجزوء الخفيف] :

أشرف القصد في المطا لب للناس أربعه
كثرة المال والولا ية والعز والدعة^(٢)

(١) عار من اللوم : أي لا ملامة عليّ .

(٢) الدعة : السكينة والهدوء والبهيجة .

فارضَ منها بواحدٍ تلف ما دونه معه^(١)
دعة النفس بالكفا ف وإن لم تكن سعه
كلُّ ما أتعب النفوس س فما فيه منفعه

وقوله من مزدوجة ترجم فيها أمثالا للفرس [من الرجز] :

من رام طمس الشمس جهلاً أخطأ	الشمس بالتطيين لا تغطي
أحسن ما في صفة الليل وجدَّ	الليل حبلً ليس يدري ما يلد
من مثل الفرس ذوي الأبصار	الثوب رهنٌ في يد القصَّار ^(٢)
إنَّ البعير يبغض الخشاشا	لكنه في أنفه ما عاشا ^(٣)
نال الحمار بالسقوط في الوحل	ما كان يهوى ونجا من العمل
نحن على الشرط القديم المشترط	لا الزق منشقٌ ولا العير سقط
في المثل السائر للحمار	قد ينهق الحمار للبيطار
والعنز لا يسمن إلا بالعلف	لا يسمن العنز بقول ذي لطف
البحر غمرُ الماء في العيان	والكلب يروى منه باللسان
لا تك من نصحي في ارتياب	ما بعثك الهرة في الجراب
من لم يكن في بيته طعام	فما له في محفلٍ مقام
منيتني الإحسان دع إحسانك	اترك بحشو الله باذنجانك
كان يقال من أتى خوانا	من غير أن يدعي إليه هانا

وكان مولعاً بنقل الأمثال الفارسية إلى العربية ، فمما اخترته من ذلك بعد

المزدوجة قوله [من البسيط] :

إذا وضعت على الرأس التراب فضع من أعظم التلِّ إن النفع منه يقع

(١) تلف : تتلافى وتتدارك .

(٢) القصَّار : الذي يدق الثياب ويبيّضها .

(٣) الخشاش : ما لا دماغ له ظاهر من دواب الأرض .

وقوله [من المتقارب] :

إذا الماء فوق غريقٍ طما فقاب قنّاة وألف سوا^(١)

وقوله [من الطويل] :

إذا لم تطلق أن ترتقي ذروة الجبل لعجزٍ فقّف في سفحه هكذا المثلُ

وقوله [من البسيط] :

في كلٍّ مستحسنٍ عيبٌ بلا ريب ما يسلم الذهب الإبريز من عيب

وقوله [من الطويل] :

إذا حاكم بالأمر كان له خبرٌ فقد تمّ ثلثاه ولم يصعب الأمرُ

وقوله [من السريع] :

ما كنت لو أكرمت أستعصي لا يهرب الكلب من القرص^(٢)

وقوله [من الرمل] :

طلب الأعظم من بيت الكلاب كطلاب الماء في لمع السراب^(٣)

وقوله [من الرمل] :

ادّعى الثعلب شيئاً وطلبَ قيل هل من شاهد قال الذنب

وقوله [من الطويل] :

هو الثعلب الرواغ في مهمه سلك يرى التوفيه وما إن يرى الشبك^(٤)

(١) القاب : ما بين القبض والسيّة ، والمقدار .

(٢) القرص : يعني رغيّف الخبز .

(٣) الأعظم : جمع عظم ، والسراب الماء الذي يتراءى للمطشان في الصحراء وهو ليس حقيقة .

(٤) التوّ : الحبّل يفتل طاقاً واحداً .

وقوله [من المنسرح] :

من مثل الفرس سار في الناسِ التين يسقى بعلة الأس^(١)

وقوله [من الطويل] :

تبخر إخفاء لما فيه من عرج وليس له فيما تكلفه فرج

وقد ذكرتني هذه الامثال الفارسية قصيدة لبعض من ذهب عني اسمه وكتبت
ما اخترت منها ليقترن بما تقدمها وذلك [من السريع] :

ما أقبح الشيطان لكئه	ليس كما ينقش أو يذكر
يكفي قليل الماء رطب الثرى	والطين رطباً بلؤه أيسر
إلى شفا النار أماشي أخي	لكنني إن خاضها أصبر
أنتهز الفرصة في وقتها	وألقط الجوز إذا ينثر
يطلب أصل المرء من فعله	ففعله عن أصله يخبر
كم مأكّر حاق به مكره	وواقع في بعض ما يحفر
فررت من قطر إلى مشعب	عليّ بالوابل يشعنجر ^(٢)
إن تأت عوراً فتعاور لهم	وقل أتاكم رجل أعور
خذه بموت تغتنم عنده	الحي لا تشكو ولا تجأ ^(٣)
الباب فانصب حيث ما يشتهي	صاحبُه فهو به أخبر
والكلب لا يُذكر في مجلس	إلا تراءى عندما يذكر



(١) بعلة : بحجة ، والأس شجر معروف ويسمى الرمان .
(٢) المتعب : سيل الماء في بطن الوادي ، ويتعنجر : يسيل بالماء .
(٣) تجأ : تصرخ .

٢٥ - أبو عبد الله الضرير الأنبوري

له شعر ذكر في أهل أنبورد ، وله القصيدة التي ترجم فيها أمثال الفرس أولها

[من الطويل] :

صيامي إذا أفطرت بالسَّحْبِ ضِلَّةٌ	وعلمي إذا لم يجدِ ضربٌ من الجهل ^(١)
وتزكيتي مالا جمعت من الربا	رياءً ، وبعض الجواد أخزى من البخل
كسارقة الرِّمَّان من كرم جارها	تعود به المرضي وتطمع في الفضل ^(٢)
ألا ربُّ ذئبٍ مرٌّ بالقومِ خاوياً	فقالوا : علاه البهر من كثرة الأكل
وكم عققٍ قد رام مشية قبجة	فأنسيَ ممشاهُ ولم يمش كالحجل
يواسي الغراب الذئب في كلِّ صيده	وما صاده الغربان في سعف النخل

ومن سائر شعره قوله [من الكامل] :

وإذا أراد الله رحلة نعمةٍ
عن دار قومٍ أخطأوا التدبيراً
ومن ملحه قوله [من الوافر] :

أردت زيارة الملك المفدَّى
لأمدحه وآخذ منه رفاً^(٣)
فعبسَ حاجباً فقرأت « أما
من استغنى فأنْتَ له تصدَّى »

* * *

٢٦ - أبو محمد السلمي

كاتب متصرف في الأعمال ، حسن التصرف في ملح الشعر وظرفه ، كثير النوادر وسائر التنف ، لا يسقط له بيت واحد .

(١) ضِلَّةٌ : من الضلال أي خطأ .

(٢) خاوياً : جائعاً وبطنه فارغة ، والبهر : العجب والفخر والغلبة .

(٣) الرشد : العطاء .

أنشدني غير واحد له من أهل الأدب في الحاكم الجليل قوله [من مجزوء الرمل] :

لا رواءُ لا بهاءُ لا بيانُ لا عباره
لا يرى ردُّ سلامِ الناسِ إلا بالإشارة
أنا أهواك ولكن أين آلات الوزارة

وله أيضاً [من السريع] :

أكلُ من كان له نعمةُ أم كلُ من كان له جوسقُ
مشرفُ شيد بأركانه^(١) أم كل من [كان] له كسوةُ
يذلها في بعض أحيانه يُرى بها مستكبراً تائهاً
على أدانيه وخلانيه

وله [من السريع] :

قد كانت الضيعة فيما مضى تغلُّ من يملكها ذائبه
فأضحت الضيعة في يومنا مهجةً من يملكها ذائبه
يستغرق الغلة في خرجها ويعرض الكلفة والنائبه^(٢)
فإن يُقِمَّ صاحبها كلَّ ذا ينجُ وإلا نتفوا شاربه

وله [من مجزوء الرمل] :

يا أبا مالك النا سي أسباب التصافي
يا دعياً باتفاق عربياً باختلاف
هبك في أشرف بيتٍ لبني عبد مناف
أنا ما ذنبي إذا ما اطـمـرـدَّتْ فيك القوافي ؟

(١) الجوسق : القصر الصغير ، وهو معرب جوسه .

(٢) الحراج : ضريبة على الأرض ، والنائبه المصيبة ، أو الحمى التي تأتي كل يوم .

وله [من المتقارب] :

وكنْتُ أذمُّ أبا جعفرٍ وأعجب من أمره المهملِ
فلما بلونا أبا جعفرٍ أطلت البكاء على الأولِ

وله [من السريع] :

لو طُبِخَتْ قِدْرٌ بمطمورةٍ بالروم أو أقصى حدود الثغور
وأنت بالصين لوافيتها يا عالم الغيب بما في القدور

وله [من البسيط] :

قد كان آراؤكم فيما مضى كَرَّةً كأنما خرطتها كفُ خِرَاطٍ^(١)
فالآن تسعون رأياً من وزيركم في السوق لا تشتري منكم بغيراط

وله [من المجث] :

رأيت	ملكاً	كبيراً	كثير	مالٍ	وشحنه ^(٢)
يسوس	ذاك	وزيرٌ	قليل	عقلٍ	وفطنه
وللأمير		وزيرا	ن	يرميان	بأبنه
فلعنة	الله	تتري	على	كليلٍ	ودمنه

وله [من الطويل] :

تشكى فقلنا ثابتٌ ويزيدُ وأن فقلنا آن منه خمود^(٣)
هي العلة الموصول بالموت حبلها فإن ذهبت يوماً فسوف تعود

وله ، ويروى لغيره [من الطويل] :

تفاقر كي يخفي على الناس امرأةٌ وللناس أبصارٌ على الغيب نافذةٌ

(١) الكَرَّة : الحملة في الحرب ، ومئة ألف ، والرجعة .

(٢) الشحنة : الطعام ، والشرطة ، أو العداوة والبغضاء .

(٣) الخمود : الهدوء والسكوت .

فأبلغُ دهاة النَّاس في كلِّ بلدة بأنَّا وإنْ كنتم دهاةً جهابذه

* * *

٢٧ - أبو ذر البلخي الحاكم

قال من قصيدة في أبي العباس المأموني ، وقد وثبت رجله [من الكامل] :

إن الجبائر منك قد شدّت على قدم لها في المكرمات تقدّم
ولئن غدت مجبورة فلطالما جُير الكسيرُ بها وریش معدم^(١)

* * *

٢٨ - أبو أحمد اليمامي البوشنجي

شاعر بوشنج وغرتها ، وشعره مدون سائر ، وبلغني أن صاحب كان يحفظ

خاتية أحمد ، ويتعجب من حسنها وجودتها ، وهي [من الطويل] :

أقولُ ونوَّارُ المشيب بعارضي قد افترَّ لي عن ناب أسود سالخ
أشيباً وحاجات الفؤاد كأنما يجيش بها في الصدر مرجل طابخ
وما كان حُزني للشباب وإن هوى به الشيب عن طود من الأنس شامخ
ولكن يقول الناس شيخ وليس لي على نائبات الدهر صبر المشايخ

ومما يستحسن من شعره [من المنسرح] :

إنّ تمام السرور للمرء أن يأكل من طيّات غرس يده
وأنّ يغتنى بشعره ويولي خدمته من يحبُّ من وكده
وقد حوى بعضنا الثلاث وقد نغصها كلّها ضنى جسده

(١) ريش معدم : أثرى بعد فقر .

وقوله [من الوافر] :

لقد فكرت في أمري طويلاً فما أدري أبخل أم أجودُ
أخاف البخل من غيري ومنّي وأعلم أنه عارٌ عتيد
ويعجبني السخاءُ وأشتهيه وذاك لأنه خلُقَ حميد
فأخشى الفقر إن طاوعت جودي وعدم المال في الدنيا شديد
فأفضل ما أرى خلُقٌ وسيطٌ لذات يدي ينقص أو يزيد

وقوله ، وهو منقول من كلام بعض السلف [من الكامل] :

غالبتُ كلَّ شديدةٍ فغلبتها والفقر غالبني فأصبح غالي
إنَّ أبدِه يفضحُ ، وإن لم أبدِه يقتلُ فقْبَح وجهه من صاحب

وقوله لأبي الفضل البلغمي وقد عرض عليه الشراب [من البسيط] :

لو كنتُ واجد عقلٍ أشتريه إذا جالستُ من زينة الدنيا محيَّاهُ
لكنت أطلبه جهدي وأجمعه إلى الذي هو عندي حين ألقاه
فكيف أشربُ شيئاً لا يفارقي حتى أفارق عقلي حين أسقاه
وكتب إلى صديق له في آخر يوم من شعبان [من الطويل] :

فديتك هذا اليوم يومٌ وراءه ثلاثون يوماً للذاذة تفتكُ
فإن شئت فاحضرنا وإن شئت فادعنا إليك فما للهو في اليوم متركُ
وفي الغد إن لم تدفع الشكَّ مجزَعُ ومبكي فدعنا اليوم نبكي ونضحكُ
وله في وصف رامسية آذريون ناوله إياها عبد الحميد الحاكم وأمره بأن
يصفها . فقال [من السريع] :

أعطانيَ الحاكم من كفِّهِ رامسيةً تخبر عن ظرفه
من نور آذريون تزجى بأن جاءت بما حازته من عرفه^(١)

(١) تزجي : تساق ، تدفع برفق . والعرف : المعروف .

شَبَّهَتْهَا حِينَ تَأَمَّلْتُهَا تَأَمَّلَ الْمُبْدِعُ فِي وَصْفِهِ
بِمَدَّهِنِ مِنْ ذَهَبٍ أَحْمَرَ مَضْمُناً مَسْكَاً إِلَى نَصْفِهِ

* * *

٢٩ - أَبُو عَلِيٍّ السَّلَامِيُّ

مَنْ رَسَاتِقَ بِيَهَقٍ مِنْ نِسَابُورٍ ، كَاتِبٍ مُؤَلِّفٍ الْكُتُبَ ، مُوَفِّقٍ الْمُتَجَوِّدِ مَنْخَرُطٍ
فِي سِلْكِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُحْتَاجٍ وَبَانَهُ أَبِي عَلِيٍّ . وَلَهُ كِتَابُ التَّارِيخِ فِي أَخْبَارِ وِلَاةِ
خُرَاسَانَ ، وَكِتَابُ نَفْثِ الظَّرْفِ . وَكِتَابُ الْمَصْبَاحِ ، وَغَيْرُهَا ، وَشَعْرُهُ فِي أَشْعَارِ
مُؤَلِّفِي الْكُتُبِ كَشَعْرِ الصَّوْلِيِّ ، وَمَنْ أَشْفَى مَا وَجَدْتُهُ لَهُ قَوْلُهُ [مِنْ السَّرِيعِ] :

هَذَّبَ مَا يَكْتُبُ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَلْقَوْنَهُ
وَهُمْ مَصِيخُونَ إِلَى لَفْظِهِ فَرَامَ مِنْ قَوْلِ الْخَنَاصُونَةِ^(١)

الْبَيْتَانِ لَمْ أَسْمَعْهُمَا مِنْهُ ، وَإِنَّمَا وَجَدْتُهُمَا فِي نَسْخَتِهِ

* * *

٣٠ - أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْإِسْكَافِيِّ النَّيْسَابُورِيِّ

لِسَانَ خُرَاسَانَ وَغُرَّتَهَا ، وَعَيْنَهَا وَوَاحِدَهَا ، وَأَوْحَدَهَا فِي الْكِتَابَةِ وَالْبَلَاغَةِ ،
وَمَنْ لَمْ يَخْرُجْ مِثْلَهُ فِي الْبَرَاعَةِ وَالصَّنَاعَةِ . وَكَانَ تَأْدِبُ بَنِيْسَابُورٍ عِنْدَ مُؤَدِّبٍ بِهَا
يَعْرِفُ بِالْحَسَنِ بْنِ الْمَهْرَجَانِ مِنْ أَعْرَفِ الْمُؤَدِّبِينَ بِأَسْرَارِ التَّأْدِيبِ وَالتَّدْرِيسِ ،
وَأَعْلَمَهُمْ وَأَدْرَاهُمْ بِطَرِيقِ التَّدْرِيجِ فِي التَّخْرِيجِ ، ثُمَّ حَرَّرَ مَدِيدَةَ^(٢) فِي بَعْضِ
الدَّوَاوِينِ ، فَخَرَجَ مِنْقَطَعَ الْقَرِينِ ، وَوَاسِطَةَ عَقْدِ الْفَضْلِ ، وَنَادِرَةَ الزَّمَانِ ، وَبَكْرَ
الْفَلَكَ ، كَمَا قَالَ فِيهِ الْهَرِيمِيُّ مِنْ قَصِيدَةِ [مِنَ الرَّمْلِ] :

(١) مَصِيخُونَ : مَنْصُوتُونَ ، الْخَنَاصَةُ : الْفَحْشَى .

(٢) مَدِيدَةُ : مَدَّةٌ قَصِيرَةٌ .

سبق الناس بياناً فغداً وهو بالإجماع بكرُ الفلك
أصبح الملك به متسقاً لسليل الملك عبد الملك

ووقع في ريعان عمره ، وعنفوان أمره ، إلى أبي علي الصاغاني فاستأثره
فحسن أثره واستخلصه لنفسه ، وقلده ديوان الرسائل فحسن خبره ، وسافر أثره ،
وكانت كتبه ترد على الحضرة ، في نهاية الحسن والنضرة . وتقع المنافسة فيه ،
ويكتب أبو علي في إثارة الحضرة به ، فيتعلل ويتسلل لو إذا^(١) ولا يفرج عنه ، إلى
أن كان من كشف أبي علي قناع العصيان ، وانهازمه في وقعة جرجيل إلى
الصغانيان كما كان . وحصل أبو القاسم في جملة الأسرى من أصحاب أبي علي ،
فحبس في القمندر وقيد مع حسن الرأي فيه وشدة الميل إليه ، ثم إن الأمير الحميد
نوح بن نصر أراد أن يستكشفه عن سره ، ويقف على خبيثة صدره فأمر أن تكتب
إليه رقعة على لسان بعض المشايخ ويقال له فيها : إن أبا العباس الصاغاني قد
كتب إلى الحضرة يستوهبك من السلطان ويستدعيك إلى الشاش لتتولى له كتابة
الكتب السلطانية ، فما رأيك في ذلك ؟ فوقع تحته في الرقعة ﴿رب السجن أحبُّ
إليَّ مما يدعونني إليه﴾ .

فلما عرض التوقيع على الحميد حسن موقعه منه ، فأعجب به ، وأمر
بإطلاقه وخلع عليه وأقعده في ديوان الرسائل خليفة لأبي عبد الله كله وكان الاسم له
والعمل لأبي القاسم ، وعند ذلك قال بعض مجَّان الحضرة [من مجزوء الرجز] :

تبظرم الشيخ كله	ولست أرضى ذاك له ^(٢)
كأنه لم يرَ من	أقعد عنه بدكّه
والله إن دام على	هذا الجنون والبله
فإنّه أوّل من	ينتف منه السبله ^(٣)

(١) لوإذا : التجاءً وحماية .

(٢) تبظرم : تحتم أي لبس الخاتم ، وتبظرم إذا كان أحق وعليه خاتم ويشير به في وجوه الناس .

(٣) السبله : اللحية .

وكان أبو القاسم يهجو كما تقدم ذكره في الجزء الثاني من هذا الكتاب ومن شعره قوله [من مجزوء الرجز] :

هذا الذي يُدعى كله ما شأنه إلا البله
في رأسه عمامة مكفوفة مزملة^(١)
كأنها في لونها قدر على سفرجله

ولما توفي أبو عبد الله تولى أبو القاسم العمل برأسه ، وعلا أمره ، وبعد صيته ، وجمعت رسائله أقسام الحسن والجودة ، وازداد على الأنام تبحراً في الصناعة ، وقدرة على الإنشاءات التي يؤنس مسمعا ، ويؤيس مصنعا .

ويحكى أن الحميد أمره ذات يوم أن يكتب إلى بعض أصحاب الأطراف كتابا وركب إلى متصيده ، واشتغل أبو القاسم عن ذلك بمجلس أنس عقده وإخوان جمعهم عنده ، وحين رجع الحميد من متصيده استدعى أبا القاسم وأمره بإحضار الكتاب الذي رسم له كتبه ليعرض عليه ، ولم يكن كتبه ، فأجاب داعيه وقد نال منه الشراب ومعه طومار^(٢) أبيض أوهم أنه مكتوب فيه الكتاب المرسوم له ، فقعد بالبعد منه فقرأ عليه كتاباً طويلاً سديداً بليغاً أنشأه في وقته وقرأه عن ظهر قلبه ، فارتضاه الحميد وهو يحسب أنه قرأه من مسودات مكتوبة ، وأمره بختمه ، فرجع إلى منزله وحرر ما قرأه وأصدره على الرسم في أمثاله .

ومن عجيب أمره أنه كان أكتب الناس في السلطانيات ، فإذا تعاطى الإخوانيات كان قاصر السعي قصير الباع ، وكان يقال : إذا استعمل أبو القاسم نون الكبرياء ، تكلم من في السماء . وكان من علو الرتبة في النثر وانحطاطها في النظم كالجاحظ ، ورسائله كثيرة مدونة سائرة في الأفاق لا يسع هذا الكتاب إلا الأنموذج مما يجري مجرى الغرر والأمثال منها .

(١) مزملة : ملتفة .

وهذه فقر من كلامه

الحمد لله الذي لم يستفتح بأفضل من ذكره كلام ، ولم يستمنح بأحسن من صنعه مرام * للزمان صروف تحول ، وأمور تجول * الأخلاق تنميها الأعراق ، والثمار تنزعها الأشجار * الشكر به ذكاء النعمى ، والوفاء معه صلاح العقبي * السعيد من تحلى بزينة الطاعة ، واقتدح بزند الجماعة^(١) * العامة لا تفقه حقائق المذاهب ، ولا تعرف عواقب التآلب والتجارب * لا يشوقنك غرارة الصبا ، ولا يروقنك زخرف المنى * استعذ بالله من نزعات الشيطان ونزقات^(٢) الشبان * من خلا له الجو باض وصفه ، ومن تراخى له الليث نزا وطفه * المخذول يرفع رأسا ناكسا ، ويبل فمأ يابسا .

وهذه ملح من شعره

كتب إلى بعض إخوانه يستدعيه [من المتقارب] :

كُتبتُ من الباغِ يوم الفراغِ وذا نعمةِ آذنتِ بالبلاغِ
فأقبل فما دون لقياك للزمان وإحسانه من مساغِ
لأنك صفوة أبنائه وسائرهم فكمثل الرداغ^(٣)
رداغ بخارى ولا سيما إذا المرء لم يحتجز بالجناغ^(٤)

وقال على لسان ماوردية فضة [من مخلع البسيط] :

الحسنُ من ظاهري يلوحُ والطيب من باطني يفوحُ

(١) اقتدح بزند الجماعة : أي عمل برأيهم ومشورتهم .

(٢) النزق : الطيش .

(٣) الرداغ : الماء والطين ، أي الوحل .

(٤) الجناغ : إسم مكان .

فالنصف مني نصيبُ جسم والنصف مني نصيب روح
 وكتب إلى أبي أحمد العارض مع حب بلور مخلوط أهداه له [من المجتث] :
 بعثت للفأل حبا يسقيك صفو المحبة
 فعش لزرع المعالي ما أنبت الزرع حبة
 وكتب إلى بعض الرؤساء [من مجزوء الوافر] :

صديقك غير محتشم وأنت فغير مغتنم
 وقد أهدى كما يهدي أخو ثقةٍ لذي كرم
 فرأيك في قبول العذ ر في السكين والقلم

ذكر آخر أمره

لما انقضت أيام الأمير الحميد وملك عبد الحميد أقرأ القاسم على ديوان
 الرسائل ، وخلع عليه ، وزاد في مرتبته ، فلم تطل به المدة حتى مرض مرضه الذي
 احتضر فيه .

فحدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين الفارسي قال : كان أبو جعفر
 محمد بن العباس بن الحسين الوزير وأبو القاسم المقانعي من خلص أصدقاء
 الإسكافي وممن يكبرون عنده ، فلما مرض الإسكافي كتب إليه اللحام وكان أبو
 جعفر يلقب بطويس والمقانعي بقاشر [من المجتث] :

طويس إحدى الفواتر شوما وقاشر قاشر
 ومنهما يا أبا قاسم عليك أحاذر
 فلا يكن واحداً منهما ببابك عابر
 إن لم يكن بك شوق إلى الثرى والمقابر

ثم إنه دخل عليه عائداً فوجد عنده أبا جعفر بن العباس بن الحسين وأبا القاسم المقانعي وابن مطران ، فقال [من الرجز] :

ثلاثة أودوا بفدٍّ عصره	أودوا به في عنفوان أمره
قصده يوماً بعيد فجره	وكان قلبي مولعاً بذكره
لفضله ونبله وفكره	إذا طويس جالس في نحره
وقاشر قد انبرى من قشره	عن سلة الشؤم وعن قِمَطْرِهِ ^(١)
فقلت قد أعوز جبر كسره	من بعد ما كان دنا من جبره
وقد تقضى فاطوره بغيره	الشأن فيمن هم على ممره ^(٢)

ولما انتقل إلى جوار ربه أكمل ما كان شاباً وآداباً وغدت لفراقه الكتابة شعناء . والبلاغة غبراء ، أكثر فضلاء الحضرة رزيتة ، وأكثروا مرثيته ، فمما أحاضر به الآن قول الهرثمي الأبيوردي من قصيدة ، منها [من الطويل] :

ألم ترَ ديوان الرسائل عَطَّلَتْ	لفقدانه أقلامه ودفاتيره
كثغري مضى حاميه ليس يسده	سواه ، وكالكسر الذي عزَّ جابره
ليبك عليه خطه وبيانه	فذا مات واشيه وذا مات ساحره

(١) القمطر : ما تحفظ فيه الكتب ، أو القربة .

(٢) ممره : شاكلته - طريقه .

الباب الثاني

في ذكر العصريين المقيمين بالحضرة البخارية
والطارئين عليها، والمتصرفين في أعمالها

وتوفية الكتاب شرطه من ملح أشعارهم وظرف أخبارهم .

كانت بخارى في الدولة السامانية مثابة المجد ، وكعبة الملك ، ومجمع
أفراد الزمان ، ومطلع نجوم أدباء الأرض ، وموسم فضلاء الدهر .

فحدثني أبو جعفر محمد بن موسى الموسوي قال : اتخذ والدي أبو الحسن
دعوة ببخارى في أيام الأمير السعيد جمع فيها أفاضل غربائها كأبي الحسن
اللاحام ، وأبي محمد بن مطران ، وأبي جعفر بن العباس بن الحسن ، وأبي محمد
ابن أبي الثياب ، وأبي النصر الهرثمي ، وأبي نصر الظريفي ، ورجاء بن الوليد
الأصبهاني ، وعلي بن هرون الشيباني ، وأبي إسحاق الفارسي ، وأبي القاسم
الدينوري ، وأبي علي الزوزني ، ومن ينخرط في سلكهم ، فلما استقر بهم
مجلس الأنس أقبل بعضهم على بعض يتجادبون أهداب المذاكرة ، ويتهادون
رياحين المحاضرة ، ويقتفون نوافج الأدب ، ويتساقطون عقود الدر ، وينفثون
في عقد السحر . فقال لي أبي : يا بني هذا يوم مشهود مشهور ، فاجعله تاريخاً
لاجتماع أعلام الفضل وأفراد الوقت ، واذكره بعدي في أعياد الدهر ، وأعيان
العمر ، فما أراك ترى على السنين أمثال هؤلاء مجتمعين ، فكان الأمر على ما
قال ، ولم تكتحل عيني بمثل ذلك المجمع .

٣١ - أبو الحسن علي بن الحسن اللحام الحراني

من شياطين الإنس ، ورياحين الأنس ، وقع إلى بخارى في أيام الحميد ،
وبقي بها إلى آخر أيام السديد ، يطير ويقع ، ويتصرف ويتعطل ، ويهجو وقلم
يمدح ، وكان غزير الحفظ ، حسن المحاضرة ، حاد البوار ، سائر الذكر ، ساحر
الشعر ، خبيث اللسان ، كثير الملح والغرر . رامياً من فيه بالنكت ، لا يسلم أحد
من الكبراء والوزراء والرؤساء من هجائه إياه ، وكان لا يهجو إلا الصدور .

فحدثني أبو بكر الخوارزمي قال : تحككت وأنا أحدث باللحام فقلت فيه
[من السريع] :

رأيتُ للحمِ في حلقة	للشعر تطبيقاً وتجنيساً
نخوة	فرعون
ولكنه	جانس في حمل العصا موسى
قرينه	إبليس
لكنه	خالف في السجدة إبليساً

وأردت بذلك فتح باب إلى مهاجاته ، فلم يجبني وجرى على قضية قول
المتنبي [من الطويل] :

* وأغيط من ناداك من لا تجيبه *

قال مؤلف الكتاب : لم أر للحام ديوان شعر مجموعاً ، فعنيت بجمع
تفاريقه وضم منتشره ، ثم اخترت منه ما يصلح لكتابي هذا ، فمن ذلك قوله في
الشكوى [من المنسرح] :

قد نفدتُ لأعدمتك النفقة منذ ثلاثٍ فمهجتي قلقة
وليس في البيت ما يباع وما يرهن إلا دراعة خِلَقه^(١)

(١) دراعة خلقه : الدراعة جبة من صوف مشقوقة المقدّم ، وخلقه : بالله .

وقوله [من الرمل] :

كنتُ من فرط ذكاءٍ واشتعالِ كتلّظّي النار في الجزل اليبسِ
فتلبّدتُ ولا غرو إذا خفّ كَيْسُ المرء مع خِفّة كَيْسٍ^(١)

وقوله [من الكامل] :

أنا من وجوه النحو فيكم أفعُلُ ومن اللّغات إذا تعدّ المهملُ
حتّام لا ينفكُّ لي بفنائكم أملٌ يخيب وعود ظنّ يذبل
حالٌ ترشّفتِ الليالي ماءها وتجمّلٌ لم يبق فيه تحمّلُ
هذا وإن أقفلتَ باب مطامعي دوني فما لله بابٌ يقفل

وقوله [من الكامل] :

ذابتُ على قومٍ سماؤك بالندی ويدي تردد تحت غيمٍ جامدٍ
وأنا الذي إنْ جُدْتُ لي أو لم تجد لك في الشناء على طريقٍ واحدٍ

وقوله لما صرف عن بريد الترمذ بابن مطران [من مجزوء الخفيف] :

قد صُرفنا وكلُّ من كان من قبلنا صُرف^(٢)
وصرفنا بشاعرٍ نعته ليس ينصرف
أي أنه أحمق ، والأحمق لا ينصرف .

وقوله لما تقلد عمل الإخصاء دفعات [من مخلع البسيط] :

قد صار هذا الإخصاء رسماً علي كالرسم في المظالم
وصرت أدعي به كآني ولدت في طالع البهائم

(١) الكَيْسُ : الظرف والفطنة .

(٢) في الأصل : « قبلنا قد صرف » ولا يستقيم عليه الوزن .

وقوله [من الوافر] :

وأرجو أن يُسهَّلَ لي وصولُ إلى المنشور من قبل النشور^(١)

مدحه

قوله في أبي جعفر العتيبي [من البسيط] :

الشيخ أكبر من قلبي وإكثاري لكن أحلّي بذكر الشيخ أشعاري
وأعتبُ الدهر إذ عاتبته بفتى من آل عتبة نفاعٍ وضرارٍ
كأنما جاره في كلِّ نائبةٍ جار الأراقم في أيام ذي قار^(٢)
يُجري المكارم في لاءٍ وفي نعمٍ فالناس في جنّةٍ منه وفي نارٍ

وقوله في الحسن بن مالك [من الوافر] :

لبسنا كل داجي اللون حالِكٌ وقطعنا المسالكَ والممالكَ
وأعملنا السُرى حتى نزلنا بزَمٌ في ذرى الحسن بن مالك^(٣)
فتى قد حاز إفضالاً وفضلاً ولم يحل بها إلاً لذلك
فقل للدهر كدٌ غيري رجالاً فلسنا بعد هذا من رجالك^(٤)

(١) النشور : البعث أو القيامة .

(٢) الأراقم : الأفاعي السامة .

(٣) بزَمَ : في زمام ، وقيادة الحسن بن مالك .

(٤) كدٌ : من المكيدة : وهي الخداع وإرادة السوء .

ما يستملح من أهاجيه

قال في الحاكم الجليل [من الرجز] :

قولا لنوحٍ ثم للفتكين لشؤم هذا الحاكم اللعين
سللتما عن مثل ملك الصين كسلّة الشعر من العجين

وقال في القحطي [من مجزوء الكامل] :

أما الهمام فهمّة في صون ملك المشرق
والقحطي فللذي يهواه غير موفّق
ومتى يوفّق من له في طيّ ذاك اليلمق^(١)
شبره يبيع الدين فيه بفلذو أو جردق^(٢)
ويدر كأنّ بنانها قطعت مخازن زئبق
لو دقّ كلتا مرفيه لجبه لم يُرقّق
أو شكّ حبة قلبه في جبّه لم ينطق
يختال بين مخنث ومواجرٍ مسترزق
فكان من يغشاهما في جنح ليل مغسق^(٣)
من ذاكر أضيف جفنة في الزمان الأسبق

وقال وأبدع في تضمين هجائه بيتاً للنابعة في وصف الأحقوان [من الكامل] :

يا سائلي عن جعفر علمي به رطب العجان وكفه كالجلمد
(كالأحقوان غداة غبّ سمائه جفّت أعاليه وأسفله ندي)

(١) اليلمق : الثوب المشوّ .

(٢) الجردق : الرغيف .

(٣) الغسق : الظلام .

وقال في أبي جعفر العتيبي [من الرجز] :

تغيّرت أخلاق هذا العتيبي وصار لا يعرف غير العتبِ
وغير ضربٍ دائمٍ وسبٍّ وقد حشا فصار مثل الدبِّ
* عليه ألف لعنة من ربي *

وقال فيه [من مجزوء الخفيف] :

ما لقينا من القصير العريض الملزّ
كان حرّاً فصار نبزاً على كلٍّ أنبز^(١)
عذب الله نفسه في حبوس القمندز^(٢)

وقال فيه [من مخلع البسيط] :

برئت من وائلٍ وبكرٍ ومفجرٍ وابلٍ وبكرٍ
إن جئتكم طالباً لشغلٍ وأحمد بن الحسين صدر

وقال في قوم من صنائعه وأصحابه [من السريع] :

صنائع الشيخ سوى حمدٍ بياق الشطرنج والنرد
منهم أبونصر وسبحان من براه من أسطمة البرد^(٣)
ولعنة الله على بعضهم وهو أبو بكر بن شهرم
وبعد لولا الحفظ للعهد لقلت في المضطرب القد
فارجع إلى حمدٍ فما فيهم يا سيدي أنذل من حمد

(١) في الأصل « نبز كل أنبز » ولا يستقيم الوزن عليه .

والنيز : العيب ، أو اللثيم في حبه وأخلاقه .

(٢) القمندز : اسم فارسي .

(٣) أسطمة : وسط ، والأسطمة : لجة البحر .

ويحكى أن حمد بن شاهمرد لما سمع الأبيات اهتز لإخراجه إياه من جملة من هجاهم ، فلما سمع البيت الأخير استرجع وقال : ليته أجراني مجراهم ولم يخصني بالذم .

وقال يوما أبو أحمد بن منصور للحمام : قد هجوتني ؟ قال : لا ، قال : فاهجني وخلاك الذم ، وقدم إليه القرطاس والدواة ، فكتب [من البسيط] .

قالوا أبو أحمد حرّفتك لهم حرّ لعمرى ولكن فاكسروا الحاء فإن أردتم محالاً أو به سفهاً فأبدلوه بياءً وانقطوا الرء

وقال لأبي طلحة قسورة بن محمد [من المجث] :

إني امرؤ يا أبا طلحة بنصحك صب
هذا زمانك فاختم بالطين ، والطين رطب
وقد وعظمتك إن كنت للمواعظ تصبو
وإن رجوتك من بعدها فإني كلب
أحسن فمالك عذر وماعلى الدهر عتب
فإن سقيا الليالي فيها أجاج وعذب^(١)

وقال [من مجزوء الخفيف] :

يا أبا طلحة استمع قول من فيك قد صدق
لك وجه كآته صيغ من قمقم خلق^(٢)
وخلال إخالها من كنيف قد انبت^(٣)
قم فلا خير فيك يا خلق الخلق والخلق

(١) الأجاج : المالح ، والعذب : الفرات السائغ للشراب .

(٢) خلق : بالي .

(٣) الكنيف : المرحاض .

وقال في بطة بن كوسيد وفي أبي مازن قيس بن طلحة وأبي يحيى الحمادي
[من مجزوء الرمل] :

ملك الديوان قيسُ وأبو يحيى وبطُّه
كلُّهم أخزاهم اللهُ على الأحرار سخطه
ليس فيهم من يساوي في نفاق السوق ضرطه
وفي أبي يحيى [من مجزوء الرمل] :

تكذب الكذبة جهلاً ثم تنساها قريباً
كن ذكوراً يا أبا يحيى إذا كنت كذوباً
وقال في بطة [من السريع] :

ولا تدعُ قطُّ قفا بطه فإنه قد صار كالبطة^(١)
أثرى بمرو بعد أن لم يكن يملك إذ حلَّ بها ضرطه
قال في ابن حسان [من المجتث] :

بالراح أقسم صرفاً والعود والسرنا^(٢)
أن ابن حسان في حا ل شدو ورخاء
ما آثر الباغ إلا لفرط داء البغاء
حتى إذا عزَّ أيرُ أنحى على القشاء

وقال في تميم بن حبيش [من مجزوء الرمل] :

يا تميم بن حبيش كل ذاك الطيش أيشُ

(١) وقع هذا البيت في الأصول ،

لا تدع قط قفا بطه فإنه صار كالبطة
ولا يتفق وزنه مع وزن البيت بعده .

(٢) السرناء : آلة موسيقية تشبه العود .

إنما أنت وكيلُ الباب لا صاحب جيشٍ
قد تبظّرت وقدماً كنت في أنكد عيش
كنت ذمياً فصرت اليوم في أعلى قريش

وقال من نتفه [من الطويل] :

ويبرز للرائين وجهاً كأنما كساه إهاباً من قشور الخنافس^(١)

وقال في أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين [من المجث] :

محمد بن علي سبط الحسين بن حامد
وافى فسرّ ولي به وأكمد حاسد
قد قلت لما بدالي في مسك بعض الأسود
الحمد لله شكراً قد زاد في الزط واحد^(٢)

وقال في أبي علي البلعمي [من المنسرح] :

وزارة البلعمي	منقلبة	وهو كقفل غدا على خربة
لم يرع للأولياء	حرمته	فيها ولا للوجوه والكتبه
قد قلبت وجهه كل	مكرمة	متى تراها عليه منقلبة
فهو أحق الوري	بداهية	تضحى له رأسه على خشبة

وقال فيه والعتبي منفي إلى بست [من الرجز] :

متى أرى الشيخ الذي بست كالبدر يبدو طالعاً في الدّست

* لحيّة هذا البلعمي في استي^(٣) *

(١) الإهاب : الجلد .

(٢) الزط : العبيد السود .

(٣) الاست : المؤخرة .

وقال فيه [من البسيط] :

أبا عليّ أنلني بعضَ آمالي يرضيك أيري وإن لم ترضِ أقوالي
إن كان ساءك أقوالٌ نطقت بها فسوف يرضيك عني حسن أفعالي

وقال في ابن عزيز [من المتقارب] :

إذا فُقدَ البؤس في بلدٍ وأعوز وجدانه في العويرِ
ولم يوجد الجود في مجلسٍ سحيق الأقاصي ولا قعر دَيْرِ
فمعدن وجدانه حاضرٌ خوانٌ محمد بن العزيزِ
خوانٌ عظيمٌ ولكنَّهُ خليّ الجوانب من كلِّ خيرِ
فتى لا يرجى على الحادثات لتقريب خيرٍ ولا دفعِ ضيرِ
كثير التنقل في داره فمن أصل أيرٍ إلى أصل أيرِ
فغلتمه بطوفون من دبره حول ديرِ
بقناديلهم

وقال فيه [من المتقارب] :

طعام محمد بن عبد العزيز تُداوى به المعدةُ الفاسدةُ
حشائش بقراط معجونةُ به وعقاقيره الفاردةُ
جرادقه درّةُ ذرّةُ على عدد الفتية الواردة^(١)
على عدد القوم رغفانه فلست ترى لقمةً زائدةُ
أرى الصوم في أرضه للفتى إذا حلّها أعظم الفائدةُ

وقال فيه [من المجتث] :

لقيتَ أشأمَ طيرٍ وسرتُ أنكد سيرِ
مواصلاً كلَّ شرٍ مجانِباً كلَّ خيرِ

(١) الدرّة : اللين ، أو الدم ، أو السوط الذي يضرب به .

وذرّة : أي صغيرة الحجم ، أو أنها مصنوعة من الذرة .

طارت عليك نحوسٌ تجري بأشام طير
فأنت خنزير خلقٍ تغدو بأخلاق غير^(١)
وليس يعرف ما قد حوى قميصك غيري
إن ساء فيك مقالتي فسوف يرضيك أيري

وقال في غيره [من البسيط] :

تشى بما فيك من سوء التناشيم ياوي إليها الخنا والجهل والبكم^(٢)
حماك حلٌ ومن ياويه مبتذلٌ لنايكيك وما في كفك الحرم
قسِمتَ نصفين علوشانه بخلٌ عند السؤال وسفل زانه كرم
يا كاتباً كلما أفنى أدراجهُ دس الطوامير في وجعائه الخدم
إن الكتابة أمست غير طاهرة مذ حاض في يدك القرطاس والقلم

حدثني أبو القاسم الألباني ، قال : بني أبو الفضل القاشاني داراً سرّ بها فلما
فرغ منها سأل اللحام وقد دخل إليها مهنتاً أن يدور فيها ويتأملها ففعل وأنشأ يقول
[من البسيط] :

متى أراها ينادي حولها البوم وللنساء بها نوحٌ وتلطيمٌ
متى أراها يباباً لا أنيس بها متى يقامُ على الشيخ الماتيمٌ
إسمع أبا الفضل لا أسمعت صالحةً يا كلبُ يا قرد يا خنزير يا بومٌ

وأنشدني أبو القاسم قال : أنشدني اللحام لنفسه في علي بن الحسين [من
الطويل] :

إلى الله أشكو أهل يزد بأسرهمُ وألعن شخصاً جاء من جانبي يزد

(١) العير : القافلة من الحمير والجمال والبغال .

(٢) الشيم : المزايا والأخلاق ، والخنا : الفحش ، والبكم : من الأبيكم وهو الأخرس .

زنجياً إلى أبناء ساسان ينتمي بوجه عريق اللؤم في نسب الهند^(١)
 إذا عدّ أهل الخير كان بضدهم وإن عدّ أهل الشرّ لم يكّ بالضدّ^(٢)
 لساناً إلى البهتان أهدى من القطا وكفّ على العدوان أعدى من الفهد^(٣)
 فأخرسه ربّ على ذاك قادرٌ وأفرد كفيه جميعاً من الزند
 وأنشدني غيره له في الحاكم الجليل [من الكامل] :

بعد الخمول غدوت صدر الموكب وجررت كبراً ذيل كلّ تسحب
 يا من يمرّ على الورى متبظراً أنظر إلى أطلال دار المصعبي
 وله في أبي مازن لما صرف عن الديوان وأمر بلزوم منزله [من المتقارب] :
 أبو مازن لازم منزله وأصبح في الناس لا ذكر له
 رماء الزمان بأحدثه ومن حيث أخرجه أدخله
 وله فيه وفي أبي بكر محمد بن سباع [من البسيط] :

مضى أبو مازن لا ضير وارتفعت تهبّ لابن سباع ريح إقبال
 كذلك الدهر في تصريفه عجبٌ ما زال يبدل أنذالاً بأنذال
 وله في أبي جعفر بن العباس وابن مطران [من السريع] :

عاد إلى الحضرة إثنان طويس والنذل ابن مطران
 اثنان ما إن لهما ثالثٌ إلّا عصا موسى بن عمران

وقال في ابن مطران من أبيات [من المنسرح] :

ما زال بالشاش فوق باكية يسقط حتى احتواه مسقطه
 وكاد فيمن يموت من سغبٍ هنا لولا استه وبربطه^(٣)

(١) الزنيم : كثير الزناء أو ابن زناً .
 (٢) البهتان : الزور والكذب ، والقطا : طائر في حجم الحمام يعيش في الصحراء خصوصاً .
 (٣) اليربط : العود ، والسغب : الجوع .

وله فيه [من السريع]:

هذا الشويشي الذي وافى لسانه معتقلاً فافا
يخالف الرحمن في قوله (لا يسألون الناس إلحافاً)

وقال في بعض الحكماء [من الوافر]:

قلنسوة على رأس صليب مساحته جريبٌ في جريب^(١)
وإنَّ يدي وهامته ونعلي قريبٌ من قريبٍ من قريب

وله في أهل خوارزم [من الكامل]:

ما أهل خارزمٍ سلالة آدم ما هم وحق الله غير بهائم^(٢)
أترى شبيه رءوسهم ولغاتهم وصفاتهم وثيابهم في العالم
إن كان يقبلهم أبونا آدم فأنا بريءٌ من أبينا آدم

وله فيهم وقد حصل على عمل البريد بها [من مخلع البسيط]:

لا نال من ربّه مناه ولا شفاه ولا رعاة
من سامني الكون في بلادٍ رءوس سكانها جباه
أغدو بلا مؤنسٍ وأمسي إمساء من ليله ضحاه
لدى خسيس يظنّ تيهاً أن ليس في ذا الورى سواه
له ثنايا كأثما قد عضّ بأطرافها خراه

وقوله [من البسيط]:

وقائل لي دَنَسَتْ النجاء بمنّ يدنّسُ ان أقعى وإن شردا^(٣)

(١) الجريب : القفّة ، آنية تكال فيها الحبوب .

(٢) ورد صدر هذا البيت :

« ما أهل خوارزم سلالة آدم » .

وهو غير مستقيم الوزن فأصلح على الشكل الذي أتيت فيه .

(٣) عجز هذا البيت لا يظهر لنا فيه وجه يستقيم عريّة .

فقلت أنصفت لكن هل سمعت بمن
وله [من الكامل]:

يا رب لا ترضي الذي يرضى
يارب لا ترضي الذي يرضى
إن لم يكن خسفٌ فلا عجب

وقله [من الخفيف]:

قلقل الله ماضغيك وفكك
كم تصلي على جنائز موتا

وله [من البسيط]:

عبدان هامتہ للصفع معتاده
كان أيدي الندامى في تناولها

وله [من الكامل]:

سبحان ذي الملكوت من متقدس
داءان كانا في الملوك فأدبرا

وله في أبي عبد الله الشبلي يهجو [من الرجز]:

وألفُ أيرٌ من أيورِ الزنج
بلا حزامٍ وبلا برطنج
مضروبة في رقعة الشطرنج
في إست بعض الناس من بوشنج

* * *

(١) قلقل : حرك ، وفكك وبث : قطع .

(٢) خنس : رجع وتحنى ، واستخفى ، وخنس القول : أساءه .

ما علق بحفظي في فنون شتى

قوله في الغزل [من مجزوء الخفيف]:

ما	على	مُسْقَمِي	بِأَلْ	حَاطِظَة	لَوْ	تَرْفُقَا
لَكَ	حَلٌّ	دَمِي	فَرَأَ	يَكُ	فِيهِ	مَوْفَقَا
أَنَا	لَا	شَكَّ	مَيِّتٌ	فَلَكَ	الْعَمَرُ	وَالْبَقَا

وقال في استهداء الشراب [من المنسرح] :

عَنْدِيْ	يَا	سَيِّدِيْ	وَمَوْلَايِيْ	مَنْ	بِهَوَاهُ	قَدْ	طَالَ	بِلَوَايِيْ		
وَقَدْ	رَأَى	أَنْ	يَبِيْتُ	مَبْتَدِئاً	وَكَانَ	مَا	قَدْ	رَأَاهُ	مَنْ	رَائِيْ
وَلَيْسَ	عَنْدِيْ	مَنْ	الْشَّرَابِ	لَهُ	وَحَقٌّ	مَا	بَيْنَنَا	سَوَى	الْمَاءِ	

وقوله لبعض الوزراء [من الكامل]:

إِنْ	السَّذِينَ	مَشَوْا	إِلَيْكَ	عَلَى	دَمِيْ	لَمْ	أَصْغِرْ	فِيكَ	لَهُمْ	وَهُمْ	عَذَالِيْ
حَتَّى	إِذَا	مَا	اسْتَيَّسُوا	مَنْيَ	سَعَوْا	وَوَشَّوْا	بِمَا	لَمْ	يَجِرْ	قَطُّ	بِبَالِيْ

وقوله [من مجزوء الرجز]:

إِنِّيْ	اعْتَلَلْتُ	عَلَّةً	سَقَطَتْ	مِنْهَا	فِي	يَدِيْ				
وَكَانَ	فِي	الْإِخْوَانِ	مَنْ	لَمْ	أَرْهَمْ	فِي	الْعَوْدِ			
فَقُلْتُ	فِي	كُلِّهِمْ	قَوْلَ	أَمْرٍ	مَّقْتَصِدٍ					
أَيُّ	الَّذِي	قَدْ	عَادَنِيْ	فِي	أَسْتِ	الَّذِي	لَمْ	يَعُدْ		
وله [من مخلع البسيط]:										

بَعَثْتُ	يَا	سَيِّدِيْ	بِقَرْعِهِ	فَبَلَّهَا	لِيْ	وَلَوْ	بَجَرَعِهِ
فَعَنْدَنَا	أَمْرَدٌ	قَبِيحٌ	لَكُنْهُ	فِي	الْفَسَادِ	بَدْعُهُ ^(١)	

(١) الأمرد : الشاب الذي طلع شاربه ولم تنبت لحيته .

وله من قصيدة [من البسيط]:

من ماء وجهي إلا خلتُ ذاك دمي	ما إن أرقْتُ بحرصي قطرةً فجرت
إلا تمنيتُ أني ما مشت قدمي	ولا مشت قدمي في حظٍّ مطعمة
قدمت أجري على حالٍ ولم يدم	جارت دهمي زماناً راكباً طعمي
يوماً ولم أرمطوعاً على الكرم ^(١)	فما رأيت بخيلاً حال عن بخل

* * *

ذكر نبد من هجائه

قال ابن مطران فيه [من مجزوء الوافر]:

أبا حسنٍ ألا قلَّ لي ويئنُّ منتهى أدبكُ
بأية حيلةٍ قوِّمت عطف الحاء من لقبك

وقال أبو جعفر محمد بن العباس الوزير فيه [من الهزج]:

من احتاج إلى السيف	فما في فيك يكفيك
وما جارحةٌ فيك	لنا أجرح من فيك
وأطراف المساويك	لثَّبي عن مساويك

وقال فيه [من الكامل]:

إن الذي أفنى الخطيئة بعدما	أفنى الهجاء وباء بالآثام
وأباد هجاء الخلائق دعبلاً	من بعده وفنى بني بسَّام
سيرد أعراض الكرام بمنه	ولطيف قدرته من اللِّحام

(١) حال : أي تحوّل وتغيّر .

وقال أبو نصر الهزيمي [من البسيط]:

لم لا تبعُ ولم لا تشتري اللحم ياشرُ من شتم الأحرار أو شتما
لقد صددت عن القول الجميل فما فتحت مذ كنت إلا بالقبيح فما
عميت من طول ما تهجو الكرام ومن عمي الفؤاد بدا في ناظريك عمي

* * *

ذكر آخر عمره

لما لم تزده الشيخوخة إلا بذاء ، وتولعاً بأعراض الأحرار ، ومجاهرة بالوقعة في المحتشمين والكبار ، ولم يسلم منه أحد من أصحاب السيوف والأقلام ، وشاع من شنيع هجائه للبلعمي ما يبقى على الأيام ، وساءت الآراء فيه ، واتصلت الشكايات منه ، خرج الأمر السلطاني بتأديبه وعرك أديمه . وتطهير الحضرة من خبث أقاويله ، فأنفذ إليه وإلى الشرط مسودا امثل فيه الأمر ، ولزمه حتى عبر به النهر ، فقال فيه ابن مطران الطويل]:

لسانك يا لحام ألقاك في ورطه ومزدحم الأسواء لاقاك بالضغطه
لئن كان لم يدبغ لسانك دابغُ لقد أحسنت بالأمس دبغ استك الشرطه
إلى كم تسوء الناس عيشك سالماً فمت هرمأ يا كلب إن لم تمت عبطه^(١)
ولا نلت ما عمّرت خيراً ولم تزل لدائرة الأسواء رأسك كالنقطة

ثم إن البلعمي ندم على استحيائه ، وخاف بادرة لسانه ، وعلم أنه لم يتوجه إلا لتلقاء نيسابور . فكتب إلى صاحب الجيش أبي الحسن بن سيمجور - وكان قد هجاه أيضاً - في إذكاء العيون عليه ، والجد في تحصيله ، وكفاية شغله ، ووافق ورود الكتاب قدوم اللحم نيسابور ونزوله خان وشمكير ، فم يشعر إلا بهجوم من أزعجه وحمله وضبته^(٢) على البغال سائراً به إلى قائن ، وهو مريض لا يقل رأسه ،

(١) مات عبطة : أي مات شاباً صحيحاً .

(٢) ضبته : حملة فوق ضبته ، والضبن ما بين الإبط والخاصرة .

فلما شارف المقصد قضى نحبه ، ولقي بصحيفته السوداء ربه .

* * *

٣٢ - أبو محمد المطراني ، الحسن بن علي بن مطران

شاعر الشاش وحسنتها وواحدھا ، فإنھا وسائر بلاد ما وراء النھر لم تخرج مثله إلا أبا عامر إسماعيل بن أحمد بعده ، وكان ابن مطران بخير وحسن حال یرد الحضرة بالمدح ، وينصرف بالمنح ، ويتصرف في أعمال البرد بما یرتفق به ويرتزق منه ، وشعره مدون كثير اللطائف .

حدثني السيد أبو جعفر محمد بن موسى الموسوي قال : كنت ببخارى كثيراً ما تجمعني وابن مطران ، فأرى رجلاً مضطرب الخلقة من أجلاف العجم ، فإذا تكلم حكى فصحاء العرب ، على حبة يسيرة في لسانه ، وكان يجمع بين أدب الدرس وأدب النفس ، وأدب الأنس ، فيطرب بنثره ، كما يطرب بشعره ، ويؤنس يهزله ، كما يؤنس بجده ، وقد عيره اللحم في بعض أهاجيه ، وكان بينهما سوق السلاح قائمة فيتهاجيان ويتهاثران ولا يكادان يصطلحان . وكان اللحم یربي عليه في الهجاء ، ولا يشق غباره في سائر فنون الشعر ، وبلغني أن ديوان شعر ابن مطران حمل إلى حضرة الصاحب فأعجب به فقال : ما ظننت أن ما وراء النھر يخرج مثله ، ومر له في الشراب المطبوخ [من الوافر] :

وراح عذبتھا النارُ حتى وقتُ شرابها نار العذاب
يُذِيبُ الهمَّ قبل الحسولونَ لها في مثل ياقوتٍ مُذابٍ (١)
ويمنحها المزاج لهيبُ خدٍّ تشربُ ماؤه ماء الشباب

فتعجب من حسن البيت الأول وتحفظه ، وكان كثيراً ما ينشده ، ويقول :

(١) الحسو : من الاحتساء أي الشرب .

كأنه مقلوب قول السرى في الخمر [من البسيط]:

هات التي هي يوم الحشر أوزارُ كالنار في الحسن عقبى شربها النار

ومن سائر شعره قوله في أبي علي البلعمي من قصيدة أولها [من المتقارب]:

ألمَّ المشيب برأسي نذيرا	وولّى الشباب بعيشي نضيرا
وأصبح ضوء صباح المشيب	لغربان ليل شبابي مطيرا
كذاك إذا لاح نُورُ البكور	لسود الطيور هجرن الوكورا
هو الشيب مخبره مظلمٌ	وإن كان منظره مستنيرا
وقد كان إظلامه في العيو	ن يجلو العيون ويشفي الصدورا
فأعجبٌ بلون سوادٍ أثارُ	ولون بياضٍ أبى أن ينيرا
كأنَّ الغواني رمد العيون	يطالعن من شيب فودي ^(١) نورا
إذا هنَّ قابلن نور المشيب	أدرن على ذلك النور نورا
وإن هنَّ واجهن زور الخضا	ب أعرضن عن ذلك الزور زورا ^(٢)

ومنها في المدح [من المتقارب]:

بلوناك حين يرجى الولي ^١	عرفاً ويخشى العدو النكيرا
فلم تك إلا اختياراً نفوعاً	ولم تلك إلا اضطراراً ضرورا
ولم ترد الشر إلا جزاءً	أراد بك الله خيراً كثيراً
ولولم تخف سوء ظنَّ الشكور	لما كنت بالسوء تجزي الكفورا

وله من قصيدة [من مجزوء الكامل]:

ترمي مكايده العدو	بما التحفظ منه ضائع
من واقعاتٍ بالمقا	تل قاتلاتٍ بالمواق

(١) فودي: الشعر الذي على جانب الرأس مما يلي الأذنين .

(٢) زور الخضاب : الزور : الكذب ، والخضاب الصباغ الذي يصنع به الشعر لإخفاء الشيب فيه .

وله من تشيب قصيدة [من البسيط]:

أخو الهوى يستطيلُ الليل في سهره والليل في طوله جارٍ على قدره
ليل الهوى سنة في الهجر مدته لكنّه سنة في الوصل من قصره^(١)

وله في مثل هذه الصنعة وإن كانت في معنى آخر [من البسيط] :

كان التصرف في خفض وفي دعة أقلّ مدته فيما يقال سنه
فالآن قد صار من شؤمٍ ومن نكبر بالخفض من سنة حتى يقال سنه

وله في استهداء العنب [من مخلع البسيط]:

يا أحمدَ الأكرمين سيرة	فيهم وأذكاهم سريره
ومن بهماته العوالي	أضحت عيون العلا قريره
ومن يرى بشره بشيراً	أماجه ثرة غزيره
لترمني راحتك شهاباً	مضلعاتٍ ومستديره
أشبَّ العنبر المعلّى	مسكاً به دهمه يسيره ^(٢)
بلادٌ مجموعها ثلاثٌ	الهند والترك والجزيره
ولا يكن حبسها طويلاً	عني وأعدادها قصيره

وله من نيروزية [من الخفيف]:

قد أتاك النيروز وهو بعيد مرّ من قبله قريباً رستيل
سلّ سبيلاً فيه إلى راحة النفس براح كأنها سلسبيل
واشتمالاً على السرور وهل يجمع شمل السرور إلاّ الشمول^(٣)
وهدايا النيروز ما يفعل النا س ولكن هديتي ما أقول

(١) السنة الأولى : العام، والسنة : اللحظة القليلة ، الغمضة الغفلة .

(٢) أشبَّ : جمع وخلط ، والدهمة : السواد .

(٣) الشمول : الحمرة .

وله من تشبيب قصيدة [من الوافر]:

مهفهفة لها نصفاً قضيبٌ كخوط البان في نصفٍ رداح^(١)
حكّت ليناً ولوناً واعتدالاً ولحظاً قاتلاً سمر الرماح

وله أيضاً من تشبيب قصيدة أخرى [من الطويل]:

ظباء أعارتها المها حسن مشيها كما قد أعارتها العيون الجآذر^(٢)
فمن حسن ذاك المشي جاءت فقبلت مواطىء من أقدامهن الضفائر

أخذه من قول ابن الرومي فزاد فيه وحسنه [من المنسرح]:

ووارد فاحمٍ يقبل ممشاه إذا اختال مشية عذره

وقال في استهداء حنطة في سنة قحط ببخارى [من الرجز]:

يا أيها ذا السيد المؤمل	أرسي من الدهر عليّ كلكل
يكاد أن ينفك منه المفصل	ثلاثة عيشي بهنّ مثقل
القحط والعيلة والتعطّل	لي من بني الروم إمام مقول
قد باسط السادة فيما يؤكل	ولست ممن لا غتنام يسأل
لكنّ إذا أعياني التمحّل	والحنطة السمراء حين تحمل
أحسن من بيضاء حين ترفّل	والحبّ للنفس الحبيب الأول
فليس لي إلا به تعلّل	تثور داري مهملاً معطل
ومطبخي مع الخوان مهملاً	والسوق قفر ليس فيها مأكّل
والضيق في ذا العام ضيقٌ يشمل	لا زلت من جاء ومال تبذل
أفضل حرّاً يرتجى ويسأل	لا زالت الدنيا عليك تقبل

(١) خوط البان: غصن البان، والرداح: من النساء الضخمة الثقيلة الأوزان، ومن الشجر: العظيمة.

(٢) الجآذر: البقر الوحشي.

بخيرها والخير منك يقبل ما زرع البُرُّ وطال السنبِلُ^(١)

وقال في أبي حاتم محمد بن الربيع الطوسي [من المتقارب]:

كأنَّ أبا حاتمٍ لا يزا ل يصرف في الصرف لافي العمل
إذا حلُّ أرضاً دنا ظعنه توقَّعُ رحيلاً إذا قيل حلُّ^(٢)
فتى لا بيت على بطنة ولا يأكل الخبز إلاَّ بخل^(٣)
فتى عنده أنه يستقلُّ بكلِّ الأمور ولا يُستقلُّ
ويوجب تدبيره أن يكون رئيساً يُعزُّ ولا يُستذل
وله في ثلجة سقطت بعد النيروز وبرد أضر بالأنوار [من الكامل]:

عجباً لأذر جاء في آذار وتفاوت الأفلاك في الأدوار
طلعت عشاءً للبيات سحائبُ أنواؤه خسفن بالأنوار
أبدى الربيع لنا شتاءً مضمرأً يأبى ظهور ضمائر الأشجار
ندم الشتاء على التقضي فانشئ لينال منتقما بقايا الثار
وكتب إلى صديق له رأى عنده غلاما فاستشرطه [من المنسرج]:

رأيت ظبياً يطوف في حرمك أغنَّ مستأنساً إلى كرمك
أطمعني فيه أنه رشأً يرشى ليحشى وليس من خدمك
فاشغله بي ساعةً إذا فرغت دواته إن رأيت من قلمك
وله وقد سمع قول محمد بن عبد الله بن طاهر : ما جمشت الدنيا بأظرف من

النبيذ [من المتقارب]:

ألا إن دنياك معشوقةٌ تجمشها كلُّ عيشٍ لذيد^(٤)

(١) البرُّ : القمح .

(٢) الظَّن : الرحيل .

(٣) البطنة : النخمة من كثرة الأكل .

(٤) التجميش : المداعبة .

ولكتها قط ما جمشت من الملهيات بمثل النبذ

وله من قصيدة [من السريع]:

كم غصت في مدحك فكراً على درّ نفيس غير مثقوب
ولم يغص رأيك يوماً على برّي ولا رأي لمكذوب
إن كان موعودك الجود لي أكذب من موعود عرقوب
فإن إخبارك في مدحتي أكذب من ذئب ابن يعقوب

وله من أخرى [من البسيط]:

يا من إذا ماح أثنى عليه بما في نفسه قام من مرآة شاهدة
والمرء مرآه مرآة يلوح بها في الغيب منه لعيني من يشاهده

ألم فيه بقول الرومي [من الخفيف]:

وإذا ما محابر الناس غابت عنك فاستشهد الوجوه الوضاء
بشرّ البرق بالحيا وسنا الصبح بأن يقلب الدجى أضواء

وله من أخرى [من البسيط]:

شهر الصيام جرى باليمن طائره عليك ما جدّ ناديه وعائده
ودام قصرک مرفوعاً مجالسه لزائريه ومنصوباً موائده
ودام صدر عظيم أنت ماهده وعش لملك عزيز أنت واحده
فأنت منظره الأبهى وناظره الـ أعلى ومنكبه الأقوى وساعده

وله في أخوين كريم ولثيم [من الخفيف]:

بين أخلاقه التي هي أخلا ق وأخلاقك العتاق مسافه
ولعمري لفي ادعائك إيا ه ابن أم إبطال علم القيافه^(١)

(١) القيافة : اتباع الأثر .

وقال في وصف الشتاء [من مجزوء الرمل]:

وشتاءٍ محمقٍ الكلب فلا يغلو قديره
كلما رام نباحاً زمّ فاه زمهريه^(١)

وله في أكل [من مجزوء الرجز]:

إنّ أباً طالبنا له فمّ كالמעده
يهضم ما يمضغه من غير أن يزدده

وله [من مجزوء الخفيف]:

والمودّات ما خلت من تهادٍ مكدره
كطبخٍ خلا من اللحم يدعى مزوره^(٢)

وله ، وهو من ظرفه [من المنسرح]:

تزهي علينا بقوس حاجبها زهو تميمٍ بقوس حاجبها^(٣)

وله في أبي الفضل المعافى بن هزيم الأبيوردي [من الخفيف]:

أصبح الملك مبتلىً بالمعافى وهو ممّا به ابتلاه معافى
ورد الباب لانتصافٍ من الدهر فأفنى الصحاح والأنصافا

وقال في اللحم وقد اعتذر إلى بعض الرؤساء من هجائه [من المنسرح]:

قلّ للحيحيم إنّ مدحك عن هجوك ما إن يقوم معتذرا
وهل يعفى على إساءته تبصيص الكلب بعد ما عقرا^(٤)

(١) زمّ : أقفل ، والزمهري : البرد القارس .

(٢) المزورة : مرقه تصنع للمريض خالية من الأدهان .

(٣) الحاجب الأول حاجب العين ، والحاجب الثاني هو حاجب بن زرارة حكيم تميم وخطيبها .

(٤) العقير : العض .

وله من قصيدة [من البسيط]:

طال افتتاني بظبي وردُ وجنته يجنى فؤادي وكفّي ليس تجنيه
نصرٌ ينمُّ على أسرار نعمته لباسُهُ فكما يكسوه يعريه
فكيف أئتمه واللمحظ يؤلمه والشّم يكلمُهُ والضمُّ يدميه^(١)

وله من أخرى [من الخفيف]:

ظبيٌ أنسَ فدته وحش الأطباء شفَّ جسمي بطول منع الشفاء
شادنٌ يرتعي سويداء قلبي حسن يرنو من مقلّة سوداء^(٢)
شبٌّ فيه الشباب نار جمالٍ عدُغت ناره بماء البهاء

وله في وصف ثوب أهداه إليه صديق [من الوافر]:

أبا نصرٍ سمحتَ لنا بثوبٍ حكى في فرط ضيق العرض باعكُ
سخافةٌ نسجه تحكيك لكنْ غلاظةٌ نسجه تحكي طباعكُ

وله من قصيدة كتب بها إلى إخوان له بالشّاش من رباط كان التجأ إليه من فتنة وقعت
بالناحية [من الكامل]:

فزتم بآنس ألفةٍ وخلاط وتركتُموني في كنيفٍ رباط^(٣)
وسعتْ صحون فيه إلا أنها من ضيق صدري مثل يمّ خياط^(٤)
جاورت فيها نسوةٌ ساسيةٌ نسل الحرام حلائل السقاط
سلب الزمان شعورها وشعورها طهر السّواك وزينةَ الأمشاط^(٥)

(١) يكلمه : يجرحه .

(٢) الشادن : الغزال ، ويرنو : يتطلع .

(٣) الكنيف : المرحاض ، والرباط : الخانقاه للصوفية .

(٤) سمّ الخياط : إبرة الخياط، وفي القرآن الكريم : حتى يلج الجمل في سمّ الخياط ، أي الحبل الغليظ في فتحة الإبرة .

(٥) السواك : عودٌ يستعمل لتنظيف الأسنان من بقايا الطعام .

يحملن أطفالاً كأنّ وجوههم
 فيهن فتياتٌ إذا غيَّني
 أمعاؤها أوتارها وبطونها
 ولهن أزواج على أكتافهم
 إن يسهروا لتسامر فكلامهم
 أو يرقدوا فحلو قهم وأنوفهم
 وخلال ذلك يسمعونك كارهاً
 حتى يغص بع الرباط كأنما
 ختموا الطريق بطينة بطينة
 لا أستطيع تحفظاً منها ولو
 أمشي بأطراف الأصابع بينها
 وبراغثٌ مثل الخطوب طوارقٌ
 يحسون ماء حياتنا فجلودنا

طلبت بصمغٍ من ييس مخاط
 عتّيني وقصمن ظهر نشاطي^(١)
 أعوادها واللحن رجع ضراط
 كنف معلقةً من الأباط
 لا يستبان كصرةً الوطواط
 ممّا تغطّ كحقة الخراط
 صوت الضراط كمثل شقّ رباط
 إرساله من غير ذات رباط
 ليفكّ ذاك الختم رجل الواطي
 أعملت فيه توقي المحتاط
 حذراً كأنّي فوق حدّ صراط
 حذب الظهور غليظة الأوساط
 كمصاحفٍ محمّرةً الأنقاط

٣٣ - أبو جعفر محمد بن العباس بن الحسن

هو ابن العباس بن الحسن وزير المكتفى والمقتدر ، وأخباره مشهورة ،
 وأيامه في الوزارة مذكورة . وأبو جعفر هذا كاتب بليغ حسن التصرف في النظم
 والنثر ، رمت به حوادث الدهر إلى بخارى ، فأكرم مثواه كالعادة كانت للملوك
 السامانية في معرفة حقوق الناس وأبناء النعمة وأغذياء الرياسة ، لا سيما الجامعين
 إلى كرم النسب شرف الأدب ، وتقسمت أيامه بين الأولوية السنية ، والطلعة الهنية .
 وكان على تماسك حاله وانتعاشه وارتياشه شاكياً لزمانه . مستزيدا لسلطانه ، وله
 القصيدة التي سارت في البلاد وطارت في الأفاق لحسن ديباجتها وبراعة

(١) الغناء : التعب ، وقصمن : قطعن .

تجنيساتها ، وكثرة روتقها ، وأنشدنيها غير واحد ممن أنشده أبو جعفر إياها ، وأولها
[من الهزج] :

لئن أصبحت منبوءاً بأطراف خراسان
ومجفواً نبت عن لذّة التغميض أجفاني^(١)
ومحمولاً على الصعبة من إعراض سلطاني
ومخصوصاً بحرمان من الأعيان أعياني^(٢)
وصرفه عند شكواي من الأذان آذاني
ومكلوماً بأظفار ومكدوماً بأسنان
وملقى بين أخفاف وأظلاف توطّاني^(٣)
كأنّ القصد من أحداً ث أزماني إزماني^(٤)
فكم مارست في إصلا ح شاني ما ترى شاني
وعاينت خطوباً جرّ عني ماء خطبان
أفادت شيب فودي وأفنت نور أفناني^(٥)
أغصّني بأرياقى لدى إيراق أغصاني
وقادّني إلى من هو عني عطفه ثاني
سوى أني أرى في الفضل فرداً ليس لي ثاني
كأنّ البخت إذ كشّف عني كان غطّاني
وما خلاني إلّا زماناً فيه خلّاني^(٦)
سأسترفد صبرى إنّه من خير أعواني

(١) نبت : ابتعدت وتجاغت .

(٢) أعياني : أتعيني وأسقمني .

(٣) توطّاني : أي تدوسه من الوطء .

(٤) الإزمان : الأمراض .

(٥) نور الأفنان : زهور الأغصان .

(٦) الخلّان : الأصحاب ، وخلّاني : تركني وتخلّى عني .

وأستنجد عزمي إنه والحزم سيان
وأنضو الهم عن قلبي وإن أنضيت جثمانى^(١)
وأنجو بنجاتي إن قضاء الله نجاني
إلى أرضي التي أرضى وترضيني وترضاني
إلى أرض جناها من جنى جنة رضوان
هواء كهوى النفس تصافاه صفيان
رخاء كرخاء شر د الشدة عن عاني^(٢)
وماء مثل قلب الصب قد ريع بهجران
رفيق الال كالال وفيه أمن إيمان
وترب هو والمسك لدى التشبيه تربان^(٣)
فإن سلمني الله وبالصنع تولاني
وأولاني خلاصاً جا معاً شملي بخلصاني
وأراني أودائي وآواني لا يواني
وأوطاني أوطاني وأعطاني أعطاني
وأخلي ذرعي الدهر وخلاني وخلاني
فإنني لا أجد العو د ما عاد الجديدان
إلى الغربية حتى تغرب الشمس بشروان
فإن عدت لها يوماً فسجاني سجاني^(٤)
وللكوت الوحي الأحمر القاني ألقاني^(٥)

(١) أنضو : أخلع .

(٢) العاني : من المعاناة .

(٣) الترب : الرفيق والصاحب .

(٤) السجان : المسئول عن السجن . وسجاء : مدّده بعد انقضاء حياته .

(٥) الوحي : الإسرار ، الملك ، النار .

وأنشدني أبو الفرج يعقوب بن إبراهيم قال : أنشدني أبو جعفر بن العباس لنفسه
[من الخفيف] :

لست في ذا العذار والأمرد الحا سر عن رأسه العذار بخالغ
الوقايات في الوقاية عندي فلهذا مقانعي في المقانغ
وأنشدت له أيضاً [من الطويل] :

بوجهك يا من رق منه أديمه وراق الدمى حسنا أريق دمي عمدا
فأقسم أن لو قسمت صبوتي على بسيم الصبا ما نسّم النسّم البردا
وأنشدني أبو القاسم الأليماني قال : أنشدني أبو جعفر لنفسه في أبي جعفر العتي
[من الوافر] :

ألا من مبلغ المكروب قولاً بدا عن نصح مأمون المغيب
جعلت الدهر حربك وهو سلمٌ فلم تسلّم عليه من الحروب
وحالفت العبوس لغير بؤسٍ فأسلمك القطوب إلى الخطوب

وكان بالحضرة رجل من الظاهرية يقال له أبو العباس الظاهري ، ينادم
الكبراء ، ويتعاطى آلة اللهو ، وربما يشعر ، وكان يلقب ببشار لسوء في عينه
وعبث منه بالشعر ، فقال فيه أبو جعفر [من البسيط] :

إنّ الأمير أبا العباس بشارٌ قرمٌ نمته الى العليا أخيار^(١)
فما يفارقه في الحجر مزهره وما يفارقه في الحجر مزمار
وقال فيه أيضاً [من السريع] :

أضحى أبو العباس مع علمه بالقلب والابدال مُفتناً
فعينه غينٌ إذا ما رنا وغينه عينٌ إذا غناً

(١) القرم : السيد ، غمته : من الانتهاء أي جعلته ينتمي إلى العليا .

وقال فيه وكانت له أم ولد مغنية تحضر معه مجالس الأنس [من المنسرح] :
بشارٌ لولا غناء حرمتك الجامع بين الإحسان والطيب
لكنت مثل المجذوم مجتنباً إن لم تصدق فقل لها توبي^(١)

* * *

٣٤ - ابن أبي الثياب أبو محمد

من ندماء ابن العميد ، وله فيه شعر كثير ، وكان فسيح مجال الفضل ، وافر
الحظ من الظرف ، ولما فارق ابن العميد وورد بخارى نجحت سفرته وحظي
بالقبول ، ونام فضلاء الصدور ، وهاجى أبا جعفر محمد بن العباس ، فمن قوله
فيه [من السريع] :

إن ابن عباس أبا جعفر يذلُّ للنَّاقة أوراكة
تراه من تيهٍ ومن نخوة كأنه ناك الذي ناكه
وأنشدني السيد أبو جعفر الموسوي له في أبي العباس وكان يلقب بطويس
[من المجتث] :

وقائل قال سراً عن غير لبٍ وكيس^(٢)
لم لا تنيك طويساً وأنت جار طويس
فقلت كيف افتراشي عنزاً ولست بتيس
وأنشدني حاضر بن محمد الطوسي لابن أبي الثياب في كتاب معنون
بالحمرة [من الكامل] :

هذا كتابٌ فتى جفاؤك مضمراً ناراً من الأشجان بين ضلوعه

(١) المجذوم : المصاب بمرض الجذام الذي يصيب أعضاء الجسم فتأكل وتسقط .

(٢) اللب : العقل ، والكيس : الظرف والأدب .

ودليله في فيض مقلته دماً أن الكتاب مخضَّبٌ بنجيعة^(١)
ووجدت له بخط الرئيس أبي محمد الميكالي رحمه الله تعالى [من الخفيف] :

يا هماماً يطول كلُّ همامٍ بالقديم المشهود في الأقوام
والحديث الذي أذاع حديثاً عن سماء تهمني بغير غمام
أنت بحرٌ يجيش بالدرُّ لكنْ نَظْمُ درُّ البحار للنظام
فارعَ للشعر دُمةً في وليٍّ قد كفاه الولاء كلَّ ذمام
وأعدْ أوجه المنى لبنها ضحكاً عن مدامع الأقلام
فسواد التوقيع يجلو عيني بياضاً من الأيادي الجسام
لست أشكو إليك أيام دهرٍ أنت فيها ذخيرةٌ للأنام
حسبي الله في إدامة نعماء ثك للمسلمين والإسلام
وأنشدني بديع الزمان له من قصيدة [من الطويل] :

وهاجرة تشوي الوجوه كأنها إذا لفحت خديَّ نارُ تاجُجْ
وماء كلون الزيت ملح كأنما بوجدي يغلي أو بهجرك يُمزجْ
تَعَسَّهَا السَّيرُ الأشدُّ إلى فتى سنا وجهه جنحُ الدجى يتبلَّجُ^(٢)
وأنشدني أبو سعد يعقوب له في وصف شمعة [من المتقارب] :

ومجدولة مثل صدر القناة تعرَّت وباطنها مكتسي
لها مقلَّة هي روح لها وتاجُ على الرأس كالبرنس
إذا غاركتها الصبا حرَّكتْ لساناً من الذهب الأملس
فنحن من النار في أسعدٍ وتلك من النار في أنحس
وقد ناب وجهك عن حسنها وعن ذا البنفسج والنرجس

(١) النجيعة : الدم .

(٢) العسف : التعب يتبلَّج : يشرق ، والسنا : الضوء ، والدجى : الظلام .

فيا حامل العود حُثَّ الغنا ويا حامل الكأس لا تحبس^(١)

٣٥ - أبو الحسن علي بن هارون الشيباني

وليس بالمنجم

من فضلاء الطارئين على تلك الحضرة ، المتحلين بالأدب والشعر ،
الحاصلين بين أنياب الدهر ، وهو القائل لوزير الوقت [من الكامل] :

حَمَلُ الرِّياسَةِ ما عِلْمَتْ ثَقِيلُ والدَّهْرُ يَعْدِلُ مرَّةً وَيَمِيلُ
يا رَاكِبَ الْأَمانِ في سُلْطانِهِ انْظُرْ إلى الْأَيامِ كيفَ تَحولُ^(٢)
هي ما سَمِعْتَ وما رَأَيْتَ سَبيلُها التَّحوِيلُ والتَّنْقِيلُ والتَّبدِيلُ
لا تَعْتَلِلُ بالشَّغْلِ إِنَّكَ إِنَّمَا تُرْجى لَأَنَّكَ دائِماً مَشْغولُ
وإذا فَرِغْتَ ولا فَرِغْتَ فغِيَرُكَ المَقْصودُ لِلحاجاتِ والمَأْمولُ

أخذه من قول أبي العباس لما قال له عبد الله بن سليمان «اعذرني فإني
مشغول» فقال [من الطويل] :

ولا تَعْتَذِرْ بالشَّغْلِ عَنَّا فَإِنَّمَا تَناطِبُكَ الْأَمالُ ما اتَّصَلَ الشَّغْلُ
ولهُ [من مجزء الرمل] :

أَيُّها التَّائِبُ في الدَّولَةِ مَهلاً في اقْتِدارِكَ
كَمْ إلى كَمْ تَجْعَلُ التَّيَّةَ عَلَيْنَا مِنْ شِعارِكَ^(٣)
ما تَبالَى بِخَرابِ الدَّ أَرْضِ في عَمْرانِ دارِكَ

(١) حث : أي أسرع بالغناء ، لا تحبس : لا تمنع .

(٢) تحول : أي تتحول وتتغير من حال إلى حال .

(٣) التَّيَّة : التَّكْبُرُ .

أي شيء كان لو فكّرت في دار قرارك
تَه كما شئت وصل واس طُ علينا في جوارك
فلنا صبرٌ على ذا ك إلى يوم بوارك^(١)

ولد في منصور بن بانقرا [من مجزوء الرزجز]:

يا مكثراً للعظمه أسرفت في الكبر فمه
فكم رأينا من كبير كبره قد قصمه^(٢)
غدت على أبوابه مواكب مزدحمة
فراح قد صبّ الردى على الثرى جهراً دمه
وانتهبت أمواله كذاك عقبى الظلمه^(٣)
فاحذر وبادر إنني أرى أموراً مظلمه
ترى لها وقت الضحى كمثل لون العتمه

* * *

٣٦ - أبو النصر الهزيمي المعافى بن هزيم

أديب أبيورد وشاعرها ، وله كتاب محاسن الشعر ، وأحاسن المحاسن ،
وكان يكثر المقام ببخارى ، ويخدم فضلاء رؤسائها ، ويتروّد حسن آثارها ، ثم
يعاود أبيورد ، وينقلب الى معيشة صالحة ، وقد دوّن شعره ببخارى وأبيورد .

وحدثني أبو القاسم الأليماني قال : لما احتضر الأمير الرشيد أبو الفوارس
عبد الملك بن نوح بالسقطة من مهر صعب غير مروض ركبه ، وقام الأمير السديد
أبو صالح منصور بن نوح ، فقال في تلك الحال القائلون ، وتصرفوا بين التعزية

(١) البوار : الهلاك .

(٢) كبره : أي تكبره ، وقصمه : قضى عليه .

(٣) عقبى : أي العاقبة وهي النهاية والنتيجة .

والتهنئة ، واجتمعت قصائد كثيرة لم يرتض منها إلا قصيدة الهزيمي التي أولها
[من البسيط]:

الطرفُ بالدمع أولى منه بالنظر فخله لنجيع منه منهمير
ألم خطبٌ عظيمٌ لا كفاء له رزءٌ يذمُّ عليه كلُّ مصطبر
هذا الذي كانت الأيام توعدنا به وما لم نزل منه على حذر
مدّت إلى الملك الميمون طائره أيدي الحوادث والأيام والغير
تركنَ حارس دنيانا وفارسها فريسةً بين ناب الموت والظفر
ما بين غبطته حياً وغبطته في الملك والهلك والايوان والعفر^(١)
إلا كرجع الصدى في وشكٍ مدته أو كالهنيهة بين السيل والمطر
ياميتةٌ لم يمتها قبله ملكٌ فيها لكلٌ عظيمٍ أعظم العير
كان الموفق إلا عند ركضيته وللمنون اعتلالاتٌ على البشر
وكان أقدر مخلوقٍ على فرسٍ أبو الفوارس لولا قدرة القدر
وكلُّ عمرٍ وإن طالَت سلامته لابدَّ يوماً قصاره إلى قصر
فالحمد لله إذ جلّت مصيبته عن المصيب من الآراء والفكر
في دعوة القائم المنصور دعوته منصورٌ المعتلي في القدر والخطر
من كان يصلح للإسلام يحرسه والتاج يلبسه والقصر والسرر
سوى أبي صالح غيث الندى الهمرِ ليث الوغى الهصرِ غصن العلى الخضر^(٢)

هذه التصريعات خطأ في صنعة الشعر على أن أبا تمام قال : [من الطويل] :
يقول فيبدع ويمشي فيسرع ويضرب في ذات الإله فيوجع
ومما يستجاد من شعره قوله للبلعمي من قصيدة وصف فيها الشتاء والبرد
[من البسيط]:

وشتوةٌ شتٌ أبناء السبيل لها وغار في نفقٍ منها المغاويرُ

(١) العَفَرُ : التراب ، ووجه الأرض .

(٢) الهمر : الهاطل ، والمصر : القوي الذي يكسر فريسته ويقضي عليها .

يشكو جليدهم من البرد ضحىً
فللحي من لحاء البرد أغشيةً
إذا تنكبت النكباء عن أذنٍ
وقوله [من الطويل] :

إليك ركبت البحر والهول والدجى
أذكرك القربى من العلم بينا
وقال من أخرى [من المتقارب] :

لئن قمت في حاجتي آنفاً
فكم منة لك في سالفٍ
وما كان نفعك لي مرةً
ونفضت عن وجه حالي الغبارا
عليّ كبيت من الشعر سارا
ولا مرتين ولكن مرارا

وله في قصيدة في الإسكافي [من الكامل] :

خطُّ كما انفتحت أزاهير الربى
وبلاغة ملء العيون ملاحهً
متنزه الألباب قيد الأعين
نال النبي بها صلاة الألسن

ومن قصيدة يشكر فيها بعض الصدور على بذله المنشور في صيانة ضياعه .
[من البسيط] :

أوليتني في ضياعي منك ما وقفتُ
لما بذلت من المنشور فهي حمىً
حمدي عليك وخير الحمد ما وقفا
لا تعرف النزل والأجعال والكلفا^(٣)
هذاك شكري على إسقاطه مؤناً
فكيف شكري له إن أسقط العلفا

(١) الجليد : الصبور ، والجليد تجلّد الماء من البرد من البرد، والقوارير : القناني . وقَرَّ : أي استقرّ .

(٢) تنكبت : مال وتنحى ، والنكباء : كلّ ريح من الرياح الأربع انحرفت ووقعت بين ريحين ، والتقوير : التقطيع ، وقوّر الشيء : جعل في وسطه خرقاً مستديراً .

(٣) الأجعال : من الجعالة : وهي أجر العامل وما يعطى المحارب في الحرب ، والكلف من الكلفة .

إذا تراني كمن يحيا بزاوية في الخلد ثم ينال الحور والغرفا
وكتب ببخارى يستهدي التبن [من مجزوء الرمل] :

خيرُ ما يُهدى إلى مر تبط البرذون تين^(١)
واحشاميك على ما بيننا في الود غين^(٢)
ما بمن شجعه جو دك عن رفدك جبن^(٣)
أنت للخائف والمعدم إيسار^(٤) وأمن^(٥)
فلهذا أنت كنز^(٦) ولهذا أنت ركن^(٧)

وله من أبيات في استهداء الفحم [من المتقارب] :

هبِ البرد بالري لم ينسج وفي سقط البرد لم يدرج
رسولك ذاك الذي قال لي أحيء مع الفحم أم لا أحيي ؟

وأشدني السيد أبو جعفر الموسوي قال : أشدني الهزيمي لنفسه [من البسيط] :

من كف سيف علي عن مقاتله كفت غرب لسانني عن تناوله^(١)
من الفضول دخولي في مظالمه وتركى القول في أقصى فضائله
الله يسأل عبداً عن جريته وعن جرائم قوم غير سائله^(٢)

وله أيضاً [من البسيط] :

تیه المزور على الزوار يمنعهم عن الزيارة فامنعهم عن التيه
والناس ما لم يروا حرصاً بصاحبهم ورغبة فيهم لم يرغبوا فيه

(١) البرذون : دابة دون الفرس غليظة الأعضاء تتخذ للحمل .

(٢) الغين : ظلم وانتقاص للحق .

(٣) الرفد : العطاء .

(٤) الغرب : السهم .

(٥) الجريرة : الذنب .

وله في ضيعته [من الوافر] :

كفتني ضيعتي مدح العباد	وظعنأ في البلاد بغير زاد
غدت سكني وخادمتي وظئري	وفيها أسرتي وبها تلادي ^(١)
ألا فليعتمد من شاء شيئاً	فحزني ليس يعدوه اعتمادي
صديق المرء ضيعته وكم من	صديق في الصداقة مستزاد
يخونك في المودة من تؤاخي	ومالك لا يخونك في الوداد
أخوك على المعاش معين صدق	ومالك للمعاش وللمعاد

وله ، وهو من قلائده السائدة [من مخلع البسيط] :

لما رأيتُ الزمان نكساً	وفيه للرفعة اتضاع
كلُّ رئيسٍ له ملال	وكلُّ رأسٍ له صداغ
لزمْتُ بيتي وصنت عرضاً	به عن الذلة امتناع
أشرب ممّا ادخرت راحاً	لها على راحتني شعاع
لي من قواريرها ندامي	ومن قراقيرها سماع

هذا بيت القصيدة ، وهو أمير شعره .

وأجتنني من عقول قومٍ قد أفقرت منهم البقاع
بشرٌ وكعبٌ أمام عيني هذا يغوث وذا سواع

وحدثني أبو الحسن الحمدوني قال : كان أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بكر الجرجاني الملقب بالحضرة طير مطراق ورد طر أبيورد على عمل البندرة ، واتخذ الهزيمي خليلاً ونديماً ومدرساً ، ثم حدثت بينهما وحشة وخرج الهزيمي إلى ضيعة له ، وبلغ أبا بكر أنه هجاه ، فأشخصه بعدة من الفرسان وسيب عليه ما كان سوغه إياه من خراجه ، قال : واستقبلني عند دخوله البلد مع المشخصين ، فلما

(١) الظئر : الأنثى المرضعة لولد غيرها . والتالد : الموروث من المال القديم .

وقع بصره علي قال [من مجزوء الرجز] :

بندارنا من أدبه أوقعنا في لقبه

فقلت له : يا أبا نصر ، من هنا أتيت ، وثبتت عناني معه إلى البندار ،
فأصلحت أمره ، ولم أبرح حتى تصالحا وتمالحا .

وأنشدني أبو القاسم أحمد بن علي المظفري له [من البسيط] :

قد كنتُ أنظر قبل اليوم في كتبِ فيها الحكايات والأشعار والخطبُ
ودفتر الطبِّ ممّا لا أَلْمُ به إذ لم يكنْ فيه لي من صحتي أَرْبُ^(١)
فجاءت التسع والخمسون تحوجني إلى العلاج فما لي غيره كتبُ

وكان للهزيمي أخ يكنى بالوليد لا بأس بشعره ، كقوله في رجل يكنى أبا
سهل [من الرجز] :

يكنى بسهلٍ وهو حزنٌ أوعرٌ من ذاك قيل للغراب أعور^(٢)

* لأنه من الطيور أبصر *

وقوله [من الكامل] :

في الكذب أنت أبا الفوارس فارسٌ وعن الفوارس في الصناعة راجل
فتسابق الأدباء في ميدانهم وأبو الفوارس خلفهم متحاجل^(٣)

(١) أَلْمَ به : من الإلمام وهي المطالعة والمعرفة البسيطة بالشئ والأرب : الغاية .

(٢) الحزن : الأرض الصعبة المسالك .

(٣) متحاجل : يتبخر في مشيته .

٣٧ - أبو نصر الظريفي الأبيوردي

حدثني السيد أبو جعفر الموسوي قال : كان للظريفي علي الهزيمي درس ، ومنه اقتبس ، فخرج كاتباً شاعراً ظريفاً كلقبه وكان وارداً على الحضرة كثير الإقامة بها ، مداخلها لفضائلها ، متصرفاً منها على أعمال البريد ، وكان أبو علي البلعمي يكرمه ويناديه ، فاقترح عليه قصيدة يسلك فيها طريق المتقدمين فخامة وجزالة فأنشده من الغد قصيدة في مدحه كأنها صدرت عن أحد فحولة الشعراء الجاهليين فارتضاها وخيره في أعمال البريد ببلاد خراسان ، فاختر بلده أبيورد وتنجز المنشور والصلة وشخص .

ومن مشهور سائر شعره قوله [من الوافر] :

أرى وطني كعشٍ لي ولكنْ أسافر عنه في طلب المعاش
ولولا أنْ كسب القوت فرضٌ لما برح الطيور من العشاش

وقوله [من السريع] :

سرُّ الفتى من دمه إن فشا فأولِّه حفظاً وكتماناً^(١)
واحتمطُ على السرِّ بإخفائه فإنَّ للحيطان آذاناً

وقوله [من المجثث] :

يكفُّ ليلاً ويفسو وسط الندى نهارة
يديم ذلك حتى يملا بخارى بخارة

وقوله [من الوافر] :

حوى المصريُّ أنواع المخازي وراح وماله فيها موازي
ولو جمعت مخازيه لزادت بكثرتها على كتب المغازي

(١) فشا : شاع وانتشر فأوله : أي اهتم واعتنى به .

وقوله [من الكامل] :

يا دولةً خلصت لأعور معورٍ ما أنت إلا دولةٌ عوراء

وقوله [من السريع] :

خافوا على المُلْك عيون العدا فصيروا عوذته أعورا^(١)

وحكى أنه تقلد مرة عمل البريد بالجبل ، وكان أمراؤها لا يقيمون لأصحاب البريد وزنا ، فلما وصل إلى الوالي بها قال له : أنت صاحب البريد ؟ قال : نعم . فاستظرفه ونادمه وأفضل عليه .

ودخل يوما على بعض وزراء الحضرة فجلس في أخريات الناس ، فقيل له في ذلك ، فقال : لأن يقال لي ارتفع أحب إلي من أن يقال لي اندفع .

٣٨ - رجاء بن الوليد الإصبهاني ، أبو سعد

من جلة الكتاب والعمال المتصرفين من الحضرة على أعمال خراسان وكان له أدب فائق وشعر رائق ، وكان به طرش ، فإذا كلمه من لا يسمعه قال له : ارفع صوتك فإن بأذني بعض ما بروحك .

وتنسب هذه النادرة أيضاً إلى الناصر الأطروش صاحب طبرستان ويجوز أن يكون سمعها رجاء عنه فاستعملها .

وكان في ذكاء القلب وجودة الحدس بحيث يظن لكل ما يكتب بالأصبع على يده ، ويستغنى بذلك عن السماع ، فيجيب عنه .

وفي التبجح بطرشه يقول [من الطويل] :

حمدتُ إلهي إذ بليت بحبهٍ على طرشٍ يشفي ويغني عن العذرِ

(١) العوذة : ما يتعوذ به المرء كالتميمة وغيرها .

إذا ما أراد السرّ الصق خدّه بخدي اضطراراً ليس يدي الذي أدري
وإنما هذا به مثال من قال في أحول [من الطويل] :

حمدت إلهي إذ بليت بحبه على حول يغني عن النظر الشزr^(١)
نظرت إليه والرقيب يخالني نظرت إليه فاسترحت من العذر
ومن ملّح رجاء قوله في باقة ريحان [من الطويل] :

وشمّامة مخضرة اللون غضة حوت منظراً للناظرين أنيقاً
إذا شمّها المعشوق خلت اخضرارها ووجنته فيروزجاً وعقيقاً
وقوله [من الكامل] :

هذي المدام وهذه التحف والكأس بين الشرب تختلف
فكأنهم وكان ساقبهم سين ترى قدأما ألف
أخذه من قول ابن المعتز [من الخفيف] :

وكان السقاء بين الندامي ألفات بين السطور قيام
وأنشدني أبو نصر سعد بن يعقوب له نتفا مليحة ، منها [من الكامل]
خط يريك الوصل في طوماره متبسما والهجر في أنفاسه
فكأنما مقل الغواني كحلت من حسن أسطره على قرطاسه

٣٩ - أبو القاسم الدينوري ، عبد الله بن عبد الرحمن

من رؤساء الأدباء ، ورؤوس الكتاب ، ووجوه العمال بخراسان ،
وأخبرني منصور ابنه أنه من أولاد عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ومصنفاته في

(١) النظر الشزr : النظر بمؤخرة العين .

محاسن الآداب تربى على الثلاثين ، وله شعر كثير يخرج منه الملح ، كقوله من قصيدة في وصف الخمر [من البسيط] :

كأنها في يد الساقى المدير لها عصارة الخمر في ظُرفٍ من الال
لم تبقِ منها الليالي في تصرفها إلا كما أبقّت الأيام من حالي
وقوله من أخرى [من الخفيف] :

يا لعصر الخلاعة المورود ولظلّ الشبيبة الممدود
وللهوى ولذتي وسروري ولسفكي دم ابنة العنقود
وارتشافى الرضاب من برد الثغر وشمّي عليه ورد الخدود^(١)
وغدوّي إلى مجالس علمٍ ورواحي إلى كواعب غيد^(٢)
في قميصٍ من السرور مذالٍ ورداء من الثياب جديد^(٣)
ولأيامي القصار اللواتي كنّ بيضاً قد حُلّيتُ بالسعود
غير الدهر حالها فاستحالت مظلماتٍ من الليالي السود
وأناشي من المشيب نذيرٌ غصّ منّي وقتٌ في مجلودي
وتدانتُ له خطامي برغمي ونحانني له خصوصاً عمودي^(٤)
وتيقنّتُ أنّي في مسيري إثر شرخ الشباب غير بعيد

وقوله [من مجزوء الوافر] :

مضى الإخوانُ وانقرضوا فها أنا للردى غرضُ
مرضت فليل لي لا بأ س عندك إنّه عرضُ^(٥)

(١) ارتشافى الرضاب : أي شربي واحتسائي والرضاب : اللعاب ، الريق المصوص .

(٢) الغدوّ والرواح : الصباح والمساء .

(٣) مذال : طويل .

(٤) الخطام : الجبل يجعل في عنق الحمل ويشي في خطمه يقاد به .

(٥) ورد العجز على هذه الصورة « إنّه عرض » فأقمنا وزنه .

فأول منزل للمرء نحو معاده المرض

وقوله [من المتقارب] :

أرقت لضيف من الشيب زارا فأهدى إليك النهى والوقارا
وجلّك الحلم ثوب الكرام وبزّك ثوب الشباب المعارا
وقد كان شرخ الشباب الذي تولّى عدواً وإن كان جارا
أملٌ على ملكيك الذنو ب حتى أملهما ثم سارا

أخذه من قول أبي الطيب المصعبي [من الخفيف] :

زائرٌ لم يزل مقيماً إلى أن سود الصحف بالذنوب وولّى

وقوله [من البسيط] :

شوقي إليك كشوق المدنف الحرّض إلى الطبيب الذي يشفي من المرض^(١)
فإن يكن لك عنى يا أخي عوضٌ فلا وحقك مالي عنك من عوض

وقوله من قصيدة في بعض الوزراء [من الكامل] :

ومطهم برح العنان معودٌ خوض المهالك كل يوم براز^(٢)
وإذا توقل في ذرى متمنّع صعب بعيد العهد بالمجتاز^(٣)
تركت سنا بكه بصمٌ صخوره أثراً يلوح كنقش صدر البازي

ومنها :

يا أيّها الشيخ الجليل بحقه لا من طريق تملّق ومجاز
إن لم يكن لي في جنابك مرتعٌ فالرأي في الإبعاد لي بجواز

(١) المدنف الحرّض : المريض المشرف على الهلاك .

(٢) ومطهم برح العنان : المطهم : المتناهي في الحسن ، والبرح : الأمر المعجب المذهل ، والعنان : الزمام .

(٣) توقّل : سعد .

وأنشدني ابنه أبو منصور لأبيه في سفرجل وتفتح ورمان وأذريون أهداها إلى
بعض الرؤساء في يوم مهرجان [من المتقارب] :

بعثت إليك ضحى المهرجان	بمعشوقة العرف والمنظر
معطرة صانها في الحجال	مطارف من سندس أخضر ^(١)
نضت حين زارتك عنها الفريد	وجاءتك في سرق أصفر
يسر وبهكة نض	وئدي مبتلة معصر ^(٢)
وبيضاء رائقة غضة	منقطة الوجه بالعصفر
وحق عقيق ملاء الهجير	من الجواهر الرائق الأحمر ^(٣)
وأقداح تبر حشت قعرها	يد الشمس بالمسك والعنبر
فكن ذا قبول لها إنها	هدايا مقل إلى أكثر
وحي على الراح قبل الرواح	ومطربة الشدو والمزهر
وعش ما تشاء كما تشتهي	بعزم يدوم إلى المحشر

وله من نطفة يسترجع بها كتاباً معاراً [من الخفيف] :

أنا أشكو إليك فقد نديم	قد فقدت السرور منذ تولي
كان لي مؤنساً يسلي همومي	بأحاديث من منى النفس أحلى
عن أبي حاتم عن ابن قريب	واليزيدي كل ما كان أملى
وهو رهنٌ لديك يشكو ويكي	ويغني : قد آن لي أن أخلى
فتفضل به عليّ فإنني	لست إلا بمثله أتسلى

وله من أخرى في معناها [من المجث] :

طلبت مني كتاباً ألفته في شبابي

(١) الحجال : النساء المترفات .

(٢) البُسر : الغض الطري ، البهكة : المثلثة الجسم الناعمة ، نض : النعومة والحسن ، والمعصر :

المرأة التي أدركت سن الشباب .

(٣) الحق : وعاء الطيب .

ألفته إلف عظمي لحمي ولحمي إهابي^(١)
وقد تأخر حتى لبست ثوب اكتئاب
وقد أتاني عنه مالم يكن في حسابي
من نظم شعرٍ بديعٍ مستظرفٍ مستطابٍ
أما كريمٌ رحيمٌ يرثي لطول اغترابي
يا ربَّ يسرْ إياي قد حان وقت انقلابي

وله في أبي الحسن العتبي [من المجتث] :

يا سائلي عن وزيرٍ مدحرجٍ مستديرٍ
كبط شطِّ سمينٍ عريضٍ صدرٍ قصيرٍ
إن كنتَ أبصرتَ قدأً مذ كنتَ فوق سريرٍ
فهو الوزير وإن كا ن في عداد الحمير

وله من نثفة في قابض كفه [من مجزوء الكامل] :

الله صورٌ كفهٌ لمّا براه فأبدعه
من تسعة في تسعة وثلاثة في أربعة

وله من أخرى [من الهزج] :

تغيّرتَ مع الدهر لنا يا شاعر البصره
ولم ترعَ لنا عهداً قديم الودّ والعشره
عسى صيرك الشيخ الـ لذي يكنى أبا مرّه^(٢)

وله [من الوافر] :

لزوم البيت أرواح في زمانٍ عدمنّا فيه فائدة البروزِ

(١) الإهاب : الجلد .

(٢) أبا مرّة : من كنى إبليس .

ولست على الرعية بالعزير
أكون لديه في كنفٍ حريزٍ

فلا السلطان يرفع من محلي
ولست بواجدٍ حرّاً كريماً

وله [من المنسرح] :

قد بان صبري وخانني جلدي
حتى عبيدي ، وعقني ولدي^(١)

أشكو إلى الله ضيق ذات يدي
وقد جفاني الأنام قاطبةً

وله في ابنه [من البسيط] :

ولا شكيراً ولا ريش يواريه^(٢)
وقد رأى أنه أنت خوافيه
وطار عني فقلبي فيه ما فيه
لم يرث لي فهو فظ القلب قاسيه

ربيته وهو فرخٌ لا نهوض له
حتى إذا ارتاش واشتدت قوايمُهُ
مد الجناحين مدّاً ثم هزّهما
وقد تيقّنتُ أنّي لو بكيت دماً

وله في ابنه أبي طاهر [من البسيط] :

يكون ، لا كان ، في عيني كالرمد
جبت نفسي كي أبقى بلا ولد^(٣)
ولا مردّ لحكم الواحد الصمد
يا ليت أنّي لم أولد ولم ألد

لو كنتُ أعلم أنّي والدٌ ولدٌ
فلا أسرُّ على طول الحياة به
كم قد تمنيت لو أنّ المنى نفعتُ
وقلت لو أنّ قولي كان ينفعني

وله في النارج [من البسيط] :

نجومها في غصونٍ لدنةٍ ميل^(٤)
زهر المصاييح في خضر القناديل

أما ترى شجر النارج طالعةً
كأنّها بين أوراقٍ تحفُّ بها

(١) عني : من العقوق بالوالدين وعدم الاهتمام بهم .

(٢) الشكير : الزغب في الطائر .

(٣) جبّ : غلبت وقطعت .

(٤) لدنة : طرية .

وله في البراغيث [من المتقارب] :

وحُمش القوائم حُدب الظهور طرَقن فراشي على غِرَّة^(١)
فَنَقَطْنِي بخراطيمهن كنقط المصاحف بالحمرة

وله في عارض [من المجتث] :

وعارضٍ دنس العر ض ناقصٍ في الصَّناعه
كلبٍ بل الكلبُ في لو مه يعاف طباعه
- قد رامي بالدواهي فقصر الله باعه

وله [من المجتث] :

إذا الزمان رمني منه بخطبٍ جسيمٍ
صبرت صبر كريمٍ على جفاء لثيمٍ

وله [من مجزوء الرمل] :

من عذيري من بديع الحسن ذي قلدٍ رشيقٍ
أُنبت في فمه اللؤ لؤ أرضٍ من عقيقٍ

وله [من مجزوء الرمل] :

بأبي أنت لقد طبت لنا ضمماً وشماً
ضاق فوك العذب والعين وشيء لا يسمى

وله من نتفة [من الوافر] :

أساء وقد أتاني مستيئاً أما هذا من العجب العجاب

وله من أخرى [من الوافر] :

وما آسى على دهرٍ تولَّى ولا جسمٍ مباحٍ للسقام

(١) الحمش : الدقاق ، والغرة : الغفلة .

ولا ما فات من عمري ولكن أحسن إلى صلاة من قيام
وله من أخرى [من مخلع البسيط] :

عشت من الدهر ما كفاني ومبر ما مر من زماني
وقد حنتني وقوستني تسع وتسعون واثنتان
وقد سثمت الحياة مما ألقى من الذل والهوان
ومن أخ كنت أرتجيه لحادث الدهر قد قلاني^(١)
ومن غلام إذا يُنادي تصامم النذل وهو داني^(٢)
مدمد لا أراه إلا مقطب الوجه ما رأي^(٣)

فهذا ما أخرجته من ملح الدينوري فأما ابنه .

٤٠ - أبو منصور أحمد بن عبد الله

ففاضل كثير المحاسن ، وعهدي به عاما أول صادراً من أبيورد ، وكان
على البريد بها ونازلاً داره بسكة البلخية بنيسابور ، وأنا على موعد منه في إخراج ما
يصلح لكتابي هذا من شعره وإنفاذه إلى إن شاء الله تعالى .

٤١ - أبو منصور أحمد بن محمد البغوي

أحد الصدور الأفراد الأمجاد بخراسان ، بلغ من الأدب والكتابة والثروة
والمروءة أعلى مكان ، وتصرف في الأعمال الجلائل ، ثم ولي ديوان الرسائل ،
وكان جمع كتاباً مترجماً بزاملة التتف يشتمل على ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين من

(١) قلاني : هجري .

(٢) تصامم : أظهر الصمم ، وهو عدم السام .

(٣) مدمد : يتمم بكلام غير مفهوم .

محاسن الأخبار والأشعار ، ولطائف الآداب ونتائج الألباب ، ويقع في ثلاثين مجلدة بخطه ، وقسمها على أيام شهره ، فكان لا يخلو من إحدى قطاعها مجلسه وديوانه ، وساق حقه لا يكاد يفارقه في سفره وحضره ، ووقع إلى بضع مجلدات منها بعد انقضاء أيامه ، فتنزه الطرف في رياضها ، واستمتعت النفس بثمارها ، ولم يبلغني عنه شعر إلا ما أنشدني السيد أبو جعفر الموسوي قال : أنشدني البغوي لنفسه [من الطويل] :

ترأت لنا من خدرها بسوالفٍ كما لاح بدرٌ من خلال سحابٍ
ووجتها من تحت فاحمٍ صدغها كما رُوحت بازٌ بریش عقابٍ
وصدر البيت الثاني مما أنسانيه الشيطان أن أذكره ، فغرمته من عندي .

٤٢ - أبو [علي] محمد بن عيسى الدامغاني

تنى به الخناصر ، وتضرب به الأمثال ، في حسن الخط والبلاغة وأدب الكتابة والوزارة ، وكان في حدائته يكتب لأبي منصور محمد بن عبد الرزاق ثم تمكن بالحضرة خمسين سنة يتصرف ولا يتعطل حتى قيل فيه [من الوافر] :

وقالوا العزل للعمَّال حيضٌ لحاه الله من حيضٍ بغيضٍ
فإن يكُ هكذا فأبو عليٍّ من اللائي يثسن من المحيضِ

وولي ديوان الرسائل دفعات والوزارة مرات ، وكان يقول الشعر ولا يظهره ، ويحب الأدب ويكرم أهله .

وأنشدني أبو عبد الله بن السري الرامي هذين البيتين له ، ثم وجدتهما لغيره [من الكامل] :

يا أيها القمرُ المنيرُ الزاهرُ الأبلجُ البدرُ العليُّ الباهرُ

أبلغ شبيهتك السلامَ وهنَّها بالنوم واشهدْ لي بأنِّي ساهر
 وأنشدني السيد الشريف أبو جعفر الموسوي قال : أنشدني أبو علي محمد
 ابن عيسى ولم يسم قائلاً [من السريع] :
 تذكّر إذ أرسلته بيدقاً فيك فوافاني فرزانا ؟
 ثم أخبرني بعض كتابه أن هذا البيت له .
 وأنشدني له أيضاً [من المنسرح] :

وكتب كتبه تذكّرني القرآن حتى أظلّ في عَجَبٍ
 فاللفظ قالوا قلوبنا غُلْفٌ والخطُ ثبت يدا أبي لهب^(١)
 ولم يذكر أن أحداً من الصدور يسع دعاؤه وتربيته وكنيته واسمه واسم أبيه
 وبلده بيتاً واحداً من الشعر سواء ، فإن أبا القاسم الأليماني أنشدني لنفسه قصيدة
 فيه ، ومنها هذا البيت [من الوافر] :

إلى الشيخ الجليل أبي عليٍّ محمد بن عيسى الدامغاني

٤٣ - أبو علي الزوزني الكاتب

أخبرني الثقة أنه وقع إلى الحضرة ببخارى في ريعان شبابه ، وله أدب بارع
 وخط تأخذه العين ويستولي عليه الحسن ، فما زال يتصرف في ديوان الرسائل
 ويغرس الدر في أرض القراطيس ، وينشر عليه أجنحة الطواويس ، إلى أن ثقلت
 عليه الحركة ، وأخذت منه السن العالية ، وكان قصير القد طويل الفضل ، وفيه
 يقول اللحام وما كان يهجو إلا الكبار [من مجزوء الرمل] :

(١) غلفٌ : أي لا نفقه القول فهي كالمغلّفة التي لا يدخلها شيء . تَبَّتْ : هلكت وانقطعت .

وقصير من قرى زو زن في قامة شبر
يدعي الكتاب إلا أنه في فهم غير^(١)
ولقد فكّرت فيه وكذا فكّر غيري
كيف يستدخل أيراً وهو في قامة أير

واقْتدى باللحام غير واحد من الشعراء فهجوه بالقصر ، ووصفوا قامته
بالصغر حتى قال المعروف بالمضرب البوشنجي [من الكامل] :

للزوزنيّ أبي عليّ قامةٌ قامت بسوق هجائه المتراكم
هي عمدة الشعراء يعتمدونها بقواضبٍ من شعرهم وصوارم
والبعض شبهها بأيرٍ قائمٍ والبعض شبهها بجعس جائم^(٢)
ياليتها طالت فقصر طولها عنه طوال معايبٍ وشتائم
وكان أبو علي - مع حسن خطه - حسن الشعر ، كثير التنكيت ، وهو القائل في أبي
جعفر العتبي [من الرمل] :

يا قليل الخير موفور الصِّلَف والذي قد حاز في التيه السَّرَف^(٣)
كن بخيلاً وتواضع تحتمل أو سخيّاً يحتمل منك الصِّلَف
ووجدت بخط الرئيس أبي محمد الميكالي لأبي علي في ابنه [من الكامل] :
يا من تمنى أن يموت أبوه ستذوق موتك قبل ما ترجوه
إنّ المرید ردى أبيه قبله يُردى ويُسعد بالحياة أبوه
وأنشدني أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان له [من السريع] :
الحمد لله وشكراً له على المعافاة من الأبنه

(١) ورد في الأصل : « يدعي الكتابة إلا » ، ولا يستقيم الوزن بذلك .

(٢) الجعس : القصير الدميم .

(٣) الصلف : الغرور والحق ، والسرف : الإفراط .

فليس فيما المرء يبلى به أعظم منها في الوري محنه

وأنشدني حاضر بن محمد له في علوي [من البسيط]:

مَنْ كَانَ خَالِقَ هَذَا الْخَلْقِ مَادِحَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ شَيْءٌ مِنْهُ مَفْرُوعُ
فَإِنْ أَطْلُ أَوْ أَقْصَرُ فِي مَدَائِحِهِ فَلَيْسَ بَعْدَ بِلَاغِ اللَّهِ تَبْلِيغُ
وَلَهُ أَيْضاً [من الخفيف]:

إِنَّ أَذْنِي تَمَلُّ طَوْلَ كَلَامِهِ وَفُؤَادِي يَمَلُّ طَوْلَ مَقَامِهِ
إِنَّ أَمْرِي وَأَمْرَهُ لَعَجِيبُ مَتُّ مِنْ بَغْضِهِ وَحُبُّ غَلَامِهِ

٤٤ - أبو عبد الله الشبلي

من حسنات بوشنج وأفرادها ، وكان يكتب ببخارى للأفتكين الخازن ، ويعنون كتبه بمحمد بن أحمد الشبلي ، فلما قلد الوزارة لصاحبه وارتفع مقداره أسقط الشبلي من كتبه واقتصر على اسمه واسم أبيه ، وقال فيه بعض الشعراء [من البسيط] :

محمد أسقط الشبلي من كتبه تَرْفَعاً بِاسْمِهِ عَنْ ذِكْرِ مَنْتَسِبِهِ
كَأَنَّنِي بِقِفَاهِ وَهُوَ مَرْتَجِعُ تَصْحِيفَ مَا قَدْ نَفَاهِ الْآنَ عَنْ كَتَبِهِ

وتنقلت بالشبلي أحوال بعد هلاك صاحبه ، فبدرت منه أمور أدت إلى نفي صاحب الجيش أبي الحسن بن سمحور إياه إلى النون من بلاد قهستان فلما طال مقامه بها قال [من المتقارب] :

تعلّمت بالنون أكل الأقط وغزل العهون ونسج البسط^(١)

(١) الإقط : الجبن ، والعهن : القطن .

وما كنتُ فيما مضى هكذا ولكن من الدهر جاء الغلط
وإنما احتذى فيه قول بابك [من المتقارب]:

تعلمت في السجن نسج التُّكك وقد كنت من قبل حبسي ملك
وقد صرتُ من بعده عدَّة وما ذاك إلا بدور الفلك

* * *

٤٥ - أبو علي المسبخي

هو الذي يقول فيه الحكام [من الرجز]:

لم أر في الحكام كالمسبخي يطمع في الجلد الذي لم يسلخ
وكان باقعة في الحكام ، وفي العلوم من الأعلام ، وفي نفسه كما قال
بعض العصرين من أهل نيسابور في غيره [من الخفيف]:

يا طبيباً منجماً وفقياً شاعراً شعره غذاءُ الروح
أنت طوراً كمثّل جامع سفياً ن وطوراً تحكي سفينة نوح

وتولى المظالم ببلخ مرة فكتب إليه أبو يحيى العمادي يداعبه ويطايبه
ويستهديه من ثمرات بلخ ، فأهدى إليه عدل صابون ، وكتب إليه كتاباً قال في
فصل منه «وقد بعثت الى الشيخ أيده الله تعالى عدل صابون ليغسل به طمعه عني ،
والسلام».

وتولى مرة قضاء سجستان فمن قوله فيها [من المتقارب]:

حلولي سجستان إحدى النوب وكوني بها من عجب العجب
وما بسجستان من طائل سوى حسن نرجسها والرطب
وهو القائل فيها [من الخفيف]:

يا سجستان قد بلوناك دهرأ في حراميك من كلا طرفيك

أنت لولا الأمير فينا لقلنا لعن الله من يصير إليك
وله [من السريع]:

وعدتني وعداً وقربته تقريباً حرّ ليس بالمستزاد
حتى إذا مارمت تحصيله كان بعيداً مثل يوم المعاد

وله [من الطويل]:

هل الدهر إلا ساعة تنقضي بما كان فيها من عناء ومن خفض
فهونك لا تحمل مساء عارض ولا فرحة سرّت فكلتاها تمضي
وعندي له أبيات قد خفي علي مكانها وفيما كتبته من شعره كفاية .

٤٦ - أبو الحسن أحمد بن المؤمل

كاتب أبي الحسن ، فائق الخاصة من كبار الكتاب بخراسان ، وأكثرهم
محاسن وفضائل ، وله شعر كثير يجمع الجزالة والحلاوة ، فمن ملحه ما أنشدنيه
وقوافيه متشابهة في طريقة أبي الفتح البستي [من البسيط]:

طرا عليّ رسولٌ في الكرى طاري من الطيور وأعطاني بمنقار^(١)
كتاب حبّ بعيد الدار أملح من يمشي على الأرض من بادٍ ومن قاري
تركنتني في بلادٍ لا أراك بها كأنّ قلبك من صخرٍ ومن قار^(٢)
وأنشدني أيضاً لنفسه [من الخفيف]:

إن أسيافنا العصاب الدوامي تركت ملكنا قرين الدوام^(٣)

(١) طرا : أصله طراً وطاري إسم فاعل منه سهلت الهمة لضرورة الشعر .

(٢) القار : القطران .

(٣) العصاب : الفاطعة ، والقرين : الصاحب والمثل .

لم نزل نحن في سداد ثغورٍ وأصطلام الأبطال في وسط لام
واقحام الأهوال من وقت حامٍ واقتسام الأموال من وقت سام
وله من قصيدة في أبي نصر بن زيد أولها [من الطويل]:

تولى ونار الشوق في القلب واقدةً ونار نشاطي مذ تباعد هامدةً
نهاري بلا أنسٍ ويلي كائنِي إلى الصباح ملقى تحت ساعد ساعده
ومنها :

تراعى طوال الليل عيني فراقده وعين الذي لا تفقد الألف راقده
أأيا منا هل أنت عائدةٌ لنا كما كنت أم هل في بكائك عائدة ؟
ومنها :

أبا نصرٍ القمر الذي عقت بمن يشاكلة في مجده كلٌ والده^(١)
هو القمر الفرد الذي لروائه تظل نجوم الأفق لاشك ساجده^(٢)
ومنها :

له قلمٌ سوق القضاء إذا جرت به يده في النهي والأمر كاسده
ويملي فيصغي الكاتبان تطرباً إلى مبدعاتٍ هنّ والسحر واحده
ولولا خلالٌ يحظر الدين ذكرها لقلت الذي يملي قرآنٌ على حده
وله وقد نقل معناه من بيتين للروزكي، وهما [من السريع]:

تصوّر الدنيا بعين الحجى لا بالتي أنت بها تنظرُ
الدهر بحرٌ فاتخذ زورقاً من عمل الخير به تعبر
وله وقد نقل معناه من بيتين للمعروف، وهما [من الطويل]:

إذا لم تكن لي من لدنك مبرّةً وزال رجائي عن نوالك في نفسي

(١) عقت : يقال امرأة عقيم أي لا تنجب، ويشاكلة : يشابهه .

(٢) الرواء : حسن المنظر .

فأنت إذاً مثلي أنيسٌ مصورٌ فلم أعبد الشيءَ المصورَ من جنسي
وله من قصيدة [من البسيط]:

سقياً للدهر مضى إذ نحن في شغل
إذ يومنا يوم عيدٍ طول مدتنا
وفتية كنجوم الليل طالعة
غدوا صحاحاً إلى الحانات وانصرفوا
عادوا أراجيح من حاناتهم أصلاً
وله [من الطويل]:

وقائلة لي ما بالك الدهر طافحاً
فقلت لها أفكرت في الخمر مرة
وله في معناه [من السريع]:

وسائلٍ عن مقتضى سكري وما درى لم هكذا صرت
قلت له استنشقت من منتشٍ رائحة الخمر فأسكرت
وانشدني أبو بكر الخوارزمي قول الأملی من قصيدة يذكر فيها حنينه إلى
أحمد بن حجر [من الطويل]:

وحجرٍ على عيني أن يطعما الكرى إلى أن يرى حجراً يناغي على حجر^(١)
فقال : الآن علمت أنه إنما سمى ابنه حجراً ليطرد هذا البيت . وقال [من
الطويل]:

-
- (١) الشم : من الشمم وهو الإباء والعلاء ، والعرائن : الأنوف .
(٢) الأراجيح : متمايلين من الخمر ، والأصل : جمع أصيل وهو المساء ، والموازين : يعني بها اعتدالهم قبل احتسائهم الخمر .
(٣) حجر في أول البيت بكسر الحاء وسكون الجيم ، وهو وصف معناه بمنوع ، والثانية إسم علم والثالثة حجر الإنسان بكسر فسكون أيضاً .

نأى مذ نأيتم نوم عيني فلم يعدْ وغبتم فغابت سرتي ومسرتي
كفى بي اعتباراً أنني مذ عبرتُم كيعقوب ما ترقا من الشوق عبرتي^(١)

* * *

٤٧ - أبو إسحاق إبراهيم بن علي الفارسي

من الأعيان في علم اللغة والنحو ، وورد بخارى فأجل وبجل . ودرس عليه
أبناء الرؤساء والكتاب بها وأخذوا عنه ، وولي التصفح في ديوان الرسائل فلم يزل
يليه إلى أن استأثر الله به ، وله شعر لم يقع إلي منه إلا أنشدنيه حاضر بن محمد
الطوسي من قصيدة له في بعض رؤساء الحضرة يستهدي منه جبة خز أبيض غير
ليس وهو هذا [من الكامل] :

وأعنْ على برد الشتاء بجبَّةٍ تذر الشتاء مقيداً مسجوناً
سوسيةً بيضاء يترك لونها ألوان حسّادي شواحب جونا^(٢)
عذراء لم تلبس فكفك في العلا تؤتي عذارها وتأبى العونا
تسبي بهجتها عيوناً لم تزلْ تسبي قلوباً في الهوى وعيونا
مثل القلوب من العداة حرارةً مثل الخدود من الكواعب لينا

* * *

٤٨ - أبو جعفر الرامي محمد بن موسى بن عمران

من أفراد الأدباء والشعراء بخراسان عامة ، وحسنات نيسابور خاصة . إذ هو
من الرام أحد رساتيق نيسابور ، وكان مع سبقه في ميادين الفضل راجحاً في موازين
العقل ، وترقت حاله من التأديب بنيسابور إلى التصفح في ديوان الرسائل ببخارى
بعد أبي إسحاق الفارسي ، وهبت ريحه وبعد وصيته ، وله شعر كعدد الشعر غلب

(١) ترقا : تنقطع وتفارق ، والعبرة : الدمعة .

(٢) الجون : الأسود وهو من الأضداد .

عليه التجنيس حتى كاد يذهب بهلاؤه ، ويكدر ماؤه «وكل كثير عدو الطبيعة» فمن ملحه التي تستملح من وجه ولا تستجاد من آخر قوله هذه الأبيات [من الطويل] :

مضى رمضان مرمض الذنب فقده وأقبل شوالٌ تشول به قهراً^(١)
فيا لك شهراً أشهر الله قدره لقد شُهرت فيه سيوف العدا شهراً

ومن تجنيسه المستجاد المرتضى قوله من مقصورة في وصف السيف [من الرجز] :

مهندٌ كأنما صقيلُهُ أشربه بالهند ماء الهندبا
يختطف الأرواح في الروع كما تُختطف الأبصار حين ينتضى^(٢)

وقوله في جارية له توفيت [من مجزوء الكامل] :

لي في المقابر درّة أمسى التراب لها صدفٌ
لما غدت هدف البلا أصبحت للبلوى هدفٌ

وقوله من قصيدة [من الطويل] :

ومن منصفٍ من ريب دهري فإنني أسير أسيراً للحوادث مقصداً
صريحٌ بآدابي يد الدهر للدهر بدهياء مقصوداً بفاقرة الفقر
فإن تكن الأيام أزرت بهمتي أويت إلى كهف المكارم والعلا
لأغلي به قدري وأعلي به قدري أعادت سجاياه اللجين بجوده
نضاراً وقد أهدت نثاراً إلى التبر لقد صيغ من بيض السبائك طبعه
فحالٌ سبيك الصفر صيغٌ من الصفر

(١) مرمض الذنب : من الرمضاء ، وهو شدة الحرارة ، وتشول : ترفع . والقهر : الغلبة .

(٢) ينتضي : يسحب من غمده .

(٣) أزرت : استهانت .

وله من تشبيب قصيدة [من الكامل]:

مزَجَتْ سوابقَ عبْرٍ بعبير
وتبسَّمتُ بين البكاء فخلتها
فكأنَّما هي روضةٌ ممطرةٌ
وترنو إليَّ بنرجسٍ ممطورٍ

ومن أخرى [من الكامل]:

لشؤونٍ عيني في البكاء شؤون
وخلالَ أثوابي خلالُ مذهبٍ
أبديتُ مكنونَ الهوى لما بدا
وأزارني جون العقارب بغتةً
والقلب مقرونٌ بكلِّ بليَّةٍ
وجفون عيني للبلاء جفونٌ^(١)
أضناه همٌ في الحشى مدفونٌ
للعين ذاك اللؤلؤ المكنونٌ^(٢)
وردان فوقهما عقارب جونٌ
مذلاح ذاك الحاجبُ المقرونُ

وله من أخرى [من الكامل]

لزم السخاء فلا يقالُ ضنينٌ
ما البائس المسكين غير تلاده
ونحا الوفاء فلا يقال ظنينٌ
إذ يعتفيه البائس المسكين^(٣)

وله من أخرى [من المنسرح]:

السحر من مقلتيك ينتثرُ
يا شادنأ سِخر الجمال له
الريق والطرف منك ياسكني
خَصَرْنِي خَصْرَكَ الهُضيم ولا
والخمر من وجنتيك يُعتصرُ
فكلُّ أفكارنا له سُخْرُ
ضدَّانَ ذا سكرٌ وذا سكرٌ
دواء إلا رضابك الخَصير^(٤)

(١) الصبير : الغمام الأبيض .

(٢) شؤون العين : مجاري الدمع .

(٣) المكنون : المستور ، المحاط .

(٤) التلاد : المال القديم الموروث ، يعتفيه من العفاء : وهو الهلاك والزوال .

(٥) الرضاب الخصر : الريق البارد .

الله فينا فإنَّ رحمته حَجَرٌ عَلَى من فَوَّاده حجرٌ^(١)
 صورك الله فتنةً فغدت صوراً إليك العيون والصُّورُ
 غادرت في جفن ناظري عُذْراً يمدُّها الغدر منك يا غِدِرٌ^(٢)
 يسومني الصبر عاذلي سفهاً والصبر عن مثل وجهك الصبر
 هان على الأملس المسيب ما يلقيه من ثقل حمله الدبر^(٣)

وله من أخرى [من الخفيف] :

لي حبيبٌ بالشطِّ شطَّت دياره وغدا للأسود زاراً مزاره
 كان جاري فجار عني ، لا ، بل جار بغياً عليّ واللّه جاره
 فرُّ مني تدلُّلاً ثمت افتسر ، بنفسي فراره وافتراره !
 رشاً أرسل الرشاء من المسك على عارضٍ يروق احمراره^(٤)
 عاذلي اعذرا فإنَّ عِذارِي عانق الشيب حين طرَّ عذاره^(٥)
 لم يعانق ظلامي الصبح إلّا بعد أن عانق الظلام نهاره

وله من نتفة [من الخفيف] :

أيها السيد الجليل الذي أصبح في المجد والمكارم فردا
 استمع من قريض عبدك بيتاً سار في الخافقين غوراً ونجدا
 ليس غير الكريم من ينجز الوعد ولكن من يجعل الوعد نقدا

* * *

(١) حجرٌ : منعٌ .

(٢) الغِدِرُ : من الغدير وهو الماء المتجمّع في منخفضٍ من الأرض .

(٣) أخذه من مثل لهم وهو « هان على الأملس ما لاقى الدبر » .

(٤) الرشأ : الغزال ، والرشاء : الحبل وهنا ربّما يعني به الشال ، والعارض : صفحة الخدّ .

(٥) طرَّ عذاره : طرّ : نبت ، وأضاء ، والعذار : الشعر الذي يحاذي الأذن من جانب اللحية .

٤٩ - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الجرجاني

المقلب طر مطراق

كاتب شاعر ، ظريف فاضل ، من أعيان العمال ببخارى ، وقد تقدم ذكره عند ذكر الهزيمي .

أنشدني السيد أبو جعفر الموسوي قال : أنشدني أبو عبد الله لنفسه [من السريع] :

نصينا من طول آمالنا تعسفُ في خدمةٍ دائبةٍ
وحاصل الذلِّ بلا طائلٍ والشأن في منتظر العاقبة

ومما يستظرف ويستلمح من شعره قوله في فتي من أبناء الموالي ببخارى وكان مهالكاً في هواه [من الرمل] :

أنا والصبر فقدُ بشرني نائب المسك بصفحات العقيقِ
سنةً أخرى وقد أخرجني شعر خديك من العقد الوثيقِ

وأنشدني أبو سعد نصر بن يعقوب له من قصيدة في وصف الجركاه [من البسيط] :

كأنه سحبٌ من فضةٍ ضُربتْ وزينتُ بدنانيرٍ مفاصله
إن قرَّ ليلٌ كفى النيران ساكبه أو جاد غيثٌ بغشاه هاطله
لا تخذر الهدمَ فيه حين تنزله إذا توالى على بيتٍ زلازله

* * *

٥٠ - أبو محمد عدي بن محمد الجرجاني

من ذوي الفضل ، الطالبين للفضل ببخارى ، والمتصرفين على عمل البريد منها ، وله شعر حسن مشهور ، فمن ذلك قوله [من الطويل] :

متى أُشربتْ ماء الحياة وجوهنا تنقلَ عنها ماؤها وحيائها

إذا كانت الصهباء شمساً فإنّما يكون أحاديث الرجال هباؤها

٥١ - عبد الرحيم بن محمد الزهري

أديب شاعر ، يقول لأبي محمد عبد الله بن محمد بن عزيز قبل وزارته [من مجزوء الكامل] :

اليمنُ انشقني نسيمةً وأزاح عن قلبي همومةً
بمكانة الشيخ الرئيس وعزُّ رتبته العظيمة
فلا أغني بفضله عن ذكر خدمتي القديمه

ويقول في مرثية ابن العتي [من السريع] :

مرّ على قبرك أعوانكا فكلّهم هالهم شانكا
ولم يزيدوك على قولهم عزّ على العليا فقدانكا

٥٢ - أبو القاسم إسماعيل بن أحمد الشجري

كاتب شاعر ، أدركته حرفة الأدب فأزعجته عن وطنه ورمّت به إلى بخارى ، فلم يجد للغربة شافع أدبه وفضله ، ووجد متصرفاً فتماسكت حاله ، ولما انقضت الدولة السامانية عاود وطنه ثم فارقه وورد به على أبي الفتح البستي فأقام عليه مدة ثم قصد الفارياوات واستوطنها ، ومن ملحه قوله وهو منقول من بيتين بالفارسية للأعاجم [من البسيط] :

إن شئت تعلم في الآداب منزلتي وأنني قد عداني العزُّ والنعمُ
فالطرف والسيف والأوهاق تشهد لي والعود والنرد والشطرنج والقلم^(١)

(١) الطرف : الكريم من الرجال ، والأوهاق : جمع وهق : حبل في أحد طرفيه عقدة يطرح في عنق الدابة أو الإنسان حتى يؤخذ ، وهنا يقصد أنّه كان يمسك بزمام الأشياء ويسيرها كيف يشاء .

وله وقد دعاه إخوان له إلى بعض المنتزهات ببخارى فخرج فلم يهتد إليهم

[من الوافر] :

ظننتم في التجشّم بي جميلاً وأرجو أن أكون كما ظننتم
وما أعصيّكمُ أمراً ونهياً ولكنّ لستُ أدري أين أنتم

وله من قصيدة [من الطويل] :

نهارى ولم أبصر محيّا مظلّم وليلي إذا أبصرته غير مظلّم
أتظلمني الأيام وهي خبيرة بأنّ إليه - إن ظلمت - تظلمني

ومن أخرى [من البسيط] :

يباب غيرك للأخيار أخية وما ببابك إلا الفقر والبوس
أخدمونك لا والله عن مِقّة وما لهم منك مطعموم وملبوس^(١)

وله من نتفة [من الطويل] :

جميلٌ محيّا ، وكالدعص ردّفه حميد سجايه ، وليس له خصم^(٢)

وله من قصيدة في ابنه [من الوافر] :

نصحتك في التأدّب ألف مرّة فلم ينفعك نصحي فيه ذرّة
أؤمل أن تكون لكلّ باب من الآداب للأدباء غرّة
فلما خنت فيك رجوت أن لا تخلّ بكلّها فتكون عرّة^(٣)
ولست أقول أنت فتى غبي ولكن فيك إعجاب وشيرة
ولا أنّي علمت السرّ لكن أدلّني على السرّ الأسرّة

(١) المقة : المحبة .

(٢) الدّعص : الكتيب من الرمال ، والردف : إلية المؤخرة ، والسجايه : الصفات .

(٣) العرّة : العيب ، والخلّة القبيحة .

وكم من مضمّرٍ أمراً خفياً تعرفني الأسرةُ فيه سرّة
إذا ما لم تطعُ من أنت منه فلا تأمل تحفّيه وبرّة^(١)
ولا تغفلُ بحلوِ هواك وعظي فإنّ مغبّةً الإغفال مرّة
وكتب إلى أبي الحسن أحمد بن منصور [من الكامل] :

ما لي وكنْتُ مقرّباً أقصيتُ وذُكرت فيما قبلُ ثم نسيْتُ
وحُجبتُ بعد الإذن ، كنت مشرفاً بجماله في أيّ وقتٍ شيْتُ
وحرمتُ حظي من تحفّيك الذي قد كنت مسعوداً به فشقيْتُ
الزلةُ فأتوبُ أم لمّالةٍ فألوم إذ شمل الملوك شتيْتُ
إن كنت ترضى بالقطيعة شيمةً فبطاعتي لك حيث كنت رضيْتُ
إن لم أكنُ في خدمتي ومودتي لك مخلصاً فمن الإله بريْتُ

٥٣ - أبو الحسن محمد بن أحمد الإفريقي المتيّم

صاحب كتاب أشعار الندماء ، وكتاب الانتصار للمتنبّي ، وغيرهما ، وله ديوان شعر كبير ، ورأيتُه ببخارى شيخارث الهيئة تلوح عليه سيماء الحرقه ، وكان يتطبّب ويتنجم ، فأما صناعته التي يعتمد عليها فالشعر ، ومما أنشدني لنفسه [من البسيط :

وفتيّة أدباء ما علمتهم شبّهتهم بنجوم اللّيل إذ نجموا^(٢)
فروا إلى الراح من خطبٍ يلمُّ بهم فما درت ثوبُ الأيام أين همُ
ومما أنشدني أيضاً لنفسه [من الطويل] :

تلوم على ترك الصلاة خليلتي فقلت أغربي عن ناظري أنت طالقُ

(١) تحفّيه : من الحفو : وهو العطاء والإكرام ..

(٢) نجموا : طلّعوا .

فوالله لا صَلَّيتُ اللهَ مفلساً وتاش وبكتاش وكنباش بعده
وصاحب جيش المشرقين الذي له ولا عجب إن كان نوحٌ مصلياً
لماذا أصلي؟ أين باعي ومنزلي وأين عبيدي كالبدور وجوهمهم
أصلي ولا فترٌ من الأرض يحتوي تركت صلاتي للذين ذكرتهم
بلى، إن عليَّ الله وسَّع لم أزل فإن صلاة السيِّءِ الحالِ كلَّها
يصلي له الشيخ الجليل وفائق ونصر بن ملك والشيخ البطارق
سرايب مالٍ حشوها متضايق لأن له قسراً تدين المشارق
وأين خيولي والحلى والمناطق؟ وأين جوارِي الحسان العواتق؟
عليه يميني؟ إنَّني لمنافق^(١) فمن عاب فعلي فهو أحقُّ مائق^(٢)
أصلي له ما لاح في الجوِّ بارقٌ مخارق ليست تحتهن حقائق^(٣)

وأنشدني أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان له في فتى صبيح من أولاد
الرؤساء خلع عليه دراعة وقد كان لبسها [من المجتث]:

أتت على ماء ظهري دراعةً أهديت لي
إذا علنتني تذكرت من علته فادلي

وأنشدني له أيضاً [من مجزوء الرمل]:

وصديق جاءني يسألني ماذا لديك
قلت: عندي بحر خمير حوله آجام نيك^(٤)

ومن ملح الإفريقي في غلام تركي [من السريع]:

قلبي أسيرٌ في يدي مقلّة تركية ضاق لها صدري

(١) الفتر: ما بين طرف الإبهام وطرف السبابة إذا فتحتها جمعه أفنار.

(٢) المائق: الغبي مع الحمق.

(٣) المخارق: من الخرق، وهو الجهل، أو الذي لا يحسن القيام بالعمل.

(٤) الأجام: الحصن.

كأنّها من ضيقها عروّةً ليس لها زُرٌّ سوى السحرِ
وقوله في معناه [من المنسرح] :

قد أكثر الناس في الصفات وقد قالوا جميعاً في الأعين النجل^(١)
وعين مولاي مثل موعده ضيقٌ عن مراد الكحل

٥٤ - أبو الحسين أحمد بن محمد بن ثابت البغدادي

أحد الفضلاء الطارئين على تلك الحضرة والمقيمين بها ، وله شعر كثير
النكت ، كقوله وأنشدني له أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان [من الخفيف] :

قال لي من يسره أن يراني ناحلَ الجسم لا أطيعُ حراكا
قم أضحى يسيراً وجداً ويذري دمة العين منه سحاً دراكا^(٢)
أين من كان واصلاً لك في الصّحة حتى إذا اعتللت جفاكا
كلُّ من لم يعدك في حالة السُّقم تمنى لك الرّدى والهلاكا
حذراً أن يراك يوماً من الدهر صحيحاً فيستحي أن يراكا
قلت لا تعجلنْ فإنّ رحا الدهر — بأنياه تزور عداكا
سوف تبرأ ويمرضون وتجفو هم فإن عاتبوا فقل ذا بذاكا
كلُّ من لم يعدك في حالة السُّقم تمنى لك الرّدى والهلاكا

وله [من الخفيف] :

هي حالان شدةٌ ورخاءٌ وسجالان نعمةٌ وبلاءٌ
والفتى الحازم اللبيب إذا ما خانته الدهر لم يخنه العزاء

(١) النجل : الواسعة .

(٢) سحاً : سحّ الماء أي هطل ، والوجد الحب الشديد ، ويسرّ : يخفي .

إن ألمَّت مُلَمَّةٌ بي فإني في الملمات صخرةٌ صماءُ
صابرٌ في البلاء طَبٌّ بأن ليس على أهله يدوم البلاءُ
فالتداني يتلو التناثي والإقستار يرجي من بعده الإثراءُ
وأخو المال ماله منه في دنياه إلا مذمةٌ أو ثناءُ
وإذا ما الرجاء أسقط بين الناس فالناس كلهم أكفاء

٥٥ - أبو منصور البوشجني الملقب بمضراب الشعر

استغرق أيامه ببخارى يشعر بلا رأس مال في الأدب ، وكثيرا ما يأتي
بالمح ، وجل قوله في الوزراء ، فمن ذلك قوله [من السريع] :

أبو عليّ وأبو جعفر ويوسف الهالك بالأمس
ثلاثة لم يك لي منهم نفعٌ بدينارٍ ولا فلس
لذا لم أبك على هالك غيَّب منهم في ثرى رمس^(١)

وقوله [من مخلع البسيط] :

نحن بأبواكم حيارى وأنتم مثلنا حيارى
فبعضنا يستجير بعضاً وبعضنا عندكم أسارى
وكلنا من شراب جهلٍ بوصف أحوالنا سكارى
وأي عذرٍ لنا فحول تُعدُّ في جملة العذارى

وقوله [من المتقارب] :

وكنّا زماناً ندّم الزمان ونرثي الوزارة بالبلعمي

(١) الرمس : القبر .

فأخّرنا العمر حتى انتهت من البلعمي إلى البرعشي
وسوف تقول على ما أراه من البرعشي إلى البرمكي

وقوله [من الطويل] :

وكنّا نذم الدهر من غير خبرة بيوسفه والبلعمي وغيره
إلى أن رمانا بالغفاري بعدهم وعاندنا في عبده وعزيره
وما قدرعانا في ابن عيسى وزوره وفي ابن أبي زيد السفية وسيره
ولم نرض بالمقدور فيهم فأمنا بكل كسير في الوري وعويره

وأنشدني أبو النصر العتيبي في أبي الحسن العتيبي [من الوافر] :

قلوبُ الناس والهةٌ سقاما ونفس المجد والهةٌ سقيمه
وما فجعت بك الدنيا ولكن تركتَ بفقدك الدنيا يتيمة

الباب الثالث

في ذكر المأموني والواثقي ، ومحاسن أخبارهما وأشعارهما
لما كان أبو طالب المأموني وأبو محمد الواثقي من جملة الطارئین علی
بخاری والمقیمین بها ، ومميزین عنهم بشرف المنصب ، وكرم المتسبب ،
وفضل المكتسب - أفردت لهما باباً يتلو الباب المقصور عليهم ليجاوراهم
ويقارباهم من جهة ، ويفارقاهم ويباعداهم من أخرى .

* * *

٥٦ - أبو طالب عبد السلام بن الحسين المأموني

من أولاد المأمون أمير المؤمنين . كان أحد - بل أوجد - أفراد الزمان شرف
نفس ونسب ، وبراعة فضل وأدب ، فياض الخاطر بشعر بديع الصنعة ، مليح
الصيغة ، مفرغ في قلب الحسن والجودة ، ولما فارق وطنه بغداد لحاجة في نفسه
وهو حدث لم يبقل وجهه ورد الري وامتدح صاحب بقصائد فرائد ملكه العجب
بها ، وأبهره التعجب منها ، فأكرم مورده ومثواه ، وأحسن قراه ، ووعدته ومناه ،
فدبت به عقارب الحسدة من ندماء صاحب وشعرائه ، وطفقوا يركبون الصعب
والذللول في رميه بالأباطيل ، ويتقولون عليه أقبح الأقاويل ، فطوراً ينسبونه إلى

الدعوة في بني العباس ، ومرة يصفونه بالغلو في النصب^(١) واعتقاده تكفير الشيعة والمعتزلة ، وتارة ينحلونه هجاء في صاحب يعرب عن فحش القدح ، ويحلفون على انتحاله ما أصدر من شعره في المدح ، حتى تكامل لهم إسقاط منزلته لديه ، وتكدر مأؤه عنده وعليه ، وفي ذلك يقول من قصيدة يستأذنه فيها للرحيل أولها [من البسيط]:

يا ربعُ كنتُ دمعاً فيك منسكباً قضيتُ نحبي ولم أقض الذي وجبا
لا ينكرنُ ربعك البالي بلى جسدي فقد شربت بكأس الحبِّ ما شربا
ولو أفضتُ دموعي حسب واجبها أفضتُ من كلِّ عضوٍ دمعاً سرباً^(٢)
عهدي بعهدك للذاتِ مرتباً فقد غدا لغواذي السحب منتحبا
فيا سقاك أخوجفن السحاب حياً يحبو ربا الأرض من نور الرياض حبا
ذو بارقٍ كسيوفِ الصاحب انتضيتُ ووابلٍ كعطاياه إذا وهبا

ومنها :

فكنتَ يوسف ، والأسباط ، وأبو ال أسباط أنت ، ودعواهم دماً كذبا
وعصبه بات فيها الغيط متقدماً إذ شِدَّتْ لي فوق أعناق العدى رتبا
قد ينبح الكلب ما لم يلق ليث شرياً حتى إذا ما رأى ليثاً قضى رهبا
أرى مآربكم في نظم قافيةٍ وما أرى لي في غير العلا أربا
عدّوا عن الشعر إن الشعر منقصةٌ لذي العلا وهاتوا المجد والحسبا
فالشعر أقصر من أن يستطال به إن كان مبتدعاً أو كان مقتضباً

(١) النصب : بفتح فسكون : مقاله لقوم جعلوا ديدنهم النيل من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ومناصبته العداء .

(٢) سرباً : جارياً .

ومنها :

أسير عنك ولي في كلّ جارحةٍ فمُ بشكرك يجري مقولاً ذرباً^(١)
ومن يردُّ ضياءَ الشمس إن شرتُ ومن يردُّ طريق الغيث إن سكباً
إنني لأهوى مقامي ذي ذراك كما تهوى يمينك في العافين أن تهبا
لكن لسانِي هوى السير عنك لأنّ يطبق الأرض مدحاً فيك منتخبا
أظنني بين أهلي والأنام همُ إذا ترحلتُ عن مغناك مغتربا

ثم إنه فارق الري وقدم نيسابور ، فأشار عليه أبو بكر الخوارزمي بإنشاء قصيدة في الشيخ أبي منصور كثير بن أحمد يسأله فيها تقرير حاله عند صاحب الجيش أبي الحسن بن سيمجور ، فعملها وأوصلها أبو بكر وشعها من الكلام بما أوقعها موقعها ، أولها [من المتقارب] :

أبى طارق الطيف إلّا غرورا فينوي خيالك أن لا يزورا
فما أكرهُ الطيف في نفسه ولكنني أكره الوصل زورا
إلى الله أشكو مُنى في الحشى تضمّن جنباي منها سعيرا
تفارق بي كلّ يوم خيلا وتفجع بي كلّ يوم عشيرا
فإنّ تسألاني يا صاحبي نص السرى تجداني خبيرا فأفارق ربعاً وأحتلّ كورا^(٢)
ففي كل يوم تراني الركاب لعودي السنين وخلّ الشهورا
إذا سرت عن صاحبي قلت عد وقد طبق الأرض شعري مسيرا
أراني ابن عشرين أو دونها تجوب السهول وتطوي الوعورا
إذا قلت قافيةً لم تزل لكان أبو هاشم بي فخورا
ولو كان يفخر ميتٌ بحي لما كنت أخطب إلّا السريرا
ولو كنت أخطب ما أستحق

(١) ذربا : لسان ذرب أي فصيح ، والسيف الذرب : الحادّ القاطع .

(٢) الربع : المقام بين قوم من الأقوام ، والكور : الحمل ، وهنا دليل على كثرة ارتحاله .

ولو سرت صاحبت ملوك البلا
ولكنني مكتفٍ باليسير
إذا أكثر الناس شيم الغمام
فتى ملئت بردتاهُ علاً
إذا ضمّه الدست ألفيته
وإن أبرزته وغى خلته
فطوراً مفيداً وطوراً مبيداً
ترى في ذراه لسان المنى
تضمُّ الأسرة منه ذكاً
إليك من الشعر عذراء قد
إذا أنا أنشدتها أفحم الزمان
ولو أن أفئدة السامع
ولست أحاول مهراً لها
فأنت يدٌ ولسانٌ له
فلا زلتما للعللا معصمين

د بين يديّ النفير النفيرا
إذا سهل الله ذاك اليسيرا
فلا شمت في الأرض إلا كثيراً^(١)
ونيلاً ومجداً وفضلاً وخيراً
سحاباً مطيراً وبدراً منيراً
حساماً بتوراً وليشاً هصوراً
وطوراً مجيراً وطوراً مبيراً^(٢)
طويلاً وباع الليالي قصيراً
وتحمل منه المذاكي ثبيراً^(٣)
طوت طيئاً وأجرت جريراً
وأسمع قولي الصم الصخوراً^(٤)
ن تسطيع شقت إليّ الصدورا
سوى أن تُبلغ أمري الأميرا
إذا أحدث الدهر خطباً كبيراً
تُدعى الأميرُ ويدعى الوزيرا

فلما وقف على صورة حاله أنهاها الى صاحب الجيش ، فاستدعاه وحين
وصل إليه استقبله بخطوات مشاها إليه ، وبالح في إعظامه ، وأبلغ في إكرامه ،
ثم خيره بين المقام بنيسابور وبين الانحدار إلى الحضرة ببخارى ، فاحتار
الخروج ، فوصله وزوده من الكتب إلى وزير الوقت وغيره من الأركان ، ووكله
بالباب أبي جعفر الرّماني ، فأحسن موقعه وأثره ، وحصل معه وطره .

(١) شيم الغمام : النظر إليه .

(٢) مبيراً مهلكاً .

(٣) المذاكي : الخيل الفتية ، وثبير : جبل من الجبال ، وهذا دليل على قوته وعظمته .

(٤) كذا ، والبيت غير مستقيم الوزن .

ولما دخل بخارى لقي أبا الحسن عبد الله بن أحمد بقصيدته التي منها [من

الطويل] :

وليلٍ كأنِّي فيه إنسانٌ ناظرٍ يقلُّب في الآفاق جفنيه دانيا
إذا ما أملتني به نشوةُ الكرى تمايل في كَفِّي المثقَّفُ صاحيا
وإن ما طمي لجَّ المنى بين أضلعي تعسَّفت لَجاً من دجى الليل طاميا^(١)
فأمسى شجاً في ظلمة الليل والجأ وأضحى قذى في مقلة الصبح غاديا^(٢)
حسامي نديمي والكواكب روضتي وبيت السرى ساقى والسير راجيا
ولما رأى الشيخ الجليل إقامتي عليه وتطليقي لديه المهاريا
دعاني وأدنانني وقرب منزلي ورَحَّب بي وانتاشني واصطفانيا^(٣)
همامٌ يبكي المشرفة ساخطاً ويضحك أباكراً الأمانى راضيا
ولو أن بحراً يستطيع ترقياً إليه لأمَّ البحر جدواه راجيا

وبقصائد غيرها ، فتقبله بكلتا اليدين ، وأعجب منه بفتى من أولاد الخلافة يملأ العين جمالاً والقلب كمالا ، وواصل صلاته ، وخلع عليه ، وألحقه في الرزق السلطاني بمن كان هناك من أولاد الخلفاء كابن المهدي وابن المستكفي وغيرهما .

ولما قام أبو الحسن المزني مقام العتيبي زاد المأموني إكراماً وإجلالا وأفضل عليه إفضالاً بسبب مناسبة الآداب التي هي من أوكد الأسباب وأقرب الأنساب .

ولما كانت أيام ابن عزيز وأيام الدامغاني وأيام أبي نصر بن أبي زيد جعل كل منهم يربي على من تقدمه في الإحسان إليه ، وإدراار الرزق عليه ، وإخراج الخلع

(١) لجَّ : ألج ، واللُّجَّ : معظم الماء، وطما : ارتفع موجه وغمر ماؤه ما حوله .

(٢) الشَّجَا : ما اعترض في الحلق من عظم أو نحوه والقذى : ما وقع في العين من وسخٍ وغيره .

(٣) انتاش : طلب ، واصطفى : اختار .

السلطانية والحملانات بمراكب الذهب له ، حتى حسن حاله ، وتلاحق ماله ،
وظهرت مروءته .

فمن شعره في المزمي قوله من قصيدة أولها [من الكامل] :

أنا بين أحشاء الليالي نارُ	هي لي دخانُ والنجومُ شرارُ
فمتى جلا فجرُ الفضاءِ ظلامها	صليت بيَ الأقطارُ والأمصارُ ^(١)
بيَ تحلمُ الدنيا وبالخير الذي	ليَ منه بين ضلوعها أسرارُ
فبكلِّ مملكةٍ عليَّ تلهفُ	وبكلِّ معركةٍ إليَّ أوارُ ^(٢)
يا أهلُ ما شطَّتْ برجلي رحلةُ	إلا لتُسفرَ عني الأسفارُ
ليَ في ضمير الدهر سرُّ كامنُ	لا بدُّ أن تستلَّه الأقدارُ
حقنت يداه دَمَ المكارم مذغدا	دُمُ كلِّ حرٍّ فاه وهو جبارُ
طبعَت مَزينةً منه عضباً ماله	في غير هامات الأسود قرارُ ^(٣)
أراؤه بيضُ الطبى وحديثه	روضُ الربى ويمينه تيارُ
ضمَّت على الدنيا بدائع لفظه	فكأنها زندٌ وهنٌ سوارُ
وإذا العلوم استبهمت طرقاتها	فدووه أعلامٌ لها ومنارُ
عزمتهم قصبٌ وفيضٌ أكفهم	سحبٌ وبيضٌ وجوهم أعمارُ
ختم الرئاسة بالوزارة فيهم	أسدٌ له السمر الذوايل زارُ ^(٤)

ومنها :

يا من إذا طرأ القبائل شاعرُ	صلَّت على آبائه الأشعارُ
فارحم بمنكبك السماء أما ترى	لسواك في خطط النجوم جوارُ

(١) صليت : أوقدت وأصل النار ، أوقدها .

(٢) الأوار : حرَّ الشمس والنار ، واللهب والدخان .

(٣) العضب : السيف القاطع .

(٤) السمر الذوايل : الرماح الدقاق ، وزار : من زفير الأسد ، أي أن زفيره يكون رماحاً على الأعداء .

والأرض ملكك ، والورى لك غلمةٌ والدهر عبدك ، والعلا لك دار

ومن شعره في أبي محمد عبد الله بن أحمد بن عزيز قوله من قصيدة [من الطويل]:

سيخلف جفني مخلفات الغمامِ
بأرضٍ رواق العزِّ فيها مطنَّبُ
يدين لمن فيها بنو الأرض كلَّهم
ويهماء لا يخطو بها الوهم خطوةُ
وقد نشرت أيدي الدجى من سمائها
فخلنا نجوماً في السماء أسنةُ
أعطُ قميصي قسطلٌ ودجنةُ
أيُّم عبد الله نجل محمدٍ
فمن مبلغ أهلي بأنِّي واجدُ
وأني من الشيخ الجليل وظلُّه
وأنَّ عيون الجود طوع أناملي
لقد علمت أرض المشارق أنَّها
وقد أيقنت أن ليس غيرك يُرتجى
فلاذتُ بلا وإنٍ ولا متقاعسٍ
ولا تاركٍ رأياً تلُّونا
يعمُّم بالهنديِّ حين يسلهُ

على ما مضى من عمري المتقادمِ
على هاشمٍ فوق السَّهى والنعمائمِ
وتعنولهم صيد الملوك الأعظم
تعسَّفتها بالمرقات الرواسم^(١)
رداء عروسٍ نُقِطت بالدرهم
مذهبةٌ ما بين بيضٍ صوارم
بذات الشكِّيم أو بذات العزائم^(٢)
وزير بني سامان تميم حاتم
طلايى من بحر الندى والمكارم
مطنَّب بيتٍ تحت ظلِّ الغمامِ
تدْفُق حولي بالسيول السواجم^(٣)
ييمنك قد عادت بليث ضبارم^(٤)
لقمع الأعادي أو لدفع المظالم
ولا ناكلٍ عن نصرة الدِّين جاثم
ولا قارعٌ عند الندى سنٌّ نادم
أسود الوغى بالضرب فوق العمائم

(١) المرققات : السريعة ، والرواسم : الجمال السائرة رسماً أي التي تترك أثرها على الرمال .

(٢) أعط : شقَّ القسطل : الغبار ، الدجَّة : الظلمة ، والشكِّيم : الإباء وقوَّة القلب .

(٣) السواجم : الغزيرة .

(٤) الضبارم : الشديد الخلق من الأسود ، ومن الناس : المحارب الجريء .

ويشرك من أمواله في الكرائم
ولا غيث إلا ما أفضت لشائم^(١)
على جبهة الملك المكنى بقاسم
كفيت بيض الرأي بيض الصوارم
وعزمك غضب في طلى كل ناجم^(٢)

فكنت له بالرأي أفضل ناظم
إلى حيث لا يسمو له وهم واهم^(٣)
فأبدى لنا من خطبة ثغر باسم
أعدت بها الإسلام كتب الملاحم
حمى واقياً من كل خطب وداهم

فأضعف ما سألت وقال هاكا
غدا بالترك يُنتهك انتهاكا
إذا ما نابِه خطب نضاكما
سواك كما أبت إلا أباكما
يمج رجاله حتى احتواكا
ليلي من عداك بما بلاكا^(٤)
وهل يغني غناءك من عداكا

ويسهم من أعماله في خيارها
فلا مُلك إلا ما أقمت عروشه
ولا تاج إلا ما توليت عقده
أبدر العزيزين رفقا فطالما
فرأيك نجم في دجى الخطب ثاقب
ومنها :

وقد كان ملك الأرض قد زال نجمه
أخذت بضبع الدين حتى رفعته
وكان سرير الملك قبلك باكياً
محوت بما أثبتته من ملاحم
فلا زلت للملك الذي قد أعدته
ومن قصيدة أخرى [من الوافر] :

سألت الله مبتهلاً مناك
ورد على يدك الملك لمّا
فأنت لرب هذا الملك سيف
وقد أبت الوزارة في بخارى
وكان الصدر مذ أخليت منه
وما أخلاه منك الملك إلا
فما أغنوا غناءك في فقير

(١) أفضت : أنعمت ، وشائم : متطلع .

(٢) الغضب : السيف ، والطل : الليل ، والناجم ما طلع من نجوم أو من نبات .

(٣) ضبع الدين : أي يديه ، والضبع ما بين الإبط إلى نصف العضد .

(٤) ليلى : ليمتحن .

وكنـت السيف أغمـد يوم سلمـ
وقـد كـانت علـى الأعداء أمضى
ولو نهضت رجال الأرض طراً
فعلت ببعض قولك كلّ فعل
غذيت بدر ضرع العلم طفلاً
فلا شرب الطلا ألهاك يوماً
وإن غمّ الممالك ليل خطب
فأفسح من خطي الخطي قدماً
وأسمح من ملث القطر جوداً
وما انفتحت بلا ، شفتاك يوماً
تأخرّ عن مداك البحر لمّا
وما جاراك صوب المزن لمّا
ولكنّ الغمام عني سجوداً
فأنت أجلُّ قدراً أن تجارى
وقد سامى السماء وماس زهواً
فأهلوه ومن فيه وقاء
فها هو جنّة لك فاغتنمها
ومنها :

فلما شبت الحرب انتضاكا
وأقضى من سيوفهم رقاكا
بما كلّفت ما أغنوا غناكا^(١)
ونبت بعفو رأيك عن ظباكا
ففقت الخلق في المهد احتناكا
ولا بيض الطلا عمّا عناكا
جلاه صبح رأيك أو سناكا
إذا أقدمت في حرب خطاكا
إذا ما صاب صيبه نداكا^(٢)
ولا انضمت على نشب يداكا^(٣)
جريت ، فلم نسميه أخاكا ؟
جرى وجرى نداك ولا حكاكا
على وجه الثرى لك إذ رآكا^(٤)
وأرفع رتبة من أن تحاكي
على فرع السهى بلد نماكا
لنفسك من جميع من ابتغاكا
وهم لك جنّة ممّا دهاكا

أكاد إلى العزيزين أعزي
فلو أجريت لحظك في فؤادي

(١) طراً : قاطبة .

(٢) ملث القطر : وصيه : قطره وهطوله . والندى : الكرم والمطاء .

(٣) النشب : العقار ، والمال الأصيل من نقود وماشية .

(٤) عني : أذعن وأحنى وأطاع .

أعبد الله لا خَيْرَ بيتاً
فكم لك من يدٍ قلدتنيها
ولو حملت ما حملتني
وقد ألبستني أثواب عَزِ
فحسبك من علا أعليت كعبي
فلا حطت لك الأيام مجدداً
سرى كل السرى في الأرض شعري
وكنت على النوى صممت حتى
ولو لم تقتصر حالي الليالي
وقد سميت لي أمرين حسبي
وإن لم ترض لي بالنجم نعلأ
فدع ما ترتضيه لنا وخفض
وما استكفت من جدواك ، لكن
ولو كان استباح البحر خلقاً
فلا يمت غير نذاك بحرأ

مدى الأيام إلا في علاكا
فلست أرى لها عني انفكاكا
شام لما استطاع به حراكا
وقد أوطأت أخمصي السماكا^(١)
برفعكه فقد بلغ السماكا
ولا ارتجع المهيمن ما حباكا
وخيم إذ رآك فما خطاكا
منعت فبت مبتغياً رضاكا
لما أزمعت سيراً عن حماكا
ببعضهما إذا آثرت ذاكا
ولا خط المجرة لي شراكا
فأنفسنا وما ملكت فداكا
كفاني بذل ودك عن لهاكا
لأمك يستمحيك وانتحاكا^(٢)
ولا خيمت إلا في ذراكا

ومن شعره في أبي نصر بن أبي زيد قوله من قصيدة وصف فيها داره التي بناها
وانتقل إليها عند تقلده الوزارة [من الخفيف] :

قد وجدنا خطي الكلام فساخا فجعلنا النسيب فيك امتداحا
وأفضنا ما في الصدور ففاض الممدح قبل النسيب فيك انفساحا
وعمدنا إلى علاك فصغنا لصدور القريض منها وشاحا
وصدعنا في أوجه الشعر من بيض مساعيك بالندی أوضاحا

(١) الأخمص : يريد به قدمه ، والسماك : نجم في السماء ، وأوطأ : أداس .

(٢) أمك : قصدك ، ويستمحي : يطلب السباح والمعذرة ، وانتحاكا : أي طلب ناحيتك .

غَرَسْتُ فِي ثَرَى الصَّدُورِ عَطَايَا كَ غُرُوساً أَثْمَرْنَ وَدّاً صِرَاحَا
 كَمْ كَسِيرٍ جَبْرَتُهُ وَفَقِيرٍ مُسْتَمِيحٍ رَدَدْتُهُ مُسْتَمَاحَا
 وَبِلَادٍ جَوَامِحٍ رَضَتْهَا بِالْعَزَمِ حَتَّى أُنْسِيَتْهُنَّ الْجَمَاحَا^(١)
 وَأَمَانَ خَرَسٍ بَسَطَتْ لَهَا فِي الْقَوْلِ حَتَّى أَعْدَتْهُنَّ فِصَاحَا
 شَهَرْتَ مِنْكَ آلَ سَامَانَ عَضْباً يَنْجَحُ السَّعْيُ غَرْبُهُ إِنْجَاحَا^(٢)
 أَحْمَدْتَ رَتْبَةَ الْوِزَارَةِ مِنْ أَخْمَدٍ نَاراً تُجْرِي الْقَنَا وَالصَّفَاحَا
 فَلَوْ أَنَّ الْمَمَالِكَ اسْتَنْطَقَتْ فِيهِ لَقَامَتْ بِذِكْرِهِ مَدَاحَا
 مَغْرَمٌ بِالثَّنَاءِ مُغْرَى بِكَسْبِ الْحَمْدِ يَهْتَزُّ لِلْسَّمَاحِ ارْتِيَاحَا^(٣)
 لَا يَذُوقُ الْإِغْفَاءَ إِلَّا رَجَاءٌ أَنْ يَرَى طَيْفَ مُسْتَمِيحٍ رَوَاحَا
 يَا أَبَا نَصْرٍ الَّذِي نَصَرَ الْمَلِكَ فَأَنْسَى الْمَنْصُورَ وَالسَّقَّاحَا
 ضَاقَتْ الْأَرْضُ عَنْكَ فَارْتَدَتْ رِبْعاً يَسِعُ الْبَحْرَ وَالْحَيَا وَالسَّمَاحَا
 وَإِذَا ضَاقَتْ الْمَصَانِعُ بِالسَّيْلِ أَبَى أَنْ يَحُلَّ إِلَّا الْبَطَاحَا
 فَهَيْئاً مِنْهَا بَدَارٍ حَوَتْ مِنْكَ جِبَالاً مِنَ الْحُلُومِ رَجَاحَا
 كَوْنَهَا تَوَّعَ الْوِزَارَةَ مِمَّا زَادَ بَرْهَانَ سَعْدَهَا إِضَاحَا
 ذَاتَ صَدْرٍ كَرَحَبِ صَدْرِكَ قَدْ زَادَ عَلَى ظَنِّ أَمْلِيكَ أَنْفَسَاحَا
 يَغْرَسُ الصَّيْدَ فِي ذِرَاهَا مِنَ التَّبَقِيلِ غَرْساً فَيَجْتَنِيهِ نَجَاحَا
 بَفَنَاءٍ نَظِيلٍ فِيهِ خَطِي اللَّحْظِ وَنَلْقَى لِلْفَكْرِ فِيهِ أَنْسَاحَا
 بَهْوَهَا يَمْلَأُ الْعَيُونَ بِهَاءً صَحْنَهَا يَمْلَأُ الصَّدُورَ أَنْشَاحَا
 شَيْدَهَا فَضَةً وَقَرْمَدَهَا تَبَرُّراً قَدْ أَمْتِيحُ مِنْ نَدَاكَ أَمْتِيَاحَا^(٤)
 وَثَرَاهَا مِنْ عَنَبٍ شَيْبٍ بِالْمَسْكِ فَإِنْ هَبَّتِ الصَّبَا فِيهِ فَاحَا^(٥)

(١) الجُمُوحُ : التمرُّدُ ، واتباع الهوى ، ورضتها : أي جعلتها تنقاد .

الغُربُ : السهم الذي لا يعرف راميهِ . (٢) السَّمَاحُ : الكرم والعفو .

(٣) أَمْتِيحُ : عُزْفٌ ، وامتاحت فضله أتى يطلبه ، والتبر : الذهب .

(٤) شَيْبٌ : خولط .

مقنعات فيها الأساطين من فوق صخور قد انبطحن انبطاحا
كلُّ نادرٍ منها قد اتشح الفرش بشوب الربيع فيه اتشاحا
وأرى بين كلِّ نحيين كالروض خليجاً من البساط مساحاً^(١)
وسقت مأوّه حدائق غريبه إلى أن غدت به ضحضاحا
صبغةً من دم القلوب فمن أبصره اهتزَّ صبوةً وارتياحا
ما بكاء الرياض بالظلِّ إلاَّ خجلاً من رياضها وافتضاحا
شابه النقش فرشها مثل ما شا به ولدانها دماها الصباحا
وكانَّ الأبواب صحبٌ تلاقيـن انغلاقاً ثم افترقن انفتاحا
وكانَّ الستور قد نشر الطاموس منها في كلِّ بابٍ جناحا
وكانَّ الجامات فيها شمسٌ أطلعتها ذرى القباب صباحا
والسواري مثل السواعد كبَّت تحتها من أساسها أقداحا
وبيوتٍ كأنهنَّ قلاعٌ مزمعاتٌ للنيرات نطاحا
ورواق كأنما بسطت فيه دعاء أيدي الأساطين راحاً^(٢)
وجنانٌ لو كنتُ في جنَّة الفرش دوس لم أبغ غيرهنَّ اقتراحا
وإذا دارت الكؤوس بها أبصرت خلد النعيم ثمَّ مباحا
ومنها :

من يدي كلُّ ساحر الطرف يجني الورد من وجنتيه والتُّفاحا
وإذا الزير جاوب الناي ضرباً جاوب البلبل الهزار صياحا
في مقامٍ تمحو الهموم به النشوة عناً وتثبت الأفراحا^(٣)
تُطلع الشَّمس أنجماً كلما هزَّت شمس الطسوس منها رماحا

(١) نحيين : جانبيين متباعدين .

(٢) الرواق : ما تقدَّم من البيت واتسع . والأساطين : الأعمدة .

(٣) النشوة : الشعور بالفرح والسعادة .

وضياء السقاة والخمر والكا سات فيه قد عطل المصباحا
 وإذا ما المجامر اضطربت بالجمر أحيث رياحها الأرواحا^(١)
 فمتى أطعمت أزجة عطرٍ أشرعت من دخانها أرماحا^(٢)
 فهنيئاً منها بجنة عدنٍ ضمنت منك سيداً جججاحا
 فاقطع الدهر في ميادينها الفيح اغتباقاً على الحيا واصطباحا
 واملأ الفكر من موشحةٍ فيك ولا تولها قلبي واطراحا
 فلو أني استوقفت عيناً بما قلت لما اسطاع عن براحي براحا

* * *

قال مؤلف الكتاب : رأيت المأموني ببخارى سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة
 وعاشرت منه فاضلاً ملء ثوبه . وذاكرت أديباً شاعراً بحقه وصدقه . وسمعت منه
 قطعة من شعره ، ونقلت أكثره من خطه ، وكان يسمو بهمته إلى الخلافة ، ويمني
 نفسه قصد بغداد في جيوش تنضم إليه من خراسان لفتحها ، فاقتطعت المنية دون
 الأمنية ، ولما فارقه لم تطل به الأيام بعدي حتى اعتل علة الاستسقاء وانتقل إلى
 جوار ربه ولم يكن بلغ الأربعين ، وذلك في سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة .

وهذا ما اخترته من شعره في الأوصاف والتشبيهات التي لم يسبق إلى
 أكثرها .

قال في المنارة [من الطويل] :

وقائمة بين الجلوس على شويٍ ثلاثٍ فما تخطو بهن مكانا^(٣)

(١) المجامر اضطربت بالجمر : البخور الذي يتصاعد من النار . والأزجة : جمع زج وهو الحاجب الرقيق
 الطويل .. وأزج الرمح : جعل له حديدة في أسفله .

(٢) الشوى : أطراف الجسم كاليدين والرجلين .

على رأسها نجلٌ لها لم تجنّه حشاها ولا علتها قطُّ لبانا^(١)
 يشرّد في أعلاه كلّ دجنّة يشقُّ جلايب الظلام سنانا

وقال في الكرسي [من المجثث] :

ومقعدٌ	لي	وطىء	يقوم	عند	قعودي
يزهي	بصدرٍ	فسيح	رحبٍ	وبأسٍ	شديد
له	رواقٌ	أديمٌ	على	سواري	حديد
إذا	جلست	عليه	خلت	الأنام	عبيدي

وفيه أيضاً [من المتقارب] :

ومرتبةٌ	من	بوادي	الملو	ك	بين	القيام	وبين	القعود
تمدُّ	بساطاً	لمستوطىء		ثبوتها	عمدٌ	من	حديد ^(٢)	

وفيه أيضاً [من المتقارب] :

ومستوقفٌ	لجلوس	الحضور	على	أربعٍ	في	الثرى	موثقه
يمدُّ	على	فرعه	مفرشاً	ويظهر	في	خصره	منطقه
فمن	شاء	صيّره	مقعداً	ومن	شاء	صيّره	مرفقه

وقال في طست الشمع [من الكامل] :

وحديقةٌ	تهتزُّ	فيها	دوحةٌ	لم	ينمها	تربٌ	ولا	أمطار
فصعيدها	صفرٌ	ونامي	غصنها	شمعٌ	وما	قد	أثمرته	نار

(١) النجل : الولد ، لم تجنّه : أي لم يكن جنيناً فيها ، واللّبان : الصدر أو ما بين الثديين من الصدر .

(٢) كذا ، ولعلّ عجزه : ثبته عمدٌ من حديد .

وأيضاً [من الطويل] :

وطاعة جلاب كل دجنّة
تجود على أهل الندامى بنفسها
ويقري عيون الناظرين ضياؤها
وقال في النار [من السريع] :

أم القرى عندك أم بوح
أم ذات مرط ذهبي لها
يسقني أخت لها دنها
كأنها الشمس وما نفّضت
فقد سرى أبوابه اللوح
يعقدها في الجو تطويح
جسم لها وهي له روح
من شرر عنها المصايح
وله في الحمام [من الطويل] :

وبيت كأحشاء المحب دخلته
أرى محرماً فيه وليس بكعبة
بماء كدمع الصب في حر قلبه
توهّمت فيه قطعة من جهنم
يشير ضباباً بالبخار مجللاً
ومالي ثياب فيه غير إهابي
فما ساغ إلا فيه خلع ثيابي
إذا آذنت أحبابه بذهاب
ولكنّها من غير مس عقاب
بدور زجاج في شمس قباب

وله في السطل والكرنيب [من مجزوء الرجز] :

لنا من الأسطال سطل شأنه عجب
كالشمس إذ عاجلها في السطل المغيب^(٣)

(١) النّوابة : خصلات الشعر في مقدّمة الوجه ، والذابل : الرمح الدقيق .

(٢) ورد في صدر البيت هكذا « تجود على أهل الندى بنفسها » ولا يستقيم به الوزن ، فأقمناه كما أتيت في

الأصل . (٣) طفل المغيب : قبيل غروب الشمس .

كرنبيه كمائح وهو له قلب^(١)
قبضته سيكة في متنها نحب^(٢)
ضرب دمشق^(٣) فما يرى لها ضرب^(٤)

وله في حجر الحمام [من السريع] :

لحجر الحمام عندي يد^(٥) ومنة لست أؤديها
وهو لرجلي صقيل لا يني عن طبع في الرجل ينقيها^(٦)
كأنها كورة نحل إذا غمستها في الجبر تشبها^(٧)

وفي الليف [من مجزوء الرجز] :

لليف في تنظيف جسم المستحم^(٨) معجزة
فلا يغور درن في الجسم إلا أبرزه
كأنه ذائب قد مشطت مجرزه^(٩)

وفي المنشفة [من المنسرح] :

منشفة حملها تخال بها قد فت كافورة على طبق
كأنما أنبت خمائلها ما ارتشفت من لآلىء العرق

وفي الزنبيل [من الوافر] :

وذي أذنين لا يعيان قولاً وجوف للحوائج ذي احتمال
تكلف شغل أهل البيت طراً وتحمل فيه أقوات العيال

(١) المائح : المقترف ، والقلب : البثر .

(٢) ضرب : صنع وسبك ، والضرب : المثل .

(٣) صيقل : من صناعته صقل السيوف أو غيرها .

(٤) كورة النحل : خليتها ، أو عسلها في أقراص الشمع .

(٥) مجرزة : محزمة كل حزمة تفرق عن أختها .

مطيعٌ في الحوائج غير عاصٍ ولا شاكٍ إليك من الكلال
تسرُّ إليه في الأسواق سرّاً فلا يبيده إلا في الرحال

وله في كوز أخضر محرق [من الكامل] :

وبديعةٍ للريم منها جيدها حارت عيون الناس في إبداعها
كخريدةٍ في مرط خزٌ أخضر رفعت يداً لتردّ فضل قناعها^(١)

وله في الشرايبة [من السريع] :

شمسٌ لها من نفسها أرجلٌ ستٌ إذا ما شئت أو أربع
تنوء بالكوز لظئرٍ له تحضنه الدهر ولا ترضع^(٢)

وله في الجليد [من البسيط] :

حجارةٌ من صنيع الدهر تمتعنا بيردها وضرامُ الغيظ يستعُرُ
كأنّها قطعُ البلّور ليس بها نقبٌ ولا أثرٌ بادٍ ولا كدر

وله في ماء بجليد [من الرجز] :

ورائقٍ مثل الهواء صافي بات بثوب القرّ ذي التحاف^(٣)
حتى نفى عنه القذاة نافي فرقٌ حتى صار كالسُلاف
أسرع في الجسم من العوافي فيه الجليد راسبٌ وطافي

* كأنه ودائع الأصداف *

وله في كأس جلاب [من الرجز] :

(١) الخريدة : الفتاة الناهد ، المرط : الثوب الطويل .

(٢) الظئر : المرأة المرضع لغير ولدها .

(٣) القرّ : البرد القارص .

وكأس جلابٍ بها يُطْفِئُ اللهب
 كأنها الفضَّةُ شَيْتٌ بالذهب
 حسبته درّاً من المسك انسرب
 كأنما المخوض فيها يضطرب

وفيها [من الطويل] :

وكأسٍ من الجلابِ أطفأ بردها
 وكانت كبرد العدل عند طلابه

وله في السكنجيين [من الطويل] :

ومستتجٍ ما بين خلٍّ وسكَّرٍ
 رأيت به في الكأس أعجب منظر

في الفقاعة [من المنسرح] :

ورب فقاعةٍ رأيت بها
 حللت زنارها فأظهر لي

وفي المعنى أيضاً [من الرجز] :

أجسام صخرٍ دفنت في صخرٍ
 تحكي ثنايا خفراتٍ غرٍّ
 أطرافها قد ضمّخت بالحبر
 أقعى على أذناهن التبري
 تفور إن حلت كفور القدر

(١) الحب : فقاقيع الماء .

(٢) العدل : الإنصاف وعدم الظلم .

(٣) أقعى : جلس على إتيته ونصب فخذه وساقيه .

أو صارم فيه الفرند يجري
كأنما الليل انجلى عن فجر
وما عدا رؤوسها قد عُرِي
دفائن لا لانقضاء عمر
قد حنطت أجيادها بالعطر^(١)
دفينها ينشر ميت القبر
تقسم بالله العظيم القدر
فهي شفاء السكر بعد السكر

متَّقد اللون اتَّقاد السُّرج
مَجَّت عليه النحل أيَّ مجَّ
بظاهِر كقطع الخلنج^(٢)
غصَّت به فوهاء مثل البذج^(٣)
نقيَّة كالعاج أو كالثلج^(٤)
خرم ثوب الخيل بالبرطنج^(٥)
وما أعدُّ للطعام الفجَّ
وتخم تغصُّني وتشجي
يوسع ما ضاق لنا من نهج
ويجعل الأفواه ذات أُرْج
وخطه عليه بالتَهْجِي^(٦)

أو مثل أنصاف صغار الذرَّ
يعلو وينقضْ انقضاض الزهر
تبدي ذرى هاماتها من جر
مزنرات لا لدين كفر
في تربة من صنع أيدي القرَّ
وحرمت حرم أخيد الأسر
وبردها شفاء حرَّ الصَّدْر
لا أَرْضَعْتُ إلا فطيم الخمر
في الأترج المربى [من الرجز] :

ورب سوسٍ من الأترج
يعوم من إنائه في مزج
فقام من رضاها في لجَّ
أو العقار اعتللت بالمزج
سليمة من كلفٍ وسحج
قد خرطت على قويِّ النسيج
أفضل ما أبغي وما أرجي
وكلَّ مأكولٍ بطيِّ النضج
بهرُّ لها كالسائق المزجي
يبرىء من كلِّ أذى وينجي
عزاه شاريه إلى الأشجَّ

(١) القر : البرد ، وأجيادها : جمع جيد وهو العنق .

(٢) الخلنج : شجرٌ معرَّب .

(٣) البذج : ولد الضأن .

(٤) الكلف : ما يظهر في الوجه من بقع سوداء ، والسحج : العض الذي يترك أثراً .

(٥) كذا بالأصل .

(٦) الأشجَّ : من كان في رأسه أو في جبينه شجَّة أو أثر شحه .

جاء به الحجيج بعد الحج يفرون كل سبب وفج^(١)
حتى أتوا منه بما يرحي فملت مأمولي به وفلجي^(٢)

وله في الإهليج المري [من السريع] :

إهليج خلناه لما بدا يمرح في لج من الشهد
وسائط الجوهر قد ألقيت في ماء ياقوت من العقد

وله في الترنجين [من مجزوء الرجز] :

وسكر ليس من السكر المستخرج
أبيض كالكاפור أو كاللؤلؤ المدحرج
فلو حلفت أنه طرزه لم أخرج
فهو غذاء يغتذي وهو شفاء للشجي
ظل من السماء يهوي فوق نبت العوسج
يسقط مثل اللؤلؤ الرطب على الفيروزج

وله في الرطب المعسل في برنية زجاج [من الطويل] :

وشفافة مثل النسيم كأنها مكونة الأجرام من ريق القطر
بها من نبات النخل والنحل ملؤها يواقيت جمر في مياه التبر

وله فيه [من المجث] :

ورب ماء من الشهد في زكي زجاج
فيه يواقيت جمر يضم أقطاع عاج

(١) يفرون : يقطعون : والسبب : الأرض الواسعة التي لا ماء فيها، والفج : الطريق الواسع بين جبلين .

(٢) الفلج : الفوز والظفر .

وله في كعاب الغزال في برنية زجاج [من البسيط] :

وذات لطفٍ كقطرٍ ضُمَّتْ يققاً كأنه البرد الربيعيُّ تشبيهاً^(١)
شفافةً من حدائق الزرق قد طبعت ومن بياض عيون الحور ما فيها
وفيها أيضاً [من الطويل] :

وبيضٍ ظنناهنَّ والجامُ محدقُ بهنَّ كصدرٍ هُنَّ فيه فؤادُ^(٢)
أناملٍ غديرٍ ما وصلنَ براحةٍ وأعينَ عينٍ ما لهنَّ سوادُ
وفيهايضاً [من الطويل] :

وبيضٍ إذا ما لَحْنٌ في الجامِ خلتها نجوم سماءٍ في سماء زجاج
وإن ضُمَّتْهُنَّ البراني حُسبها أسنة سمرٍ في رقيق عجاج

وقال في بنادق القند الخزائني في برنية زجاج [من البسيط] :

وأبيض اللون أودعناه صافيةً تذيع ما استخفيت فيه وتبديهِ
كأنه بردٌ صاغ الهواء له من ريق القطر أكنافاً توقيه

وقال في أعمدة القند الخزائني [من الهزج] :

أنابيبٌ من القندر على الأطباق مبيضة^(٣)
كانَ الجام كفاً وهي أطرافُ لها بضه
حكت أعمدةً صيغتُ من الثلج أو الفضه
حكت شهباً غدت في ذ لك المجلس منقضة
شفاء الشارب الظمّان من أطرافها عضه

(١) اليق : القطن .

(٢) الجام : إناء من فضة كالكَاس يتخذ للطعام والشراب .

(٣) القند : عسل قصب السكر إذا جمد .

(٤) بضه : شديدة البياض في سمنٍ وامتلاء .

وله في اللوز الرطب [من الطويل] :

وافت لتخطر في ثلاث مدارعِ هذاهن في شكل النواظر حاذي^(١)
توايت في حصر الحدود تضمّت مكفّن عاجٍ في مصنّدل لاذي^(٢)

وله في اللوز اليابس [من البسيط] :

ومستجنّ من الجانين ممتنعِ بجةٍ لم يحكها كفّ نساج
درّ تضمّن من عاجٍ تضمّنه والبرّ لا البحر أصداف من العاج

وقال في الجوز الرطب [من الكامل] :

ومحقّق التدوير يعرب نفعه من كفّ من يجنيه ما لم يكسر
درّ يسوغ لأكله ضمهً صدفٌ تكوّن جسمه من عرعر
متدرّع في السلم ثوب غلالةٍ درعاً مظاهرةً بثوب أخضر^(٣)

وله في الزبيب الطائفي [من المنسرح] :

وطائفيّ من الزبيب به ينتقل الشرب حين ينتقل
كأنه في الإناء أوعية الـ نحاس لكنّ ملأها عسل

وله [من مجزوء الرجز] :

وقشمشٍ كخرزٍ للنظم لم يثقبِ
يلى به الكأس لما بينهما من نسب
يحظى به الشارب في النادي ومن لم يشرب
كأنه أوعيةٌ يحملن ذوب الضّرب^(٤)

(١) في الأصل : « وافت تخطر » ولا يستقيم الوزن ، فأقمناه كما أثبت .

(٢) المصنّدل : من الصنّدل : شجر هندي أبيض الزهر، اللاذي : ثوب من الحرير الأحمر .

(٣) الغلالة : الثوب الرقيق .

(٤) الضّرب : العسل الأبيض الغليظ أو أنهنّ من صنع ماهر حاذق .

أو لؤلؤٌ قد علّ أعلاه بماء الذهب
وقال في العناب [من المجتث] :

يروقني العنابُ فبي إليه انصبابُ
إذ لاح لي منه أطرا ف من أحبّ الرطابُ
يحكى فرائد درُّ لها العقيق إهابُ

في الباقلاء الأخضر [من مجزوء الرجز] :

وباقلاء	أزهري	مثل سموط الجوهري ^(١)
تضمّه	أوعية	من الحرير الأخضر
اوساطه	مخطّفة	مثل خصور ضمّر
أطرافه	مذروبة	مسروقة من أنسر ^(٢)
وطرف	كمخلب	وطرف كمنسّر

وله في الباقلاء المنبوت [من السريع] :

وباقلاء عامرٌ طيها من حسنه الناظر مبهورٌ
كأنّه أقطاع عاجٍ لها من خشب الساج توابيتُ

وله في البطيخ [من الطويل] :

محقّقة ملء الكفوف كأنّها من الجزع كبرى لم ترض بنظام^(٣)
لها حلّة من جلنارٍ وسوسنٍ مغمّدة بالأس غبّ غمام

(١) سموط الجوهري : عقودها .

(٢) مذروبة : محدّدة والمذروية هي المديّة .

(٣) الجزع : الخرز ، لم ترض : لم تنظم وتقاد .

تمازج فيها لون صبّ وعاشق
وأبدي له في التّحرّ تخضير كاعب
رياضيّة مسكّية عسليّة
إذا فُصِّلَت للأكل حاكت أهلة
كساه الهوى والبين ثوب سقام
علامته ذات اعتدال قوام
لها لون ديباج وعرف مدام^(١)
وإن لم تفصل فهي بدر تمام

وله في البطيخ الهندي [من الطويل] :

ومبيضة فيها طرائق خضرة
كحقة عاج ضيّت بزبرجد
كما اخضرّ مجرى السيل في صيّب الحزن^(٢)
حوّت قطع الياقوت في عطن القطن^(٣)
وله في الكمثرى [من الوافر] :

وضرب من ثمار الصيف يحكي
قناديلاً تضيء لها رؤوس
وقد طلعت لنا منه نجوم
مثقبة وليس لها جروم

وله في رمانة [من السريع] :

رمانة ما زلت مستخرجاً
فالجام أرض وبناي حياً
في الجام من حقّتها جوهراً^(٤)
تمطر منها ذهباً أحمر^(٥)

وله [من الكامل] :

ليس الإناء بحافظ مستودعاً
فإذا جعلت له الغطاء فإنّه
إلاّ إذا وقّيته بغطاء
بجميع ما استودعت خير إناء -
فاحفظ إناءك بالغطاء فإنّه
لا خير في أرض بغير سماء

(١) العرف : الرائحة .

(٢) الحزن : الأرض اليابسة المرتفعة ، والصيّب : السحاب الممطر .

(٣) الحق : وعاء الطيب ، ضيّت : زينت . وعطن القطن : أي صبغها وألقاها في العطن ، وربما يقصد هنا بعطن القطن : بزرها .

(٤) حقّتها : غلافها .

(٥) البنان : الأصابع ، والحيا : المطر .

وله في الملح المطيب [من السريع] :

لا تدن مني الملح إن شبته	من	الأبازير	بألوان
ووجهه أبرص ذو غشة	بين	ثآليل	وخيلان ^(١)
فإنني أحسب أنني متى	أدنيته	مني	أعداني
وهاته أبيض ما إن له	في عرصة	الصحفة	من ثاني
فهو متى أفرد من صاحب	إدام	زهادر	ورهبان

وله في خبز الأبازير [من السريع] :

الملح ما أكثر أضراره	لا ملح	أهل الزهد والنسك
كأن شهدانجه بينه	حبّات رومي	من الفلك
كأنما الشيونيز من فوقه	ما نفت	الفضة في السبك
كأنما العنّاب في وجهه	تنقيط	قرآن على الصك
بانجدان فضّ من مهرق	وسمسم	قد فضّ من سلك
يشبه من ثني أبازيره	إذا تأملناه	أو يحكي ^(٢)
سحيق كافور مشوب به	قراضة	العنبر والمسك

وله في الرقاق [من السريع] :

خبز الأبازير مني كلّ من بترّعات الأكل يشتهر^(٣)
وعندنا منه أتراس من الفضّة قد رصّعها الجواهر(?)
كأصحن الكافور قد حشدت وذراً في أوجهها العنبر

وله في الرقاق [من المتقارب] :

(١) الغشة : غطاء . والتآليل والخيلان : ما يظهر في الوجه أو في غيره من لحم ناتئ .

(٢) الأبازير : نوع من الخبز .

(٣) ترّعات : الباطل .

وخبّازو لا تغذّي الرقاق أرتنا من الخبز أمراً عجاباً
تناولُ بيض كتاب العجين فتنسخُ في الوقت منها ثياباً
وتأتي بها كصفاح الغدير قد كوّن القطر فيها قباباً

في الجبن والزيتون [من الطويل] :

غرامي بابتن المباركة التي بها كلّم الله الكلّيم من الرسل^(١)
فإن نيط بابتن الضرع بعد احتياكه وبعد اعتصاره الدهر ما فيه من ملل
رأيتُ أكفأ فضةً وأنا ملأً بهن خضابُ حالك اللون ما نصل
وألفيت منها أوجه الروم فوقها جمود شعور الزنج أو حلق المقل
إذا اجتمعنا لي لم أملّ معهما إلى أطايب أنواع الطبخ ولم أبل^(٢)
خليلان ضدّان الدجى والضحى معاً يضمّهما فترّ من الأرض أو أقلّ
فكلّني إلى خدنين ذا وضح الدجى نقاءً على أرض الخوان وذا طفل^(٣)
فهذا كخدرٍ بالعضاض مؤثرٍ وذاك كصدغٍ حالك فوقه انسدل

وله في البوراني والبطيخ [من الطويل] :

لدينا نديمٌ لم يزل طول يومه له في المقالّي فجّةً وفشيش^(٤)
وضرب من البطيخ في راحتيّ من خشوته كلّم بها وخدوش^(٥)
تخال ربا النواريج أهدقت بها خفيفةً من أن تحفّ جيوش^(٦)
ومن لم يكن في الصيف هاتان عنده فكيف يرجّي عمره ويعيش

(١) أبل : أظفر ، وأئل .

(٢) خدنين : صاحبين ، والخوان : ما يوضع عليه الطعام أثناء الأكل ، والطفل : الرخص الناعم من كل شيء وطفلت الشمس : مالت للمغيب .

(٣) الفجة : قبح : فتح وباعد بين رجله ، وفجّي الشيء : كشفه .
والفشيش : صوت الهواء الخارج من إناء أو غيره .

(٤) الكلّيم : الجرح ، والخدوش : الجروح البسيطة .

وله في العجة [من المنسرح] :

عندي للضيف عجةٌ شرفت بدهنها فهي أعجبُ العجبِ
قد عضّت النار وجهها فغدّت كياسمينَ بالوردِ منتقبِ

وله في الجوزابة [من مجزوء الرجز] :

جوزابةٌ فوارةٌ في دهنها المنسكبِ
كأنّها قد ركبت في جامها بلولبِ
لائحةٌ في أهبها آثارَ عضّ اللهبِ
كنقرةٍ من فضةٍ في حقةٍ من ذهبِ

وله في الشواء السوقي [من الطويل] :

طرا طاريءٌ عند العشاء فجئتُه بقرصِ عضيضٍ من شواءِ ابنِ زنبورِ
تخال قطاع المسك رصّع رصفها بفيروزج النعناع في صحنِ كافورِ

وله في سمكة مشوية [من السريع] :

ماويةٌ فضيةٌ لحمها ألذُّ ما يأكله الأكلِ
يضمّها من جلدها جوشنٌ مذيّلٌ فهو لها شاملٌ^(١)
كوّنت من فضتها عسجداً بالقلي لما ضافني نازلِ

وله فيها [من السريع] :

ماويةٌ في النار مصليةٌ يصبغ من فضتها عسجدُ
كأنّما جلدتها جوشنٌ من رفن الصنعة أو مبرد^(٢)

(١) الجوشن : الدرع .

(٢) مزرفن : أي له حلقات كحلقات الباب .

وله في السفود [من الطويل] :

وأسمر قد لفَّ السعيرُ إهابه ينوء بحجزٍ من ثنياته سمر^(١)
إذا ضمَّ أنواع السميّط وحطَّ في بعيدة قعرٍ ماؤها لهب الجمر
أتاك بما في ضمنها فكأنَّه محبٌ كوى أحشاءه ألم الهجر

وله في الهريسة [من المنسرح] :

هريسةٌ خلّتها وقد ملأ الطباخُ منها الإناء ما وسعا
دراً نثيراً أسلاكه قطعٌ في ماء ورد وصندلٍ نُقعاً

وقال في ماء الخردل [من الخفيف] :

أتحفوني على الخوان بمقطو ب يحاكي في الطعم فقد الأليف
يضحك الكأس منه عن شائب المفرق ييكي من غير ضرب ضيوف
فلذا ذيق أسبلت قطرةً منه سيولاً من أعينٍ وأنوف
وإذا ما أصغى وعني ذوي الأكل تداووا منه بشمّ الرغيف

وله في البيض المفلق [من الرجز] :

وضاحك في الجام من تفصيل حبويه كالجوهر المحلول
زيتونه كالسبج المصقول جزره فواصل التنزيل
حمّصه كالدرّ في التشكيل عدسه منتخب الجليل
كخرزٍ محقق التعديل أو ذهب بفضّة قد غولي
ولوبياء كخدودٍ حيل أو أعين حذر الحذاق حول^(٢)

(١) ورد صدر البيت « وأسمر قد لفح السعير إهابه وهو غير مستقيم الوزن فأصلح كما أتيناها .

وينوء : يعجز ويُنعَل ، وثنياته : يقصد بها قطع اللحم .

(٢) حيل : - جيّة المنظر - ماهرة ، والحذاق : المهرة .

فيها بقايا رمدر قليل منقط مزين التعسيل^(١)

وقال في البيض المفلق [من الرجز] :

ياقوتة ما ضمها مخنقة في درة في حقة محقة
كأنها وقد غدت مفلقة مذ نشرت أثوابها المرققة
* تبرحوته من لجين بوتقه *

وقال في أقراص السحور [من الرجز] :

عندي للأكل إذا ما قمت للتسحر
ملتوتة بسمنها بسمسم مفسر^(٢)
مثل البدور الطالعا ت في صدر الأشهر
أو أوجه الترك إذا أثر فيها الجدري

وله في اللوزينج اليابس [من الطويل] :

ولوزينج يشفي السقيم كأنه بنان أكف بضة لم تغضن^(٣)
بعثناه بالقطر الزكي محنطاً ليدفن إلا أنه لم يكفن

وله في اللوزينج الفارسي [من الطويل] :

ولوزينج يعزى إلى الفرس خلته بنان عروس في رفاق الغلائل
فإن حملت إحداه خمس حسبتها زيادة كفر بين خمس أنامل
وله في الخبيص [من السريع] :

خبيصة في الجام قد قدمت مدفونة في اللوز والسكر

(١) ورد العجز هكذا : « منقطيزينه التعسيل » وهو لا يستقيم مع الأبيات السابقة لغة .

(٢) ورد العجز هكذا « سمس مفسر » وهو لا يستقيم مع سابقه لغة .

(٣) بنان : الأصابع ، وبضة : بيضاء سميئة ، لم تغضن : لم تتجدد وتتكرر .

يأكل من يأكلها خمسة بكفه فيها ولم يشعر

وله في الفالوج المعقود [من السريع] :

فالزوج يُمنع من نيله ما فيه من عقد وإنضاج
يسبح في لجة ياقوته للوز حيتان من العاج
كأنما أبرر من جامه ثوب من اللاذ بدياج

وله في مشاش الخليفة [من الطويل] :

جمعت حباب الكأس حتى لحقته فكوّنت منه في الإناء بدورا
فإن لمسته الكأس لمساً لكفه رأيت الذي نظمت منه نثرا

في أصابع زينب [من الطويل] :

أحب من الحلواء ما كان مشبهاً بنان عروس في حبير معصب^(١)
فما جملت كف الفتى متطعماً الذئ وأشهى من أصابع زينب

وفيها [من الطويل] :

وضرب من الحلو الذي عز اسمهُ لوجدي بمن يُعزى إليه ويُنسب
يصدق معناه اسمه فكأنه بنان بأطراف البنان مخضب

وله في عدة من المطاعم

قال في المزورة [من الخفيف] :

كم تكون المزورات غذائي إن أكل المزورات لزور

(١) الحبير المعصب : الناعم المزين ، يقال حبر الثوب : أي وشّاه وطرّزه .

وإلي ما يكون أدمي خلٌ وقليلٌ من البقول يسير^(١)
 فاحجبوا عني الطيب وقولوا أنا بالطب والطيب كفور
 هات أين الكباب أين القلايا أين رخص الشواء أين القدير
 أنا لا أترك التدْيِخ ولا البَطِيخ والتين أو يكون النشور^(٢)

وقال في المديّة [من السريع] :

وذات شبٍّ في يديّ قائمٌ أمرد ينفي السوء عن قاعدٍ
 شبّهتها حين تأملتها بلحية شدّت إلى ساعدٍ

وله في مجمع الأشنان بما فيه من المحلب والخلال [من المجتث] :

أرضٌ	من	العقيان	في	صورة	الطيلسان
الشكل	شكل	رداء	والنقش	نقش	الصواني
بها	ثلاث	ركايا	حفت	بها	بيران ^(٣)
ففي	الركايا	ثلاث	رحبٌ	ومخنوقتان	
من	الزجاج	القديم	المستعمل	المرواني	
وكلهن	ملأى	بالسعد	والأشنان ^(٤)		
والمحلب	المتروي	من	طيب	الأدهان	
وفي	القليبين	أيضاً	زها	خلال	الرهان
حورين	لا	لشنان	أسرعن	لا	لطان
نوعٌ	عراضٌ	تحاكي	مضارب		العيدان

(١) الأدم : الطعام .

(٢) التدْيِخ : كالبطِخ نوع من الفواكه .

(٣) الركبة : البثرذات الماء .

(٤) الأشنان : الماء البارد .

وآخرُ ذو انخِذالٍ في دقة السامان^(١)
ففي ولاية هذي ال ألوان عزُّ الخوان

وله في طين الأكل [من السريع] :

علام نقلكم بالذي منه خلقنا وإليه نصير^(٢)
ذاك الذي يحسب في شكله قطاع كافورٍ عليها عيرُ

وله في الجمر والمدخنة [من المتقارب] :

وقوارق من أديم الصخور تخيم في حلل الخيزران
تقري قطاعاً كعرف الحبيب وترقى وليس بها مسُ جان^(٣)
وتمنع عن مثل حرِّ القلوب من الجمر ما إن لها من دخان

في جمر خبا بعد اشتعاله [من الخفيف] :

أما ترى النار كيف أشعلها القـرُّ فأضحت تخبو وحيناً تُسعرُ
وغدا الجمر والرماد عليه في قميصين مذهبٍ ومعنبرُ

وله في البرد [من الطويل] :

وبيضاء كالبلور جاد بها الحيا
فأهوت تهادي بين أجنحة القطر
تذوب كقلب الصبِّ لكنّه جو
بنار هواه وهي مثلوجة الصدر^(٣)

وله في التدرج [من الخفيف] :

قد بعثنا بذات لونٍ بديع
كنبات الربيع أو هي أحسنُ
في قناعٍ من جلنار وآسٍ
وقميصٍ من ياسمين وسوسنُ

(١) السامان : الخيزران .

(٢) مسَّ جان : المسَّ نوع من الجنون ، والجان : أي الجن .

(٣) الصبِّ : العاشق ، وجو : محترق من العشق .

ذبحتُ وهي بنت درّة برّ كلُّ عن بعض وصفها كلُّ محسن^(١)

وله في المحبرة [من الرجز] :

ركبةٌ من الرُّجّاج الصافي	كقطرةٍ من عارضٍ وكاف ^(٢)
تبرز للعين في تجفاف	ذي حمرةٍ مثل دم الرعاف
فهى فؤادٌ وهو كالشغاف	ينبوعها أسود كالغداف ^(٣)
فهى وما تضمُّ من نطاف	كغسقٍ بالصبح ذي التحاف
وما تضمّنته من غلاف	كحقّةٍ فيها ابنة الأصداف

وله في المقلّمة والأقلام [من الطويل] :

ومجدولةٍ حمرا يُخيّل منها	من النّفس روضٌ ما يغذّي بوابل ^(٤)
تُرى كلُّ يومٍ حاملاً بأجنةٍ	ولوداً لهم من غير مسّ قوابل
فأولادها ما بين أسمر ذابلٍ	بأحشائها أو بين أبيض ناصل ^(٥)
تسدّد منها السّمّر لا لمحاربٍ	وترهف منها البيض لا لمقاتل
فلا السّمّر منها اعتدن حمل عواملٍ	ولا البيض منها اعتدن حمل حمائل ^(٦)

وله في السكين المذبذب [من الوافر] :

ومرهفةٍ أرقّ شباً وأمضى	وأقطع من شبا السيف الحسام ^(٧)
تعانق في الدوي قنا يراعٍ	ويبقى ما استكن من السّقام

(١) كلّ : ضعف .

(٢) الركبة : البئر ، العارض : الغيم ، وكاف : سائل وقطر قليلاً .

(٣) الشغاف : حجاب القلب ، والغداف : الشعر الطويل الأسود .

(٤) النّفس : الخبر ، والنّفس : الناقوس أو نوع من النواقيس .

(٥) الأسمر الذابل : أي الرمح الدقيق ، وأبيض ناصل : السيف القاطع .

(٦) العوامل : الأرجل .

(٧) أرقّ شباً : الشبا : الحدّ والماضي القاطع .

لها ذنبٌ كصيصيةٍ أتمّتْ وصدرٌ مثل خافية الحمام^(١)

وله في المقط [من الطويل] :

وأسود أحشاء الدويّ مقرّةً يلوح لنا في حلةٍ من غياهبِ
يعانق أشباه الرماح وتعتلي قواه شبيهات السيوف القواضبِ

وله في المحراك وهو الملتاق [من الرجز] :

أهيف قد أبدت ذراه غربا متخذاً من الظلام أهبا
يخال في يد الغلام شطبا يخطو إذا استنهضته مكبّا
يقلّب أصواف الدويّ قلبا ويكرب النفس عليها كربا

وله في الاضطراب [من الخفيف] :

وشبيهه للشمس يسترق الأخبّار من بين لحظها في خفاء
فتراه أدري وأعرف منها وهو في الأرض بالذي في السماء

وفيه [من السريع] :

وعالمٍ بالغيب من غير ما سمع ولا قلب ولا ناظرٍ
يقابلُ الشمس فيأتي بما في ضمنها من خبرٍ حاضرٍ
كأنما حاجبه مذ بدا لعينها بالفكر والخاطر
قد ألهمته علم ما يحتوي عليه صدر الفلك الدائر

وله في المقرّاض [من مجزوء الرجز] :

وصاحبين اتفقا على الهوى واعتنقا
وأقسما بالودّ وال إخلاص أن لا افترقا
ضمّهما أزهرا كالنجم به قد وثقا

(١) الصيصية : الصنارة التي يغزل بها .

لم يشك في خصريهما مذ ضمنّاه قلّقا
 من تحته عينان منذ انفتحا ما انطبعا
 وفوقه نابان ما حلاّ فما مذ خلّقا
 يفرّقان بين كلّ ما عليه اتّفقا
 فأَيّ شيء لاقيا ه ألفياه فرّقا

وله في مشطي عاج وآبنوس [من مخلع البسيط] :

لديّ مشطان ذا كباز لوناً وهذاك كالغراب
 فذا شبابٌ لذي مشيبٍ وذا مشيبٌ لذي شبابٍ

وله في المنقاش [من السريع] :

لديّ منقاشٌ بديعٌ له مآثرٌ في التنف مآثره
 تعمل ناباه إذا أعملا في الشعر ما لا تعمل النوره^(١)

وله في الزربطانة [من الطويل] :

مثقفةٌ جوفاً وتحسب زانةً ولكنّها لا زجٌ فيها ولا نصل^(٢)
 تسدّد نحو الطير وهو محلّقٌ وينفذ عنها للردى نحوه رسل
 يطير إلى الطير الردى في ضميرها فتجري كما يجري وتعلو كما تعلو
 تقيّد ما تنجو به فكأنّه يمدُّ إليه من بنادقها حبل

وله في القفص [من الهزج] :

وبيتٍ لبنات الجوّ لا يستر من فيه
 حفيظٌ للذي استحفّظ لكن لا يواريه

(١) النوره : أخلاط تضاف الى الكلس ، كالزرنبخ وغيره تستعمل لإزالة الشعر .

(٢) الزجّ : حديدة الرمح ، والنصل حديدة الرمح والسيف والسهم .

حكت أعمدة الفضة والتبر سواريه
فمن مثل قنا الخط نراه وأعالیه

وله في قارورة الماء [من الرجز] :

ركبة تشف ذات طول من الزجاج الفائق المغسول
تظهر ما في الجسم من فضول مفضحة بالطب لا بقل
من كل داء غامض دخیل فهي على التحقيق والتحصيل

* مرآة ما في كبد العلیل *

وله في اللبد [من المتقارب] :

وواضعة خدها في الصعيد لأربابها عندها حرمة
نسيجة بنت جلود النعاج بغير سدى ولا لحمه
تمد على الرق رق الرمال وتوفي على الحر في النعمة
ويعمر ذا البيت منها غمام به شهة خالطت أدمه^(١)
متاع لمن كان ذا خلعة فقيراً ومن كان ذا نعمة^(٢)

في قضيب الفول [من المنسرح] :

أهيف قد زاحم الحسان على أخص أسمائه إذا اقتضيا^(٣)
من الملاهي وليس ينكره ذو ورع حين ينكر اللعبا
يلهو به من لها وما اقترف الذنوب في فعله ولا احتقبا^(٤)
يُضرب وجه الثرى به فترى كل فؤاد وجداً قد اضطربا

(١) أدمه : جلده .

(٢) الخلعة : الحاجة والفقر .

(٣) اقتضيا : اقتطع .

(٤) احتقبا : ارتكب الأثام .

إذا تثنى القلوب وقد أهدى إليها السرور والطربا

* * *

ومما قاله على السنة أشياء مختلفة

ما أمر بكتابه على خوان [من المتقارب] :

فَضَّلْتُ جميع الأواني وُقِّتُ فما في منقصة واحدة
مقري منازل صيد الملوك وفي أتت سورة المائدة

وله وأمر بكتابه على فناء دار [من البسيط] :

حكم الضيوف بهذا الربع أنفذ من حكم الخلائف آبائي على الأمم
فكل ما فيه مبذول لطارقه فلا ذمام له إلا على الحرم

وفي معناه [من الرجز] :

أبنية	فياحة	منيره
لملك	راياته	منصوره
وحط	فوق زحل	سريره
لأنزل	الرحمن فيه	سوره
لأنطق	الله له	قصوره
لا أفقد	الله العلي	دوره
أبنية	فياحة	منيره
لملك	راياته	منصوره
وحط	فوق زحل	سريره
لأنزل	الرحمن فيه	سوره
لأنطق	الله له	قصوره
لا أفقد	الله العلي	دوره

وله في الترس [من السريع] :

إنني أنا الترس بنفسي أقي من العوالي والطبى حاملي^(١)

(١) الكوزة : المدينة .

(٢) الطبى : حد السيف والسنان وغيره .

أردُّ حدَّ السِّيفِ في متنه وأقصص اللهزم في العامل^(١)

٥٧ - أبو محمد عبد الله بن عثمان الوائقي

من أولاد الواثق بالله أمير المؤمنين ، ينظم بين شرف الأصل ووفور الفضل ،
ويجمع أدب اللسان إلى أدب البيان ، ويتفقه على مذهب مالك ، ويشعره .

ومن خبره أنه كان نزع بأهله إلى الحضرة ببخارى راجياً أن يحل بها محل
أقرانه من أولاد الخلفاء وأمثاله ، أو يقلد من أحد عمل البريد والمظالم ببعض
الكور ما يصلح من حاله ، فلم يحصل من طول الإقامة بها وكثرة الخدمة لأركانها
على شيء ، وضاق به الأمر ، فذهب مغاضباً يتوغل بلاد الترك ، إلى أن ألقى عصاه
بحضرة عظيمها نهر أفاخان ، وما زال يعمل لطائف حيله ودقائق خدعه حتى
استمكن منه واختص به وزين له ما كان في نفسه من إزالة الدولة السامانية
والاستيلاء على المملكة [من الخفيف] :

إنما تنجحُ المقالة في المرء إذا وافقتُ هوى في الفؤاد

فألقى إليه التركي مقاليد أمره ، وجعل يصدر عن رأيه ، وينظر بعينه ، حتى
كان ما كان من إمامه ببخارى في جيوشه وانحياز الرضى نوح بن منصور عنها إلى
أهل الشط على تلك الحال المغنية بشهرتها عن ذكرها ، وكان الوائقي سبباً لخرق
الهيبة ، وكشف لثام الحشمة ، وإزالة الدولة . فعلا في بخارى وعظم شأنه ،
وبنى التدبير على أن يبايع بالخلافة ويتقلد التركي أعمال خراسان وما وراء النهر من
يده ، وهو غافل عما في ضمير الغيب ، وكان يركب في ثلاثمائة غلام ويقيم أحسن
مروة ويسط من جناحه في الأمر والنهي والحل والعقد ، فلم يمض إلا أشهر حتى

(١) أقصص : أجهز عليه في مكانه ، واللهزم : الحاد القاطع من السيوف والأسنة والأنياب ، والعامل :
الرمح .

هجمت على التركي علة الذرب^(١) ، وكان سببها - على ما حكاه كاتبه أبو الفتح أحمد بن يوسف - إكبابه على فواكه بخارى وكثرة تضلعه منها مع اجتوائه^(٢) بهوائها ومائها ، فاضطر إلى الرجوع لما وراءه .

وما زالت العلة تشتد به في طريقه حتى أتت على نفسه ، وعاد الرضى الى بخارى ، واتخذ الوثاقي الليل جملاً ، بعد أن أتت الغارة عليه وعلى ما معه من مماليكه وذخائره ، ونجا برأسه متنكراً إلى نيسابور ومنها إلى العراق ، وتقلبت به الأحوال في معاودة ما وراء النهر ومفارقتها . فهذه جملة من خبره .

* * *

وهذه لمع من شعره

قرأت بخطه في وصف البرد والنار والفحم [من السريع] :

وليلة شاب بها المفرقُ قد جَمَدَ الناظر والمنطقُ
كأنما فحمُ الغضا بيننا والنار فيه ذهبٌ محرقٌ^(٣)
أو سبجٌ في ذهبٍ أحمر بينهما نيلوفرٌ أزرقٌ^(٤)

وقوله في الغزل [من الكامل] :

قمرٌ ضياء وصاله من وجهه يبدو وظلمة هجره من شعره
فالمسك خالطه الرحيق رضابُه سحراً ، ودرُّ شنوفه من ثغره^(٥)
وسدته عضدي وبين محاجري لوان مثل عقوده في نحره

(١) علة الذرب : مرض الذرب ، وهو يصيب الكبد .

(٢) اجتوائه : من الجثوث ، وهو عِظَم البطن في أعلاه واسترخاء أسفله .

(٣) الغضا : نوع من الشجر حمرة شديدة الالتهاب .

(٤) السبج : خرز أسود .

(٥) الشنْف : حلية تعلق في أعلى الأذن .

وبدا الصباح فمدّ نحو قراطقٍ يده وشدّ مزراً في خصره^(١)

ومن قصيدة قالها بكاء شجر وصف فيها الثلج والجليد [من الوافر] :

كأنّ الأرض رِقٌّ صَقَلَتْهُ	أَكْفُ صَوَانِعِ	متدفقات
وإن غلظ الزمان بشمس دجنٍ	بَدَتْ نَقْطٌ عَلَيْهِ	مذهبات
تدوس الخيل إنْ مرّت عليها	مَتُونِ سَجَنَجِلٍ	متراصفات ^(٢)
كأنّ مياهها ينساب فيها	أَسَاوِدَ مِنْ لَجِينِ	ساريات

ومن نتفه في الغزل [من الخفيف] :

نفحات الصبا وصوبُ الغوادي	ورياض الهوى وماء الكروم
وحديثُ غَضٍّ وخلٌّ كريمٌ	ومزاجُ الصِّبَا وماء النعيم

* * *

(١) القراطق : نوع من اللباس (معرب) .

(٢) السجَنجل : المرأة .

الباب الرابع

في غرر فضلاء خوارزم

٥٨ - أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي

باقعة الدهر^(١) ، وبحر الأدب ، وعلم النثر والنظم ، وعالم الفضل والظرف ، وكان يجمع بين الفصاحة العجيبة والبلاغة المفيدة ، ويحاضر بأخبار العرب وأيامها ودواوينها ، ويدرس كتب اللغة والنحو والشعر ، ويتكلم بكل نادرة ، ويأتي بكل فقرة ودرية ، ويبلغ في محاسن الأدب كل مبلغ ، ويغلب على كل محسن بحسن مشاهدته ، وملاحاة عبارته . ونعمة نعمته ، وبراعة جده ، وحلاوة هزله ، وديوان رسائله مخلد سائر ، وكذلك ديوان شعره .

* * *

وهذه كلمات له تجري مجرى الأمثال أخرجتها من رسائله

الشكر على قدر الإحسان ، والسلع بإزاء الأثمان . الإذكار حيث التناسي ، والتقاضي حيث التغاضي . النفس ماثلة إلى أشكالها ، والطير واقعة على أمثالها . الأيام مرآة للرجال ، والأطوار معيار النقض فيهم والكمال . العشرة مجاملة لا معاملة ، والمجاملة لا تسع الاستقصاء والكشف ، ولا تحتمل الحساب

(١) الباقعة : الرجل الذكي الحذر .

والصرف . الكريم يعز من حيث يهون ، والرمح يشتد بأسه حين يلين ، الاعتذار في غير موضعه ذنب ، والتكلف مع وقوع الثقة عتب . الدواء لغير حاجة إليه داء ، كما أنه عند الحاجة إليه شفاء ، الاستقالة تأتي على العثرات ، كما أن الحسنات يذهبن السيئات . الذنب للعين العشواء ، في محبة الظلماء وكراهية الضياء . فم المريض يستقل وقع الغذاء ، ويستمرىء طعم الماء ، الكريم إذا أساء فعن خطيئة ، وإذا أحسن فعن عمد ونية . الحر إذا جرح أساء وإذا خرق رفا . وإذا ضر من جانب نفع من جوانب . الحر كريم الظفر إذا نال أنال ، واللثيم سيء الظفر إذا نال استنال . الآباء أبوان أبو ولادة وأبو إفادة ، فالأول سبب الحياة الجسمانية ، والثاني سبب الحياة الروحانية الغيرة على الكتب من المكارم ، بل هي أخت الغيرة على المحارم ، والبخل بالعلم على غير أهله قضاء لحقه . ومعرفة بفضلته ، الرجل إذا قيده عقل الرجل لم ينطلق نحو مطية الأمل . المحجوج بكل شيء ينطق ، والغريق بكل حبل يعلق ، العاقل يختار خير الشرين ، ويميل مع أعدل الثقتين ، الجواد محتكر برٍّ ، لا محتكر برٍّ^(١) . والكريم تاجر جمال ، لا تاجر مال . والحرّ وقاية الحر من فقره ، وسلاحه على دهره . العفو إلى المقر ، أسرع منه إلى المصر . الفرس الجواد يجري على عتقه ، والفرع ينزع إلى عرقه . وكيف يخالف الإنسان مقتضى نسبه ، ويطيب الثمر مع خبث تربته . المسافة صغيرة البقعة ، صغيرة الرقعة ، إذ زرعت بذرع الهوى ، ومسحت بيد الذكرى ، فهي بعيدة إذا زرعت بذرع التسلي ، ونظر إليها بعين التغافل والتناسي . الغضب ينسي الحرمات ، ويدفن الحسنات ، ويخلق للبريء جنائيات ، المدح الكاذب ذم ، والبناء على غير أساس هدم ، الدهر غريم ربما يفي بما يعد ، والزمان حبلى ربما يثم فيما يلد ، الدهر أصم عن الكلام ، صبور على وقع سهام الملام ، يختصر العيدان ويهتصر الأغصان^(٢) ، ويخترم الشبان^(٣) ، وييلي الآمال والأبدان ،

(١) البر : الحب ، والبرّ : المعروف .

(٢) يهتصر : يقطع ويكسر .

(٣) ويخترم الشبان : يقضي على أعمارهم .

ويلحق من يكون بمن كان ، الإنسان بالإحسان ، والإحسان بالسلطان ، والسلطان بالزمان ، والزمان بالإمكان ، والإمكان على قدر المكان ، الدنيا عروس كثيرة الخطاب ، والملك سلعة كثيرة الطلاب ، الحق حق وإن جهله الوري ، والنهار نهار وإن لم يره الأعمى ، العذل طلاق الرجال ، والمحنة صيقل الأحوال . الشجاع محبب حتى إلى من يحاربه ، كما أن الجبان مبغض إلى من يناسبه ، وكذلك الجواد خفيف حتى على قلب غريمه ، والبخيل ثقيل حتى على قلب وارثه وحميمه . الدهر يمتل وربما عجل ، وما شاء الإقبال فعل . الكريم من أكرم الأحرار . والعظيم من صغر الدينار . المصيبة في الولد العاق موهبة ، والتعزية عنه تهنئة . المحبة ثمن كل شيء وإن غلا . وسلم لكل شيء وإن علا ، الدهر يفي بعد غدر ، ويجبر عقب كسر ، ويتوب بعد ذنب ، ويعقب بعد عتب . التقدم للغاية تأخر عنها ، والزيادة على الكفاية نقصان منها . النسيب أخو النسيب ، والأديب صنو الأديب ، الشرف بين الأشراف نسب ولحمة ، وذمام وحرمة ، فالكريم شقيق الكريم ، والعظيم أخو العظيم ، وإن افرق بلداهما واختلف مولداهما ، إن السيوف على مقادير الأعضاء تفري ، وإن الخيل على حسب فرسانها تجري . إنما السؤدد بكثرة الأتباع وكثرة الأتباع بكثرة الاصطناع ، وإنما تحوم الآمال حيث الرغبة ، ويسقط الطير حيث تنثر الحبة . إنما النساء لحم على وضم^(١) ، وصيد في غير حرم . إلا أن يلاحظن بعين غيور ، ونفس يقظ حذور ، إن الولاية عزل إن لم يعمر جوانبها عدل . إنما يتعلل بالمعازف شوقاً الى الاخوان ، ويؤكل لحم الثيران شهوة للحوم الضأن ، ويتجوز في الزبيبي على اسم العنبي ويستخدم الصقلبي عند غيبة التركي ، شراء الكاسد حسبه ، وحل المنعقد صدقه ، وهداية المتحير عباده ، معاتبه البريء السليم ، كمعالجة الصحيح غير السقيم ، الفرس الجواد إذا ضرب كبا ، والسيف الحسام إذا استكره نبا^(٢) ،

(١) الوضم : خشبة الجزار التي يقطع عليها اللحم .

(٢) نبا السيف عن المضروب : أي لم يصبه .

واللسان الصدوق إذا كذب هفا ، عين الاستحسان آفة من آفات الإحسان ، قبول شكر الشاكر التزام لزيادته ، واستماع قول المادح ضمان لحاجته ، لسان العيان انطق من لسان البيان ، وشاهد الأحوال أعدل من شاهد الأقوال . لسان الضجر ناطق بالهذر^(١) ، صغير البر ألطف وأطيب كما أن قليل الماء أشهى وأعذب ، ثمرة الأدب العقل الراجح ، وثمره العلم العمل الصالح . طول الخدمة تؤكد الحرمة ، وتأكد الحرمة أعقد قرابة ولحمة ، ادعاء الفضل من غير معدنه نقيصة كما أن الإقرار بالنقص من حيث الاعتذار فضيلة . القتال عن العسكر المنهزم ضرب من المحال وتعرض لسهام الأجال ، باب الإحسان مفتوح لمن شاء دخله ، وحمى الجميل مباح لمن اشتهى فعله . وليس على المكارم حجاب ، ولا يغلق دونها باب . قراءة كتاب الحبيب ترياق سمّ الهَم ، شكر الرخاء أهون من مصابرة البلاء ، وحفظ الصحة أيسر من علاج العلة . قليل السلطان كثير ، ومداراته حزم وتديبر . كما أن مكاشفته غرور وتغريب . شر من الساعي من أنصت له ، وشر من متاع السوء من قبله . لا خير في حبّ لا تحمل أقدأؤه^(٢) ، ولا يشرب على الكدر مأؤه . خبر الكلام ما استريح من ضده الى ضده ، فرقع بين هزله وجده . لا ستر أكثف من إقبال ولا شفيع أنجح من آمال ، أوجع الضرب ما لا يمكن منه البكاء ، وأشدّ البلوى ما لا يخففه الاشتكاء ، أبى الله أن يقع في البئر إلا من حفر ، وأن يحقق المكر السيء إلا بمن مكر . ما تعب من أجدى ، ولا استراح من أكدى^(٣) . حبذا كدأ أورث نجحاً ، وشوكة أجنّت ثمرأ لا ثبات على سمّ الأسود ، ولا قرار على زأر من الاسد . وفي الزوايا خبايا . وفي الرجال بقايا . إذا عتقت المنادمة صارت نسبأ دانيا . وكانت رضاعأ ثانياً ، أين يقع فارس من عسكر ، ومتى يقوم بناء واحد بهدم بشر . نعم الشفيع الحب ، ونعم العون على صاحبه القلب . هل يبرأ المريض ، بين

(١) الهذر : الكلام الذي تكثر فيه الأخطاء الرديئة .

(٢) الأقداء : من القذى ، وهو المكروه الذي يقع في العين .

(٣) أكدى : افتقر بعد الغنى .

طبيين ، وهل يسع الغمد سيفين ، لم أر معلماً أحسن تعليماً من الزمان ، ولا متعلماً أحسن تعلماً من إنسان ، من الناس من إذا ولّى عزلته نفسه ومنهم إذا عزل ولاه فضله ، ربما أكل الحر وهو شعبان ، وشرب وهو ريان ، ليس إلا لأن يسرّ مضيئاً . ويكون ظريفاً ، يشكر القمر على أن يلوح والمسك على أن يفوح ، نعم العدة المدة ، ونعم الواقية العافية ، وبش الخصم الزمان ، وبش الشفيع الحرمان ، وبش الرفيق الخذلان ، إن ولاية المرء ثوبه ، فإن قصر عنه عرى منه ، وإن طال عليه عثر فيه ، ما المحنة إلا سيل والسيّل إذا وقف فقد انصرف وما الأيام إلا جيش والجيش إذا لم يكر فقد فر . وإذا لم يقبل عليك فقد أدبر عنك . وراء الغيب أقفال ، وللمنح والمحن أعمار وآجال . ما أكثر من يخطئ بالصنعة طريق المصنع ، ويخالف بزرقه غير موضع المزدرع . أكبر من الأسير من أسره ثم أعتقه ، وأشجع من الأسد من قيده ثم أطلقه ، أكرم من النبت الزكي من زرعه . وأكرم من الكريم من اصطنعه ، لا صيد أعظم من إنسان ولا شبكة أصيد من لسان ، وشتان بين من اقتنص وحشياً بحالته وبين من اقتنص انسياً بمقالته . من أراد أن يصطاد قلوب الرجال ، نثر لها حب الإحسان والإجمال ، ونصب لها أشراك الفضل والإفضال ، في كتمان الداء عدم الدواء ، وفي عدم الدواء عدم الشفاء ، من لم يذكر أخاه إذا رآه فوجدانه كفقدانه ، ووصله كهجرانه ، من أجاد الجلب أخذ به ما طلب ، من ذا الذي يطمس نجوم الليل ويدفع منسكب السيل ، وينضب ماء البحر ، ويفنى أمد الدهر ؟ من تكامل نحسه لم تنصح نفسه ، ومن لم ينه أخاه فقد أغراه ، ومن لم يداو عليه فقد أدواه^(١) ، نعم جنة المرء من سهام دهره نزوله عند قدره ، ونعم السلم إلى الأرزاق طلبها من طريق الاستحقاق .

* * *

(١) أدواه : أمرضه ، وجعله يرتاب منه .

وهذه فصول كالانموذج جاءت من غرره وفقره

على الكريم واقية من فعله ، وله حصن حصين من فضله ، فإذا زلّت به النعل زلة ، أوصال عليه الدهر صولة ، اقامته يد إحسانه ، وانتزعت من مخالف زمانه .

فصل - الرجال حصون يبنّيها الإحسان ، ويهدمها الحرمان ، وتبلغ بشمرها البر واليسر ، ويحصدها الجفاء والكبر ، وإنه لا مال إلا بالرجال ، ولا صلح إلا بعد قتال ولا حياة إلا في ناصية خوف^(١) ، ولا درهم إلا في غمد سيف ، والجبان مقتول بالخوف قبل أن يقتل بالسيف ، والشجاع حي وإن خانته العمر ، وحاضر وإن غيّه القبر ، ومن حاكم خصمه إلى السيف فقد رفعه إلى حاكم لا يرتشي ولا يفترى فيما يقتضي ، ومن طلب المنية هربت منه كل الهرب ، ومن هرب منها طلبته أشد الطلب .

فصل - لا صغير مع الولاية والعمالة ، كما لا كبير مع العطلة والبطالة ، وإنما الولاية أنثى تصغر وتكبر بواليتها ، ومطية تحسن وتقبح بممّطيتها ، وإنما الصدر بمن يليه ، والدست بمن يجلس فيه ، وإنما النساء بالرجال ، كما أن الأعمال بالعمال .

فصل - إفراط الزيادة يؤدّي إلى النقصان ، والمثل في ذلك جار على كل لسان ، ولذلك قالوا : صبوة العفيف^(٢) ، وسطوة الحليم ، وضربة الجبان ، ودعوة البخيل ، وجواب السكيت ، ونادرة المجنون ، وشجاعة الخصي ، وظرف الأعرابي .

فصل - قد يكبر الصغير ، ويستغني الفقير ، ويتلاحق الرجال ، ويعقب

(١) الناصية : مقدّم الرأس .

(٢) الصبوة : جهل الفتوة وهوها .

النقصان الكمال ، وكل واد عظيم فأوله شعبة صغيرة ، وكل نخلة سحوق فأولها فسيلة حقيرة^(١) . وقد يتبدى العنب حُصْراً حامضاً جاسياً^(٢) ، ثم يخرج الراح التي هي مفتاح اللذات ، وأخت الروح والحياة ، ويكون حشو الصدفة ماء ملحاً ، ثم يصير جوهرة كريمة ، ودرة يتيمة ، ويكون أول ابن آدم نقطة ، وعلقة ومضغة ، ثم يخرج منها العالم الأصغر ، والحيوان الأرضي الأكبر ، الذي دحيت له الأرض ، وسخرت له الأنهار ، ومن أجله خلقت الجنة والنار .

فصل - قد أراحني فلان ببره ، لا بل أتعبني بشكره ، وخفف ظهري من ثقل المحن ، لا بل ثقله بأعباء المنن ، وأحيانى بتحقيق الرجاء ، لا بل أمانى بفرط الحياء ، وأنا له رقيق بل عتيق ، وأسير بل طليق .

فصل في فضل الحمية من رسالة

ملاك الأمر الحمية ، فإنه لا يكون قوي الحمية إلا من يكون قوي الحمية ، ومن غلبته شهوته على رأيه شهد على نفسه بالبهيمية ، وانخلع من ربة^(٣) الإنسانية ، وحق العاقل أن يأكل ليعيش ، لا أن يعيش ليأكل ، وكفى بالمرء عاراً أن يكون صريع مآكله وقتيل أنامله ، وأن يجني ببعضه على كله ، ويعين فرعه على أصله ، وكم من نعمة أتلقت نفس حر ، وكم من أكلة منعت أكالات دهر ، وكم من حلاوة تحتها مرارة الموت ، وكم من عذوبة تحتها بشاعة الفوت . وكم من شهوة ذهبت بنفس لا يقوى بها العساكر ، وقطعت جسداً كانت تنبو عنه السيوف البواتر ، وهدمت عمراً انهدمت به أعمار ، وخربت بخرا به بيوت بل ديار وأمصار .

(١) الفسيلة : النبتة القصيرة ، والنخلة السحوق : أي العالية .

(٢) الجاسي : اليابس .

(٣) الربة : من الرَبَق ، وهو جيل في عدة عرى .

فصل في اقتضاء حاجة

وعد الشيخ يكتب على الجلمد ، إذا كتب وعد غيره على الجمد ، ولكن صاحب الحاجة سيء الظن بالأيام ، مريض الثقة بالأنام ، لكثرة ما يلقاه من اللثام ، وقلة من يسمع به من الكرام .

فصل في ذكر آفات الكتب

هذا والكتاب ملقى لا موقى ، تسرع إليه اليد الخاطئة ، وتعرض له الآفات السانحة ، فالماء يغرقه ، كما أن النار تحرقه ، والريح تطيره ، كما أن الأيام تغيره ، والدخان يسود بياضه ، كما أن الخل يبيض سواده ، والرطوبة تضره ، كما أن اليبوسة لا تنفعه ، فآفاته أسرع من آفات الزجاج الذي يسرع إليه الكسر ، ويبطيء عليه الجبر ، وحوادثه أكثر من حوادث الغنم التي هي لكل يد غنيمة ولكل سبع فريسة ، فأقل آفاته خيانة الحامل ، ووقوع الشاغل ، وعوائق الفتوح والقوافل .

فصل في ذكر إلا ولولا

الحمد لله الذي جعل الشيخ يضرب في المحاسن بالقدح المعلى ، ويسمو منها إلى الشرف الأعلى . ولم يجعل فيه موضعا للولا ، ولا مجالا للإلا . فإن الاستثناء إذا اعترض في المدح أنضب ماءه وكدر صفاءه . وأنطق فيه حساده وأعداءه ، وكذلك قالوا : ما أملح الطيبي لولا خنث أنفه^(١) ، وما أحسن البدر لولا كلف وجهه^(٢) ، وما أطيّب الخمر لولا الخمار ، وما أشرف الجود لولا الإقتار ، وما أحمد مغبة الصبر لولا فناء العمر ، وما أطيّب الدنيا لو دامت [من البسيط] :

(١) الخنث : أي تكسرُ وإنشاء .

(٢) الكلف : ما يظهر في الوجه من بقع .

ما أعلم الناس أن الجود مكسبةٌ للحمد لكنه يأتي على النشب^(١)

فصل في الاعتداد

ذكر السيد أن اعتداده بي اعتداد العلوي بالشيعة ، والمعتزلي بالأشعري ، واعتداد الحجازيين بالشافعي ، واعتداد الزيدية بزید بن علي ، واعتداد الإمامية بالمهدي .

فصل في ذم عامل تقلد الخراج

في هذه الناحية رجل قصده الدرهم لا الكرم . وغرضه الثراء لا الثناء ، وقبلته البيضاء والصفراء ، لا المجد والثناء .

فصل في الاعتذار

ذكر سيدي من شوقه إلى ما لم يتكلم فيه إلا عن لساني ، ولم يترجم إلا عن شأني ، وقد طويت بساط المدام ، وصحيفة المؤانسة والندام ، وطلقت الراح ثلاثا ، وفارقت الغناء بتاتا ، حتى شكتني الأقداح ، واستخفني الراح ، ونسي بناني الأترج والتفاح^(٢) .

فصل في ذكر هدة

بلغني ذكر الهدّة ، فالحمد لله الذي هدم الدار ، ولم يهدم المقدار ، وثلم المال^(٣) ولم يثلم الجمال . وسلط الحوادث على الخشب والنشب ، ولم يسلطها

(١) النشب : المال من نقد وحيوان .

(٢) الأترج : شجر من جنس الليمون تسميه العامة « الكباد » .

(٣) ثلم : انتقص .

على العرض والحسب ، ولا على الدين والأدب ، ولا بد للنعمة من عودة ، ولا بد لعين الكمال من رقية ، ولأن يكون في دار تبني ، ومال يجبر وينمي ، خير من أن يكون في النفس التي لا جابر لكسرهما ، ولا نهاية لقدرها .

فصل في ذكر الرمد

صادف ورود الكتاب رمداً في عيني حتى حصرني في الظلمة ، وحسني بين الغم والغمة ، وتركني أدرك بيدي ما كنت أدرك بعيني ، كليل سلاح البصر قصير خطو النظر ، قد ثكلت مصباح وجهي ، وعدمت بعضي الذي هو أثر عندي من كلي ، فالأبيض عندي أسود ، والقريب مني مبعد . قد خاط الوجع أجفاني ، وقبض عن التصرف بناني . ففراغي شغل ، ونهاري ليل ، وطول الحاضي قصار ، وأنا ضير وإن عدت في البصراء . وأُمِّي وإن كنت من جملة الكتاب والقراء . قصرت العلة خطوتي قلبي وبناني ، وقامت بين يدي ولساني . وقد كانت العرب تزوج بين كلمات تتجانس مبانيها ، وتكافأ مقاطعها ومعانيها ، فيقولون : القلة ذلة ، والوحدة وحشة ، واللحظة لفظة ، والهوى هوان ، والأقارب عقارب ، والمرض حرص^(١) ، والرمد كمد ، والعلة قلة ، والقاعد مقعد .

فصل في مدح الفقر

وإنما يكره الفقر لما فيه من الهوان ، ويستحب الغنى لما فيه من الصوان ، فإذا نبغ الغم من تربة الغنى فالغنى هو الفقر ، واليسر هو العسر ، لا بل الفقير على هذه القضية أحسن من الغني ، وأقل منه أشغالا ، لأن الفقير خفيف الظهر من كل حق ، منفك الرقبة من كل رق ، فلا يستبطئه إخوانه ، ولا يطمع فيه جيرانه ، ولا تنتظر في الفطر صدقته ، ولا في النحر أضحيته ، ولا في شهر رمضان مائدته ، ولا

(١) الحرص : الهلاك .

في الربيع باكورته^(١) . ولا في الخريف فاكهته ، ولا في وقت الغلة شعيره وبره ، ولا في وقت الجباية خراجه وعشره ، وإنما هو مسجد يحمل إليه ، ولا يحمل عنه ، وعلوي يؤخذ بيده ولا يؤخذ عنه ، تتجنبه الشرط نهارا ، ويتوقاه العسس ليلا^(٢) ، فهو إما غانم وإما سالم ، وأما الغني فإنما هو كالغنم غنيمة لكل يد سالبة ، وصيد لكل نفس طالبة ، وطبق على شوارع النواثب ، وعلم منصوب في مدرجة المطالب ، تطمع فيه الإخوان ويأخذ منه السلطان ، وينتظر فيه الحدثان^(٣) ، ويحيف ملكه النقصان .

فصل في ذم عامل

والله ما الذئب في الغنم بالقياس إليه إلا من المصلحين ، ولا السوس في الخز أوان الصيف عنده إلا بعض المحسنين ، ولا الحجاج في أهل العراق معه إلا أول العادلين ، ولا يزدجرد الأثيم في أهل فارس بالإضافة إليه إلا من الصديقين والشهداء والصالحين .

فصل في ذكر الآفات

من آفات العلم خيانة الوراقين وتخلف المتعلمين ، كما أن آفات الدين فسق المتكلمين وجهل المتعبدين ، وكما أن من آفات الدنيا كثرة العامة ، وقلة الخاصة ، وكما أن من آفة الكرم أن الجود آفة للمنع ، وأن البخل سبب للجمع ، وأن المال في أيدي البخلاء دون أيدي السمحاء ، وكما أن آفات الحلم أن الحليم مأمون الجنبه ، وأن السفه منيع الحوزة ، وكما أن من آفة المال أنك إذا صنته عرضته للفساد ، وإذا أبرزته عرضته للنفاذ ، وكما أن من آفات الشكر أنك إذا قصرت عن غايته غششت من اصطنعك ، وإذا أبلغتها أو أبلغت فيه أوهمت من

(١) باكورته : أول مطره ، والباكورة : أول كل شيء .

(٢) العسس : من يطوفون بالليل ويكشفون عن أهل الريبة .

(٣) الحدثان : الليل والنهار .

سمعتك ، وكما أن من آفات الشراب أنك إذا أقللت منه حاربت شهوتك ولم تقض
نهمتك ، وإذا أكثرته منه تعرضت للإثم والعار ، وأبرزت صفحتك للألم والنار ،
وكما أن من آفات الممالك أنك إذا بسطتهم أفسدت أدبهم وأذهانهم ، وإذا
قبضتهم أفسدت وجوههم وألوانهم ، وكما أن من آفات الأصدقاء أنك إذا
استقللت منهم لم تصب حاجتك فيهم ، وإذا استكثر منهم لزمك حوائجهم ،
وثقلت عليك نوائبهم ، وكسبت الأعداء من الأصدقاء كما تكسب الداء من
الغذاء ، وكما أن من آفات المغنين أن الوسط منهم يميم الطرب ، وأن الحاذق
منهم ينسي الأدب .

وهذه جملة من أخباره تطرق لأشعاره

أصله من طبرستان ، ومولده ومنشؤه خوارزم ، وكان يتسم بالطبري ويعرف
بالخوارزمي ، ويلقب بالطبرخزمي ، فارق وطنه في ريعان عمره وحادثة سنه ،
وهو قوي المعرفة قويم الأدب ، نافذ القريحة حسن الشعر ، ولم يزل يتقلب في
البلاد ويدخل كور العراق والشام ، ويأخذ عن العلماء ، ويقتبس من الشعراء
ويستفيد من الفضلاء ، حتى تخرج وخرج فرد الدهر في الأدب والشعر ، ولقي
سيف الدولة وخدمه واستفاد من يمن حضرته ، ومضى على غلوائه في الاضطراب
والاغتراب ، وشرق بعد أن غرب ، وورد بخارى وصحب أبا علي البلعمي ، فلم
يحمد صحبته وفارقه وهجاه بقوله [من الخفيف] :

إن ذا البلعمي والعين غينٌ وهو عارٌ على الزمان وشينٌ
إن يكن جاهلاً بخفي حنينٍ فهو الخفُّ والزمان حنينٌ

ووافي نيسابور فاتصل بالأمير أبي نصر أحمد بن علي المكالي . واستكثر من
مدحه ، وداخل أبا الحسن القزويني ، وأبا منصور البغوي ، وأبا الحسن
الحكمي ، فارتفق بهم وارتفق من الأمير أحمد ومدحه ، ونادم كثير بن أحمد . ثم

قصده سجستان وتمكن من واليها أبي الحسين طاهر بن محمد ومدحه ، وأخذ
صلته ، ثم هجاه وأوحشه حتى أطال سجنه ، فمما قاله في تلك النكبة قصيدة كتب
بها إلى الأمير أبي نصر أحمد بن علي الميكالي [من الطويل] :

كتابي أبا نصرٍ إليك وحالتي كحال فريسٍ في مخالب ضيغم^(١)
أرقُّ من الشكوى وأدجى من النوى وأضعفُ من قلب المحبِّ المتيمِّمِ
غدوتُ أخا جوعٍ ولست بصائمٍ ورحت أخاعري ولست بمحرِّمِ
وقعت بفخِّ الخوف في يد طاهرٍ وقوع سليك في حبال خثعمِ

يعني سليك بن سلكة السعدي حين أسره أنس بن مالك الخثعمي .

وما كنت في تركيك إلا كتاركٍ يقيناً وراضٍ بعده بالتوهمِ
وقاطن أرض الشرك يطلب توبةً ويخرج من أرض الحطيم وزمزمِ
وذي علقٍ يأتي عليلًا ليشفي بها وهو جارٌّ للمسيح ابن مريمِ
وراوي كلامٍ مقتفٍ إثر باقلٍ ويترك قسًا خائبًا وابن أهتم^(٢)
جنابٌ تجنبناه ليس بمجدبٍ وبحرٌ تخطيناه ليس بمرزم^(٣)

رزم الماء : إذا انقطع ، وأرزمه غيره : أي قطعه .

وماء زلالٍ قد تركنا وروده زلالاً وبعناه بشربة علقمِ
لبست ثياب الصبر حتى تمزقتُ جوانبها بين الجوى والتندمِ
أظل إذا عاتبت نفسي منشداً (فهلا تلا حاميم قبل التقدم)

المصراع الثاني قاله قاتل محمد بن طلحة يوم الجمل^(٤) :

(١) الضيغم : الأسد .

(٢) مقتفٍ : متبِع ، ويقال : يضرب به المثل في العي .

(٣) مرزم : منقطع .

(٤) وصدره في كلام قاتل محمد بن طلحة : « يذكّرني حاميم والرمح شاجر »

وأنشد في ذكرى لدارك باكياً « ألا انعم صباحاً أيها الربع وآسلم »
ولم أر قبلي من يحارب بخته ويشكو إلى البؤسي افتقار التنعم
ولا أحدٌ يحوي مفاتيح جنّة ويقرع بالتطفيل باب جهنم
وقد كان رأساً للتدابير بلعم وقد صرت في الدنيا خليفة بلعم

يعني بلعم بن باعوراء . الذي أنزل فيه (وائل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا
فانسلخ منها) لأنه كفر بالله بعد تعلمه الاسم الأعظم ، وجحد نعم الله سبحانه
وتعالى :

وقد عاش بعد الخلد في الأرض آدمُ فإن شئت فاعذرني فإنني ابن آدم
فياليتني أمسيت دهري راقداً فإنني متى أرقدُ بذرك أحلم
مكانك من قلبي عليك موقراً متى ما يرمه ذكر غيرك يحتمي
لغيرك دردي الوصال وثيب المقال ومزوج المودة فاعلم^(١)
وأنت الذي صوّرت لي صورة البنى وأركبني ظهر الزمان المذمّم
وصيّرت عندي أنحس الدهر أسعداً وكذّبت عندي قول كلّ منجم
وصغّرت قدر الناس عندي وطالما لحظت صغيراً عن حماليق معظم

فجعل الله له من مضيق الحبس مخرجاً ، فنهض إلى طبرستان ، وكانت
حاله مع صاحبها كهي مع طاهر بن شار ، فمن قوله فيه من قصيدة [من الوافر] :

ألا أبلغ بني شارٍ كلامي ومن لم يلقيهم فهو السعيد
علام ابتعتم فرساً عتيقاً وليس لديكم علفٌ عتيدُ
وفيم حبسْتُم في البيت بازاً يحيصُ الطير عنه أو يحيدُ
فلا قرّبتموه فعلمتموه ولا خلّيتم عنه يصيدُ

(١) دردي الوصال : الدردي من الزيت أو نحوه : ما يبقى في أسفل الإناء من الكدر .

وثيب المقال : أي الكلام الذي ليس بكرة لأن الثيب : هي التي افتقدت بكارتها .

وقوله من أخرى [من الوافر] :

وقال أنا المليك فقلت حقاً بقلب اللام نوناً في الهجاء
ولم أر من أداة الملك شيئاً لديك سوى احتمالك للواء

ومنها :

أحين قلعتُ نابي كلُّ أفعى وحادت أسد بيشة عن فنائي
وقال الناس إذ سمعوا كلامي ألم تكن الكواكب في السماء
يخوفني الكساد على متاعي وهل يُخشى فساد الكيمياء

وله من أخرى [من مخلع البسيط] :

لله في كل ما قضاه لطائفٌ تحتها بدائع
سبحان من يطعم ابن شار ويترك الكلب وهو جائع

ثم إنه عاود نيسابور ، وأقام بها إلى أن وفق التوفيق كله بقصد حضرة
الصاحب بأصبهان ولقائه بمدحه ، فأنجحت سفرته ، وربحت تجارته ، وسعد
جده بخدمته ومدخلته والحصول في جملة ندمائه المختصين به ، فلم يخل من
ظل إحسانه ووابله وغامر إنعامه وقابله ، وتزود من كتاب إلى حضرة عضد الدولة
بشيراز ما كان سبباً لارتياشه ويساره ، فإنه وجد قبولاً حسناً واستفاد منها مالا كثيراً
ولما انقلب عنها بالغنيمة الباردة إلى نيسابور استوطنها واقتنى بها ضياعاً وعقاراً
ودرت عليه أخلاف الدنيا من الجهات ، وحين عاود شیراز ورد منها عللاً بعد
نهل ، فأجري له عند انصرافه رسماً يصل إليه في كل سنة بنيسابور مع المال الذي
كان يحمل من فارس إلى خراسان ، ولم يزل يحسن حال من رواء وثروة
واستظهار ، يقيم للأدب سوقاً ، ويعيده غصاً وريقاً ، ويدرس ويملي ويشعر
ويروي ، ويقسم أيامه بين مجالس الدرس ومجالس الأنس ، ويجري على قضية
قول كشاجم [من الرمل] :

عجباً ممَّنْ تعالت حاله فكفاه الله زلَّاتِ الطلبِ
كيف لا يقسم شطري عمره بين حالين نعيمٍ وأدبٍ

وكان يتعصب لآل بويه تعصبا شديدا ، ويغض من سلطان خراسان ويطلق لسانه بما لا يقدر عليه ، إلى أن كانت أيام تاش الحاجب ورجع من خراسان إلى نيسابور منهزما ، فشمت به وجعل يقول : قبح له وللوزير أبي الحسن العتبي ، فأبلغ العتبي أبياتا منسوبة إلى الخوارزمي في هجائه ولم يكن قالها ، منها [من البسيط] :

قل للوزير أزال الله دولته جزيت صرفاً على قول ابن منصور
فكتب إلى تاش في أخذه ومصادرته وقطع لسانه ، وإلى أبي المظفر الرعيني في معناه ، وكان يلي البندرة بنيسابور إذ ذاك ، فتولى حبسه وتقييده وأخذ خطه بمائتي ألف درهم واستخرج بعض المال وأذن له في الرجوع إلى منزله مع الموكلين به ليحمل الباقي ، فاحتال عليهم يوما ، وشغلهم بالطعام والشراب وهرب متكررا إلى حضرة الصاحب بجرجان ، فتجلت عنه غمة الخطب ، وانتعش في ذلك الفناء الربح ، وعاود العادة المألوفة من المبار والأحبية واتفق قتل أبي الحسن العتبي وقيام أبي الحسن المزني مقامه ، وكان من أشد الناس حبا للخوارزمي ، فاستدعاه وأكرم مورده ومصدره ، وكتب إلى نيسابور في ردِّ ما أخذ منه عليه ، ففعل وزادت حاله وثبت قدمه ، ونظر إليه ولاية الأمر بنيسابور بعين الحشمة والاحتشام والإكرام والإعظام ، فارتفع مقداره وطاب عيشه ، إلى أن رمي في آخر أيامه بحجر من الهمداني الحافظ البديع ، وبلي بمساجلته ومناظرته ومناضلته ، وأعان الهمداني الحافظ البديع عليه قوم من الوجوه كانوا مستوحشين منه جداً ، فلاقى ما لم يكن في حسابه من [مباراة المزني وقوته به] وأنف من تلك الحال ، وانخزل انخزالا شديدا^(١) ، وكسف باله ، وانخفض طرفه . ولم يحل

(١) انخزل : انقطع وضعف .

عليه الحول حتى خانه عمره ، ونفذ قضاء الله تعالى فيه ، وذلك في شوال سنة
ثلاث وثمانين وثلاثمائة ، وكان مولده في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ، ورثاه
الهمذاني بأبيات دس فيها سعاية ثانية ، وهي هذه [من المتقارب] :

حنانيك من نفس خافتٍ ولبيك عن كمدٍ ثابت
أبا بكر اسمع وقل كيف ذا ولست بمسمعة الصامت
تحملت فيك من الحزن ما تحمله ابنك من صامت
حلفت لقد متّ من معشرٍ غنيين عن خطر المائت
يقولون أنت به شامتٌ فقلت الثرى بقم الشامت
وعزّت عليّ معاداته ولا متداركٌ للفائت

وقال فيه من أحسن على إساءته ، وهو أبو الحسن عمر بن أبي عمر الرقاني
[من السريع] :

مات أبو بكر وكان أمراً أدهم في آدابه الغر^(١)
ولم يكن حراً ، ولكنه كان أمير المنطق الحرّ

وهذه ملح ونكت من شعره في النسيب والغزل

قال من قصيدة وأبدع في وصف ما يتزايد من حسن الحبيب على الأيام التي
من شأنها تغيير الصور وتقييح المحاسن [من الوافر] :

وشمسٍ ما بدت إلا أرتنا بأن الشمس مطلعها فضول
تزيد على السنين ضياءً وحسناً كما رقت على العتق الشمول^(٢)

(١) الأدهم : الأسود ، وأدهم في آدابه : أي يجمع القديم والجديد .
(٢) رقت على العتق الشمول : الشمول : الحمرة ، والعتق : القدم ، ورقت : أصبحت أكثر صفاءً
وعذوبة .

ومن أخرى [من الكامل] :

مضت الشبيبة والحبيبة فالتقى دمعان في الأجفان يزدهمان
ما أنصفتني الحادثات رميني بمودعين وليس لي قلبان

ومن أخرى [من الخفيف] :

قلت للعين حين شامت جمالاً في وجوه كواذب الإيماض
لا تغرنك هذه الأوجه الغرُّ فيا ربَّ حيةٍ من رياض

ومن أخرى [من الطويل] :

عذيري من ضحك غدا سبب البكا ومن جنّةٍ قد أ وقعت في جهنم
لأنك لا تروين بيتاً لشاعرٍ سوى بيت «من لم يظلم الناس يظلم»^(١)

ومن أخرى [من الطويل] :

عذيري من تلك الوجوه التي غدت مناظرها للناظرين معاركا
عذيري من تلك الجسوم التي غدت سبائك تفتى الناس فيها السبائكا

ومن أخرى [من الطويل] :

خليليّ عهدي بالليالي صوافيا فما بالها أبدلن جيما بصاها
خليليّ هل أبصرتما مثل أدمعي نفدن وحقّ الله قبل نفادها

ومن أخرى [من الطويل] :

يفلّ غداً جيش النوى عسكر اللقاء فأريك في سحّ الدموع موقفاً^(٢)
وخذ حجتني في ترك جنبي سالماً وقلبي ومن حقيهما أن يشقّقا

(١) يشير إلى قول زهير بن أبي سلمى المزني من معلقته :

ومن لا يزد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

(٢) يفلّ : يقطع ويثلم ، والنوى : البعد والهجر ، وسحّ الدموع : هطولها .

يدي ضعفت عن أن تمزق جيبها وما كان قلبي ناظراً فيمزقاً
ومن أخرى [من الكامل] :

بسمت فأبدت جيدها فتكشفت عن نظم در تحت نظم لآلي^(١)
وأرتك خديها ولاح عليهما صدغان ذو خالٍ وآخر خالي
فكان ذا ذالٍ خلت من نقطة وكأن ذا دالٍ ونقطة ذال

ومن أخرى [من الخفيف] :

قد عصاني دمعي وخلي فخلت السخل دمعاً وخلت دمعِي خِلاً
وأحاطت بي الخصوم فجفنأ مستهلاً وصاحباً مستقلاً
وفؤاداً لو ظن إبليس أن النار في حره لصام وصلى

ومن أخرى [من الطويل] :

هَلَم الخطا بدر الدجّة وارفقا بعينيكما فالضوء قد يورث العمى
ولا تعجباً أن يملك العبد ربه فإن الدّمى استعبدن من نحت الدّمى

ومن أخرى [من الطويل] :

وكم ليلة لا أعلم الدهر طيبتها مخافة أن يقتصّ مني لها الدهرُ
سهادٌ ولكنّ دونه كلُّ رقدة وليلٌ ولكنّ دون إشراقه الفجرُ
ونسكر الهوى لو كان يحكيه لذة من الخمر سكر لم يكن حرّم السكر
ولما أدارت مقلّة جاهلية هلاك امرئ في ضمن ثوبي لها نذر
ومالت كأن قد سقيت خمر خدّها وكيف يميل الخمر من ريقه الخمر
حسدت عليها ناظري إذ تحلّه كما تحسد الأفلاك نعل فنا خسرو

(١) ورد صدر البيت هكذا : « بسمت فأبدت جيدها فتكشفت » ولا يستقيم به الوزن .

ومن أخرى [من الكامل] :

ولقد ذكرتكَ والنجوم كأنَّها
يلمعن من خلل السحاب كأنَّها
والأفق أحلك من خواطر كاسب
فمزجت دمعِي بالدماء ولم أكنُ
ومن أخرى [من المنسرح] :

ليس على القلب للعدول يدُ
كلُّ فؤادٍ مع الهوى عَرَضُ
يا أيها الطالبون بي رشداً
ولي فؤادٌ مذ صرت أفقده
ولي حبيبٌ لو كنت أنصفه
شهدت للقلب حين علَّقه
ولا ليومي من الفراق غدُ
وكلُّ يومٍ مع النوى أمدُ
متى التقى الحبُّ قطُّ والرشدُ
لم أتفعُ بعده بما أجد
وجدت فيه أضعاف ما أجد^(٣)
بأنه للوجوه منتقد

ومن أخرى [من المتقارب] :

عليك رقيبٌ ثَقِيلُ اللَّحَازِ
أنمُ من المسك بالعاشقين
متى لم يحط علمه يحْدَسُ^(٤)
والحظ عيناً من النرجس

ومن أخرى [من مجزوء الرمل] :

قلت لما رمدت عيـنـاك والدمع سجام^(٥)
إنما عوقبت عن عيـنـي فاعلم يا غلام

(١) من خلل السحاب : من بيته من خلاله، والعرفيح : شجر سهلي .

(٢) صرف الهوى : خالسه ، والصرف : هو الصافي ومن الخمر : الذي لم يخالط بالماء .

(٣) وجدت : من الوجد وهو العشق .

(٤) يحْدَس : يظن ويخمن .

(٥) سجام : سائل .

لا أصيبت هذه العـين بعيني والسلام

* * *

وهذه لمع من تضميناته التي كانت رشيقة ، وطريقة أنيقة ، يضعها في مواضعها ، ويوقعها أحسن مواقعها ، ويفصح بها عن اتساع روايته وكثرة محفوظاته ، فمنها قوله من قصيدة في عضد الدولة [من الوافر] :

ولمّا أكثر الحساد فيه وقالوا قد تغضّنت الخدود^(١)
أجاب الفضل عنه حاسديه (لأمر ما يسود من يسود)

« لأمر ما » البيت لبلعام بن قيس الكناني

بودّي لو رأى كنفه يوماً ومن قد عاش تحتها لبيد
لأن لبيدا يقول [من الكامل] :

* ذهب الذين يعاش في أكنافهم^(٢) *

ولو أنّ الوليد رآه يوماً غدا ورجاؤه غضّ وليد
وحلّ عرى الزماع ولم يردّد « أشرق أم أغرب يا سعيد »^(٣)
وله من أخرى [من الكامل] :

حسد السّمّاك سمّيه لما بدا في سرجه شخص الهمام الأبلج
السّمّاك : فرس منسوب لعضد الدولة .
وغدا فأضحى لاحقاً ضدّ اسمه وأراك أعوج وهو عين الأعوج

(١) تغضّنت : تجمّدت .

(٢) هذا صدر بيت وعجزه قوله :

« وبقيت في خليف كجلد الأجر »

(٣) حلّ عرى الزماع : أي انثنى عن الأمر الذي كان قد أزمع وصمّم على فعله .

فلو ان شاعر بحتري في عصره ما قال في فرس ولا في أعوج
(خفت مواقع وطئه فلو انه يجري برملة عالج لم يرهج)^(١)
البيت كما هو للبحتري .

وقوله من أرجوزة [من الرجز] :

وقينة أحسن من لقيها تملي كتاب الحسن مقلتها
ونقطه وشكله خداه إذا اجتلاها اللحظ أنشدناها
(* واهل لرياً ثم واهاً واهاً *)

المصراع لأبي النجم

ومنها في وصف الناقة :

بجسرة قائدها براها في السير بل سائقها رجلاها
قد كتب العتق على ذفراها (أي قلوصل ركب تراها)^(٢)
البيت جاهلي قديم

ومن قصيدة [من الطويل] :

لعمرك لولا آل بوية في الوري لكان نهاري مثل ليل المتيم
وصمت عن الدنيا وأفطرت بالمني ولم يك إلا بالحديث تأدمي

(١) برملة عالج : مكان كثير الرمل . لم يرهج : لم يترك غباراً .

(٢) يروي بعده :

هي المنى لو أننا نلناها يا ليت عيناها لنا وفاها
بشمن نرضي به أباه إن أباه وأبا أباه
قد بلغنا في المجد غايتها

(٣) ذفر الشيء : انتشرت رائحته وانتفت وذفر الناقة : رائحة إبطيها المنتنة ، والقلوص : الناقة .

(٤) تأدمي : طعمني وأكلي .

وأنشدت في داري وفيما أرى بها (أمن أم أوفى دمنة لم تكلم)
المصرع لزهير^(١)

ومن قصيدة في صاحب [من الطويل] :

ومن نصر التوحيد والعدل فعله وأيقظ نوام المعالي شمائله
ومن ترك الأخيار ينشد أهله (أجل أيها الربع الذي خف أهله)
المصرع لأبي تمام^(٢)

ومن أخرى [ومن الطويل] :

أخو كلمات ما جلاها لسانه على أحد إلا غدا وهو خاطب
متى يروها أهل الصناعة ينشدوا (عجائب حتى ليس فيها عجائب)
المصرع لأبي تمام أيضاً^(٣)

ومن أخرى [من البسيط] :

مقابل بين أقوام وألوية مردد بين إيوان وديوان
إذا أتى داره الأضياف أنشدتهم (وإخوتي أسوة عندي وإخواني)
المصرع لأبي تمام

يا ترجمان الليالي عن معاذرها وحجة الزمن الباقي على الفاني
يا أبحث الناس عن شعر وعن كرم يا مورث الطبع إحساناً بإحسان

(١) المصراع صدر مطلع في قول زهير وعجزه :

« بجومانة الدراج فالمنثلم »

(٢) المصراع صدر مطلع في قول أبي تمام وعجزه :

« لقد أدركت فيك النون ما تحاوله »

(٣) المصراع عجز بيت لأبي تمام وصدره قوله :

« علي أنها الأيام قد صرن كلها »

يا تاركي منشداً من ظلّ يحسدني (ليس الوقوف على الأطلال من شائي)

المصرع لعبد الله بن عمار الرقيّ

طلقت بعدك مدح الناس كلّهم
وكيف أمدحهم والمدح يفضحهم
قوم تراهم غصابى حين تشدهم
البيت من قول القائل [من البسيط] :

عثمان يعلم أن المدح ذو ثمن
رجع :

ورابني غيظهم في هجو غيرهم
ما كلُّ غانية هندٌ كما زعموا
فسوف يأتيك مني كلّ شاردة
يقول من قرعت يوماً مسامعه
الوشي من أصبهان كان مجتلباً
قد قلت إذ قيل إسماعيل ممدحٌ
(الناس أكيس من أن يمدحوا رجلاً
البيت كله تضمين

ومن أخرى [من الطويل] :

كتبتُ ابن عبادٍ إليك وحالتي كحال صِدٍّ طَمَتْ عليه مناهله^(٣)

(١) الكشحان بكشحان : حقد بحقد ، وعداوة بعداوة .

(٢) بخت : حظّ ، وسان : غافل ، والوسن النعاس الذي يسبق النوم .

(٣) الصّدّ : المنع ، وطمت فاضت ، والمناهل المشارب .

وما تركت كفاك في خصاصة
أبيت إذا أجريت ذكرك منشداً
ولكن شوقاً قد غلت بي مراجله^(١)
(كأتك تعطيه الذي أنت سائله)
المصراع تضمين .

ومن أخرى في عضد الدولة [من البسيط] :

أضحت ثياب فنا خسرو مزررة
القائل القول عي السامعون به
على هزبر وإنسان وصمصام
والمفاعل الفعلة الغراء لامعة
فمئلوا بين أوهام وأفهام
والتارك الترك والخذلان ينشدهم
أوضحها بين أقلام وأعلام
(يا بؤس للجهل ضرراً لأقوام)

المصراع للنابعة الديباني

ومنها :

[أغنيتني عن أناس كان بعضهم
المبغضين ليوم الفطر جهدهم
عذري ومكثي فيه بعض إجرامي]
لأنهم قطعوه غير صوام
قوم إذا مرّ ضيفٌ دحرجوا حجراً
وأسموا اليوم يوم العيد أو رام^(٢)
قد قدموا نفرأ قبلي فأنشدهم
فضلي ونقص الألى لاقوا بإكرام
(قدمت قبلي رجالاً لم يكن لهم
في الحق أن يلحقوا الأبواب قدامي)
تضمين كله .

ومن أخرى [من الطويل] :

لو أتتك قد أبصرت تاشا وفائقاً
وقد كتب الإديبار في جبهتهما
على ظهر يخت أدبر الظهر رازم
بإنشاء مقمورٍ وتحرير نادم

(١) الخصاصة : الحاجة والفقر ، المراجل : جمع مرجل وهو القدر .

(٢) رام : من رام الشيء : قصده ، أو رام عن المكان : ابتعد وفارق .

(فلا تأمنن الدهر حرّاً ظلّمته فإنّ نِمْتَ فاعلم أنّهُ غير نائم)
تضمنين كله .

ومن أخرى [من الطويل] :

وقائع لو مرّت بسمع ابن غالب لما قال ما بين المصلّى وراقم
(أتتني ورحلي بالمدينة وقعةً لآل تميمٍ أقعدت كلّ قائم)
البيت للفرزدق ، قاله حين سمع وهو بالمدينة قتل وكيع بن أبي الأسود لقتيبة بن مسلم .

سلّ الله واسأل آل بوية إنّهم بحار المعالي لا بحار الدراهم
تحبّهم البلدان فهي نواشز على كلّ زوج بعدهم أو محارم^(١)
إذا رامها أعداؤهم تركتهم فلم يلقيهم إلّا برمحٍ وصارم
ممالك قد نادى عليهم حروبهم بطول القنا يحفظن لا بالتمائم^(٢)

ومن أخرى كتب بها من أرجان إلى صاحب وصف فيها الحمى [من الوافر] :

ولو أبصرت في أرجان نفسي عليها من أبي يحيى ذِمَامُ
ولي من أمّ ملدم كلّ يومٍ ضجيجٌ لا يلدُّ له منامُ
مقبلةٌ وليس لها ثنّايا معانقةٌ وليس لها التزام
كأنّ لها ضرائرُ من غذائي فيغضبها شرابي والطعام
إذا ما صافحت صفحات وجهي غدا ألفاً وأمسى وهو لام
إذاً لرأيت عبدك والمنايا تصيحُ به تنبّه كم تنام
وما أستبكاك من بعدي أسيرُ يرضُ عظامه الحقُّ العظام^(٣)

(١) الناشر : التي ترفض الطاعة .

(٢) القنا : الرماح ، والتمائم : جمع تميمة ما يعلقه الانسان في كفه لردّ الأذى .

(٣) يرضُ : يبدق ويطنح .

ولا ترجيع ثكلى خلف نعشٍ (أمحمولٌ على النعش الهمام) ^(١)

التضمين للنابعة الذبياني

ولا تريد صبُّ وهو بالك
ولولا فقد وجهك لم أعبسُ
فما في العيش لولا أنتَ طيبُ
وكنستِ ذخرتُ أفكاري لوقتِ
وكنتِ أطالب الدنيا بحرُّ
ولما سرتُ عنك رأيت نفسي
فذاك يقول منك السير عنه
وسائلني بعلمك من أراه
فقلت زكاة ما يحويه علمُ

(سُقيت الغيثَ أيها الخيامُ)
على ضيف يقال له الحِمَام
ولا في الموت لولا أنتَ ذامُ
فكان الوقت وقتك والسلامُ
فأنت الحرُّ، انقطع الكلام
وبين القلب والرَّجلِ اختصام
وتلك تقول منك الإغترام
وقالوا (ما وراءك يا عصام)
لمن لغلّامه مثلي غلام

آخره تضمين

ومن أخرى [من الطويل] :

ويشربُ لكنَّ في إناءٍ من الثرى
ويسمعُ لكنَّ الغناء مدائحُ
لو ان حبيباً كان لاقاه لم يقلُ

رحيقاً خوابيها الطلا والمناكب ^(٢)
ويكنز لكنَّ الكنوز مناقب ^(٣)
(وأكثر آمال النفوس الكواذب)

آخره تضمين

ومن أخرى [من الطويل] :

-
- (١) الترجيع : النواح والبكاء ، والثكلى : الفاقدة .
(٢) الرحيق : الشراب الصافي ، الطلا : الدماء . والمناكب : جمع منكب ، وهو مجمع رأس الكتف والعضد ، والمنكب من القدم : عونهم الذي يعتمدون عليه .
(٣) يكثر : يجمع ، والمناقب : الآثار الحميدة .

وفي الدست شخصٌ ودَّت الأنجم التي تقابله لو أنهنَّ مجالسُ
 فلا تعجبوا أن يحمل الدست عسكرياً فما كلُّ أمرٍ تقتضيه المقاييسُ
 وأن يسع الدست اللطيف لعالمٍ فقد وسعت إسم الآله قراطس
 أمينٌ إذا ما الناس مالوا لغيره (ومحترسٌ من مثله وهو حارس)
 المصراع الأخير تضمين لعبد الله بن همام سار مثلاً

ومنها :

وكنْتُ أمراً لا أنشد الدهر خالياً سوى بيت ضرَّ نجمه الدهر ناحسُ
 (أقلِّي عليَّ اللوم يا أمَّ مالكِ وذمِّي زماناً ساد فيه القلاقيسُ)^(١)
 البيت كما هو لعبد الله بن همام .

فأصبح إنشادي لبيت إذا جرى ففيه نديمٌ ممتعٌ ومؤانسُ
 (ودار ندامي عطَّلوها وأدلجوا بها أثرٌ جديدٌ ودارسُ)^(٢)
 البيت لأبي نواس .

ومن أخرى [من الكامل] :

يا من يدرُس خالياً حجابهُ سهل الحجاب مؤدبُ الخدامِ
 كم تطرد الدنيا وترجع بعد ما (قد طُلِّقَتْ تطلُّقة الإسلامِ)
 المصراع الأخير لابن هرمة .

فكانَها شيعيَّةٌ قُميَّةٌ وكانَ سيدنا الوزير إمامي^(٣)
 ويقول للخطاب غيرك (ليس ذا وقتُ الزيادة فارجعي بسلام)

(١) القلاقيس : العبيد .

(٢) أدلجوا : أدخلوا ، ودارسٌ ، بال .

(٣) قُميَّة : نسبة إلى قم في إيران وبها حوزة علمية مشهورة للطائفة الشيعية .

من بيت جرير [من الكامل] :

طرفتكَ صائدة القلوب وليس ذا وقتُ الزيارة فارجعي بسلام

ومن أخرى [من الطويل] :

وجدنا ابن عباد يؤدِّي فرائضاً من المجد ظنَّتها اللئام النوافلا
جديرٌ بأن يغشى الكريهة منشداً (أقاتل حتى لا أرى لي مقاتلا)
المصرع لزيد الخيل .

ومن أخرى [من الطويل] :

تعاصيهمُ أسيافنا فكأتما يرين بريثاً من سَفَكن له دما
كأنَّ ظُباها ساعة الروع علَّمت (ولن تستطيع الحلم حتى تحلّما)
المصرع الأخير لحاتم الطائي .

ومن عضدية [من الطويل] :

وكم عصبية قرحي عصوك فأصبحوا بهم يومهم خمراً وفي غدهم أمرُ
وصارخة للزوج كان غناؤها (لها كنية عمرو وليس لها عمرو)
من بيت أبي صخر الهذلي [من الطويل] :

أبى القلب إلاَّ حبَّها عامرية لها كنية عمرو وليس لها عمرو

رجع :

فصيرتها ثكلى وأصبح قولها (كذا فليجلَّ الخطب وليفدح الأمر)
المصرع الأخير تضمين .

ومن قصيدة في أبي نصر بن العميد [من الطويل] :

لئن كنت أضحي من عطايك شاعراً لقد صرت أمسي من جنابك مفحماً

أبيت إذا أجريت ذكرك منشداً وأن أعتبَ الأيام فيه فربما
وما لي من الأصوات مقترحٌ سوى (أعالج وجداً في الضمير مكتماً)
المصراع الأخير للبحثري .

ومن قصيدة في الأمير أبي نصر الميكالي [من الطويل] :

نجر ذبول الفخر حتى كأننا هم شحمة الدنيا فإن نتعدَّهم
سقى الله ذاك الروض جوداً كجودهم وأبقى أبا نصرٍ ليربي عليهم
وعاش إلى أن يترك الناس مدحه
لعزتنا في آل ميكال ننتمي إلى غيرهم نحصل على الفرث والدم^(١)
وصير آجال العداة إليهم سنين كما أربى بنينٌ عليهم^(٢)
ومن ذا الذي يرجو إياب المثلَّم^(٣)

وفي الأمثال « لا أفعل ذاك حتى يؤوب المثلَّم » .

هو الحرُّ لا يحبو بثوبٍ مطرُزٍ غسيلٍ ولا يدعو بكيسٍ مختَّم^(١)
ولا يعدم الراؤون منه ثلاثة عطاءً وعذراً وانبساطاً لديهم
ويعذَّب إن ينصف كما عذَّبَتْ نعمٌ ويثقلُ إن يظلم كما ثقلتُ لم
صفوحٌ عن الجهال ينشد فعله (ويشتم بالأفعال لا بالتكلم)

المصراع تضمين ، وهو جاهلي معروف .

ومن قصيدة في الهجاء [من الكامل] :

زمن المسروعة عهده بفتوةٍ عهدي بترك الشُّرب في شوال
غضبانٌ ينشد حين يبصر سائلاً كُفِّي دعاءك إنني لك قالي

(١) شحمة الدنيا : أي أحسن وأطيب شيء فيها ، الفرث : الروث من الحيوانات ، أو بقايا الأطعمة في كروشها .

(٢) الإياب : العودة : المثلَّم : أي الذي ثلمه الدهر في نفسه وماله .

(٣) يحبو : يجود ويعطي .

وله مواعدٌ قد حكت في طولها (آلت أمور الشرك شر مآل)
البيت ابتداء قصيدة لأبي تمام في المزينين .

ومن أخرى [من الوافر] :

متى ما زرتهم أوصيت أهلي وصية عائد بالجرم بادي
بتجديد الصنادق للهدايا وتوسيع المرباط للجياد
وإن ودعتهم أنشدت فيهم (سقى عهد الحمى سيل العهد)
المصراع لأبي تمام .

ومن أخرى في شمس المعالي [من الطويل] :

شموسٌ لهنّ الخدر والبدر مغربٌ فطالعها بالبين والهجر غاربٌ
ولكنّما شمس المعالي خلافها مشارقه ليست لهنّ مغاربٌ
فما لقبوه الشمس إلا وقد رووا (بأنّك شمسٌ والملوك كواكبٌ)

المصراع الأخير من بيت النابغة .

أقول لزوّار الأمير ترجّلوا فمن زاره من راجلٍ فهو راكبٌ
وإن زاره الفرسان كنت كفيّهم إذا رجعوا عن بابهِ فنشيدهم^(١)
ألا أبلغوا عني الأمير رسالةً (وإن سكتوا أثنت عليه الحقائق)
إلى كم يحل المرء مثلك ببلدٍ تدلّ على أني على الدهر عاتبٌ^(٢)
لقد هان من أمسى ببلدة غيره بها منبرٌ فيها لغيرك خاطب
(وقد ذلّ من بالت عليه الثعالب)

(١) جنائب : الفناء .

(٢) عاتب : لامة على مكروه فعله .

هذه من سقطاته وعمره ، الواقعة في غرره فإن فيه سوء أدب ، وهو بالتقريع أشبه منه بالتقريظ ، وليس مما يخاطب به الملوك .

ومما زل فيه أقبح زلة ، قوله من قصيدة في الصباح . وقد اعتل [من الطويل] :

نحو لي نفس المجد ساعة أخبروا بما يشتكي من سقمه ويمارس^(١)
فإن في لفظه النعي ما فيها من الطيرة ، إذ هي مما يقع في المراثية لا في العيادة ، ثم قال :

فهلأ فداه منه من ليس مثله ومن ربه في ساحة الجود دارس^(٢)
جزى الله عني الدهر شراً فإنه يضايقني في واحد وينافس

ومن سقطاته المنكرة قوله للصاحب من قصيدة [من الخفيف] :

ومهيبي كأنما أذنب لنا س إليه فهم مغشون ذلاً
وظريف كأن في كل فعل من أفاعيله عرائس تجلى

فإن الكبراء والمحتشمين لا يوصفون بالظرف ، إذ هو من أوصاف الأحداث والقيان والشبان ، ولم يرض بالفرطة في هذه اللفظة حتى شبه أفاعيله بعرائس تجلى ، فلو مدح مختثاً لما زاد ، والكامل من عدت سقطاته ، ولكل جواد كبوة ، ولكل عالم هفوة .

(١) السقام : المرض ، ويمارس : يعاني ويلاقى .

(٢) دارس : متقادم عهده .

(٣) ورد في صدر البيت « ألا أبلغنا عني الأمير رسالة » ولا يستقيم الوزن كذلك .

وهذه غرر من مدحه وما يتصل بها

فمن ذلك قوله من عضدية [من الطويل] :

غريبٌ على الأيام وجدانٌ مثله وأغربٌ منه بعد رؤيته الفقرُ
فلا حرٌّ إلاّ وهو عبدٌ لجوده ولا عبدٌ إلاّ وهو في عدله حرٌّ
عجبت له لم يلبس الكيرَ حلّةً وفينا لأنّ جزنا على بابه كبرُ
وله من أخرى [من البسيط] :

متى أشقُّ رواق الملك تلحظني عين آمريء بغيوب المجد علامُ
متى أرى قمر الديوان مطلعاً في سطو بهرام بل في ملك بهرام
متى أقبل فرشاً لا يقبله عافٍ فيفرق بين الترب والسام^(١)
مالي أبيت بشيرازٍ وأصبح في داري فدت يقظتي نومي وأحلامي
ما يطلب الحلم من قلبي يقلبه عندي من السقم ما يكفيه أسقامي
أصبحت أشكر ليلاً أشتكى غده الليلُ عوني والأيام غرامي
والأرض تعلم أنّي سوف أمسحها حتى أرى من يرى بالليل أوهامي
ومن أرجوزة [من الرجز] :

يا عضد الدولة من يمنها يا مهجة قالت لها أعلاها
من أسخط الدرهم أرضى الله ومن أزال المال صان الجاها

وقال من قصيدة [من الوافر] :

بحمدك لا بحمد الناس أضحى وكيلي ليس يكفيه وكيلُ
وكانوا كلّما كالوا وزناً فصرنا كلّما وزنوا نكيلُ
وزدت من العيال وذاك أنّي كتبت على لقائك من أعولُ

(١) العافي : الطالب المعروف ، أو الضيف .

وعشت وناقصٌ رزقي فأضحى
وكنت أبيع من سقط القوافي
وأكتمُ من أبايع دقَّ بَرِّي
ومن أخرى [من الطويل] :

مفاعلتن مفاعلتن فعولُ
وأحجر ما تضمنت الحمولُ
ففاض عليه نائلك الجزيلُ^(١)

ألا حرُّكا لي أبرويز بن هرمز
نطلَّع إلى الدنيا لتعلم أنَّ ما
لعمرك لولا آل بوية لم يكن
ومنها :

وقولا له قُمْ تَلَقَّ أعجوبةً قم
ملكنت من الدنيا بمقدار درهم
نهارى إلَّا مثل ليل المتيمِّم

ودارٍ ودينارٍ وثوبٍ ودرهم
سلوِّي ولا أرقى السماء بسلم
وصلت عن الأبطال شعري فيهم

وهم جعلوني بين عبدٍ وقينةٍ
وهم تركوا الأيام تعجب أن رأْتُ
وهم حالفوني أوطأوا في صلاتهم
ومن أخرى [من الكامل] :

بك تاجُ ملكيهم القديم المنهج
فقدوا نقيصة دينه المستسمح^(٢)

ختمتُ بك العجم الملوك وراجعت
لم يفتقدوا بك أزدشير وإنَّما
ومن أخرى [من البسيط] :

لو طأوعوا الجود تقديمي وإحجامي
لكنْ ذكرت عباب الزاخر الطامي^(٣)
يغتاظ من ذكره مفضول أقوام

وغاظ مدحك أقواماً وفي يدهمُ
وما ظننتُ على نهرٍ فأغضبهُ
أكلُ فاضلٍ أقوامٍ شهدت له

(١) دقَّ بري : أي النفيس منها ، والنائل : العطاء .

(٢) المستسمح : الثقل المكروه .

(٣) طعت : رحلت ، العباب الزاخر : الماء الكثير الواسع ، والطامي الفائض .

ومن صاحبية [من الطويل] :

وأبيضَ وضَّاحَ الجبين كأنما محيَّاهُ قد درَّتْ عليه شمائله
يقبِّلُ رجله رجالٌ أقلُّهم تقبِّلُ في الدَّستِ الرفيع أنامله

ومنها :

أقبل أشعاري إذ آسَمَك حشوها وأشتم ملبوسي لأنَّك باذله
وأخطر في حافات دارٍ ملأتها طرائف باقي العيش منها وحاصله^(١)

وله من أخرى [من الطويل] :

وأنت امرؤُ أعطيت ما لو سألته إلهك قال الناس أسرفت سائلا^(٢)
وإني وإلزاميك بالشعر بعدما تعلَّمته منك الذرَى والفواضلا
كملزم ربُّ الدار أجرة داره ومثلَّك أعطى من طريقين نائلا

ومن أخرى [من الكامل] :

ولقد عهدتُ العلم أكسداً من بهتانِ فرعون لدى موسى
فأقام قاعد سوقه رجلٌ ميت الرجاء ببابه يحيا
فالعلم أصبح في الورى علماً والشعر أمسى يسكن الشعرى^(٣)

ومن أخرى [من مجزوء الوافر] :

بنيت الدار عاليةً كمثل بنائك الشرفا فلا زالت رؤوس عدا
ك في حيطانها شرفا

ومن قصيدة في مؤيد الدولة ذكر فيها افتتاحه قلعة من أبكار القلاع واستنزاله

(١) أخطر : أمشي على مهل ، والطرائف : جمع طريف : المال الحديث النعمة .

(٢) في هذا البيت مبالغة بغیضة .

(٣) علماً : أي جبلاً ظاهراً ، والسَّعْرَى : نجم في السماء .

صاحبها المسمى كوشيار منها [من الطويل] :

وكنـت سماءً والعـجاج سحائباً وخيلك أبراجاً وجيشك أنجماً^(١)
وأنزلت منها كوشيار وإنما تقنّصت من فوق المجرة ضيغماً
عرفتك صياد الأسود ولم أكنُ عرفتك صياد الأسود من السما
خدمتُكم يا آل بوية مدّة غدا بينها فرخ الوسائل قشعماً^(٢)

ومن أخرى في أبي الحسين المزنـي [من الكامل] :

كَلِمٌ هي الأمثال إلاّ أنها في الناس قد أضحت بلا أمثال^(٣)
فإذا لقين فإنهنّ عوالي وإذا شمنن فإنهم غوالي

ومن صاحبية [من الطويل] :

تأخّر عن كتبي الجواب ، وإنما تأخر برد الماء عن كبـد حرّى
فلا تفسدنّ عشرين ألفاً وهبتها بعشرين حرفاً كلامك تُستمرى

ومن ميكالية [من الوافر] :

فديتك ما بدالي قصد حرّ سواك من الورى إلا بدا لي
وإنك منهم وكذلك أيضاً من الماء الفرائد واللالـي
وتسكن دارهم وكذلك سكنى الحجارة والزمرد في الجبال

(١) العجاج : الغبار .

(٢) القشعم : النسر .

(٣) وقع هذا البيت في الأصول :

كَلِمٌ من الناس هي الأمثال إلاّ أنها أضحت بلا أمثال
وهو غير مستقيم الوزن على هذه الصورة .

وهذه فقر من مراثيه

قال من قصيدة رثى بها ركن الدولة أبا علي [من المتقارب] :

ألست ترى السيف كيف انثلم وركن الخلافة كيف انهدم
طوى الحسن بن بويه الردى أيدري الردى أي جيش هزم
ومنها أيضاً :

طويلُ القناة قصيرُ العدا ذميمُ العدا حميدُ الشيم^(١)
فصيح اللسان بديع البنان رفيعُ السنان سريع القلم
يكيل الرجال بأقذارها ويرعى البيوتات رعيَ الحرم
جوادٌ عليهم بخيلٌ بهم إذا ساء خصٌّ وإن سرَّ عم
فيا دهر سحقاُ ولا تحتشم فقد ذهب الرجل المحتشم
وخطُ الفناء على قبره بخطُ البلا وبنان السقم
إذا تمَّ أمرٌ دنا نقصه توقع زوالاً إذا قيل تم

ومنها :

إذا كان يكي الورى بالدموع وتبكي بهنَّ فأين القيم^(٢)
وقد ساءني عطلُ الدهر منك وقد كنت حلياً عليه انتظم
فما يستحقُّ الزمان اللئيم مقامك فيه وأنت الكرم

وله من أخرى في مريثة أبي الفتح بن العميد [من الكامل] :

يا دهرُ إنك بالرجال بصير فلطالما تجتاحهم وتبیر^(٣)
يا دهر غيري من خدعت بباطل وابن العميد مغيبٌ مقبور

(١) طويل القناة : كناية عن قوته وقدرته ، والقناة : هي الرمح . والشيم : الصفات والمزايا والأفعال .

(٢) تجتاحهم وتبیر : تقضي عليهم وتفتنيهم .

الآن نادتنا التجارب طلقوا
يا دهر ظلّ لمخليك فريسة
رجلٌ لو أن الكفر يحسن بعده
أشكو إليك النفس وهي كئيبة
وأقول للعين الغزير بكاؤها
قد متٌ بعدك ميتةٌ مستورة
ودفنت في قبر الهموم وضمّني
ضحكت إليك الحور ضحكك كلما
وضفت عليك ذيول رحمة ربنا
وسقى ضريحك مستهلّ عمره
جودٌ ككفك أو كعيني أو دم
أهوى القيامة لا لشيء أن
وأحب فيك الموت علماً أنني

ومن أخرى [من الطويل] :

أسرّك أنّ الدهر يجني لما جني
فيا عجبي من ناصبي وفرحة
وأعجب من هذين إظهارك الأسى
ألم تر أن الله قال تمتعوا

دنياكم إنّ السرور غرور
رجلٌ لعمري لو علمت كبير
هجي القضاء وأتب المقدور
وأذم فيك الدمع وهو غزير
خطبٌ لعمري لو عميت يسير
قد ساقها لي موتك المشهور
كفنان ضيق الصدر والتفكير
وافاك ضيفاً أو أتاك فقير
والله برُّ بالجواد غفور
شهرٌ وعمر النبات منه شهر
أجراه سيفك في العدى مشهور
ألقاك فيها والأنام حضور
بعد الممات إلى اللقاء نصير

ولم يك في الأحبار والنصب يدعي^(١)
وأعجب منه الحزن في المتشيع
لمن غاب عن دار الأسى والتوجع
قليلاً ولم يُبقِ قليل التمتع

ومن أخرى يرثي بها مؤيد الدولة ويعزي ويهني فخر الدولة [من الطويل] .

رزئت أخاً لو خير المجد في آخر
وقد جاءت الدنيا إليك كما ترى
من الناس طهراً ما عداه ولا استثنى
طفيلية قد جاوبت قبل أن تُدعى

(١) الأحبار : جمع حبر ، وهو العالم ، والأسقف عند النصارى ، ورئيس الكهنة عند اليهود .
والنصب : أي من يناصر علياً العداء .

صبت بك عشقاً وهي معشوقة الورى
ولما رأت خطأها تركتهم
ولم تتساهل في الكفي ولم تقل
على أنها كانت جفتك تذلاً
فقد أصبحت قيساً وعهدي بها ليلي
ولم ترض إلا زوجها الأول الأولى
رضيت إذا ما لم تكن إبل معزي
فخليتها حتى أتت تطلب الرجعى
وله من قصيدة رثى بها أبا سعيد الشيبى وكان واداً له عاتبا عليه [من الوافر] :

أيدري السيف أي فتى يبيد
لقد صادت يد الأيام طيراً
وأصبح في الصعيد أبوسعيد
وقد كانت تضيق الأرض عنه
بلى مس الثرى قلباً رحيباً
فلا أدري أضحك أم أبكي
صديق فقد فقدناه قديم
مصاب وهو عند الناس نعى
تهنئني الأنام به ولكن
وسيف قد ضربت به مراراً
فلما أن تغلل ظلت أبكي
ومن عجب الليالي أن خصمي
وأن النصف من عيني جمود
إذا سفحت عليه دموع عيني
وأية غاية أضحى يريد
تضيق به حباله من يصيد
ألا إن الصعيد به سعيد^(١)
فلم وسعت لجثته اللحد
فأعدى الترب فأتسع الصعيد
وتهدمني المنية أو تشيد^(٢)
وكل قد وجدناه جديد
ونحس وهو عند الناس عيد
تعزيني الموائق والعهود
فمن ضرباته بي لي شهود
وعندي منه فعد دم جسد^(٣)
يبى وأن حزني لا يبيد
وإن النصف من قلبي جليد
نهاها الهجر منه والصدود

(١) الصعيد : الثرى ، أو القبر .

(٢) ورد صدر البيت هكذا :

« فلا أدري أضحك أم أبكي »

ولا يستقيم به الوزن .

(٣) تغلل : تقطع وأصابته الفلول فأهلكته ، وجسد : ملتصق به .

وَأَثَارُ لَهُ عِنْدِي قَبَاحُ
فَنَصَفُ مِنْ مَدَامِعِهَا سَخِينُ
فَمَنْ هَذَا رَأَى فِي النَّاسِ مِثْلِي
وَمَنْ نَكَدَ الْمَنِيَّةَ فَقَدْ حَرَّ
فَذَا هَنَى وَقَالَ مَضَى عَدُوُّ
رَأَيْتَ الْعَقْلَ يَنْفَعُ وَهُوَ قَصْدُ
كَمِثْلِ الدَّرْعِ إِنْ خَفَّتْ أَجَنَّتْ
وَمِثْلُ الْمَاءِ يَرُوي مِنْهُ قَصْدُ
شَهِدْتُ بِأَنْ دَهْرًا عَشْتُ فِيهِ
وَقَالُوا الْبَحْرُ جَزَرُ ثُمَّ مَدُّ
بَكَيْتَ عَلَيْكَ بِالْعَيْنِ الَّتِي لَمْ
فَقَدْ أَبَكَيْتَنِي حَيًّا وَمَيِّتًا
فَهَا أَنَا ذَا الْمَهْنَأُ وَالْمَعزَى
وَهَا أَنَا ذَا الْمَصَابِ بِكَ الْمَعَاوَى
لَقَدْ غَادَرْتَنِي فِي كُلِّ حَالٍ
فَلَا يَوْمٌ تَمُوتُ بِهِ مَجِيدُ
وَمَا أَصْبَحْتَ إِلَّا مِثْلَ ضُرْسٍ
فَفِي تَرْكِي لَهُ دَاءٌ دَوِيُّ
فَلَا تَبْعُدْ إِقَامَةَ رِسْمِ حَقٍّ
وَإِنَّكَ أَنْتَ لِلسَّيْفِ الْحَدِيدِ
وَإِنَّكَ أَنْتَ الدُّنْيَا جَمِيعًا

يَجْمَشُ بَيْنَهَا الرَّأْسَ الْحَدِيدِ
وَنَصَفُ مِنْ مَدَامِعِهَا بَرُودِ
أُرِيدُ مِنَ الْمَنَى مَا لَا أُرِيدُ
تَخَالَفَ فِيهِ إِخْوَانِي الشُّهُودُ
وَذَا عَزَى وَقَالَ مَضَى وَدِيدُ
وَيَلْقِي فِي الْمَهَالِكِ إِذْ يَزِيدُ
وَإِنْ ثَقُلْتَ فَحَامِلُهَا جَهِيدُ^(١)
وَيَقْتُلُ مِنْهُ بِالْغُرْقِ الْمَزِيدُ
وَمَتُّ مَقِيدًا فَرْدًا مَبِيدُ
فَمَا لَكَ قَدْ جَزَرْتَ وَلَا تَعُودُ
تَزُلُ مِنْ سُوءِ فَعْلِكَ بِي تَجُودُ
فَقُلْ لِي أَيْ فَعْلِكَ الرَّشِيدُ
وَهَا أَنَا ذَا الْمَبَاغِضِ وَالْوُدُودِ
وَهَا أَنَا ذَا الشَّقِيِّ بِكَ السَّعِيدِ
أَذُمُّ الدَّهْرَ فَيْكَ وَأَسْتَزِيدُ
وَلَا يَوْمٌ تَعِيشُ بِهِ حَمِيدُ
تَأْكُلُ فَهُوَ مَوْجُودُ فَقِيدُ^(٢)
وَفِي قَلْعِي لَهُ أَلَمٌ شَدِيدُ
وَإِنَّكَ أَنْتَ لِلشَّيْءِ الْبَعِيدِ
وَإِنَّكَ أَنْتَ لِلْعِلْمِ السَّدِيدِ
وَلَكِنْ لَيْسَ لِلدُّنْيَا خُلُودُ

(١) أَجَنَّتْ : حَفِظْتَ وَرَدَّتْ ، وَجَهِيدُ : مَتَعَبٌ .

(٢) تَأْكُلُ : تَفْتَتُ .

وله من قصيدة يرثي بها أبا الحسن المحتسبي [من البسيط] :

وصاحب لي لو حلّت رزيتُهُ	بالطير ما هتفت يوماً على فتن
عاشرته عشرةً لو أنها وقعتُ	بين الضحى والدجى ساراً على سنن ^(١)
حتى إذا نلت سؤلي من مواهبه	وصادني بشباك الوصل والمنن ^(٢)
ثكلته بعد ما سارت محاسنه	في العظم واللحم سير الماء في الغصن
يادهراً ثكلتني حتى أبا الحسن	لقد أمّنتُ عليه غير مؤتمن
وصلت سهمك مني يوم قتلكهُ	في مقتل القلب لا في مقتل البدن
جمعت ضديّن من خرقٍ ومن أدب	بطش الجهول ومكر العاقل الفطن ^(٣)
قد كنت أعجب لم أخرت من أجلي	فالآن أدري لماذا كنت تذخرني
ولم يكن في الوري ذا منظرٍ حسنٍ	في مخبرٍ حسنٍ إلا أبو حسن

وله في عائد بن علي لما ضربته السموم فهلك [من الخفيف] :

عائدٌ قد دعا به المعبود	وجميع الوري إليه يعود
أهلكته السموم في أرض مكرا	ن والله في الرياح جنود

وله في أبي سهل البستي الكاتب [من السريع] :

مات أبو سهلٍ فواحسرتا	ان لم يكن قد مات مذ جُمعهُ
ما حزني إلا لأن لم يمت	بموته من أهله تسعهُ
مصيبةٌ لا غفر الله لي	إن أنا أذيت له دمعهُ

(١) السنن : الشريعة والحدود .

(٢) المنن : الانعام .

(٣) الخرق : الجهل والطيش ، والمكر : حسن التدبير .

وهذه نتف من أهاجيه في خلفاء العصر

قال [من البسيط] :

مالي رأيت بني العباس قد فتحوا من الكنى ومن الألقاب أبوابا
ولقبوا رجلاً لو عاش أولهم ما كان يرضى به للحشّ بوابا
قلّ الدراهم في كفيّ خليفتنا هذا فأنفق في الأقوام ألقابا
وله في علوي ناصبي [من الوافر] :

شريفٌ فعله فعلٌ وضع دنيء النفس عند ذوي الجدود
عوارٌ في شريعتنا وفتحٌ علينا للنصارى واليهود^(١)
كأن الله لم يخلقه إلّا لتنعطف القلوب على يزيد
وله في فقيه [من الخفيف] :

مجبِرٌ صيرُ ابنه ناصبياً مجبراً مثله وتلك عجيبه^(٢)
ليس يرضى أن يدخل النار فرداً ساعة الحشر أو يقود حبيبه

وله في أبي سعيد بن ملة [من السريع] :

أبو سعيد زحلٌ للكرام ومنسفٌ ينسف عمر الأنام^(٣)
لم أره إلّا خشيت الردى وقلت يا روح عليك السلام
يبقى ويفنى الناس في شؤمه قوموا انظروا كيف بخوت اللثام

(١) العوار : العيب والنقص .

(٢) مجبر ، على زنة اسم الفاعل كمكرم : أي قائل بالجبر ، وملخص هذه المقالة أنّ العبد لا اختيار له في فعل ما يفعل وترك ما يترك من خير وشر وأنه كالريشة في مهبّ الريح ، وأصحاب هذه المقالة يزعمون أنّ عقاب المسيء ظلم ، وثواب الطائع محاباة ، والناصبي : الذي يدين الله بسبّ عليّ بن أبي طالب وأولاده .

(٣) زحل : مبعد ومتعب ، والمنسف : من نسف : دك وذرى .

ثم تراه سالماً آمناً يا ملك الموت الى كم تنام

وله فيه [من الطويل] :

أرى لك أفعالاً تناقض أمرها على أنها في القبح والعار واحد
نبئك ذا حلواً ، ووجهك حامضاً ، وماؤة ذا سخن ، وفعلك بارد

وله في أبي الطيب البهقي [من السريع] :

يبكي من الموت أبو طيب دمعٌ لعمري غير مرحوم
ويشتكي ما يشتهي غيره شكاية الخير من الشوم
ساكتنا الشيخ أبو طيب والصمت أحياناً من اللوم

وله فيه [من المتقارب] :

فسا الشيخ سهواً وفي كفه شرابٌ فلمناه لوماً قبيحا
فقال [لي] الدخل والخرج لي فأدخلت راحاً وأخرجت ريحا

وله في نديم حمامي [من مجزوء الرمل] :

قل لمن ينكح بالعيون جواري الأصدقاء
والذي يعتقد الملك له قبل الشراء
أنت والله نشيط الير كسلان الوفاء
ليت قلبي قد من أيرك في باب الذكاء
أمهل الساقى ولا تخجله بين الندماء
أنا بالساقى كليلٌ لك من بعد العشاء
فاذا ما انصرف النا س فجد لي بالأداء
لك أيرٌ جاهليٌ من أيور السفهاء

يا كثير الماء أقرضنا ولو حمة ماء^(١)
أنت من أيرك هذا في عناء وبلاء
أعظم الله لك الأجر على هذا العناء

وله في طاهر السجزي [من الوافر] :

ألا يا سائلي بأبي حسين وفي التجريب علم مستفاد
هو ابن سميه والطاء عين وشبه كنيه والسين صاد^(٢)

وله من قصيدة [من الوافر] :

فإن أسكن ببلدة ابن شهر فإن البدر ينزل في الظلام
أصغرهما وإن عظمت ولكن لها أهلون ليسوا بالعظام
وفرسان ولكن في الحشايا وأجواد ولكن بالكلام
صغار بالمطالب والسجايا وإن كانوا كباراً بالعظام^(٣)

وله أيضاً [من الوافر] :

أبو زيد فتى حر، ولكن لنا في أمر ذاك الحر ظنه
أراه يشتري الغلمان سوداً عفاريتاً فيوهمني بأنه

وله في فائق وقد قصد الأمير أبا علي لمحاربته [من الرجز] :

قد خطب الصفع قفا الخصي فمرحباً بالخاطب الكفي
ورحل الباز إلى الكركي فأبشروا بلحمه الطري

(١) الحمة : عين الماء الحارة التي تنبع من الأرض ويستشفى بها .

(٢) والطاء عين : أراد هو ابن عامر ، والسين صاد : أراد أبو حصين ، وهو كنية الثعلب وهو مضرب المثل في المكر .

(٣) صغار بالمطالب والسجايا : أي أن همهم صغيره ترضى بالدون من الأشياء .

وله في أبي سعيد رجاء وأبي القاسم العباس ابني الوليد [من الوافر]:

ولما [أن] رأيت ابني وليد وبينهما اختلاف في الفعال
وهبتُ قبيح ذا الجميل هذا وأسلفتُ العواقب والليالي
إذا اليد أحسنتُ منها يمينٌ فسوَّغنا لها ذنب الشمال

وله في رجل جليت ابنته على الختن وهي منه حبلى لأشهر [من المنسرَح]:

يا جالي البنت بعد ما ثقتُ تبزر القدر بعد ما قلبتُ
هذا كما قد يقال في مثلٍ جصصت الدار بعد ما خربت

وهذه فقر وظرف له في فنون مختلفة

قال من قصيدة [من مجزوء الكامل]:

لا يصغر الرجل الكبير بعشرة الرجل الصغير
بل يكبر الرجل الصغير بخدمة الرجل الكبير
ويركبُ التَّبرُّ النفيس على الدنيء من السيور^(١)
ماذا يضرُّ البدر قر ب النجم منه المستنير
بل ما يضرُّ السيل مجراه على الأرض الحدود
بل ما عسى صغر السفين يغضُّ من عظم البحور
قد زادني شرفاً ولم ينقصه من شرف حضوري
كالنار ليس بناقصٍ منها اقتباس المستعير
تلقي الفتى سهل الشريعة للجليس وللعشير

(١) السيور: جمع سير، وهو قطعة من الجلد مستطيلة.

أو ما رأيتَ البحرَ يفرق منه بالخطب السير
والناس مثل الجسم يعتمد القليل على الدبير^(١)
يتحامل العضو الخطير بقوة العضو الحقير
كتحامل الرمح الطويل بزجّه ذاك القصير^(٢)

ومن أخرى [من السريع] :

يا أيّها الخاطب مدحي وهل يورد من غير رشاءٍ قلب^(٣)
شيئان لم يجتمعا لأمريء حبّ الدنانير وحبّ الحبيب

ومن أخرى [من الوافر] :

ولي والله إخوانٌ كثيرٌ نصيبي من فعالهم سواء
ولكنني رأيتك من أناسٍ إذا لم يحسنوا فلقد أساءوا

ومن أخرى [من الكامل] :

ومتى شمت الدهر تشتم صابراً تبكي ويضحك ذلك المشتوم

لاومن صاحبية لما ورد حضرته مكتوب من جهة تاش [من الطويل] :

فإن ردّني دهري عليك طريدةً فلا غرو أن يسترجع القوس حاجبُ
هو الوكر طرنا والرّيش وافدٌ وعدنا إليه الآن والرّيش ذاهب

ومنها :

جزى الله عني أهل سامان ما أتوا وفي الله للثأر المضيع طالبُ
هم زوجوني الهم بعد طلاقه وذلك عرسٌ للمآثم جالب

(١) القليل والدبير : الامام والخلف أو الوجه والقفا .

(٢) الزج : حديدة في أسفل الرمح .

(٣) الرشاء : الحبل ، والقليل : البئر .

هُمُ اعْطَشُوا زُرْعِي فَشِمْتُ سَحَائِبًا غَرَائِبُ لِمَا أَخْلَفْتَنِي الْقَرَائِبُ^(١)
فَأَنْحُوا لَزُرْعِي بِالْحَصَادِ وَأَنْضَبُوا مِيَاهًا لَهَا أَيْدِي سَوَاهِمِ مَذَانِبُ
أَتَحْصِدُ أَيْدِيَكُمْ وَيزْرَعُ غَيْرَكُمْ فَأَنْتُمْ جَرَادُ وَالْمَلُوكُ سَحَائِبُ
أَخْذَهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ عِيْنَةَ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

أَبُوكَ لَنَا غَيْثٌ نَعِيشُ بِظِلِّهِ وَأَنْتَ جَرَادٌ لَسْتَ تَبْقَى وَلَا تَذُرُ
رَجَعُ :

إِذَا طَمَعَ السُّلْطَانُ فِيمَا كَسَبَتْهُ بِشْعَرِي فَالسُّلْطَانُ بِالشَّعْرِ كَاسِبُ
فَأَنْتُمْ مَدْحَمُ آلِ بُوَيْهٍ لَا أَنَا وَأَمْدَحُ مِنْ لَفْظِ اللِّسَانِ حَقَائِبُ
وَمِنْ أُخْرَى [مِنْ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ] :

لَا حَتَّ لَوْجَهِي أَنْجَمُ لِلشَّيْبِ عُذْنٌ بِهِ طَوَالِعُ
أَوْدَعْتُ مِنْهُنَّ الصَّبَا مِنْ لَا يَرَى رَدَّ الْوَدَائِعِ
فَقَصَصْتُهُنَّ وَإِنَّمَا دَهْرِي بِمَقْرَاضِي أَخَادَعِ^(٢)
وَإِذَا عَدُوُّكَ كَانَ بَعْضُكَ فِي الْخُطُوبِ فَمَنْ تَقَارِعُ

وَمِنْ أُخْرَى [مِنَ الْخَفِيفِ] :

خَضِبْتُنِي الْأَيَّامُ لَوْنُ بَيَاضٍ وَخَضَابُ الْأَيَّامِ لَيْسَ بِنَاضِي^(٣)
وَتَخَطَّبْتَنِي الْمُنُونُ إِلَى شَعْرِي فَأَضْحَى مَكْفَنًا بَيَاضُ
[وَلَعَمْرِي إِنَِّّي لَغَيْرُ لَيْبٍ فِي قِتَالِ الْأَيَّامِ بِالْمَقْرَاضِ]
وَمِنْ أُخْرَى [مِنَ الْكَامِلِ] :

(١) شمت : نظرت وتطلعت .

(٢) المقرض : المقص ، وأخادع : من الخداع .

(٣) الخضاب : الصباغ ، وناضي : مفارق .

وأراك تشكو الشيب تظلمه
كالخمر يجلبها الخمار وقد
وله في تلميذ عاق [من الكامل] :

هذا أبو بكر صقلت حسامه
أمسى يجهلني بما علّمته
يا منبضاً قوساً بكفي أحكمت
أرقت بي في سلّم حتى إذا
وله يهجو [من الوافر] :

أبا نصر رويدك من حجاب
ولا تبخل بهذا الوجه عنا
وللأشعار قوم لست منهم
ومن قصيدة في الشكوى [من الكامل] :

ولقد بلوت الأصدقاء فلم
وكذاك لم أر في العدا أحداً
ذهب الغنى وورثت عادته
وتجمعت في اثنان ولم
لا يبرح المقصوص موضعه
أر فيهم أوفى من الوفر
أنكى لمن عادى من الفقر
فأنا الغني وغيري المثري
يتجمعا في سالف الدهر
ولقد قصصت فطرت عن وكري

ومن أخرى في نكبة المزني [من الكامل] :

ولقد بكيت عليك حتى قد بدا دمعي يحاكي لفظك المنظوما

(١) ويريش : من أريش السهم : أي ألصق عليه الريش ، ويريد هنا أن يقول إنه يرميه بسهام من صنعه .

ولقد حزنت عليك حتى قد حكى قلبي فؤاد حسودك المحموما
ومن أخرى فيه [من الكامل] :

قتل المواجر والعجائب جمّة شيخ المشايخ بل فتى الفتیان
لا تعجبوا من صيد صعوبٍ بازياً إن الأسود تصاد بالخرفان^(١)
قد غرقت أملاك حمير فارةً وبعوضةً قتلت بني كنعان
ومن أخرى في أبي القاسم المزنيّ لما قبض عليه [من الكامل] :

وثب الصغير على الكبير وقد يُطفى الترابُ حرارةَ الجمر
لا تعجبنَّ فربّ ساقيةٍ قد كدرت طرفاً من البحر
هذا الحسام يفلّه حجرٌ وبه قوام النهي والأمر
غصبت جذيمة نفسه امرأةً فاصطيد ذاك الحرّ بالحرّ
هيهات هذا الدهر ألام من أن لا يسر العبد بالحرّ
وله ، وقد طلبت جارية له بعشرة آلاف درهم [من السريع] :

يا طالباً روعي لبيتاعها أنت رسول الغمّ والحسره
غدوت بالبدره فارجع بها لست أبيع البدر بالبدره
وله من أخرى [من الهزج] :

أيا من قربه خبره	ويا من بعده عبره
ويا من وصله يومٌ	ويا من هجره فتره
ويا من وصله أعلى	من الشمال بالبصره
ويا من نظره منه	تساوي مائتي بدره

(١) الصّعور : عصفور صغير .

(٢) بالحرّ : حرّ المرأة : فرجها .

ويا من قد حكى خدا ه قلبي فيهما جمره
ويا من طرف من أبصر بداراً بعده يكره
ويا من عينه جيشٌ كثيفٌ لأبي مرة^(١)
ويا من نخر الشيطا ن في مولده نخره
وقال اليوم ألقيت بني آدم في الحفرة
ويا من أنذرت عينا ه عيني مائتي مرة
أيا عين ارجعي ما كلُّ وقتٍ تسلم الجرة
ويا أحسن من يسر يلقي صاحب العسره
وما أعذب في الأنفس من صفحٍ على قدره
ويا من لست أرضي قط بالبحر له قطره
ولا أرضى له البدر على إشراقه غره
ولا أرضى له الأرض على فسحتها حجره
ولا أرضى له بليقيس بجلوها على العذره
ولا أرضى برزق الانس والجن له سفره
ولا أرضى من القلب له عشقُ بني عذره
ولا أرضى له السعد غلاماً والمنى سخره
ولا أرضى له الرمل نضاراً والحصى نقره^(٢)
ولا أرضى له إلا بنفسى أمةً حره
قد استخرجت من عيني عيناً في الهوى ثره
فلو فجرتها فجرٌ ت منها آثنتي عشره
وقد أضجعتني فوق فراش الهم والحسره
وقد علّمتني كيف يموت المرء من نظره

(١) أبو مرة : من كنى إبليس .

(٢) النضار : الذهب الخالص . والنقرة : القطعة المذابة من الذهب والفضة .

وله في وصف الخمر من قصيدة [من الطويل] :

وصفراء كالدينار نبت ثلاثة شمالٍ وأنهارٍ ودهرٍ محرمٍ
مسرةً محزونٍ وعذرٍ معربٍ وكبرٍ مجوسيٍ وفتنة مسلم
مماتٌ لأحياءٍ حياةٌ لميتٍ وعُدمٌ لمن أثرى ثراءً لمعدم
يدور بها ظبيٌ تدور عيوننا على عينه من شرط يحيى بن أكثم
ينزهننا من ثغره ومدامه وخديّه في شمسٍ وبدريٍّ وأنجم
نهضن إليها والظلام كأنه معاش فقيرٍ أو فؤادٌ معلّم^(١)

وله ، وقد دخل إلى صديق له فبخره وسقاه [من الكامل] :

بخّرتُ ثم سقيتُ في دار امرئٍ تضحى القلوب طوالباً لوفاقه
فكأنّما سقيتُ من ألفاظه وكأنّما بخّرتُ من أخلاقه
وله [من البسيط] :

يا من يحاول صرف الراح يشربها فلا يلفُ لما يهواه قرطاسا
الكأس والكيس لم يقض امتلاؤهما ففرغ الكيس حتى تملأ الكاسا
وله [من الخفيف] :

عزل الورد عن أنوف الندامي وأتتنا ولاية الريحان
فاقضى حق الريحان بالراح فالريحان والراح في الورى أخوان
وأنذب الورد وابكه بدموعٍ من دموع الأقداح لا الأجفان
وله [من الطويل] :

رأيتك آن الشرب خيّم عندنا مقيماً وإن أعسرت زرت لماما^(٢)

(١) فؤاد معلّم : أي به علامة .

(٢) خيّم : سجت نفسك ، وأن الشرب : أوانه ، لماما : أحياناً أي الفترة بعد الفترة .

فما أنت إلا البدر إن قلَّ ضوءه أغبَّ وإن زاد الضياء أقاما
وله [من مجزوء الرجز] :

سقاني الوجه الحسن كأسا فخلت الرسن
وصار عندي حسناً قتل الحسين والحسن
وله في الند [من الوافر] :

وطيب لا يخلُ بكلَّ طيب يحيينا بأنفاس الحبيب
يظل الذيل يستره ولكن تنمُّ عليه أضرار الجيوب
متى يشمُّه أنفٌ حنَّ قلب كأنَّ الأنفاس جاسوس القلوب
وله من قصيدة [من الطويل] :

عذيري من عين الزمان فإنها إذا استحسنت مستحسناً قلَّ طائله
وما أنت إلا البيت غنم دخوله كثير عواديه بعيد مراحلته
وله في باقة ريحان [من الرجز] :

وضغت ريحان إذا ما وصفه واصفه قيل له زد في الصفة^(١)
دقَّقه صانعه ولطفه كأنَّه وشم يد مطرَّفه^(٢)
أو حظَّ وراق أدقَّ أحرفه أو زغبات طائر مصفَّفه

* أو حلَّة بخضرة مفوَّفه *^(٣)

(١) ضغت : قبضة من عشب مختلط، رطب ويابس .
(٢) الوشم : السمة والعلامة على الجلد مطرقة : مزينة ومعلمة .
(٣) التفويف : التزيين ، ثوب مفوف : أي مزين بالألوان .

ومن أرجوزه :

لا تشكر الدهر لخيرٍ سببه فإِنَّه لم يعتمد بالهبه
وإنما أخطأ فيك مذهبه كالسيل إذ يسقي مكاناً خربه
والسمُّ يستشفي به من شربه ما أثقل الدهر على من ركه
حدثنني عنه لسان التجربة ما أهون الشوكة قبل الرطبه

* وأسهل الكدّ على من أكسبه *

وله [من المجثث ^(١)] :

لا تيأسن من حبيب إذا توعرَّ خلقه
فكلّما صلب الخبز كان سهلاً مدقّه

وله [من الكامل] :

لا تصحب الكسلان في حاجاته كم صالح بفسادٍ آخر يفسدُ
عدوى البليد إلى الجليد سريعةً والجمر يوضع في الرماد فيخمدُ

وله [من الطويل] :

عليك بإظهار التجلّد للعدى ولا تظهرن منك الذبول فتحقرا
ألسنت ترى الريحان يشتم ناضراً ويطرح في الميضا إذا ما تغيراً ^(٢)

وله [من الطويل] :

تمنيتُ خلأتِ على الدهر أربعاً ولم أر مسئولاً أشحّ من الدهر
جماعاً بلا ضعفٍ ، وشرباً بلا سكرٍ ، وعمراً بلا شيبٍ ، وبذلاً بلا فقرٍ

(١) سقط هذان البيتان من « ب » .

(٢) الميضا : مكان الوضوء ، حيث يُغتسل ويُتنظّف بالماء للصلاة .

وله [من الطويل]:

وأني لأرجو الشيبَ ثمَّ أخافه
هو الضيف إن يُسبق فعيشٌ مكدرٌ
كما يُرتجى شرب الدواء ويحذر
عليّ وإن يَسبق فموتٌ مقدرٌ

وله [من الكامل]:

لا تفرطنُ في حدةِ أعملتها
أو ما ترى الصمصام والسَّكين إن
فيكلّ ذاك الحدُّ منك وتفشلاً^(١)
زادا على حدِّ الصقال تفللاً^(٢)

وله [من الرجز]:

الملك عندي متعة الشباب
والفقر عندي عدم الشراب
والقبح عندي عدم الآداب
والروض عندي مُلحُ الأعراب
والسيف عندي قلم الكتاب
والطرد عندي كلحة البواب
والقحط عندي قلة الأصحاب
والعيُّ عندي هذر الخطاب
والإلُّ عندي خلّة القحاب
والصفح عندي أبلغ العقاب
والأمر عندي أسرع الهرب
والغدُّ عندي الحقُّ للطلاب
والعزل عندي فرقة الأحباب
والشيب عندي كذب الخضاب
والعرس عندي ليلة الكتاب
والبغض عندي كثرة الإعراب
والنجح عندي سرعة الإياب
والذلُّ عندي وقفة الحجاب^(٣)
والشؤم عندي كثرة العتاب
والعزُّ عندي طاعة الصواب
والغول عندي طلعة الكذاب^(٤)
واللوم عندي سفه الشراب
والمال عندي أسرع الهرب
والفخر عندي أفخر الثياب

(١) يكلّ: يضعف ويتعب .

(٢) تفللاً: أي تقطّعا .

(٣) الطرد: من طرد يطرد ، والكلحة: العبة .

(٤) الإلّ: الذمة أو العهد .

والسجن عندي منزل التراب والهول عندي موقف الحساب
وله من أخرى [من المنسرح] :

ولا تغترر بالحليم تغضبه فربما أحرق الثرى البرد

٥٩ - أبو سعيد أحمد بن شبيب الشيبني

فرد خوارزم ومفخرتها ، وكان جامعاً بين أدب القلم والسيف . وفروسة
اللسان والسنان ، صاحب كتب وكتائب [وفصائل ومناقب] ولما اختص بالدولة
السامانية . والدولة البويهية ، سمي صاحب الجيشين ، وشيخ الدولتين ، وقال
[من الرمل] :

ربّ إنّ ابن شبيبٍ أحمداً صاحب الجيشين شيخ الدولتين
وائقٌ بالله يرجو المصطفى وأخاه المرتضى والحسين

وسمعت أبا بكر الخوارزمي يقول : كان الشيبني في أيام شبابه بخوارزم
يقول شعراً غليظاً جاسياً كأشعار المؤدبين ، فلما عاشر الناس ولقي الأفاضل لطف
طبعه ، ورق شعره ، كقوله وكتب به إلى [من مجزوء الخفيف] :

للشيبني صنيعتك حشرات لفرقتك
واشتياقٌ إلى لقاء تباشير طلعتك
ربّ سهل لقاءه يا إلهي برحمتك

وأنشدني أبو عبد الله محمد بن حامد قال : أنشدني أبو سعيد صاحب
الجيشين لنفسه في أبي بكر الخوارزمي [من الوافر] :

أبو بكرٍ له أدبٌ وفضلٌ ولكن لا يدوم على الإخاء
مودته إذا دامت لخلّ فمن وقت الصباح إلى المساء

وأنشدني غيره له في الأمير أبي نصر الميكالي [من البسيط] :

يا آل ميكال أنتم غرة العجم
لا تحسدوه فإن الله فضله
لا تحسدوا رجلاً ما إن له شبه
فمن يحاكيه في الأفضال والكرم
أم من يساجله في كل مكرمة
يا آل ميكال إني قد نصحتكم
فاستسلموا لقضاء الله واعترفوا
لكن أحمد فيكم درة الكرم
منكم عليكم جميعاً ، بل على الأمم
فيمن يرى الله من عرّب ومن عجم
أم من يناوئه في الآداب والقلم
أم من يعادله في الجود والهمم
نصح امرئ في هواكم غير متهم
بفضل أحمد طوعاً أو على الرغم
وعندي له مقطوعات تصلح لهذا المكان ، ولكنها غائبة عني الآن .

٦٠ - أبو الحسن مأمون بن محمد بن مأمون

له من قصيدة في مدح الأمير أبي العباس مأمون بن محمد أولها [من
البيسط] :

أغاظني الدهر من إنصافه جنفاً هل كان غيري من الأيام منتصفاً^(١)
أشكو إلى غير مشكو ليشكيني هل ينفع الدنف استشفأؤه الدنفاً^(٢)
ومن أخرى في الأمير أبي عبد الله محمد بن أحمد خوارزم شاه كان [من
الخفيف] :

كم له من يدٍ عليّ إذا ما عددت لم يكن لعدتها كم
ما لجهلي قصور شكري فمن علوم الضرورات شكر من كان منعماً^(٣)

(١) الجَنَف : الظلم والميل عن الحق .

(٢) الدنف : المريض .

(٣) لم يكن لعدتها كم : أي لا يمكن عدّها وإحصاؤها .

لست والله ناسي البرّ ما انسا ب بطبع الحياة في جسدي الدّم
ومن أخرى [من المتقارب] :

لئن طال عهدي بوجه الأمير فقد طال عهدي بأن أسعدا
إذا شئت رؤية ما في الزمان فزُرْ شخصه الفاضل الأوحدا
ترى الليث والغيث والنيريين والناس والبحر والمسندا
ومنها :

وبلّغهُ الله أقصى مناه وأسنى له مُلك ما مهّدا
ولا زال نيروزه عائداً بأفضل حالٍ كما عودا

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم التاجر الوزير كان بخوارزم

قال من قصيدة في أبي سعيد الشيبلي أولها [من الخفيف] :

حُكْمُ عينك نافذٌ فيّ ماضي كيفما شئت فاقض ما أنت قاضي
وكانَ الصّباح لَمّا تجلّى لي سيفٌ له الشّيبليّ ناضي
الهزبر الذي له الدرع كالبلدة لليث والقنا كالغياض^(١)

ومنها في وصف القلم :

ناطقٌ ساكبٌ أصمٌ سميعٌ قلقٌ ساكنٌ وقوفٌ ماضي
ناحل الجسم نابّه الإسم منقّى الوسم في كلّ عانده ذاي اعتراض
هاكها يا أبا سعيدٍ عروساً بَكْرٌ فِكْرٌ فكن لها ذا افتضاض
وابسط العذر في قصوري عن با بك في هذه الليالي المواضي

(١) الغياض : جمع غيضة : الموضع الكثير الشجر والماء .

لم يكن عاق عن لقائك مولا ي سوى فرطِ حشمةٍ وانقباض
وله [من مخلع البسيط]:

تُصْلِحْ لِلْمَلِكِ فِيهِ حَالُ	فِي كُلِّ يَوْمٍ لَكَ ارْتِحَالُ
إِلَّا وَقَدْ سَاءَ نَا انْتِقَالُ	مَا سَرَّنا فِيكَ مِنْ إِيَابِ
إِلَّا وَفِي عَقْبِهِ زِيَالُ ^(١)	فَلَا نَهَيْتِكَ بِانْقِلَابِ
وَمِنْكَ يَعْتَادُنَا خِيَالُ	حَتَّى كَأَنَّا نَرَاكَ حَلْمًا
مَا اعْتَاقَهَا الْأَيْنُ وَالْكَلالُ ^(٢)	بَذَلْتَ لِلْمَلِكِ نَفْسَ صَوْنِ
إِسَارَكَ الْخَيْلِ وَالْبِغَالِ	فَقَفَ قَلِيلًا فَقَدْ تَشَكَّى
يَدُ لَهَا غَيْرَكَ الشَّمَالِ	وَدَمَ لَخَوَارِزْمِ شَاهِ يَمْنَى

وقال فيه يستعطفه أيام محنته حين أساء رأيهُ فيه إذ كان أوحشه في أيام دولته
[من البسيط]:

حَتَّى جَفَا جَفْنُهُ مِنْ حُسْنِهَا وَسَنَهُ	يَا مَنْ لَهُ فِي الْمَعَانِي نَيَّةٌ حَسَنَهُ
وَوَدَّ سَحْبَانَ مِنْ إِعْرَابِهِ لَسَنَهُ	وَمَنْ حَكَى خَطَّهُ زَهْرَ الرَّبَى حَسْدًا
عَنْهُ الْهَمُومُ وَعَادَتْ حَالَهُ حَسَنَهُ	أَحْسَنْتَ رَأْيِكَ فِي إِسْحَاقٍ فَاَنْفَرَجْتَ
يَمْرُؤُ فِيهَا عَلَيْنَا الْيَوْمَ أَلْفَ سَنَهُ	كَذَاكَ فَاحْسِبْهُ فِينَا نَنْجُ مِنْ كَرْبِ
صَعْبٌ إِلَى أَنْ يَرَى فِي رَأْسِهِ رَسَنَهُ	وَأَغْضُرَ عَمَّا مَضَى فَالْمُهْرُ مَمْتَنَعٌ
بَلْ أَنْتَ بَحْرٌ حَجِيٌّ ، بَلْ أَنْتَ خَصْبٌ سَنَهُ	وَأَنْتَ بَدْرٌ دَجِيٌّ ، بَلْ أَنْتَ شَمْسٌ ضَحِيٌّ

وكتب إلى صديق له [من المجتث]:

وعدتني بالرجوع من قبل وقت الهجوع

(١) الزيال : مسيرٌ إلى مكان آخر ، وزيل الرجل : باعد ما بين فخذه وهذا دليل على المشي .
(٢) اعتاقها : منعها ، والأين : التعب .

وقد تغافلت حتّى أضرمتني بالجوع
فبالرجوع تفضّل أولاً فبالمرجوع

٦١ - أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الرقاشي

من أبناء الوزراء بمدينة خوارزم ، وكان ككشاجم كاتباً شاعراً منجماً ، فمن غرره قوله من قصيدة في الشيبني [من الكامل] :

إنّ الهوى سببٌ لكلّ هوانٍ	وفراق من تهواه موتٌ ثاني
سقياً لدهرٍ كنت حلف أغاني	فيه وخذن الراح والريحان ^(١)
لم تبق لي هممي وحسن شمائي	منها سوى ذكرى على الأزمان
ولقد رضيت بأن أرى متفرداً	دون القرين مقارعاً أقراني
أرمي إذا حملوا وأطعن إن رموا	وأقدّ منهم من أراد طعاني ^(٢)
تنفي الخناجر في الحناجر غصّتي	والبيض في بيض العدا أحزاني
وأعدّ عند مواردٍ ومصادري	حكم الكهول وصوله الشبان ^(٣)
مستبدلاً ضرب الطلا بمصارع	الشكوى وضرب الدفّ والعيان
مستغنياً بالرمح أخضب صدره	عن كلّ مخضوب البنان حصان ^(٤)
متسربلاً زرد الدموع كأنّها	شعرٌ تفلّفل في الحي الحبشان
مستشعراً باسم الشيبنيّ الذي	عمّ الورى بالبرّ والإحسان
يفدي الكماة أبا سعيدٍ إنّه	حامي الحماية وفارس الفرسان
يا أحمد بن شبيب المفدى على	جور الزمان وسطوة الحدّثان

(١) سقياً : دعاءٌ بالخير لذلك الدهر ، والخذن : الصاحب ، والراح : الخمر .

(٢) أرمي : أضع أحمالي ، وأضعن : أرحل .

(٣) الموارد والمصادر : الشرب من الماء ، والعودة عنه بعد الارتواء . والصولة : الوثبة .

(٤) أخضب صدره : أي أصبغه بالدم الأحمر ، والحصان من النساء : العفيفة .

أنت القرين لكلِّ جدٍ مقبلٍ
لك عزمةٌ بهرامٌ من أتباعها
فإذا ركبتِ ضمنت كلَّ أمانٍ
وإذا أقمتِ فإنَّ ذكركِ ظاعنٌ
فقت الأنام حجيٌّ وفقت شجاعةٌ
إن الفتوح على يديك تتابعُ
حفروا الخنادق حولهم فكأنما
وتعزَّزوا بالماء ثم سقوا به
غدروا فغودر منهم أرواحهم
خفقت بنودك حولهم فكأنما
وسرت طوارق لطف كيدك فيهم
ولئن حسدتِ فلبستِ أوَّل سابقٍ
إنَّ الكريم محسَّدٌ في قومه

أنت البشير بكل فتحٍ داني^(١)
لك همَّةٌ تسمو إلى كيوان
للخائفين ونيل كلِّ أمني
تسري به الركبان في البلدان
ورجحت عند الجود في الميزان
كتتابع الأنواء في نيسان^(٢)
حفروا مقابرهم لدى الخذلان
كسقاوة الممطور بالطوفان
في النار والأشباح في الغدران
طارت قلوبهم من الخفقان
كلطافة الأرواح في الأبدان
يرميه بالبغضاء الأم واني^(٣)
وترى الحسود مطيَّة الأشجان

وله فيه من أخرى [من مجزوء الكامل] :

أمن الملal أم الخفر
أم غرَّك الصبح الذي
أم عرَّضت أيدي الخطو
وأرى المقام يبلدو
وأعد نفسي في الحضر
هذا التشاجي والضرر؟
أطلعت من ليل الشعر
ب صفاء ودك للكدر
لا تشتهي إحدى الكبير^(٤)
لكن همِّي في السفر

(١) القرين : الصاحب ، والجد : الخطو والفتح الداني : القريب .

(٢) الأنواء : الأمطار .

(٣) الواني : الضعيف المتكاسل المنهزم .

(٤) الكبير : الإثم الذي هو من الكبائر كالشرك بالله مثلاً .

ومن أخرى [من الطويل] :

كفى بنحولي عن هواي مترجماً
تألمت من ثقل الهوى متشبهاً
ووكّل طرفي بالنجوم كأنّي
وبالدمع نماماً عليّ إذا همّي^(١)
بخصريه من أردافه إذ تألّما
لرعي نجوم الليل صرت منجّماً

ومنها في مدح الشبيبي [من الطويل] :

خرجنا نهاراً خلفه نطلب العدا
أثرنا سحاب النقع لما تجاوزتُ
فكم من جوادٍ قد حبسناه بعدما
وأشهب قد خضنا به الحرب فاكْتَسَى
فألْبَسنا ليلاً من النقع مظلماً^(٢)
رغود صهيل الخيل تستمطر الدّماً
أثرناهم من كثرة النبل شيهما^(٣)
دماً وقتاماً عاد أشقر أدهما^(٤)

ومن أخرى [من السريع] :

وقينة تنطق يمانها
إذا سرتْ نمّ عليها الحليّ
لو أن إبليس رأى وجهها
تظلمني في هجرها مثلما
وتلقط العنّاب يسراها
وضوء خديها وريّأها
صلى لها طوعاً ومأناها^(٥)
أسفلها يظلم أعلاها
ما فعلته فيّ عيناها
ما تفعل الخمر بشرابها

ومن أخرى [من البسيط] :

لا الراح راحي ولا الريحان ريحاني
ما لم تزرني . ولا الندمان ندماني

(١) نماماً : واشياً وفاضحاً ، همّي : من همى يهمي ، الدمع : أي يذرف .

(٢) النقع : الغبار .

(٣) الشيهم : القنفذ الكثير الشوك .

(٤) الأشهب : الأبيض الذي يتخالطه السواد ، والأدهم : الأسود .

(٥) ماناها : داراها .

وما التعلُّل - والأيام حائلةٌ
وما جزعتُ على شيء سوى جزعي
وقد ذكرتُك والأبطال عابسةٌ
والنبل كالشهب في ليل العجاج وبا
والسمر تبكي دماً والبيض ضاحكةٌ
والجوُّ داجٍ ولون الملتقى قاني^(١)

* * *

٦٢ - أبو عبد الله محمد بن حامد

حسنة من حسنات خوارزم ، وغرة شادخة في جبينها ، يرجع إلى كل فضل ، ويجمع بين قول فصل وأدب جزل ، ويؤلف بين أشتات المناقب ، وينظم عقود المحامد ، وله خط يستوفي أقسام الحسن ، ونثر كثر الورد ، ونظم كنظم الدر .

وكان في عنوان شبابه يكتب لأبي سعيد الشيباني ، وهو منه بمنزلة الولد ، والعضو من الجسد ، فلما انقضت أيامه واختص بالصاحب أبي القاسم وغلب عليه ببراغته ، وحذقه في صناعته ، وتقلد بريد قم من يده وبقي بها مدة بين حسن حال وتظاهر جمال ، وحين حن إلى وطنه وآثر الرجوع إلى بلده قدم من سلطان خوارزم شاه على ملك مكرم لمورده ، عارف بفضله ، موجب لحقه ، ولم يزل ومن قام مقامه من أبنائه رحم الله السلف وأبقى عز الخلف يعدوله [وإلى الآن] من أركان دولتهم ، وأعيان حضرتهم ، ويعتمدونه للمهمات السلطانية والسفارات الكبيرة ، وكان أنفذ مرة رسولاً إلى حضرة السلطان المعظم يمين الدولة أطل الله بقاءه ببلخ فاستولى على الأمد في القيام بشروط السفارة ، وملك القلوب ، وسحر العقول بحسن العبارة ، وجمعته وأبا الفتح علي بن محمد البستي الكاتب مناسبة

(١) داج : مظلم ، القاني : الأحمر .

الأدب ، ومشاكلة الفضل ، فتجاوزا وتزاورا وتصادقا وتعاشرا ، وتجاريا في حلبة المذاكرة ، وتجاوزا أهداب المحاضرة ، وجعل أبو عبد الله يرسل لسانه في ميدانه ، ويرخي من عنانه ، فيرمي هدف الإحسان ، ويصيب شاكلة الصواب ، فقال فيه أبو الفتح [من الرجز] :

محمَّد بنُ حامدٍ إذا ارتجلُ	ومرَّ في كلامه على عجلُ
نَقَبَ خدَّ كلِّ ندبٍ سابقٍ	ينشره ونظمه ثوب الخجل ^(١)
أقلامه يسقين كلَّ ناصحٍ	وكاشحٍ كأسَي حياةٍ وأجل
فناصحوه مشرقون بالأمل	وكاشحوه مشرقون بالوجل ^(٢)
أبقاه للدين والدنيا معاً	وللمعالي ربنا عزَّ وجل

وقال فيه أيضاً [من المتقارب] :

بنفسي أخُ نفسه أمَّةُ	وتدبيره في الورى فيلقُ
أخُ باب إحسانه مطلقُ	وباب إساءته مغلقُ
كريم السجايا فلا رأيه	بهيمٌ ولا خلقه أبلقُ
محمدٌ أنت قِرَى ناظري	فكيف إذا غبت لا أفلق ^(٣)
رهنتك قلبي وحكم القلوب	إذا رَهَنْتُ أنها تغلقُ

وقال فيه أيضاً [من الرجز] :

يا من أراه للزمان حسنةُ	ومن حوى من كلِّ شيءٍ أحسنهُ
إن غبت عني سنةٌ فهي سنة	وسنةٌ تحضر فيها وسنه ^(٤)

(١) النَّدْب : أثر الجرح ، والندب : السريع إلى الفضائل .

(٢) الكاشح : الميفص ، والوجل : الخوف .

(٣) الأبلق : ما كان في لونه سواد وبياض يقصد أن أخلاقه مستقيمة لا تتغير في حالتي الرضى والغضب .

(٤) أفلق : أتشقق من الغيظ .

(٥) السنة : النعاس الذي يتقدم النوم ، والوسن : غفلة قصيرة .

وعلى ذكر أبي الفتح فلبعض العصريين من أهل نيسابور فيه [من الطويل] :

إذا قيل من فردُ العلى والمحامدِ أجاب لسان الدهر ذاك ابن حامد
همامٌ له في مرتقى المجد مصعدٌ يلوح له العيوق في ثوب حاسد^(١)
كريمٌ حباه المشتري بسعوده وأصبح في الآداب بكر عطار
به سحبت خوارزم ذيل مفاخرٍ على خطّة الشعري وربيع الفراق
فلا زال في ظلّ السعادة ناعماً يحوز جميع الفضل في شخص واحد

وحدثني أبو سعيد محمد بن منصور قال : لما ورد أبو عبد الله رسولاً على شمس المعالي ووصل إلى مجلسه فأبلغ الرسالة وأدى الألفاظ واستغرق الأغراض أعجب به شمس المعالي إعجاباً شديداً . وأفضل عليه إفضالاً كثيراً ، ورغب في جذبته إلى حضرته واستخلاصه لنفسه ، فأمرني بمجاراته في ذلك ، ورسم لي أن أبلغ كل مبلغ في حسن الضمان له ، وأركب الصعب والذلول في تحريضه وتحريضه على الانتقال إلى جنبته ، فامتثل الأمر ، وجهدت جهدي ، وأظهرت جدي في إرادته عليه ، وإدارته بكل حيلة ، وتمنية جميلة ، فلم يجب ولم يوجب ، وقال : معاذ الله من لبس ثوب الغدر والانحراف عن طريق حسن العهد ، وانصرف راشداً إلى أوطانه وحضرة سلطانه .

وقد كتبت لمعاً من شعره وليس يحضرني الآن سواها لغيتي عن منزلي فتأخر كثير مما أحتاج إليه عني ، قال من قصيدة في الصباح [من الطويل] :

غداً دفترى أنساً وخطي روضةً وحبري مداماً وارتجالي ساقيا
ولا شدو لي إلا التحفظ قارئاً ولا سكر إلا حين أنشد واعيا
تجشّم أوصافاً حسناً لعبده فطوّقه عقداً من العزّ حاليا
فلولا امثال الأمر لا زال عالياً لطار مكان النظم رجلاً حافيا

(١) العيوق : نجمٌ في السماء أحمرٌ مضيء في طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا ولا يتقدمها .

فغاية جهدي أن أطول داعيا
كماء زلال حين أصبح صاديا^(١)
فإن لسان المال قد ظل شاكيا
أفض كل ما تحويه وارزق عباديا

ومن أخرى [من البسيط] :

وهذبني بتطوافي وتردادي
والطرس والنقس والأقلام أذواذي^(٢)
نجل الأمين الكريم الشيخ عباد
سهل الحجاب لزوار ووفاد
ما قالت العرب حيوا الحي بالوادي

ومن أخرى [من البسيط] :

ما سائر الأسيران الشعر والسمر
ما عمر الأبقان الكتب والسير
صفا به الأفضلان العدل والنظر
أو يحسب الأكثران الرمل والشجر
تمرّد الأشجعان الترك والخزر
في ظلّ الأسنيان الفتح والظفر
أغضى له الأبهجان الوشي والزهر
يقبل الأكرمان الركن والحجر

على أنني إن سرت أو كنت قاطنا
رسائله لي كالطعام وشعره
فإن ظلت الآمال تشكر ظلّه
كان إله الخلق قال لجوده

ما أنس لا أنس أياماً نعمت بها
أيام أركب متن الريح تحملني
كافي الكفاة أدام الله نصرته
غمر الرداء لرواد ووراد
لا زالت الدولة العليا تلزمه

ليهنك الأهنيان الملك والعمر
وطال عمر سناك المستضاء به
يفدي الوري كلهم كافي الكفاة فقد
له مكارم لا تحصى محاسنها
لكيده النصر من دون الحسام وإن
ما سار موكبه إلا ويخدمه
وإن أمر على طرس أنامله
دامت تقبلها صيد الملوك كما

وهي تربي على ثلاثين بيتاً

(١) الصادي : الضامي .

(٢) الطرس : الكتاب ، والنقس : الحبر ، وأذواذي : أعواني .

ومن أخرى كتب بها من الري إلى الأهواز يهنئه بدخولها [من الوافر] :

بريق الرأي يعبده الحسامُ	وبرق السَّعد يخدمه الأنامُ
وما اتَّفقا كما اتَّفقا لقومٍ	هو الصمصامُ والملك الهمامُ
همامٌ لا يؤمُّ الخطب إلاّ	[ونصر الله عزَّ له إمام]
[وما من بلدة في الأرض إلاّ]	إليه بها نزاعٌ أو هيام
فلو أنّ البلاد أطقن سعيّاً	لسارعَ نحوه البلد الحرام
أدام الله أيام المعالي	وذلك أن يدوم له الدوام
وما لي غير ما هو جهد مثلي	دعاءً أو ثناءً لا يرام

وله من أخرى كتب بها إليه [من الطويل] :

سلام على نفسٍ هي الأُمّةُ الكبرى	وشخصٌ هو المجد المنيف على الشعري ^(١)
هو الدينُ والدنيا فزره ترّ المنى	وتحصل لك الأولى وتحصل لك الأخرى

ومن أخرى [من الوافر] :

رأيتك مرةً فسعدت حتى	رأيت سعود عيشي طالعات
فلو أنّي نظرت إليك أخرى	لأضحت لي الليالي خادما ^(٢)

وله من قصيدة في أبي سعيد الشيبني يوم برز من جرجان بالمضارب ليعسكر بظاهرها متوجهاً إلى الأمير أبي علي وفائق ، فاتفق تعرض أرضين في تلك الصحراء ، فتبادر الغلمان إليهما فصادوهما فتفاهل أنه يغلب العدوين . كما اصطاد الغلمان الأرنيين ، فقال [من الطويل] :

أتاك بما تهوى وترضى المحرمَ وجاءك بالنصر العزيز يترجم

(١) المنيف : المرتفع والمشرف ، والشعري : نجم في السماء منير يظهر في شدة الحرّ .

(٢) في ... « لأضحت لي الليالي خاضعات » .

ولا غرو أن تلقى الذي تبتغي وما
وبختك مرفوعٌ وجدك مقبلٌ
وأمرك متبوعٌ وقدرك معظمٌ
ورأيك في قمع المناوين رايةٌ
وحسبك صيد الأرنيين مبشراً
بصيدك أعداء على الغدر أقدموا

وله فيه من مهرجانية على وزن المصراع الذي أنشده في المنام ، وذلك أنه
رأى شخصاً مثل بين يديه وقال له [من البسيط] :

* قد نلت ما لم تنله قبلك الأمم *
فقال [من البسيط] :

البين خمرٌ ولكن سكرها سقمٌ
إن المحبين أحرارٌ وأنفسهم
يا أيها الظاعنون ، القلب عندكم
لي بينكم قمرٌ في ثغره بردٌ
كأنما ابن شبيب سلٌ في يده
القائل القول لم تنطق به عربٌ
على الكنوز أمينٌ غير متهمٍ
وقد غدا وهو شيخ الدولتين كما
لذاك في النوم شخص الصدق قال له

والحب نُعمى ولكن في غدرٍ نقمٌ
لمن يحبون في حكم الهوى خدمٌ
إن لم يكن عندكم فالقلب عبدكم
في قدّه غصنٌ في وجهه صنمٌ
من مقلتيه حساماً حده خذمٌ^(١)
والفاعل الفعل لم تفتن به العجمُ
وسيفه في رقاب الناس متهمٌ
للحضرتين به عزٌ ومنتظمٌ
قد نلت ما لم تنله قبلك الأمم

ومن أخرى في أبي العباس الضبي [من المتقارب] :

زمانٌ جديدٌ وعيدٌ سعيدٌ
وأحسن من ذاك وجه الرئيس
ووقتٌ حميدٌ فماذا تريدُ
وقد طلعت من سناه السعودُ

(١) المناوين : من ناوا ، أي الأعداء ، وعرمم : ضخم .

(٢) سلٌ : شهرٌ ، الخذم : القاطع .

وكم حلّة خطّها قد غدّت على بُرد آل يزيد^(١) يزيد^(٢)

وكتب إليه الشيخ أبو سعد الإسماعيلي قصيدة منها [من الطويل] :

سلامٌ على شيخ المحامد والذي له الذروة العلياء والشرف العد^(٣)
ومن صحّ منه ودّه ووفّاه على حين لم يحمد لذي حلّة عهد
فأجابه بقصيدة منها [من الطويل] :

أفخرٌ وذخرٌ أم خطابٌ له مجدٌ أسحرُ أتى أم نظم من لا له ند^(٤)
شممت من العنوان عند طلوعه روائحَ فضلٍ دونها المسك والند^(٥)
وساعة فكّي الختم أبصرت جنّة سقتها غواصي الفكر فهي لها خلد
فأشجارها علمٌ وأغصانها تقى وأثمارها فهمٌ وغدرانها رشد
تجشّمها الشيخ الإمام الذي به ومن بحلى أخلاقه تشرفُ العلى
ويعلمع في الدنيا بكنيته السعد

ومنها :

وكيف يؤدي حقّ شعريّ شعاره العلاء وراويّه ومنشده المجد
وبي حرفة مذ غبت عن حرّ وجهه حرارة نار العشق في جنبها برد

وله إلى أبي العلاء السري بن الشيخ أبي سعد الإسماعيلي من قصيدة [من الوافر] :

قرأت لمن له يصفو ودادي نظيماً كالشّباب المستعاد

(١) الحلة : الثوب ، والبرد : جمع بردة وهي العباءة .

(٢) الشرف العدّ : أي الشرف الكثير .

(٣) النّدّ : المثيل والقرين .

(٤) المسك والنّدّ : من الطيب .

سرياً كاسم صاحبه ولكنْ به عاد الحنين إلى ازدياد^(١)
فكان اللفظ في معنىً بديعٍ ألدُّ لديٍّ من نيل المراد

وكتب إلى الشيخ الوزير أبي الحسين أحمد بن محمد السهيلي لما رزق أبو
عبد الله ابناً في المحرم سنة اثنتين وأربعمائة [من الطويل] :

عوائدُ صنع الله تكنفني تترى فتورثني ذكراً وتلزمني شكراً^(٢)
فمنها نجيبٌ جاء كالبدْر طالعاً سويّاً سنياً شدَّ لي نوره أزرا
وما هو إلا خادمٌ وابنُ خادمٍ لسيدنا مدّاً الإله له العمرا
فما رأيه في الاسم لا زال مسمياً مواليه كي يقتنوا الفخر والذخرا
فأجابه بهذه الأبيات [من الطويل] :

سكنت إلى ما قلتَه أولاً نثرا نعم وإلى ما صنعتَه آخراً شعرا
فهناك الله النجيبُ فإنه من الله فضلٌ يوجب الحمد والشكرا
وما جاء إلا أن يكون لصنوه ظهيراً فقوى الآن بينهما ظهرا^(٣)
وأوثر أن يكنى بكنية جدِّ أبي أحمدٍ والاسم اختاره نصرا
ليحمد منه الله تقواه والهدى وينصره في علمه والنهى نصرا

* * *

٦٣ - أبو القاسم أحمد بن أبي ضرغام

أحد شعراء خوارزم المفلقين المذكورين ، وكان يهاجي أبا بكر الخوارزمي
ويسابه^(٤) في عنفوان شبابه ، فمن محاسنه قوله من قصيدة في الشبيبي [من مخلص

(١) السريّ : السيّد الشريف صاحب السخاء والكرم والمروءة .

(٢) تكنفني : تحيطني ، تترى : متابعة .

(٣) الصنو : الشبيه .

(٤) في ب « وبياريه » .

البسيط] :

ابن شبيب أبو حروبٍ أخو ندىً للحفاظ خيلٍ
ليث قتالٍ وأيُّ ليثٍ بالسيف والرمح يستقلّ

ومنها :

خذه عروساً أتتك بكرةً لغيرك الدهر لا تحلّ
خذه وسق مهرها إليها إن لم يكن وابلٌ فطلّ^(١)

ومن أخرى [من مخلع البسيط] :

يا ملكاً أثر الصوابا فباكر اللهو والشرابا
لا يشرب الراح غير حرّ يرفع عن ماله الحسابا
طابت لك الراح فاشربنها صرفاً فصرف الزمان طابا
ستبصر الأرض عن قريب تلبس من وشيها ثيابا
ما شئت من طائرٍ تراه مغرّداً ما خلا الغرابا
ولست ليلاً ترى بعوضاً ولا نهاراً ترى ذبابا

ومن أخرى أولها [من الطويل] :

ديارك بيضٌ من نثار الدراهم وبيضك حمراً من نثار الجماجم^(٢)

(١) الوابل : المطر، والطلّ : الندى .

(٢) نثار الدراهم : ما يثر في العرس على الحاضرين ، ونثار الجماجم : تساقطها .

الباب الخامس

٦٤ - في ذكر أبي الفضل الهمداني

وحاله ، ووصفه ، ومحاسن نثره ونظمه

هو أحمد بن الحسين بديع الزمان ، ومعجزة همدان ، ونادرة الفلك ، وبكر عطار ، وفرد الدهر ، وغرة العصر ، ومن لم يلق نظيره في ذكاء القريحة وسرعة الخاطر وشرف الطبع وصفاء الذهن وقوة النفس ، ومن لم يدرك قرينه في ظرف النثر وملحه وغرر النظم ونكتته ، ولم ير ولم يرو أن أحداً بلغ مبلغه من لب الأدب وسره ، وجاء بمثل إعجازه وسحره ، فإنه كان صاحب عجائب وبدائع وغرائب ، فمنها أنه كان ينشد القصيدة التي لم يسمعها قط وهي أكثر من خمسين بيتاً فيحفظها كلها ويؤديها من أولها إلى آخرها ، لا يخرم حرفاً^(١) ولا يخل بمعنى ، وينظر في الأربعة والخمسة أوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ثم يهذه^(٢) عن ظهر قلبه هذا ويسردها سرداً . وهذه حاله في الكتب الواردة عليه وغيرها .

وكان يقترح عليه عمل قصيدة أو إنشاء رسالة في معنى بديع وباب غريب ، فيفرغ منها في الوقت والساعة والجواب عنها فيها .

(١) لا يخرم حرفاً : أي لا يخطئ في حرف منها أو يغيّره .

(٢) يهذه : هذا الحديث : أي سرده .

وكان ربما يكتب الكتاب المقترح عليه فيبتدىء بآخر سطر منه ثم هلم جرا إلى الأول ويخرجه كأحسن شيء وأملحه ، ويوشح القصيدة الفريدة من قوله بالرسالة الشريفة من إنشائه ، فيقرأ من النظم والنثر ، ويروي من النثر والنظم . ويعطي القوافي الكثيرة فيصل بها الأبيات الرشيقة ، ويقترح عليه كل عويص وعسير من النظم والنثر فيرتجله في أسرع من الطرف ، على ريق لا يبلعه ونفس لا يقطعه .

وكلامه كله عفو الساعة ، وفيض البديهة ، ومسارقة القلم ، ومسابقة اليد ، وجمرات الحدة ، وثمرات المدة ، ومجاراة خاطر الناظر ، ومباراة الطبع للسمع ، وكان يترجم ما يقترح عليه من الأبيات الفارسية المشتملة على المعاني الغربية ، بالأبيات العربية ، فيجمع فيها بين الإبداع والإسراع ، إلى عجائب كثيرة لا تحصى ، ولطائف يطول أن تستقصى . وكان - مع هذا كله - مقبول الصورة خفيف الروح ، حسن العشرة ، ناصع الظرف ، عظيم الخلق ، شريف النفس كريم العهد ، خالص الود ، حلو الصداقة ، مر العداوة . وفارق همذان سنة ثمانين وثلثمائة وهو مقتبل الشببة غض الحداثة ، وقد درس على أبي الحسين بن فارس وأخذ عنه جميع ما عنده واستنفد علمه واستنزف بحره ، وورد حضرة صاحب أبي القاسم فتزود من ثمارها وحسن آثارها ، ثم قدم جرجان وأقام بها مدة على مداخلة الإسماعيلية والتعيش في أكنافهم والاقتباس من أنوارهم واختص بأبي سعد محمد بن منصور أيدى الله تعالى ، ونفقت بضائعه لديه ، وتوفر حظه من عادته المعروفة في إسداء المعروف والإفضال على الأفاضل ، ولما استقرت عزيمته على قصد نيسابور أعانه على حركته ، وأزاح عله في سفرته . فوافاها في سنة اثنين وثمانين وثلثمائة ، ونشر ما بزّه ، وأظهر طرزه . وأملى أربعمائة مقامة نحلها أبا الفتح الإسكندري في الكدية وغيرها وضمنها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ، من لفظ أنيق قريب المأخذ بعيد المرام ، وسجع رشيق المطلع والمقطع كسجع الحمام ، وجد يروق فيملك القلوب ، وهزل يشوق فيسحر العقول ، ثم شجر بينه

وبين أبي بكر الخوارزمي ما كان سبباً لهبوب ريح الهمذاني وعلو أمره وقرب نجحه وبعد صيته ، إذ لم يكن في الحساب أن أحداً من الأدباء والكتاب والشعراء ينبري لمباراته ، ويجترى على مجاراته ، فلما تصدى الهمذاني لمساجلته ، وتعرض للتحكك به ، وجرت بينهما مكاتبات ومباهاة ومناظرات ومناضلات ، وأفضى السنان إلى العنان ، وفرع النبع بالنبع ، وغلب هذا قوم وذاك آخرون ، وجرى من الترجيح بينهما ما يجري بين الخصمين المتحاكمين والقرنين المتصاولين ، طار ذكر الهمذاني في الآفاق ، وارتفع مقداره عند الملوك والرؤساء ، وظهرت أماراة الإقبال على أموره ، وأدرّ له أخلاف الرزق^(١) وأركبه أكناف العز ، وأجاب الخوارزمي داعي ربه فخلاً للهمذاني ، وتصرفت به أحوال جميلة . وأسفار كثيرة ، ولم يبق من بلاد خراسان وسجستان وغزنة بلدة إلا دخلها وجنى وجبى ثمرتها ، واستفاد خيرها وميرها^(٢) ، ولا ملك ولا أمير ولا وزير ولا رئيس إلا استمطر منه بناء ، وسرى معه في ضوء ، ففاز برغائب النعم ، وحصل على غرائب القسم . وألقى عصاة بهرة واتخذها دار قراره ، ومجمع أسبابه ، وما زال يرتاد للوصلة بيتاً يجمع الأصل والفضل ، والطهارة والستر والقديم والحديث ، حتى وفق التوفيق كله ، وخار الله له في مصاهرة أبي علي الحسين بن محمد الخشنامي وهو الفاضل الكريم الأصيل ، الذي لا يزداد اختباراً ، إلا زيد اختياراً ، فانتظمت أحوال أبي الفضل بصهره ، وتعرفت القرّة في عينه والقوة في ظهره ، واقتنى بمعونته ومشورته ضياعاً فاخراً [وأثر معيشة صالحة وثروة ظاهرة] وعاش عيشة راضية ، وحين بلغ أشده وأربى على أربعين سنة ناداه الله فلباه [وقدم على آخرته] وفارق دنياه في سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ، فقالت عليه نواذب الأدب ، وانثلم حد القلم ، وفقدت عين الفضل قرتها ، وجبهة الدهر غرتها . وبكاه الأفاضل مع الفضائل ، ورثاه الأكارم مع المكارم ، على أنه ما مات من لم

(١) أخلاف الرزق : عائده وحاصله .

(٢) المير : الطعام ، ويقال : ما عنده خير ولا مير : أي لا عاجل ولا آجل .

يمت ذكره ، ولقد خلد من بقي على الأيام نظمته ونثره ، والله يتولاه بعفوه وغفرانه ،
ويحييه بروحه وريحانه ، وأنا كاتب من ظرف ملحه ولفظ غرره ، ما هو غذاء
القلب ونسيم العيش وقوت النفس ، ومادة الأنس .

فصل من رقعة له إلى الخوارزمي

وهو أول ما كتبه به

أنا لقرب دار الأستاذ [أطال الله بقاءه]	كما طرب النشوان مالت به الخمر
ومن الارتياح للقاءه	كما انتفض العصفور بلله القطر
ومن الامتزاج بولائه	كما التقت الصهباء والبارد العذب
ومن الابتهاج بمزاره	كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب ^(١)

ومن رقعة له إلى غيره

يعز علي - أيد الله الشيخ ! - أن ينوب في خدمته قلمي ، عن قدمي ،
ويسعد برؤيته رسولي ، قبل وصولي ، ويرد مشرع الأنس به كتابي ، قبل ركابي
ولكن ما الحيلة والعوائق جمّة [من مجزوء الكامل] :

وعليّ أن أسعى وليس عليّ إدراك النجاح

وقد حضرت داره ، وقبلت جداره . وما بي حب للحيطان ، ولكن شغف
بالقطّان ، ولا عشق للجدران ، ولكن شوق إلى السكان .

ومن أخرى - لا أزال لسوء الانتقاد ، وحسن الاعتقاد ، أبسط يمين العجل
وأمسح جبين الخجل ، ولضعف الحاسة ، في الفراسة ، أحسب الورم شحما ،
والسراب شرابا ، حتى إذا تجشّمت موارده ، لأشرب بارده ، لم أجده شيئا .

(١) البارح : الريح الحارة في الصيف .

فصل - حضرته التي هي كعبة المحتاج ، لا كعبة الحجاج ، ومشعر الكرم لا مشعر الحرم ، ومنى الضيف ، لا منى الخيف^(١) ، وقبله الصلات ، لا قبله الصلاة .

فصل ورد للخوارزمي - يتقلب فيه عن جنب الحر^(٢) - ويتقلّى على جمر الضجر ، ويتأوه من خمار الخجل [ويتعثر في أذيال الكلل] ويذكر أن الخاصة قد علمت الفلج^(٣) لأينا كان فقلت : است الباین اعلم [والخوارزمي أعرف] والأخبار المتظاهرة أعدل . والآثار الظاهرة أصدق . وحلبة السباق [أحكم وما مضى بيننا أشهد] والعود إن نشط أحمد . ومتى استزاد زدنا ، وإن عادت العقرب عدنا . وله عندي إذا شاء كل ما ساء وناء^(٤) ، ولن يعدم إذا زاد نقداً يطير فراخه ، ونقفا يصم صماخه ، وما كنت أظنه يرتقي بنفسه إلى طلب مساماتي بعد ما سقيته نقيع الحنظل ، وأطعمته الخرز بالخردل^(٥) . فإن كان الشقاء قد استغواه ، والحين قد استعواه ، فالنفس منتظرة ، والعين ناظرة ، والنعل حاضرة ، وهو مني على ميعاد ، وأنا له بمرصاد .

فصل [منه] قد شملتني على رغبة أطراف النعم ، ومطرتني سحاب المنن ، وللراغم التراب ، وللحاسد الحائط والباب ، وللكاره اليد والناب .

فصل من كتاب إلى أبيه

للشيخ لذة في العتب والسبّ ، وطبيعة في العنف والعسف ، فإذا أعوزه من

(١) لا منى الخيف: يقصد مكاناً قرب مكة المكرمة حيث يؤدي مشعر من مشاعر الحج ، والخيف : كل هبوط وارتفاع في سفح الجبل .

(٢) الحرد : الغضب .

(٣) الفلج : الفوز والظفر .

(٤) ناء : أثقل .

(٥) الخرز بالخردل : الخرز : الغائط ، والخردل أطيب الطعام ، أو اللحم المقطع .

يغضب عليه . فأنا بين يديه ، وإذا لم يجد من يصونه ، فأنا زبونه ، والولد عبد ليست له قيمة ، والظفر به هزيمة ، والوالد مولى أحسن أم أساء ، فليفعل ما شاء .

فصل من كتاب تعزية إلى أبي عامر عدنان بن [عامر] بن محمد الضبي

الموت خطب قد عظم حتى هان ، وأمر قد خشن حتى لان ، والدنيا قد تنكرت حتى صار الموت أخف خطوبها ، وجنت حتى صار الحمام أصغر ذنوبها ، فلتنظر يمنة ، هل ترى إلا محنة ، ثم لتعطف يسرة ، هل ترى إلا حسرة .

ومن كتاب له إليه أيضاً

وإن يشأ الله يفض بنا الأمر إلى حال تسعه مولى . وتسعني عبداً . وشد ما بخلت بهذه الكلمة ، ونفرت عن هذه السمة ، هذا الشيخ [الشهيد] أبو نصر رحمه الله مد لها اللحظ ، فلم يحظ ، وهذا ابن عباد شد لها الرحل ، فلم يحل .

ومن رقعة

مثلك في السفارة ، الفأرة ، طفقت تقرض الحديد فقبل لها : ويحك ! ما تصنعين ؟ الناب ودقة رأسه ، والحديد وشدة بأسه ، فقالت : أشهد ، ولكني أجهد ، وإن تنج من تلك الأسباب ، فهي الذباب ، مقاديرك لا معاذيرك .

فصل من رقعة إلى خلف

سمعت منشداً ينشد [من الطويل] :

لحي الله صعلوكاً مناهُ وهمهُ من العيش أن يلقي لبوساً ومطعماً

فقلت : أنا معنى هذا البيت ، لأنني قاعد في البيت ، آكل طيب الطعام ، وألبس لبن الثياب ، ويفاض عليّ بذل ، ولا يُقْوَضُ إليّ شغل . ويملاً لي وطب^(١) ، ولا يدفع بي خطب ، هذا والله عيش العجائز ، والزمن العاجز .

ومنها : الرأس - أيد الله الأمير ! - كثير الخبوط . والضيف كثير التخليط ، وصب هذا الماء خير من شربه . وبعد هذا الضيف أولى من قربه ، وكأنني بالأمير يقول ، إذا قرئت عليه هذه الفصول : الهمداني رأى بهذه الحضرة من الإنعام ، ما لم يره في المنام ، فكيف من الأنام ، ولعله أنشأ هذا الكتاب سكران ، فعدل به عادل السكر ، عن طريق السكر ، وكأنه نسي مورده ، الذي أشبه مولده ، وإنما رفع لحنه ، حين أشبع بطنه ، واللثيم إذا جاع ابتغى . وإذا شبع طغى ، والهمداني لو ترك بجلدته ، يرقص تحت رعدته . ما ارتقى في قعدته . ولا تجشأ من معدته . ولكنه حين لبس الحلة . وركب البغلة . وملك الخيل والخول ، تمنى الدول ، ورأس اليتيم يحتمل الوهن^(٢) ، ولا يحتمل الدهن ، وظهر الشقي يحتمل عدلين من الفحم ، ولا يحمل رطلين من الشحم ، ولولا الشعر ، ما نهقت الحمير ، ولو لم يتسع حاله ، لم يتسع مجاله . وكذا الكلب يزمن^(٣) ، حين يسمن ، ولا يتبع ، حين يشبع . وعند الجوع ، يهم بالرجوع .

فصل من كتاب إلى أبي نصر بن أبي زيد

كتابي أطال الله بقاء الشيخ وفرحي في كريم يحضر ذلك الجنب فيحسن المناب . ولا أعدم إن شاء الله بتلك الساحة الكريمة ، من يتحلى بهذه الشيمة ، على أن الطباع إلى الذم أميل ، والعقرب إلى الشر أقرب ، واللسان بالقدح أجرى

(١) الوطب : وعاء اللبن .

(٢) الوهن : الضعف في الأمر والبدن .

(٣) يزمن : يمرض .

منه بالمدح ، والحاسد يعمى عن محاسن الصبح ، بعين تدرك دقائق القبح ،
والهروى جسد كله حسد ، وعقد كله حقد . فلا يجذب التخلق بضبعه^(١) عن
طبعه ، ولا يأخذ التكلف بخلقه ، عن طرقة .

رقعة له إلى مستميج عاوده مراراً

وقال له : لم لا تديم الجود بالذهب كما تديمه بالأدب ؟!

عافاك الله ، مثل الإنسان في الإحسان كمثل الأشجار في الثمار سبيله إذا
أتى بالحسنة ، أن يرفه إلى السنة ، وأنا كما ذكرت لا أملك عضوين من جسدي
وهما فؤادي ويدي ، أما الفؤاد فيعلق بالفود ، وأما اليد فتولع بالجود ، لكن هذا
الخلق النفيس ، ليس يساعده الكيس ، وهذا الطبع الكريم ، ليس يحتمله
الغريم ، ولا قرابة بين الذهب والأدب فلم جمعت بينهما ؟ والأدب لا يمكن ثرده
في قصعة^(٢) ، ولا صرفه في ثمن سلعة ، ولي من الأدب نادرة جهدت في هذه
الأيام بالطباخ أن يطبخ لي من جيمية الشماخ لونا فلم يفعل ، وبالقصاب أن يسمع
أدب الكتاب فلم يقبل ، وأنشدت في الحمام ديوان أبي تمام فلم ينفذ ، ودفعت
إلى الحجام مقطعات اللجام فلم يأخذ ، واحتيج في البيت إلى شيء من الزيت ،
فأنشدت من شعر الكميت ألفاً ومائتي بيت ، فلم تغن ، ولو وقعت أرجوزة العجاج
في توابل السكبا^(٣) ما عدمتها عندي ولكن ليست تقع فما أصنع ، فإن كنت
تحسب اختلافك إليّ إفضالاً عليّ فراحتي في أن لا تطرق ساحتي ، وفرجي في أن
لا تجي ، والسلام .

(١) الضبع : ما بين الإبط إلى نصف الساعد .

(٢) لا يمكن ثرده في قصعة : ثرد يثرد الخبز أي فته ثمّ به يمرق ، أي أن الأدب لا يمكن أن يكون كالطعام ،
لأنه موهبة وذوق .

(٣) العجاج : أحد الشعراء الرّجّاز ، والسكبا^(٣) : مرق يتخذ من اللحم والخل .

وكتب إلى صديق له رقعة نسختها

قد طبخت لسيدي حاجة إن قضاها وبلغ رضاها ذاق حرارة الإعطاء ، وإن أباه وفلاً شباها^(١) لقي مرارة الاستبطاء ، فأبي الجودين أخف عليه : جوده بالعلق النفيس ، أم جوده بالعرض الخسيس . ونزوله عن الطريف ، أم عن الخلق الشريف ؟؟

فأجابه عنها بهذه الرقعة

جعلت فداك هذا طبيخ ، كله توبيخ ، وثرید ، كله وعيد ، ولقم [إلا أنها] نقم . ولم أر قِدرًا أكثر منها عظمًا ، ولا آكلًا أكثر مني كظمًا ، ما هذه الحاجة ؟ ولتكن حاجاتك من بعد ألبين جوانب ، وألطف مطالب !

فصل من كتاب إلى الأمير أبي نصر الميكالي

كتابي أطال الله بقاء الأمير ، وبودي أن أكونه ، فأسعد به دونه ، ولكن الحريص محروم ، لو بلغ الرزق فاه ، لولاه قفاه ، وبعد فاني في مفاتحته [بين] ثقة تعد ، ويد ترتعد ، ولم لا يكون ذلك والبحر وإن لم أره . فقد سمعت خبره ، ومن رأى من السيف أثره ، فقد رأى أكثره ، وإذ لم ألقه ، فلم أجهل إلا خلقه ، وما وراء ذلك من تالد أصل ونشب^(٢) ، وطارف فضل وأدب^(٣) ، فمعلوم تشيد به الدفاتر ، والخبر المتواتر ، وتنطق به الأشعار ، كما تختلف عليه الآثار ، والعين أقل الحواس إدراكًا ، والأذان أكثرها استمساكًا .

فصل ، من رقعة إلى الشيخ الإمام أبي الطيب سهل بن محمد :

(١) فلّ شياها : قطع نارها وأطفأها بالاستجابة .

(٢) التالد : المال القديم الموروث ، والنشب المال القديم من نقود وحيوان .

(٣) الطارف : المال الحديث العهد .

أنا أخاطب الشيخ الإمام والكلام مجون ، والحديث شجون ، وقد يوحش اللفظ وكله ود ، ويكره الشيء وليس من فعله بد ، هذه العرب تقول لا أبالك في الأمر إذا هم ، وقاتله الله ولا يريدون الذم ، وويل أمه للمرء إذا أهم [ولأولي] الألباب في هذا الباب أن ينظروا من القول إلى قائله ، فإن كان ولياً فهو الولاء وإن خشن ، وإن كان عدواً فهو البلاء وإن حسن .

[وله إليه رقعة]

يا لعباد الله القرض ، ولا هذا الرخص^(١) ، والزاد ولا هذا الكساد ، أمرض ولا أعاد ، إذا شيع الزنجي بال على التمر ، وهذا بول على الجمر ، ويوشك أن يكون له دخان .

فصل - مثله كمن صام حولاً ، ثم لما أنظر شرب بولا .

ومن أخرى

الماء إذا طال مكثه ، ظهر خبثه ، وإذا سكن متنه ، تحرك نتنه ، كذلك الضيف يسمح لقاءه ، إذا طال ثواؤه ، ويثقل ظله ، إذا انتهى محله .

فصل من كتاب

نهت الحكماء عن صحبة الملوك ، وقالوا : إن الملوك إذا خدمتهم ملوك ، وإن لم تخدمهم أذلّوك ، وإنهم يستعظمون في الثواب ، رد الجواب ، ويستقلون في العقاب ، ضرب الرقاب ، وإنهم ليعثرون على العثرة من خدمهم فينبون لها مناراً ، ثم يوقدونها ناراً . ويعتقدونها ثاراً ، وقالوا : كن من الملوك مكانك من

(١) القرض : السلفة من المال وغيره ، والرخص : الثوب البالي .

الشمس ، إنها لتؤذيك والسماء لها مدار ، والأرض لك دار ، فكيف لو أسفّت قليلاً ، وتدانت يسيراً ، وإن العاقل ليطلب منها مزيد بعد فيتخذ سرباء^(١) لوأذا منها وهربا ، وبيتغي في الأرض نفقا ، فراراً منها وفرقا^(٢) .

رقعة في التماس الحطب

كم لله من حبر إذا جاع حبر الأسجاع^(٣) ، وإذا انتهى الفقاع كتب الرقاع ، هذا تسبيب بعده تشبيب ، قد عرف الشيخ برد هذا [البرد] وخروجه في سوء العشرة عن الحد ، فإن رأى أن يلبسني من الحطب اليابس فروة ، ويكفيني [من] أمر الوقود شتوة ، فعل إن شاء الله تعالى .

فصل - ورد كتاب يضطرط الأتّن ويعرق الآباط^(٤) ، كالقنفذ من أي النواحي آتيته ، وكالحسك على أيّ جنب طرحته ، ورحم الله فلاناً ! قلت له يوماً : إنك كثير الرغبة سريع الملاة ، فقال : عافاك الله ! هذه غيبة ، وفي الوجوه غريبة ، وإنما يغتاب المرء من وراء ظهره ، لا في سواء وجهه .

فصل - أما الكتاب فلفظه فسيح ، ومعناه فصيح ، وأوله بآخره رهين وآخره لأوله قرين ، وبينهما ماء معين وحوار عين .

فصل - أنا على بينة من أمري ، وبصيرة في ديني ، ولا أقول بعلوم أصحاب النجوم ، وكما أعلم أن أكثرها زق^(٥) وريح^(٥) ، أرى أن بعضها حق صحيح ، وكان لنا صديق لا يؤمن بالصبح إيمانه بالنجوم ، قرى عليه إن الله يأمر بالعدل

(١) السرب : الملجأ .

(٢) الفرق : الخوف .

(٣) الحبر : العالم ، وحبر الأسجاع : كتبها .

(٤) الأتّن : أنثى الحمار ، والآباط : جمع إبط .

(٥) الزق : كير الحداد الذي ينفخ فيه ، أو وعاء من جلد توضع فيه السوائل من ماء وغيره .

والإحسان، فقال : إن رضي النحسان .

فصل - والله لولا يدٌ تحت الحجر ، وكبد تحت الخنجر ، وطفل كفرخ
يومين قد حبب الى العيش ، وسلب من رأسي الطيش ، لشمخت بأنفي عن هذا
المقام ، ولكن صبرا جميلاً والله المستعان .

فصل - إنما يحبس البازي ولو ترك القطا لطار كل مطار .

فصل - لم أر مثلي علق مضنة يرمي به من حالق^(١) ، ولكن رب حسناء
طالق .

فصل من رسالة في ذم السدق^(٢)

[إلى الرئيس أبي عامر]

هذا هو العيد ، وذلك هو الضلال البعيد ، إنهم يشبون ناراً هي موعدهم ،
والنار في الدنيا عيدهم ، والله إلى النار يعيدهم ، ومن لم يلبس مع اليهود
غيارهم ، لم يعقد مع النصارى زناهم ، ولم يشب مع المجوس نارهم ، إن عيد
الوقود لعيد إفك ، وإن شعار النار لشعار شرك ، وما أنزل الله بالسدق سلطاناً ، ولا
شرف نيروزاً ولا مهرجاناً ، وإنما صب الله سيوف العرب على رءوس العجم لما كره
من أديانها ، وسخط من نيرانها ، وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم حين مقت
أفعالهم .

فصل منه - إن هذا الدين لذوتبعات ، الصوم والقطاع شديد . والحج
والمرام بعيد . والصلاة والمنام لذيد ، والزكاة والمال عزيز ، وصدق الجهاد
والرأس لا ينبت بعد الحصاد ، والصبر الحامض والعفاف اليابس ، والحد

(١) علق مضنة : أي نفيساً غالباً يحرص عليه ، وحالقٍ ، عالٍ .

(٢) السُّدُق : ليلة الوقود (معرّبه) .

الخشن ، والصدق المر ، والحق الثقيل والكظم ، وفي اللقمة العظم .

فصل - الوحشة تقتدح في الصدر ، اقتداح النار في الزند ، فإن أطفئت بارت وتلاشت ، وإن عاشت طارت وطاشت ، والقطر إذا تدارك على الإناء امتلاً وفاض ، والعتب إذا ترك فرخ وباض .

فصل - من لقينا بأنف طويل ، لقيناه بخرطوم فيل ، ومن لحظنا بنظر شرر ، بعناه بثمان نزر^(١) .

رقعة إلى خطيب

المجالس أيد الله الخطيب لا تطيب إلا بالمسامرة ، والخطيب فضيحة الدنيا ونكال الآخرة ، وقد حضر الخطيب كان ، فليحضر الخطيب الآن ، تصديقاً لقول الله تعالى ﴿ومن البقر اثنين﴾ .

أخرى - سلمت على فلان فرد جواباً يرد على الوكلاء بشرط الإيماء ، واقتصر من البشاشة ، على تحريك الشاشة ، ومن الاستقبال ، على تحريك السبال^(٢) .

فصل - جارنا رجل يصحب السرير ، ويسحب الحرير ، ويفترش الحبير ، ويخوض العبير ، يحلف رجلاً يزعمه كان يقاتل الشعير ، ويعروري البعير^(٣) ، ويركب الحمير ، ويظلم الصغير ، ويجالس الفقير ، ويواكل الأجير ، بعيد بون بينهما بعيد .

فصل - لو كان حماري لنفشت عليه التبن . ونقلت على ظهره اللبن ، أفأؤدي عنه الغرامة ، لا ولا كرامة ، من ذاك الثور ، حتى يحتمل عنه الجور ؟

(١) نظر شزراً : أي نظر بطرف عينه مغضباً ، والثمان النزر : الثمن البخس .

(٢) السبال : ما فوق الشفة العليا من الشعر أي « الشارب » .

(٣) يقاتل : من القوت أي الطعام ، ويعروري البعير : أي يركبه عارياً ، أو يأتي أمراً قبيحاً منه .

الموت والله ولا هذا الصوت ، والمنية ولا هذه الأمنية الدنيّة .

فصل - أما الآن والحال من الضيف يحتال ، والأيام كأنها ليال ، توافت والوجه بال^(١) ، والكيس والرأس خال ، واللحم في السوق غال ، والقدر حليف خيال .

فصل له من رقعة

يا شبر ، ما هذا الكبر . ويا فتر^(٢) ، ما هذا الستر . ويا قرد ، ما هذا البرد . ويا يأجوج ، متى الخروج . ويا فقاع^(٣) ، بكم تباع . ويا فراني^(٤) ، متى تراني . ويا لقمة الخجل نحن ببابك ، ويا بيضة النغيلة^(٥) من أتى بك . ويا دبة ، ويا حبة ، ويا من فوق المكبة ، ويا من قرب المذبة^(٦) . ويا من خلقه المسبة . ويا دمل ما أوجعك ، ويا قمل لنا حديث معك . فإن رأيت آذنت والسلام .

فصل - أعجوبة ، لكنها محجوبة ، حتى تصلي على النبي بنشاط ، وتنزل عن قيراط ، ما هي رحمك الله ؟ صبرا يا خبيث ، إليك يساق الحديث . إن عشنا وعشت رأيت الأتان تركب الطحّان ، روح ولا جسد ، وصوت ولا أحد والعود أحرق . ومتى فرزنت يا بيدق . ويا أسخف من ناقد على راقد . وشردهرك آخره ، ويا عجا أيلد الأغر البهيم ، وولد آزر إبراهيم [من الكامل] :

يا أيّها العام الذي قد رابني أنت الفداء لذكر عامٍ أولاً
وما أفدى العام ، لكن الأنعام . ولا أشكو الأنام . لكن اللثام . عام أول

(١) توافت : من الولاف : وهو نوع من العدوّ تقع فيه القوائم معاً ، والوجه بال : أي رث أصابه البلاء .

(٢) الفتر : ما بين الإبهام والسّبابة من اليد إذا فتحتهما .

(٣) الفقاع : شرابٌ يتخذ من الشعير أو غيره .

(٤) الفران : الذي يصنع الخبز .

(٥) النغيلة : دودة في الجسم تفسده .

(٦) المذبة من الأرض : الكثيرة الذباب ، والمذبة : المروحة التي يذب الذباب بها .

عدنان ، والعام هذا القرنان . لنا في كل أوان أمير يملأ بطنه ، والجار جائع ،
ويحفظ ماله والعرض ضائع [من الطويل] :

تبدلت الأشياء حتى لخلتها ستبدي غروب الشمس من حيث تطلع
كانت السيادة في المطابخ ، فصارت في المباطخ ، أشهد لئن كثرت
مزارعكم لقد قلت مشارعكم^(١) . ولئن سمت أقفيتكم ، لقد أمحلت أفنيتكم
[من البسيط] :

رأيتمكم لا يصون العرض جاركم ولا يدر على مرعكم اللبن

فصل من رقعة إلى من استماحه شراباً في يوم مطير

عافاك الله ! العاقل إن وافى أبوه على جمل البريد ، من المضرب البعيد في
الخطب الشديد . يومنا هذا لم يستقبل حمارته . وإن مات لم يشيع جنازته . وحل
إلى الركب ، ومطر كأفواه القرب . ورجل ظاهر النفاق يلمس الشراب ممن لا يرى
قربه ، فكيف شربه ، على أنك إلى الشرب أحوج منك إلى السكر ألا ترى كيف
من الله على البيوت بالثبوت ، وعلى السقوف بالوقوف ، ألا تنظر إلى هذا المطر ،
أمطر عمارة هو أم مطر خراب ، وسقيا رحمة هو أم سقيا عذاب .

فصل - كتابي والتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ، طالق ثلاثاً ، مردودة
على أهلها من ورائها البعرة ، وفي قفائها النعرة ، لا ترجع لخرقاء^(٢) ، أو ترجع
العنقاء ، وتالله ما نقض الغزل بعد قوة ، أسخف من نقض عهد وأخوة ، ليس
أرش الغزل إذا نقض . أرش الفضل إذا رفض . ولم يجعل الله إضاعة الصوف ،

(١) المباطخ : اللعق ، بطخ الشيء لعقه .

(٢) القذال : ما بين الأذنين من مؤخر الرأس يكنى بذلك عن عدم السمع والطاعة .

كأضاعه المعروف ، والحق ثقيل ، وهو خير ما قيل .

فصل - حديث الكتاب ما حديث الكتاب ، وصل جحيم هائل ، ليس وراءه طائل ، وخط مجون ، لا يدري ألف أم نون . وسطور فيها سطور كديب السرطان على الحيطان ، وألفاظ أخلاط ، لا يدركها استنباط ، ولا يفهمها بقراط ، هذيان المحموم ، ودواء المهموم .

فصل - ومثلك من ذب ، عمن أحب ، ولكن للذب أبواباً ، ولكل امرئ جواباً ، تعلم أنه ليس في أبواب الذب ، أضعف من باب السب ، وإذا تلوت قول الله عز وجل [ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً] علمت أن سلاح خصمك أقوى ، والناس رجلان كريم ولئيم ، وكل بأن لا يسب خليق ، إن الكريم لا ينكر الفضل ، وإن النذل لا يآلم العذل [من الوافر] :

يُيْحِكُ مِنْهُ عَرْضاً لَمْ يَصْنُهُ وَيَرْتَعُ مِنْكَ فِي عَرْضِ مَصُونٍ
وهلم أفرض لك مسألة الذب في الذباب لتعلم أن اتقائه بالمكبة خير من اتقائه بالمذبة ، وأن ذبه بالمظلة أبلغ من ذبه بالمذلة ، فإن كان لا بد من انتقام ، واستيفاء فأعيذك بالله أن تجهل أن آذان الأنذال في القذال^(١) وهي آذان لا تسمع إلا من السنة نعال الأدم ، وترجمة أكف الخدم ، وعلامة فهمها جحوظ العينين ، وخدر اليدين .

فصل - وجدتك تعجب أن يجحد لئيم فضل صنيعك ، فخفض عليك يرحمك الله ، إن الذي تعجب منه يسير ، في جنب ما يجحده من الناس كثير . إن الله تعالى خلق أقواماً وشق لهم أبصاراً وآتاهم بصائر فغاصوا بها على عرق الذهب ففصدوه^(٢) ، ولم يزلوا بالنجم حتى رصدوه ، واحتالوا للطائر فأنزلوه من جو السماء ، وللحوت فأخرجوه من الماء ، ثم جحدوا مع هذه الأفكار الغائصة

(١) الفصد : الشق .

والأذهان النافذة صانعهم فقالوا : اين وكيف ؟ حتى رأوا السيف ، فلم تعجب أن جحدوا فضلا ليست الأرض بساطه ، ولا الجبال سماطه ، ولا السماء فسطاطه ، ولا الليل رباطه ، ولا النهار صراطه ، ولا النجوم أشراطه ، ولا النار سياطه .

فصل - ما أشبه وعد الشيخ في الخلاف ، إلا بشجر الخلاف . خضرة في العين ، ولا ثمر في البين . فما ينفع الوعد ، ولا إنجاز من بعد ، ومثل الوعد مثل الرعد ، ليس له خطر ، إن لم يتله مطر .

فصل - كان عندنا رجل فاره الأفراس^(١) ، فاخر اللباس ، لا يعد من الناس ، ولا تظن أن الإنسانية بساط قوني ، ولا ثوب سقلاطوني ، ولا تقدر أن المكارم ثوبان من عدن ، أو قعبان من لبن^(٢) .

فصل - لك يا سيدي خلال خير . وخلال فضل ، لا يدفعك عنهما أحد ، ولك في المكارم لسان ويد ، لا تخلو معهما من تورية سوطية ورجل طاووسية ، ولو عريت منها كنت الإمام الذي تدعيه الشيعة وتكره الشريعة .

فصل - معاذ الله لا أشفع لضارب القلب ، ولا أرضى له غير الصلب ، واعتقد في دار الضرب ، أنها دار الحرب ، ولكن ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ .

فصل - لم يكن في عهد رسول الله ﷺ للمهاجرين ، ما في وقتنا للمواجرين^(٣) ، وما جاز لعلية الأصحاب ، ما يجوز لأزواج القحاب .

فصل - كثر ترداد أصحابي إلى فلان ، فما يعيرهم إلا أذنأ صماء وبابا أصم وكان فيما بلغني يأذن في باب الخاصة للعامة . فصار يأذن في باب العامة للخاصة

(١) فارة الأفراس : أي نشيطها ومليحها .

(٢) القَعْب : القدح الضخم الغليظ .

(٣) المواجرين : من الأجر : أي الجزاء أو من الوجر : الذعر والخوف .

وإنما تولى جارها من تولى فارها ، ومن لم يول منافعها لم يول مضارها .

فصل من كتاب إلى ابن فارس

نعم أيد الله الشيخ ، إنه الحمأ المسنون^(١) وإن ظنت الظنون ، والناس لأدم ، وإن كان العهد قد تقدم ، واركتبت الأضداد ، واختلط الميلاد ، والشيخ يقول : قد فسد الزمان ، أفلا يقول : متى كان صالحاً ؟ أفي الدولة العباسية فقد رأينا آخرها وسمعنا بأولها ، أم المدة المروانية وفي أخبارها [من السريع] :

* لا تكسع الشول بأغبارها*^(٢)

أم السنين الحربية [من مجزوء الكامل] :

والرمح يركز في الكلى والسيف يغمد في الطلى
ومبيت حجر في الفلا والحرثان وكربلا

أم البيعة الهاشمية ، وعلي يقول : ليت العشرة منكم براس ، من بني فراس ، أم [الأيام] الأموية والنفیر إلى الحجاز ، والعيون إلى الأعجاز ؟ أم الأمانة العدووية وصاحبها يقول : وهل بعد البزول^(٣) ، إلا النزول ؟ أم الخلافة التيمية وصاحبها يقول : طوبى لمن مات في نأنة الإسلام ، أم على عهد الرسالة ويوم الفتح قيل : اسكني يا فلانة ، فقد ذهب الأمانة . أم في الجاهلية ولييد يقول [من الكامل] :

[ذهب الذين يعاش في أكنافهم] وبقيت في خِلف كجلد الأجر

(١) الحمأ المسنون : الطين المنتن الفاسد الرائحة .

(٢) تكسع الشول : كسع : تبع ، والشول : الخفيف السريع أي أن الخيل السريعة لا يمكن أن يلحق بها .

(٣) البزول : قضاء الحاجة ، أو امتطاء البازل من الابل .

أم قبل ذلك وأخو عاد يقول [من الطويل] :

بلاد بها كنّا وكُنّا نحُبُّها إذِ الناسُ ناسٌ والزمانُ زمان

أم قبل ذلك وروى عن آدم عليه السلام [من الوافر] :

تغيّرت البلاد ومن عليها ووجه الأرض مغبرٌ قبيح

أم قبل ذلك وقد قالت الملائكة ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ﴾ .

وما فسد الناس ، وإنما اطرَد القياس ، ولا أظلمت الأيام ، وإنما امتد

الظلام ، وهل يفسد الشيء إلا عن صلاح ، ويمسي المرء إلا عن صباح ؟ .

فصل منه - وإني على توبيخه لي لفقير إلى لقائه ، شفيق على بقائه .

منتسب إلى ولائه ، شاكر لآلائه^(١) ، وإن له على كل نعمة خولنيها الله نارا ، وعلى

كل كلمة علمنيها منارا . ولو عرفت لكتابي موقعاً من قلبه لا غتمت خدمته به ،

ولرددت إليه سؤركاسه ، وفضل أنفاسه . ولكني خشيت أن يقول : هذه بضاعتنا

رُدّت إلينا ، وله أيده الله العتي ، والمودة في القربى والمرباع ، وما ضمه الجلد

وناله الباع ، وما ضمنه المشط [من المتقارب] :

ووالله ما هي عندي رضى ولكنّها جلُّ ما أملك

وإثان قلما يجتمعان الخراسانية والإنسانية ، وأنا وإن لم أكن خراساني

الطينة ، فإنني خراساني المدينة ، والمرء من حيث يوجد ، لا من حيث يولد ،

والإنسان من حيث يثبت ، لا من حيث ينبت ، فإن أنضاف إلى خراسان ولادة

همذان ارتفع القلم وسقط التكليف ، فالجرح جبار ، والجاني حمار ولا جنة ولا

نار ، فليحتملني الشيخ على هناتي^(٢) ، أليس صاحبنا يقول [من الخفيف] :

(١) الآلاء : النعم .

(٢) الهنة : جمع هنات وهي خصال الشرّ .

لا تلمني على ركافة عقلي إن تيقنت أنني همداني

فصل - بعض الظن إثم ، ولكن بعض الإثم حزم ، وبلغني أن القاضي يريد أن يسجل ، فأريد أن لا يعجل ، حتى أحضر فينظر فيم الخصومة ، وأنظر كيف الحكومة .

فصل - أنت أيدك الله إذا قلدت البريد ، وبردت هذا التبريد ، تؤذن أنك لو وليت الديوان ، لحجبت الدبران ، ولو قلدت الوزارة ما كنت تصنع ، أكنت أول من تصفح ، وإن هان على سبال الطبائع وهو الخليفة فمن الجيفة ؟ يا شيخ حشمة في الرأس ، وعرة^(١) بين الناس ، وإذا ارتفعت فألاتها نميمة ، وليس للناس قيمة ، ولو نسجت الدر في الذهب ما كنت إلا حائك ، وإلا من جملة أولئك .

فصل - شراب من ذاقه أخخ^(٢) ، وصوت من يسمعه بخبخ^(٣) ، وشرف من ناله أرخ .

فصل - ألا وإن في صدري لغصة ، وإن في رأسي لقصة ، وإن لكل مسلم فيها لحصة ، وإن هذا المقام فيها لفرصة .

فصل من كتاب إلى عدنان

أشهد لو خير الرئيس ما اختار فوق ما اختير له ، وما في الغيب ، أكثر مما في الجيب ، وما بقي ، أحسن من الذي لقي [من الطويل] :

هنيئاً وزاد الله ضبة سودداً وذلك مجد يملأ العين واليدا
لك اليوم أسباب السموات مظهراً وما اليوم مما سوف تبلغه غدا

(١) الحشمة : الغضب ، والانتقاص عن الآخرين ، والعرة : العيب والخلة القبيحة .

(٢) أخخ : قال آخ ، عبارة عن التوجع .

(٣) بخبخ : قال بخ بخ : عبارة عن السرور والتهنئة .

فصل - أنا ، وأنا غرس الشيخ ، ألف العمامة ، على فضول لا تقلها جبال
تهامة ، ثم أسبح في الماء الغزير ، وأعتضد بالأمرير والوزير ، ثم استظهر بسجل
القاضي ، ثم الشيخ هو المتغاضي ، ولا حيلة مع ابن جميلة ، العار والله والنار ،
والقتل والدمار ، والعسلى والزنار ، والشباب والتراب المثار .

فصل - واحربا أتريد جهنم خطبا^(١) ، واعجبا أتريد أسوأ منها منقلبا
فصل - [أبق أطال الله بقاء الشيخ الرئيس] عبدان : أحدهما الذي أنبت
عليه شجرة من يقطين^(٢) ، والآخر الذي قال : خلقتني من نار وخلقته من طين^(٣) ،
وأنجى هذا من الظلمات ، ومد لذلك في الحياة ، فعرف لكل على مقدار حرمة
حق خدمته .

فصل - مضى العيد فلا صدقات الفطر ولا صدقات العطر ، ولا فضلات
القدر ، ولا لفظات الذكر ، وأسمع الناس ، يقولون إن الشيخ مستبرد لي
مستوحش مني [وأنا سليم نواحي القول والفعل والنية] وأنا كالحية أضمن أن لا
ألسع ولا أضمن أن لا يفزع .

فصل - وصلت رقعة الشيخ فسفرت شواء ، ونطقت ورهاء^(٤) . تعثر في
أذيالها تقول خذوني ، والطاعون المذنب سكران يتغافل .

فصل - يعجبني أن يكون الشيخ عريض اللسان طويله ، حسن البيان
جميله ، ولا يعجبني أن يطول لسانه حتى يمس به جبينه ، ويضرب به صدره ،
ويحك به قفاه ، فخير الأمور أوساطها ، وأمام الساعة أشراتها . والغاية سوم ،

(١) واحربا : واحزنه .

(٢) يعني بذلك النبي يونس عليه السلام .

(٣) يريد بذلك إبليس اللعين الذي أبى أن يسجد لآدم كما امر الله سبحانه وتعالى .

(٤) سفرت شعرها : أي كشفت عن وجهها المشوه القبيح ، ونطقت ورهاء : أي تكلمت بكلام ثقيل ،

ويقال : امرأة ورهاء أي كثيرة الشحم .

والاستقضاء فرقة .

فصل - لولا شفقتك من القلب ، لربطتك مع الكلب ، ولكن لا حيلة لإحصارك ، وكلّي انصارك .

فصل - مغرز إبرة . وألفا عبرة ، رعاة رعا ، ورعايا شجاع ، أمير ولكنه في الحمير ، ووزير ولكنه خنزير . وما شئت من البرود الاتحمية ، ولا شيء من الحمية .

فصل - أراني أذكر الشيخ كلما طلعت الشمس أوهبت الريح أو نجم النجم أو لمع البرق أو عرض الغيث أو ذكر الليث أو ضحك الروض ، إن للشمس محياه وللريح رياه وللنجم حلاه وعلاه وللبرق سناؤه وسناه وللغيث يداه ونداه ولليث حماه وللروض سجايه ، ففي كل صالحة ذكره ، وفي كل حادثة أراه ، فمتى أنساه ، واشدة شوقه ، عسى الله أن يجمعني وإياه .

فصل - سألني العم عن حالي بهذه البلاد . وإنني في بلاد وإن لم يكن لأهلها تمييز ، فأنا بينهم عزيز . يطعمونني تقليداً ، ويردونني فريداً ، والمال يجتني فيضاً لكن لا أبلعه ريقاً ، ولا أكره آله تفريقاً ، فهو يأتي مداً ويذهب جزراً .

فصل - خلق ابن آدم خلقة الفراش مماته في المعاش ، ومساره في المضار ، وإلا بين لمثلي إذا خرج من بلدة أن تنبذ خلفه الحصاة ، وتكنس بعده العرصات^(١) وتوقد في أثره النار ، ويثار في قفاه الغبار ، ويستنبح لفراقه الكلب ، ويسد لأوبته الأذنان ، وتغمض عن رجعتة العيان ، ويقول كم سنة تعد ، ورب سلم لا يرد ، وما قدرت أن الشيخ بعد ما كفاه الله شرمقامي ، وأصحت سماؤه من أشغالي وصفا جوه من لقائي ، يشتاق طلعتي شوقاً يبعثه على عتابي ، ويهزه

(١) العرصات : الساحات .

لاستعطافي ، ولا شك في أنه اشتهانني كما يشتهي الجرب الحك ، وله العتبي
فستأتيه كتبي تباعاً ورسلي ولاء ، وحاجاتي قطارا^(١) .

فصل إلى الاستاذ أبي بكر بن إسحاق

الأستاذ الاهد يأمر غاشية مجلسه ، أن يفتشوا أعطاف المقبرة وزواياها ، فإن
وجدوا قلباً قريحاً ، يحمل وداً صحيحاً ، وكبدأً دامية ، تقلل محبة نامية ، فأنا
ضيعتهما بالأمس ، على ذلك الرمس ، رضي الله تعالى عن وديعته ، وعنا معشر
شيعة ، فليأمر بردهما إليّ ، فلا خير في الأجساد خالية من الفؤاد ، عاطلة عن
الأكباد .

فصل إلى ابن أخته

أنت ولدي ما دمت والعلم شانك ، والمدرسة مكانك ، والدفتر أليفك ،
وحليفك ، فإن قصرت ولا إخالك ، فغيري خالك .

فصل من كتاب إلى ابن فريغون^(٢)

كتابي والبحر وإن لم أره ، فقد سمعت خبره ، والليث وإن لم ألقه ، فقد
تصورت خلقه ، والملك العادل إن لم أكن لقيته ، فقد بلغني صيته .

فصل - إن لي في القناعة وقتاً ، وفي الصناعة بختاً ، لا يبعد عن منال المال ،
بل يحبيني فيضا ، ويتطفل علي أيضاً ، وهذه الحضرة وإن احتاج إليها المأمون ولم
يستغن عنها قارون ، فإن الأحب إليّ أن أقصدها قصد موال ، لا قصد سؤال ،

(١) القطار : القافلة ، ويريد أنها سوف تأتيه متتابعة .

(٢) في الرسائل : وله إلى الأمير ابن الحرث محمد مولى أمير المؤمنين .

والرجوع عنها بحال، أحب إليّ من الرجوع بمال، قدمت التعريف، وانتظر الجواب الشريف.

فصل - إن أيامي منذ لم أره ليال، وإنني من حبيبي لفي طلل بال. وإن العيش لا يلتئم إلا بعزه، والعافية لا تطيب إلا في ظله^(١).

فصل - إن الجميل عندهم من وراء جدار، والقيح نار على منار، فإذا مدحوا سيرة رجل فقد حمدوا عشرته، ولم يبق فيه طمع للسبك، ولا موضع للشك.

فصل - ليست التجربة خمسة أجربة، إنما هي دفعة والتقدمة لفظة، ثم إن العاقل بفطنته يكتسب فيقيس، والجاهل بغفلته يخس ويخيس، يا أبا الفضل ليس هذا بزمانك، وليست هذه الدار بدارك، ولا السوق سوق متاعك، ناسب الكتابة وما وسقت^(٢)، والأقلام وما نسقت، والمحابر وما بسقت، والأسجاع إذا اتسقت، واللوم ولا هذه العلوم.

فصل - إني والله لأرحم عقل طرفة إذ قال [من الوافر]

وليت لنا مكان الملك عمرو رغوئاً حول قبتنا تخور

كيف ضرب المثل في الشر وقلة الخير، بما هو خير كله. وإن الرغوئ لتعذره برسلها، وتحبوه بنسلها، وتكسوه بصوفها، وتنفعه ببعرها، وتغيظ عدوه بسراحها، وتقر عينه برواحها [من الوافر]:

وتملاً بيته أقطاً وسمناً وحسبك من غنى شبع وري^(٣)
ثم أرجع إلى حديثك: تمنى مكانه رغوئاً، وأتمنى مكانك برغوئاً، إن

(١) في «ب» .. «والعافية لا تطيب إلا في ظله».

(٢) الوسق: الجمع، ووسقت: حملت.

(٣) أقطاً وسمناً: جبة وسمناً، والري: من الارتواء. والبيت لامرئ القيس بن حجر الكندي.

البرغوث ، أجدر منك أن يغوث ، اعلم أنك غرسي ، والغرس تيس ، وحشى ، وما حسبتني أفقد منك منافع التيس ، ولكن ما أصنع والعقل ليس .

فصل - ما أعرف لعمار مثلاً إلا الغراب الأبقع ، مذموماً على أي جنب وقع ، إن طار فيقسم الضمير ، وإن وقع فروعة النذير ، وإن حجل فمشية الأسير ، وإن شحج فصوت الحمير ، وإن أكل فدبر البعير ، وإن سرق فبلغة الفقير ، كذلك ابن عمار ، إن حذفت عينه فالحين . وإن حذفت ميمه فالشين . وإن حذفت راءه فالرين ، وإن صحف خطه فالمين^(١) . وإن زرته فالحجاب الثقيل ، وإن لم تزره فالعتاب الطويل .

فصل - بلغني أن الشيخ دائم العبث بلحمي ، والنقل بشتمي ، وأنه حسن البصيرة في نقضي ، كثير التناول من عرضي ، ولحم الوديد ، لا يصلح للقديد ، ودم الصديق ، لا يشرب على الريق ، والولي لا يقلى ، ولا يتخذ نقلاً ، وحسب الغريم أن لا يوفى ، ومن منع الصدقة فليقل قولاً معروفاً .

فصل - لولا ود الفقيه ، وأنا أستبقيه ، لشتمت العام والخاص ، وذكرت العاض والماص ، ولتجاوزت دار الرجال إلى حجرة العيال ، ما هذه الأسجاع التي كتبها ، والفصاحة التي عرفها ، بكر وتألم الطلق ، أعلى رأسي يتعلم الحلق .

فصل - واحرباه ، وإليك شكوى الحرب ، وأظن أجلي قد اقترب ، ربّ توفي مسلماً ، وألحقني بالصالحين .

فصل - حرس الله هذه الدنانير ، ورزقنا منها الكثير ، إنها لتفعل ما لا تفعل التوراة والإنجيل ، وتغني ما لا يغني التنزيل والتأويل ، وتصلح ما لا يصلح جبريل وميكائيل .

(١) المين : الكذب .

فصل من تعزية بحرمة

على أن النساء كالصِّدْف ، إذا انتزعت منه درّة الشرف . لم يصلح إلا للتلف ، والسعيد من حمل من دار الأمير نعشه ، وأسعد منه من جدد فرشته ، ولا خلة بالرجل أليق من الصبر ، ولا حصن للنساء أمتع من القبر ، أسأل الله الذي سلبه الكرم أن يمتعه بعنبتها ، ولا خير في النخلة وراء رطبها .

فصل - قد توسطت الشباب ، وتطرفت المشيب ، وقبضت من أثر الزمان . ونظرت في أعقاب الأمور ، وطرت مع الملوك ، ووقعت مع الخطوب ، والحي يأمر وينهى * وفارقتها والموت حزنان ينظر*^(١) .

فصل - لو رأي مولاي وأنا في قميص بأذنين ، وقباء ضيق الردين ، وعمامة كالقبة ، وخف تركي أعلاه جراب ، وأسفله غراب ، على برذون مضطرب التقطيع ، يرقصني كالرضيع - لعلم كيف تجري الفرسان ، وكيف تمسح الأذنان .

فصل من كتاب إلى أبيه

ولسيدنا أسوة بيعقوب في ولده ، إذ ظعن إليه من بلده . وليس العائق سور الأعراف ، ولا رمل الأحقاف ، ولا جبل قاف ، أخاف والله أن أموت ، وفي النفس مني حاجة لم أقضها ، أو منية لم أحظ ببعضها .

فصل - مثل الشيخ في التماس الخل ، مثل المكدي في التماس الخل ، تقدم إلى الخلال فقال : يا منكوح العيال صب قليلاً من الخل ، في هذا الإناء الجبل فقال الخلال : قبح الله الكسل ، هلا التمسست بهذا اللفظ العسل ؟

فصل - يا هؤلاء تكابروا الله في بلاده ، ولا ترادوه في مراده ، إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده . وما أرى آل فلان إلا مقدرين أنهم لم يأخذوا خراسان

(١) الرواية : « ... والموت خزيان ينظر » .

قهرها ، إنما كانت لأهمهم مهرا . فلهم حولها تخييط ، والله من ورائهم محيط .

فصل - إني لأعجب من رأس يودع تلك الفضول فلا ينشق ، ومن عنق يقل ذلك الرأس فلا يندق .

فصل - كتابي كتاب من نسي الأيام وتذكره ، ويطوي العالم وينشره ، ثم ينبذ أبناء دهره ، وراء ظهره .

فصل - أنا على قرب العهد بالمهد قطعت عرض الأرض ، وعاشت أجناس الناس ، فما أحد إلا بالجهل تبعته ، وبالخسران بعته ، وبالظن أخذته وباليقين نبذته ، وما مدح وضعته في أحد إلا أضعته ، ولا حمد صرفته في أحد إلا عرفته ، ومن احتاج إلى الناس ، وزنهم بالقسطاس . ومن طاف نصف الشرق ، لقي ربع الخلق .

فصل في مدح الأمير خلف

جزى الله هذا الملك أفضل ما جزى مخدوما عن خدمه ، ومنعماً على نعمه ، وأعانه على هممه . فلو أن البحار عدده ، والسحاب يده . والجبال ذهبه لقصرت عما يهبه ، فوالله ما التمر بالبصرة ، أقل خطراً من البدرة ، بهذه الحضرة أني لا أراها تحمل إلى المنتجعين إلا تحت الذيل في جنح الليل ، ولا شيء أيسر من الدينار ، بهذه الديار ، بينما المرء في سنة من نومه لتعب يومه وقصاراه قوت يومه ، إذ يقرع الباب عليه قرعاً خفياً ، ويسأل به سؤالاً [خفياً] ويعطي ألفاً خلفياً .

فصل - للشيخ من الصدور ما ليس للفؤاد ، ومن القلوب ما ليس للأولاد فكأنما اشتق من جميع الأكباد ، وولد بجميع البلاد . سواء الحاضر فيه والباد . وكل أفعاله غرة في ناصية الأيام ، وزهرة في جنح الظلام ، إلا أن ما أوجبه لفلان

من روض أنا وسميه^(١) ، وطوق أنا قمريه^(٢) . وعود جمره لساني ، وخمر سكره
ضماني .

فصل إلى أبيه

إن الإبل على غلظ أكبادها لتحن إلى أوطانها ، وإن الطير لتقع عرض البحر
إلى مطانها ، وبلغني أن ابن ذي اليمينين طاهر بن الحسين لما ولي مصر داخلها
مضروبة قبابها مفروشة أرضها مزخرفة جدرانها والناس ركباناً ورجالاً والنثار يميناً
وشمالاً ؛ فأطرق لا ينطق حرفاً ، ولا يرفع طرفاً ، ف قيل له في ذلك فقال : ما أصنع
بهذا كله ، وليس في النظارة عجائز بوشنج .

والعجب من حاضر أنطاكية صاحب آل ياسين وقد كذب وعذب وقتل وجر
برجله وأهلك قومه من أجله ، وقيل له (ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما
غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) فكأنه تمنى الجنة بلقيا قومه على سوء
جوارهم ، وقبح آثارهم .

وهذا أخو كندة^(٣) يقول [من الطويل] :

وهل ينعمن من كان أقرب عهداً ثلاثين شهراً أو ثلاثة أحوال
فما ظنه بي لاثنتي عشرة سنة ، على أن لي في رسول الله أسوة حسنة ،
وعسى الله أن يأتيني بكم جميعاً ، أو يأتكم بي سريعاً .

فصل - وأجدني إذا قرأت قصة الخليل ، والذبيح إسماعيل ، أحس من
نفسي لسيدنا بتلك الطاعة ، لو وقع البلاء ، والعافية أوسع ، وأظنه لو تلّني^(٤)

(١) الوسمي : مطر الربيع .

(٢) الطوق : القدرة على الشيء ، أو الحلي في العنق ، والقمري : الحمام الحسن الصوت .

(٣) أراد بأخي كندة أمراً القيس بن حجر الكندي الشاعر الجاهلي المعروف .

(٤) تلّ للجبين : أي قلبه على قفاه وألقاه على عنقه وخذه .

للجبين ، وأخذ مني باليمين ، لقطع الوتين ، لصنته عن الأنين ، علي بذلك ميثاق من الله غليظ، والله على ما نقوله حفيظ .

فصل - فتن تشظى^(١) ، ونار تظلى ، وناس يأكل بعضهم بعضا ، فالنهار مصادرة ، والليل مكابرة ، وقتل عمرو وسلب زيد ، وانج سعد ، وهلك سعيد ، وثمان الرأس مندبل ، والبيئة العادلة سكين [ودار الحكم بيت القار ، واليمين الغموس فلان الحمار ، والجامع حانة الخمار] ولا شيء إلا السلاح والصباح وكل شيء إلا السكون والصلاح .

فصل - قد أهديت له فارتي^(٢) مسك تصلان بوصول كتابي هذا ، وبينهما من السلام أطيب منهما عرفا ، وأحسن وصفا .

فصل من رقعة إلى الشيخ الجليل أبي العباس

عبد من عباد الله أجرى الله أمره على الجروم والصرود ، وأنفذ حكمه بين اللحوم والجلود ، وأراه البسطة في مراده ، والغبطة في أولاده ، والرشد في اعتقاده ، ومكن له في بلاده ، وله في غده أكثر مما في يده ، وما بقي أطيب مما لقي ، وبلغني أنه يضجر من أبناء الحاجات ترفع إليه ، والقصص تقرأ لديه ، وقد ضجرت ضجرة يحيى بن خالد ، فأرى في المنام فيما يرى النائم كأن قائلاً يقول « إن ضجرت لأزدحام الحاجات إليك ، أضجرتك بانقطاعها عنك » .

فصل - وأظن الشيخ لو رآني لقلاني ، وما أقضي لأقصي العجب منه وفيه .

فصل - حج البيت مخنث فسئل عما رأى فقال : رأيت الصفا والحجون وقوماً يموجون ، وكعبة ترف عليها الستور ، وترف حولها الطيور ، وبيتا كيتي ،

(١) تشظى : تتفرق وتتوزع وتصعب .

(٢) الفارة من المسك : الحق المليء به .

ولكن سل عن البخت ، لا عن البيت .

وابتاع بعض الهنود هذا السلجم المشوي فاتزن بدائق أرطالا ، ثم وجد الكمثرى تباع فقال : ما أغلاه نياً . وأرخصه مشوياً ، نويت أن أعتزل الناس حتى يعرفوا الكمثرى من السلجم ، إن لم يعرفوا الدينار من الدرهم ، فأنا اليوم حتى ينتصف المظلوم ، سكن أبو موسى الأشعري المقابر ، فقال : أجاور قوماً لا يغدرون ، ف قيل له : مهلا يا أبا موسى ، انما لا يغدرون لأنهم لا يقدررون .

فصل من رقعة إلى ثقل استأذنه للخروج

نعم ولا حُمُرُ النعم^(١) ، قاعة قعساء^(٢) ، كأنها ملساء ، ومنهج عريان ، تسلكه العميان ، وسمت لا عوج فيه ولا أمت^(٣) ، وماء برده الشتاء ، ولا يكدره الرشاء ، فاذهب حيث تشاء ، والدنيا والعراق ، والحبة أبلق ، ولك بالصين تخت والغنى غنى البحر ، ولك ما سألت بمصر ، وشر الحمام الداجن ، ومقيم الماء آسن . والكسل إضاعة ، والطراة بضاعة ، وإنك لتؤذن بالبين ، وتصبح عن سري القين ، ويلك ما هذه الرعونة ، وما هذه الأخلاق الملعونة ، تلمح بدلال ، والله إنك مجانا لغال ، فابعدكما بعدت ثمود ، وابرح فقد طال القعود ، واذهب ذهاباً لا تعود .

فصل - كتبت وليس الشوق إلى لقائه بشوق ، إنما هو العظم الكسير ،

(١) حمر النعم : كناية عن الإبل .

(٢) القعساء : القعس : من خرج صدره ودخل ظهره خلفه . وقعس الشيء : عطفه وأماله .

(٣) والسمت : الطريق ، لا عوج فيه : أي لا اعوجاج فيه ، ولا أمت : ولا عيب .

والنزع العسير ، والسهم يسري ويسير . والنار تطيش وتطير . وليس الصبر عن رؤياك بالصبر إنما هو الصبر معجوناً بالصاب ، وتشريح العروق والأعصاب . والقلب في الميسر والأنصاب . والكبد في يد القصاب .

فصل - مرحباً بالشيخ وبناقة تحمل رحله ، وبأرض تلبس ظله ، ويوم يطلع علينا وجهه . وبليلة تلد قربه ، وإيه يا خطي الناقة ، فوق قوى الطاقة . ويا أرض انزوي كما تنزوي الجلدة في النار . ويا منظر انطو انطواء الحية والطومار ، وعجل إلى الظماء ببارد الماء ، ومن على البلد القفر بصائب القطر .

فصل - أثنى عليه ثناء لو رمى به الشتاء لعاد ربيعاً ، أو دعى الشباب لآب سريعاً ، أو صب على الفراق لانقلب شمالاً جميعاً .

فصل - جرجان وما أدراك ما جرجان ، أكلة من التين وموت في الحين ، ونظرة إلى الثمار والأخرى إلى التابوت والحفار ، ونجار إذا رأى الخراساني نجر التابوت على قده ، وأسلف الحفار على لحده . وعطار يعد بين الحنوط يرسمه . وبها للغريب ثلاث فتحات : أولها لكراء البيوت ، والثانية لابتياح القوت ، والثالثة لثمن التابوت .

فصل - كأنما خلق للدينا تحجيلاً ، ولملوكةا تخجيلاً ، وكأنما خلق ليقبل المستحيل مانعه ، وليصدق المحال سمعه . فليؤمن أن البحر يمشي على رجلين ، وأن المجد يتصور للعين . وأن العدل يتجسم ، والفضل يتبسم ، والدهر يتكرم ، والشمس تتكلم .

فصل - إن طلبت كريماً في أخلاقه . مت ولم ألاقه ، أو حكيماً في جوده ، مت قبل جوده . ولقد أفسدني على الناس وأفسدهم علي ، فما أرضى بعده أحداً ، ولم أجد مثله أبداً . وهذا وصف إن أطلته طال ، ونشر الأذيال ، واستغرق

القرطاس ، والأنفاس ، واستنفذ الأعمار ، والأعصار ، ولم تبلغ التمام ، والسلام .

فصل - كتبت ونصفي راحل ، والأحمال تشد ، والعلوفات تعد ، والجمال تقدم والجمال يشتم . وما أشبه نفسي في هذه الأسفار إلا بالخيال الطارق ، أو بلمع البارق ، أو الغلام الأبق ، أو الجواد السابق ، أو بهرب السارق ، أو السهم المارق ، وإنما هو الشد والترحال ، والخيال والبغال ، والحمير والجمال .

فصل - عنوان الأحمق كنيته ، ثم بنيته ، ثم حليته ، ثم مشيته ، والله لا أعرف البحتري ، فهلا أبو حامد وأبو خالد . وإن امرأة تقعد مدة تعصر بطنها وظهرها ، وتعد يومها وشهرها . فهلا تجعل سرها وجهرها ، ثم تسميه البحتري لرعاء لاستحق مهرها ، وخليقة أن يطم الله نهرها ، فلا تلد دهرها . ثم الوجه اللحيم ، لا يحتمله الكريم ، والأنف السمين ، لا يحتمله الأمين . والقطف سير الحمير ، والهرولة مشية الخنازير .

فصل - وما زالت جفنة آل جفنة تدور على الضيف ، في الشتاء والصيف . حتى عثرت بحسان ، فارتفعت ذلك اللسان . فسير فيهم القصائد الحسان . فهذا الزمان يخلق وهي جديدة ، وتلك العظام بالية ، وهذه محاسن باقية . وحق على الله أن لا يخلي كرما من لسان ييث أحدثته .

فصل - لسان كمقراض الخفاجي يضعه حيث يشاء ، وبحر لا تكدره الدلاء ، وصدر كأنه الدهناء^(٣) وقلب كأنه الأرض والسماء ، وشرف دونه الجوزاء .

فصل - الإنسان يولد على الفطرة من ظرفه استظرفه ، ومن لمححه استملحه ،

ثم لا يسمى قرطباناً . حتى يسعى زمانا ، فإذا تعب دهرأ طويلاً سمي كشحانا
ثقيلاً ، وإذا شب الصبي كان بالخيار ، إن شاء سمي لحم الحوار ، ولقب ذنب
الحمار ، وكنى كذب الخار . وشبه بالجدار ، وأطلال الدار . وإن شاء نزهة
الألباب ، ومتعة الأحباب ، ودمية المحراب ، وفرحة الاياب . وعلى الأم أن تلد
البنين ، وتغذوهم سنين ، وتلهيهم الليل والنهار ، وتقيهم الماء والنار ، فإن
خرجوا مخانيث فقد قضت ما عليها ، وإن قرم السرم ، فلغيرها الجرم ، وإن
احتك السرج ، فعلى الله الفرج ، وعلى ابنها الحرج .

فصل - الوجه الحسن عنوان مخيل ، وضمان جميل . فإن عضده أصل
كريم ، فأنا به زعيم ، وإن نصره بيت قديم ، فأنا له نديم ، والشيخ بحمد الله دارة
البدر حسن إشراق ، وفأرة المسك طيب أخلاق ، وشجر الأترج طيب أعراق ،
وطيب مذاق ، وطيب ورق وساق ، وحرج على من هذه خصاله ، أن يغبني
وصاله . فأنا أخطب إليه مودته . وأبذل روحي لها مهرا ، فإن رأى أن يزوجنيها
فعل إن شاء الله تعالى .

فصل - يلقي الشيخ بكتابي هذا من ذكر حرите فلقد أجدت ، وثمرة الغراب
وجدت^(١) . ونعم ما اخترت ، والخير فيمن ذكرت . وأجبتة إلى ما سأل ،
وسفتجت له إلى الكريم بما أمل^(٢) ، وقلت : أده الآن ، وخاط كيساً على ماله ،
وضمنت له تهنة آماله ، فإن رأى أن يفك لساني ، من سر ضمانني ، فعل إن شاء
الله تعالى .

(١) ثمرة الغراب وجدت : أي لقيت الخصب يقال : هذه أرض لا يطير غرابها «أو ليس غرابها بمطار» أي
مخصبة .

(٢) سفتجت : من السفتجة ، وهي أن تعطي رجلاً مالاً فيعطيك وثيقة تسترد بها مالك من شريك أو عميل
له في بلد آخر أنت مسافر إليه .

فصل - إن رضي الشيخ أن يواكل من لا يشاكل ويجانس من لا يؤانس .

فصل - مثلي أيد الله القاضي مثل رجل من أصحاب الجراب والمحراب
تقدم إلى القصاب يسأله فلذة كبد ، فسد باليسرى فاه ، وأوجع بالأخرى قفاه .
فلما رجع إلى منزله بعث توقيعاً ، يطلب جملاً رضيعاً . كذاك أنا وردت فلا أكرم
بسلام ، ولا أتعهد بغلام ، فلما وجدته لا يبالي بسبالي^(١) كاتبته أشفع لسواي .

فصل - لو علم ما في صدر هذه الأيام ، من حر الكلام ، نفذ في هذه البقاع
من ظرف الرقاع . ثم ملكته هزة الفضل ، لطوى السير عاجلاً ، والأرض راجلاً .

فصل - سقاها الله من بلد ، وأهلها من عدد ، وفلانا من بينهم ، ولا
نصصت إلا على عينهم . وحبذا كتابه واصلأ ، ورسوله حاصلأ ، فأني تحفة لم
تصل بوصوله ، وفضل لم يستفد من فصوله .

فصل - اليوم طلق ، والهواء رطب ، والماء عذب ، والبستان رحب ،
والسما مصحية ، والريح رخاء . فأين سيدي فلان ؟ أشهد ما اليوم جميلا ، ولا
الظل ظليلا ولا الماء يبرد غليلا . ولا النسيم يشفي عليلا . وأقسم ما الروض إلا
ثقيل ، والأنس إلا دخيل ، والدهر إلا بخيل . وفي ذلك يقول [من الطويل] :

وإني لتعروني لذكراك روعةً كما انتفض العصفور بلله القطر^(٢)

وليس الشوق إلى مولاي بشوق إنما هو وقع السهام ، ولا الصبر عن لقياه
بصبر إنما هو كأس الحمام ، وما للسم سلطان هذا الهم ، ولا للخمر طغيان هذا
الأمر .

(١) السبال : جمع سبلة : يقال جمل حسن السبلة : أي رقيق الجلد . والسبال أيضا : طرف الشارب
ومقدّم اللحية .

(٢) عُرَاه : أصابه ، والقطر : الماء والندى . والبيت لأبي صخر الهذلي ، والمحفوظ في صدره «إني لتعروني
لذكراك هزةً» .

فصل - إن للشبان نزوة ، وللأحداث رقة . ولكن يربعون إذا جاءت الأربعون . ويفزعون ، وإن كانوا لا يجزعون ، ولقد نظرت في المرأة فرأيت الشيب يتلهَّب وينهب ، والشباب يتأهَّب ويذهب ، وما أسرج هذا الأشهب^(١) إلا لخبر ، وأسأل الله عاقبة خير .

فصل - أجدني قد اكتهلت ، والكهل قبيح به الجهل ، ولاحت الشعرات البيض ، وجعلت تفرَّخ وتبيض .

فصل - جزى الله المشيب خيراً فإنه أناة ، ولا رد الشباب فإنه هنات ، وبش الداء الصبا وليس دواؤه إلا انقضاؤه ، وبش المثل النار ولا العار ونعم الرائضان الليل والنهار . أظن الشباب والشيب لومثلاً لمثل الأول كلبا عقوراً ، والآخر شيخاً وقوراً ، ولا شتعل الأول ناراً والآخر نوراً ، فالحمد لله الذي بيَّض القار^(٢) ، وسماه الوقار ، وعسى الله أن يغسل الفؤاد كما غسل السواد ، إن السعيد من شابت جملته ، ولم تخص بالبياض لحيته .

فصل من تهنته بمولود

حقاً لقد أنجز الإقبال وعده ، ووافق الطالع سعده ، والشأن فيما بعده ، وحبذا الأصل وفرعه ، وبورك الغيث وصوبه ، والروض ونوره ، وساء أطلعت فرقدا ، وغابة أبرزت أسدا ، وظهر وافق سنداً ، وذكر يبقى أبداً ، ومجد سمى ولداً ، وشرف لحمه وسدى .

فصل - كتابي من هراة ولا هراة فقد طحتتها هذه المحن كما يطحن الدقيق ، وقلبتها كما يقلب الرقيق . وبلعتها كما يبلع الريق ، [والحمد لله على المكروه والمحبوب وصلواته على نبيه وآله] وقد خدمت الشيخ سنين ، والله لا يضع أجر

(١) بيَّض القار : يعني جعله شعره أبيض بعد أن كان أسود ، والقار : القطران .

المحسنين ونادمته والمنادمة رضاع ثان ، ومالحته والمالحة نسب دان ، وسافرت معه
والسفر والأخوة رضيها لبنان ، وقمت بين يديه والقيام والصلاة شريكا عنان ،
وأثنت عليه والثناء من الله [عز وجل] بمكان ، وأخلصت له والإخلاص محمود
بكل لسان ، أقبعد هذه الحرمات ، أنا طعمة فلان وفلان يتناولاني سبعا في ثمان .
فصل - لعن الله فلاناً فلا أراه في النوم ، إلا أصاب في ذلك اليوم .
فصل - ورأى أفواهاً فاعرة . وأضرأساً طاحنة ، وعيالا وأذيالاً الله وكيلهم ،
وأنا أزنهم وأكيلهم .

فصل من كتاب تعزية

ولم تنسني أوفى المصيبات بعده ولكن نكء القرع بالقرع أوجع^(١)
والله ما يضرب الكلب ، كما يضرب هذا القلب . ولا يقطر الشمع ، كما
يقطر هذا الدمع . وما للسم سلطان على هذا الغم ، ونفسي إلى القبر ، أعجل منها إلى
الصبر . وأذني بالموت ، أنس منها بهذا الصوت . أولم يكفنا الجرح ، حتى ذر عليه
الملح ؟ ألم أكن من فلان مثقل الظهر ، فما هذه العلاوة على الحمل ، ولم هذه
الزيادة في الثقل ؟

فصل - وفيما يقول الناس من حكاياتهم أن أعرابياً نام ليلاً عن جملة ففقده ،
فلما طلع القمر وجده ، فرفع إلى الله يده . فقال : أشهد لقد أعليته ، وجعلت
السماء بيته . ثم نظر إلى القمر فقال : إن الله صورك ونورك ، وعلى البروج
دورك . وإذا شاء قورك وإذا شاء كورك^(٢) ، فلا أعلم مزيداً أسأله لك ولئن أهديت
إلى قلبي سروراً ، لقد أهدى إليك الله نوراً ، والشيخ ذلك القمر المنير ، لقد أعلى

(١) نكء القرع : قشره قبل أن يشفى ويندمل .

(٢) قورك : جعل فيك خرماء في وسطك كما يقور الثوب والبطيخ أي جوفه . وكورك : أي لفك وجعلك
كالعمامة .

الله قدره ، وأنفذ بين الجلود واللحوم أمره . ونظر إليه وإلى الذين يحسدونه ، فجعله فوقهم وجعلهم دونه .

فصل - المرء جزوع لكنه حمول ، والإنسان في النوائب شמוש^(١) ثم ذلول . ولقد عشت بعد فراق الشيخ عيشة الحوت في البر ، وبقيت ولكن بقاء الثلج في الحر .

فصل - توجه فلان إلى الحضرة ، ويريد أن يقرن الحج بالعمرة ، ولا يقتصر على المشتري دون الزهرة ، ولا يقنع بالماء إلا مع الخضرة . وقصد من الشيخ الجليل يزخر بحره . وجعل الشيخ سفينة نجاته ، وذريعة حاجاته .

فصل - إن ذكر الجمال طلع بدرأ ، أو السحاب زخر بحرأ ، أو العهد رسخ صخرأ ، أو الرأي أسفر فجرأ . أو الحياء رشح خمرا ، أو الذكاء توقد جمرا .

فصل - جرى الله الشيخ خيراً عن بطن الساغب^(٢) ، وكف الراغب . وأعانه على همته ووفقه ، وأخلف عليه خيراً مما أنفق ، فليس لمثل هذا العام ، إلا مثل ذلك الانعام العام . فلو انتقر ، لهلك من افتقر ، ولكنه أجفل وغمر الأعلى والأسفل ، فكأنما عاد الشتاء ربيعاً (ومن أحيائها فكأنما أحيأ الناس جميعاً) .

رقعة له إلى أبي محمد إسماعيل بن محمد

جواباً عن رقعة صدرت إليه وقد ورد هراة

مرحباً بسيدي إسماعيل ، وجد يفعل الأفاعيل ، ولا رقعة أرقع من هذه ، ما نصنع برقعة ، ونحن في بقعة . فليجعلها زيارة ، ثم الحاجة مقضية ، والحرمان مرعية .

(١) الشמוש : من الناس ، الصعب المراس الشديد العداوة .

(٢) الساغب : الجائع .

رقعة إليه أيضاً عند انصرافه

أنت يا سيدي أقرب رحماً ، وأنفذ حكماً ، ودونك الدار ، ولك فيها المقدار ، ويسرنني أن لا تغيب ولا تغب^(١) ، وتحب الخروج وأحب أن لا تحب . ولو علمت أنني إذا ناصبتك أقمت ، فعلت ذلك ولو نقت . فأقم ريثما تنقضي هذه الأشغال وتنقشع هذه الضبابات . فتنفرغ لقضاء حقك ، وتوسع لواجب لك . ثم إن أبيت إلا الرد ، وإلا الصد ، فإني أراك قبل أن حصلت سرت ، وقبل أن حوصلت طرت . وما قابلنا حقوقك إلا بالعقوق ، والسلام .

فصل - لعلك يا سيدي لم تسمع بيتي الناصح حيث قال [من مجزوء الكامل] :

اسمع مقالة ناصح جمع النصيحة والمقه^(٢)
إياك واحذر أن تكون من الثقة على ثقه

صدق [الشاعر] والله وأجاد فللثقة خيانة في بعض الأوقات . هذه العين تريك السراب شراباً ، وهذه الأذن تسمعك الخطأ صواباً . فلست بمعذور ، إن وثقت بمعذور . وهذه حال السامع من أذنه ، الواصل بعينه . وأرى فلاناً يكثر غشيانك وهو الدني دخلته ، الرديء نحلته ، السيء وصلته ، الخبيث جملته ، وقد قاسمته في أزرك ، وجعلته موضع شرك ، فأرني موضع شرك . فأرني موضع غلطك فيه ، حتى أريك موضع تلافيه . ما أبعد غلطك عن غلط إبراهيم عليه السلام ! إنه رأى كوكباً ، ورأيت تولباً^(٣) ، وأبصر القمر وأبصرت القدر ، وغلط في الشمس ، وغلطت في الرمس ، أظاھرہ غرك أم باطنه شرك ؟

(١) الغب : الزيارة فترة بعد فترة وللرسول الكريم حديث يقول : زرغباً ولا تزرخباً .

(٢) المقه : المحبة .

(٣) التولب : الجحش .

ومن هذا الفصل - وافتتح صلواتك بلعنه ، وإذا استعذت من الشيطان فاعنه .

فصل من رقعة إلى وارث مال

العزاء عن الأعزة رشد كأنه الغي ، وقد مات الميت فليحي الحي ، واشدد على حالك بالخمس ، فأنت اليوم غيرك بالأمس ، قد كان ذلك الشيخ وكيلك يضحك ويبكي لك ، وسيعجم الشيطان الآن عودك^(١) ، فإن استنالك رماك بقوم يقولون : خير المال متلفة بين الشراب والشباب ، ومنفقة بين الحباب والأحباب . والعيش بين القداح والأقداح ، ولولا الاستعمال ما أريد المال ، فإن أطعتهم فاليوم في الشراب ، وغدا في الخراب ، واليوم واطربا للناس ، وغدا واحرابا من الإفلاس .

يا مولاي ، ذلك المسموع من العود ، يسميه الجاهل نقرا ، ويسميه العاقل عقرا ، وذلك الخارج من الناي هو اليوم في الأذان زمر ، وهو غدا في الأبواب سمر ، والعمر مع هذه الآلات ساعة ، والقنطار في هذا العمل بضاعة .

فصل [منه] - الله في مالك قسط للمروءة قسم ، فصل الرحم ما استطعت ، وقدّر إذا قطعت ، ولأن تكون من جانب التقدير ، خير لك من أن تكون من جانب التبذير .

فصل - أشار إلى ضالة الأحرار ، وهي الكرم مع اليسار ، ونبه على قدر الكرام ، وهو البشر مع الإنعام ، وحدث عن برد الأكباد ، وهو مساعدة الزمان . للجواد ، ودل على نزهة الأبصار وهو الثرى . ومتعة الأسماع وهو الثنا . وقلّما اجتمعا ووجدما معاً .

(١) أعجم عوده : عضّه وامتنحه ليعلم صلابته من رخاوته .

فصل - الأمير [الفاضل الرئيس] رفيع مناط الهمة ، بعيد منال الخدمة ،
فسيح مجال الفضل ، رحيب مخترق الجود ، [طيب معجم العود] [من
المجتث] :

فلو نظمت الثريا والشعرين قريضا
وكاهل الأرض ضرباً وشعب رضوى عروضا
وصغت للدرّ ضدّاً أو للهواء نقيضا
بل لو جلوت عليه سود النوائب بيضا
[أو ادّعت الثريا لأخصيه حضيضا^(١)]
والبحر عبداً لهاه عند العطاء مغيضا

لما كنت إلا في ذمة القصور وجانب التقصير . ولكنني أقول الشناء منجح
أنى سلك ، والسخي جوده بما ملك ، وإن لم تكن غرة لائحة فلمحة دالة ، أو إن
لم يكن صداء فماء^(٢) . أو لم يكن خمر فخل ، وإن لم يصب وابل فطل . وبذل
الموجود ، غاية الجود [وبعض الحمية آخر المجهود ، وماش خير من لاش]
ووجود ما قل ، خير من عدم ما جل ، وقليل في الجيب ، خير من كثير في الغيب ،
وجهد المقل ، أحسن من عذر المخل ، وما كان أجود من لو كان ، ولأن تقطف ،
خير من أن تقف . ومن لم يجد الجميم^(٣) ، رعى الهشيم .

فصول قصار، وألفاظ، وأمثال

المرء لا يعرف ببرده ، كالسيف لا يعرف بغمده ، جرحُ الجور ، بعيد
الغور^(٤) نار الخفاء سريعة الانطفاء ، الحذق لا يزيد الرزق . والدعة لا تحجب

(١) الأخصان : القدمان ، أو أطرافهما . والحضيض : كل ما سفل من الأرض .

(٢) الصداء : العطش .

(٣) الجميم : النبات الكثير المنتشر .

(٤) الغور : العمق والمدي .

السعة احتكم إلى الحجارة ، فالتقتير نصف التجارة ، غضب العاشق أقصر عمراً ، من أن ينتظر عذراً ، إن بعد الكدر صفواً ، وبعد المطر صحواً . الراجع في شيء كالراجع في قيئه . المرء من ضرره في شغل ، ومن نفسه في كل . الحبل لا يبرم إلا بالقتل ، والثور لا يربى إلا للقتل ، أرخص ما يكون النفط إذا غلا ، وأسفل ما يكون الأريب إذا علا . لا تحسد الذئب على الألية يعطاها طعمة ، ولا تحسب الحب ينثر للعصفور نعمة ، إن للمتعة حداً ، وإن للعارية رداً^(١) . ما كل مائع ماء ، ولا كل سقف سماء . ولا كل بيت بيت الله ، ولا كل محمد رسول الله ، الكريم عند أهل اللوم ، كالماء في فم المحموم ، وسم المبرسم في الشهد ، والشمس تقبح في العيون الرمد . الخبر إذا تواتر به النقل قبله العقل ، كلفة الفضل متعينة ، وأرض العشرة لينة ، وطرقها بينة . إن الوالي سيعزل والراكب يستنزل النذل لا يألم العذل^(٢) . المدبر يحسب النسيئة عطية^(٣) ، ويعتد بها هدية . الدهر بيتنا جرع ، وفيما بعد متسع ، لا ماء بعد الشط ، ولا سطح بعد الخط ، من ذا الذي لا يهاب البحر أن يخوضه ، والأسد أن يروضه . ود الحضر إخاء ومروة ، وود السفر وفاء وفتوة . قلت قسماً إن فيه لدسماً ، ليلة يضل بها القطا ، ولا يبصر فيها الوطواط الوطا ، شحاذ أخاذ ، وفي الصنعة نفاذ ، وهو فيها أستاذ . فارقنا خشفاً وأتى جلفاً^(٤) أرب ساقه ، لا نزاع شاقه ، أبعد المشيب أخدع بالديب . فعل ذلك على السخط ، من القرط ، خمر في الدنيا متاعها قليل ، وفي الآخرة خمارها طويل الحرب سجال : فيوماً غنم ، ويوماً غرم . ومطل الغنى ظلم . كذب القميص لا ذنب للذيب في تلك الأكاذيب . من الكبائر طفيلي يدب ، ومن النوادر ذباب ينب^(٥) ، إنما يجرب السيف على الكلب ، لا على

(١) العارية : ما تعطيه غيرك على أن يرده إليك « الأمانة » .

(٢) العذل : اللوم .

(٣) النسيئة : تأخير العطية .

(٤) الخشف : ولد الغزال ، والجلف : الفظ الغليظ الطباع .

(٥) ينب : يصيح .

القلب . إذا رضيت أن أخدم ولا أخدم ، فإن العبودية لا تعدم . الجواد لا يجزع من الأكاف^(١) جزعي من المخاطبة بالكاف . ما بي المكان لولا السكان ، والله ما أرضى ولو صارت السماء أرضاً ، ولا أريد ولو قطع الوريد . لا تكاد السباع تأتلف كما لا تكاد البهائم تختلف . إن اللئيم لا يخلو من خلة خير ، وكذلك الكريم لا يخلو من خلة ضير . عزيز على أن لا أسعد دون الرقعة بتلك البقعة . العبث بهن الحمار ، من المخاطر الكبار . ولو شئت للفظت وأفضت ، ولو أردت لسردت وأوردت .

* * *

ملح وغرر من شعره في كل فن

أنشدني لنفسه في ابن فريغون [من المتقارب] :

ألم تر أنني في نهضتي لقيت المنى والغنى والأميرا
ولما التقينا شمت التراب وكنت امرءاً لا أشم العبيرا
لقيت امرءاً ملء عين الزما ن يعلو سحاباً ويرسو ثبيراً^(٢)
لآل فريغون في المكرمات يدُ أولاً واعتذار أخيرا
إذا ما حللت بمغناهمُ رأيت نعيماً وملكا كبيراً

وأنشدني من قصيدة في أبي عامر عدنان بن محمد الضبيّ [من الكامل] :

ليل الصبّا ونهاره سكران حدثان لم يعركهما حدثانُ
يا زمفرةً لي لا يكاد أزيها يسع الضلوع إليك يا همذان
قسماً لقد فقد العراق بي أمرءاً ليس تجود برده البلدان

(١) الأكاف : البراذع .

(٢) يعلو سحاباً ويرسو ثبير : أي في علوه يكون كالسحاب ، وفي رسوه كالجبال .

يا دهر إنك لا محالة مزعجي عن خطتي ولكل دهر شأن
فاعمد براحتي هراة فإنها عدن وإن رئيسها عدنان
وله من قصيدة في الأمير أبي علي أولها [من البسيط] :

على أن لا أريح العيس والقتبا وألبس اليد والظلماء واليلبا^(١)
ومنها :

حسبي الفلا مجلساً والبوم مطربةً والسير يسكرني من مسّه تعباً
وطفلة كقضيّب البان منعظاً إذا مشت وهلال الشهر منتقبا
تظلّ تشر من أجفانها درراً دوني وتنظم من أسنانها حيا^(٢)
قالت وقد علقت ذيلي تودّعني والوجد يخنفها بالدمع منسكبا
لا درّ درّ المعالي لا يزال لها برق يشوقك لا هوناً ولا كتباً
يا مشرعاً للمنى عذباً موارده بيناه مبتسم الأرجاء إذ نضبا^(٣)
أطلعت لي قمراً سعداً منازلته حتى إذا قلت يجلو ظلمتي غربا
كنت الشبيبة أبهى ما دجت درجت وكنت كالورد أذكى ما أتى ذهابا
ومنها :

أبى المقام بدار الذلّ بي كرمٌ وهمّة تصل التوحيد والخيبا^(٤)
وعزّة لا تزال الدهر ضاربةً دون الأمير وفوق المشتري طنباً^(٥)

(١) القتب : الرجال ، واليد : الصبحاري ، واللب : جلود يخز بعضها إلى بعض وتلبس على الرؤوس ،
أو الدروع البانية .

(٢) الحبيب : الأسنان المنضّدة المتراففة .

(٣) المشرع : مورد الماء ، النبع ، والوارد : ورود الماء للشرب ، بيناه : أي بينا هو ، ونضب الماء :
جف .

(٤) الوحد : نوع من الجري ، يقال : وخذ الجمل : أي أسرع ورمي بقوائمه كالنعام ، والخيب : كذلك
نوع من الجري فيه سرعة .

(٥) الطنب : الأعمدة .

يا سيّد الأمراء فخر فلا ملكٌ
وكاد يحكيك صوب الغيث منسكباً
والدهر لو لم يخزن والشمس لو نظقت
والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا
إلاّ تمنّاك مولى واشتهاك أبا
لو كان طلق الحمياّ يمطر الذهبا

ومن أخرى في أبي القاسم بن ناصر الدولة [من مجزوء الكامل] :

غُضِّي جفونك يا ريا	ض فقد فتنت الحور غمزا
واقني حياءك يا ريا	ح فقد كددت الغصن هزاً ^(١)
وارفق بجفنك يا غما	م فقد خدشت الورد وخزا
خلع السريع على الرّبي	وربوعها خزاً وبزاً
ومطارفاً قد نقّشت	فيها يد الأمطار طرزا
أسر المطيَّ إلى المدا	م على جنيّ الورد جمزا ^(٢)
أو ما ترى الأقطار قد	أخذت من الأمطار عزاً
أو ليس عجزاً أن يفو	تك حسّها؟ أو ليس عجزا
حلّت عزاليها السما	ء فعادت البداء نزاً ^(٣)
وكأنّ أمطار الربيع	ع إلى ندى كفّيك تُعزي ^(٤)
يا أيها الملك الذي	بعساكر الآمال يُغزي
خلقت يداك على العدا	سيفاً وللعافين كنزا
والمدح طلق ما عنا	ك فإنّ عداك تجده كزاً ^(٥)
لا زلت يا كنف الأمير لنا	من الأحداث حرزا

ومن أخرى [من الكامل] :

-
- (١) اقني : الزمي ، وكددت : أتعبت .
(٢) الجمز : عدوّ يقارب الإسراع ، أو الوثب السريع .
(٣) العزالي : القرب « يريد شدة المطر » والنز : ما يتحلّب أو يسيل من الأرض من ماء .
(٤) تعزي : تعاد وترجع .
(٥) طلق : حرّ طليق . كزاً : فظاً جافياً .

خرج الأمير ومن وراء ركابه
أصبحت لا أدري أأدعو طغمتي
وبقيت لا أدري أأركب أبرشي
يا سيد الأمراء مالي خيمة
كنفي بعيري إن ظعنت ، ومفرشي
يا منجنون بحذف ثاني حرفه
غيري ، وعز علي أن لم أخرج
أم بكتكين أم أصبح ببزعج
أم أدهمي أم أشهبي أم ديرجي^(١)
إلا السماء إلى ذراها ألتجي
كمي ، وجنح الليل مطرح هودجي
إن كنت فاعل ما أرى فتخرج

ومن أخرى في الرئيس أبي جعفر الميكالي [من مجزوء الرمل] :

أذهب الكأس فعرف الفجر قد كان يلوح
وهو للناس صباح ولذي الرأي صبح^(٢)
والذي يمرح بي في حلبة اللهو جموح
اسقنيها والأمانى لها عرف يفوح
إن في الأيام أسرا رأ بها سوف تبوح
لا يغرنك جسم صادق الحسن وروح
إنما نحن إلى الآجال نغدو ونروح
[ويك هذا العمر تفريح وهذا الروح ربح]
بينما أنت صحيح الجسم إذ أنت طريح
فاسقنيها مثل ما يلفظه الديك الذبيح
هكذا الدنيا فسيحوا ووقعنا لا نصيح
إنما الدهر عدو ولمن أصغى نصيح
ولسان الدهر بالوعظ لواعيه فصيح
نستمح الدهر والأيام منا تسميح

(١) الديزج : الخيل « بالفارسية » .

(٢) الصبح : الخمر .

ضاع ما نحميه من أنفسنا وهو يبيع
نحن لاهون وآجا ل المنى لا تستريح
يا غلام الكأس فالـيأس من الناس مريح
أنا يا دهر بأبنا نك شق^(١) وسطيح^(٢)
وبأبكار القوافي لا على كفاء شحيح
يا بني ميكال والجو د لعلا تي مزيج
شرفاً إن مجال الفضل فيكم لفسيح
وعلى قدر الممدوح يأتيك المديح
فهنالك الشرق الأر فع والطرف الطموح
والننـدى والخلق الطا هر والوجه الصبيح

ومن أخرى في غيره [من مجزوء الكامل] :

طرباً لقنـد رقّ الظلا م ورق أنفاس الصّباح
وسرى إلى القلب العليل عليل أنفاس الرياح
ومليحة ترنو بنر جسة وتبسم عن أقاح
قامت وقد برد الحلـلي تـميس في ثني الوشاح
تشدو وكل غنائها برد على كبد اقتراحي
يا ليل هل لك من صبا ح أم لنجمك من براح^(٣)
سأريق ماء شيبتي ما بين ريحان وراح
فيم العتاب ولا لهم غني ولا لهم صلاح
وكعاذلاتي في الملي حة عاذلاتك في السماح
وهوأي للبيض الصبا ح هواك للبيض الصّباح

(١) شق^١ وسطيح : من كهنة الجاهلية .

(٢) البراح : اسم علم للشمس .

وولوع كفي بالقدا ح ولوع كفك بالراح
وعليك إدمان الندي وعليّ إدمان امتداحي
فليعلّ رأيك إنّه يلوي يد القدر المتاح
وافخر فإنك في الملو ك لك المعلى في القداح^(١)

ومن أخرى [من مجزوء الرمل] :

قسماً لا ذعر الشيب عن اللهو رتاعي^(٢)
ويميناً لا تمثلت له فقعا بقاع^(٣)
إنما الدهر الذي يصيدني حرّ المصاع^(٤)
كالني مدا وأجزيه من الحلم بصاع
واغنم الأيام ما ألفتها خضر المراعي
لا تدع من لذة العيش عياناً لسمع

ومن أخرى في السلطان المعظم يمين الدولة وأمين الملة أطل الله بقاه [من
الهجج] :

تعالى الله ما شاء وزاد الله إيماني
أفريدون في التاج أم الإسكندر الثاني
أم الرجعة قد عادت إلينا بسليمان
أظلت شمس محمود على أنجم سامان
وأمسى آل بهرام عبيداً لابن خاقان

(١) المعل : سابع سهام القمار .

(٢) الرتاع : تتبع أماكن اللهو والشراب .

(٣) الفقع : فقع النبات أي اشتدت صفوته يريد أن يقول : إنه لن يتخلّى عن حياته المنعمة المترفة ولو كان الشيب نذير تحوّل له عنها .

(٤) المصاع : من الصاع ، وهو المكيال الذي تكال فيه الحبوب .

إذا	ما	ركب	الفيل	لحربٍ	أو	لميدان
رأت	عيناك	سلطاناً	على	منكب	شيطان	
أمن	واسطة	الهند	إلى	ساحة	جرجان	
ومن	قاصية	السند	إلى	أقصى	خراسان	
على	مقتبل	العمر	وفي	مفتح	الشان	
لك	السرّج	إذا	شحت	على	كاهل	كيوان
يمين	الدولة	العقبى	لبغداد	وغمدان		
وما	يقعد	بالمغر	ب	عن	طاعتك	اثنان
إذا	شئت	ففي	أمنٍ	وفي	يمنٍ	وإيمان

ومن أخرى أجاب بها عن قصيدة وردت عليه [من الطويل] :

لعمر المعالي إن مطلبها سهلٌ	سوى أنها دارٌ وليس لها أهلٌ
حنانيك من حرٍّ أَلَمٌ بمشعرٍ	هم الشاء رسلٌ إن أدرت ولا رسلٌ
فحاول أن يستلّ بالشعر ما لهم	وذلك ما لم يفعل اليد والفعل
شكا الجدّ والأيام إذ لم تواته	فلم يشك إلا ما شكى الناس من قبلٌ
عزاءٍ ففي هذا السواد لنا نخل	وصبراً ففي هذا القطيع لنا سخل ^(١)
ألم تر أن الجود والمجد والعلی	أمانیّ إن تحلم بها يجب الغسل
ألا لا يغرّك الحسين وجوده	فترجّو قوماً ليس في كأسهم فضل
فما كلُّ وقتٍ مثله أنت واجدٌ	ولا كلُّ أرضٍ للحسين بها مثل
وما كلُّ جنسٍ تحته النوع داخلٌ	ولا كلُّ ما أبصرت من شجرٍ نخل
ولن تفعل الأقوام مثل فعالة	ولا سائر الذبان ما تفعل النحل

ومن أرجوزة عدنانية [من الرجز] :

(١) السَّخْل : ولد الضأن والمغزى ، للذكر والأنثى .

يا آل عصم أنتم أولو العصم
لا ينزع الله سرايل النعم
طابت مبانيكم وطبتم لا جرم
تهمي سجاياكم بعقيان ودم
الجار والعرض لديكم في حرم
أنتم أسود المجد لا أسد الأجم
بالعمد الأطول والفرع الأشم
عارفة تضرم ناراً في علم
أما وإنعامك إنه قسم
إنك في الناس كبرء في سقم
وبعد ما بين الموالي والخدم
ولا أمرؤ كحاتم وإن حتم
ولا شباب النبت فيها كالهم

لم توسموا إلا بنيران الكرم^(١)
عنكم فلا تخطوا بهادون الأمم
يا سادة السيف وأرباب القلم
أنتم فصاح ما خلا في لا ولم^(٢)
والمال للآمال نهب مقتسم
يا سيداً نيط له بيت القدم^(٣)
هل لك أن تعقد في بحر الشيم
ويقصر الشكر عليها قل نعم
وثغر مجد عن معاليك ابتسم
يا فرق ما بين الوجود والعدم
ما أحد كهاشم وإن هشم^(٤)
ليس الحدوث في المعالي كالقدم^(٥)
شتان ما بين الدنانى والقمم

وله من قصيدة في الشيخ الإمام أبي الطيب سهل بن محمد بن سليمان [من مجزوء
الوافر] :

لسهل في العلا غررُ فهلاً عندكم لمح
وفيه من الندى بدعُ فهلاً فيكم ملح

-
- (١) العصمة : صفة من لا يقع في الخطأ أو الرذيلة . توسموا : توصفوا .
(٢) تهمي : تخطر ، وسجاياكم : طبائعكم وأخلاقكم والعقيان : الذهب الخالص . والمعنى العام : إن
سجاياكم الكرم والشجاعة والفصاحة ، وليس لىلا ، ولم في لغتكم مكان ، لأنها يشير إلى البخل
وعدم العطاء .
(٣) الأجم : الشجر الكثير الملتف ، ونيط : علّق عليه الأمل مثلاً .
(٤) هشم : كسر ، أو أكرم وعظم .
(٥) حتم : قضى وأجاب وحكم .

تضمّن أمةً رجلٌ وأودع عالماً شبحُ
 فمن جاره منقطعٌ ومن باراه مفتضحُ
 وله من قصيدة في إسماعيل بن أحمد الدبراني وفيمن جمعه وإياهم الحبس
 من العمال [من المنسرح] :

قبحاً لهذا الزمان ما أربّه
 ماذا عليه من الكرام فما
 ألم يجد في سواكم سعةً
 لا يعرف الضيف أين منزله
 مالي أرى الحرّ ذاهباً دمه
 أراحنا الله منك يا زمناً
 يا ساغباً جائع الجوارح لا
 يا ضرماً في الأنام متقدماً
 يا خاطباً ساكتاً وليس سوى
 يا صائداً والعلی فريسته
 يا سادتي لا تلن عظامكم
 فالدهر لوان لا يدوم على
 أتى بشرٌ لم نرتقبه ، كذا
 في عملٍ لا يلوح لي سببه
 تظهر إلا عليهم نوبة
 ممّن يسوي برأسه ذنبه
 ولا يرى المجد أين منقلبه
 ولا أرى النذل ذاهباً ذهبه
 أرعن يصطاد صقره خربه^(١)
 يسكن إلا لفاضلٍ سغبه
 والجود والمجد والنهي خطبه
 نعي فتى أو فتوة خطبه
 وناهياً والجمال منتهبه
 لعضة الدهر إن يهيج كلبه
 حالٍ سريعٍ بالناس مضطربة
 يأتي بخيرٍ وليس نحسبه

وله من قصيدة في أبي نصر بن أبي زيد [من الوافر] :

خلقتُ كما ترى صعب الثقافِ
 أردّ يد الخليفة في الخلاف
 ولي جسدٌ كواحدة المثاني
 ولي كبدٌ كثالثة الأثافي^(٢)

(١) الأرعن : الجاهل . الحرب : الجبان .

(٢) المثاني : من المثانة : مستقر البول وموضعه . والأثافي : حجر الموقد .

هلمَّ إلى نحيفِ الجسمِ مِنِّي
ألم تر أن طائشةً لظاها
صحبت الدهر قبل نبات فيه
نزلت من الزمان ومن بنيه
ولو شاء الزمان قرار جأشي
أبا نصرٍ نقصتكَ صاع قولي
متى يستطيع عدَّ علاك لفظي
وله من أخرى في خلف بن أحمد [من الطويل] :

وليلٍ كذكره كمعناه كاسمه
شققنا بأيدي العيس برد ظلامه
ترجّ بنا الأسفار في كلِّ شاهرٍ
كان مطايانا شفاراً كأنما
كان نجوم الليل نظارةً لنا
كان نسيم الصبح فرصة آيس
كدين ابن عباد كإدبار فائق
وبتنا على وعدٍ من السير صادق^(٣)
وترمي بنا الآمال من كلِّ حالٍ^(٤)
تمدُّ إليهنّ الفلا كف سارق
تعجّب من آمالنا والعوائق
كان سراب القيط خجلة واثق

ومن أخرى [من الطويل] :

سماء الدجى ما هذه الحدق النجلُ
أصدر الدجى حالٌ وجيد الضحى عطلُ^(٥)

(١) طائشة : أي سهماً طائشاً ، أو خربةً والقضب : الشجرة امتدت وطالت أغصانها ، فينخذ منها القسي .

(٢) الغداف : الجناح الأسود والخافية من الريش التي تأتي بعد ريش مقدّم الجناح .

(٣) العيس : النوق ، وفي الديوان : « وبتنا على وعدٍ من الصبح . . . »

(٤) ترجّ : ترمي وتدفع . والمعنى أي تضطربنا الأسفار إلى ركوب الصعاب وتدفعنا الآمال إلى التحليق في كل مكان .

(٥) النجل : الواسعة ، وجيد عطل : أي لا حيل فيه .

لك الله من عزم أجوب جيوبه
 كأن الدجى نفع وفي الجوحومة
 كأن مطايانا سماء كأننا
 كأن السرى ساق ، كأن الكرى طلا
 كأن الفلا ناد به الجن فتية
 كأن أبانا أودع الملك الذي
 ولما بلوناكم تلونا مديحكُم
 ويا ملكاً أدنى مناقبه العلى
 هو البدر إلا أنه البحر زاخراً
 محاسن يديها العيان كما ترى

كأني في أجفان عين الدجى كحل
 كواكبها جند طواثرها رسل
 نجوم على أقتابها برجنا الرحل^(١)
 كأننا لها شرب ، كأن المنى نقل
 عليه الثرى فرش حشيتة الرمل
 قصدناه كنزاً لم يسع رده مطل^(٢)
 فيا طيب ما نبلو ويا حسن ما نتلو
 وأيسر ما فيه السماحة والبذل
 سوى أنه الضرغام لكنه الوبل^(٣)
 وإن نحن حدثنا بها دفع العقل

ومن أحاجيه قوله في فص برحشاني [من الهزج] :

أحاجيك أناجيك بما يهجن في صدري
 بما يجمد من خمير وما يخمد من جمر
 وما يورد معناه إذا قلت على أمري
 ونجم كاد ذو الحاجبة في الليل به يسري
 وحرف من حروف النصب لولا خفة الظهر
 أجب إن شئت بالنظم وإن شئت بالثر

* * *

(١) الأقتاب : الرجل الصغير على ظهر البعير .

(٢) المطل : التسويق من الماطلة .

(٣) الضرغام : الأسد الشجاع ، والوبل : المطر .

الباب السادس

في ذكر أبي الفتح البستي
وسائر أهل بست وسجستان وإيراد غررهم

٦٥ - أبو الفتح علي بن محمد الكاتب البستي

صاحب الطريقة الأنيقة في التجنيس الأنيس . البديع التأسيس ، وكان
يسميه المتشابه ، ويأتي فيه بكل طريقة لطيفة ، وقد كان يعجبني من شعره العجيب
الصنعة البديع الصيغة قوله [من البسيط] :

من كل معنى يكاد الميت يفهمه حسناً ويعبده القرطاس والقلم

ما أراه فأرويه ، وألحظه فأحفظه . وأسأل الله بقاءه ، حتى أرزق لقاءه .
وأتمنى قربه كما تتمنى الجنة وإن لم يتقدم لها الرؤية ، حتى وافقت الأمنية حكم
القدر وطلع علي بنيسابور طلوع القمر . فزاد العين على الأثر ، والاختبار على
الخبر . ورأيته يغرف في الأدب من البحر ، وكأنما يوحى إليه في النظم والنثر ، مع
ضربه في سائر العلوم بالسهم الفائز ، وأخذه منها بالحظ الوافر ، وجمعه وإياي
لحمة الأدب ، التي هي أقوى من قرابة النسب . فما زلت في قدماته الثلاث
نيسابور بين سرور وأنس مقيم ، من حسن معاشرته وطيب مذاكرته ومحاضرتة ،
في جنة نعيم أجتني ثمر الغراب من فوائده ، وأنظم العقود من فرائده . ولم يكن
تغبني كتبه في غيبته ، ولا أكاد أخلو من آثار وده ، وكرم عهده .

ومن خبره أنه كان في عنفوان شبابه وأمره كاتب الباتير ، صاحب بست ، فلما فتحها الأمير ناصر الدولة أبو منصور سبكتكين رضي الله تعالى عنه وأسفرت الواقعة بينه وبين باتير عن استمرار الكشفة بباتير أعيت أبا الفتح صحبتة ، وتخلف عنه ، ودل الأمير عليه فاستحضره ومناه واعتمده لما كان قبل معتمداً له ، إذ كان محتاجاً إلى مثله في آله وكفايته ، ومعرفته وهدايته ، وحنكته ودرايته .

فحدثني أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتيبي قال : حدثني أبو الفتح رحمه الله تعالى قال : لما استخدمني الأمير سبكتكين وأحلني محل الثقة الأمين ، عنده في مهمات شأنه وأسرار ديوانه ، وكان باتير بعد حياً ، وحسادي يلوون ألسنتهم بالقدح في والجرح لموضع الثقة بي ليّاً ، أشفقت لقرب العهد بالاختبار من أن يعلق بقلبه شيء من تلك الأقوال ، ويقرطس عرض القبول بعض تلك النبال ، فحضرته ذات يوم وقلت : إن همة مثلي من أرباب هذه الصناعة لا ترتقي إلى أكثر مما رأي الأمير أهلاً له من اختصاصه واستخلاصه وتقريبه وترتيبه واختياره لمهمات أسرار ، غير أن حداثة عهدي بخدمة من كنت به موسوماً واهتمام الأمير بنقض ما بقي من شغله يقتضياني أن أستأذنه للاعتزال إلى بعض أطراف مملكته ريثما يستقر له هذا الأمر في نصابه ، فيكون ما آتية من هذه الخدمة أسلم من التهمة ، وأقرب إلى السداد ، وأبعد من كيد الحساد ، فارتاح لما سمعه ، وأوقعه من الإجماد موقعه ، وأشار علي بناحية الرخج ، وحكمني في أرضها أتبوا منها حيث أشاء ، إلى أن يأتيني الاستدعاء ، فتوجهت نحوها فارغ البال ، رافغ العيش والحال ، سليم اللسان والقلم ، بعيد القدم من مخاضات التهم ، وكنت أدلجت ذات ليلة ، وذلك في فصل الربيع ، أوّم منزلاً أمامي ، فلما أصبحت نزلت فصليت وسبحت ودعوت وقمت للركوب ففتح ضياء الشروق طرفي على قرية ذات يمنة محفوفة بالخضرة . معمومة بالنور والزهر . وأمامها أرض كأنها قد فرشت ببساط من الزبرجد منضد بالدر والمرجان ، مرصع بالعقيق والعقيان . ينساب بينها أنهار

كبطون الحيات ، في صفاء ماء الحياة ، وقد فغمني من نسيم هوائها عرف المسك
السحيق ، بالعنبر العتيق . فاستطبت المكان ، وتصورت منه الجنان ، وفزعت
إلى كتاب أدب كنت أستصحبه لأخذ الفال على المقام والارتحال ، ففتحت أول
سطر من الصفحة عن بيت شعر وهو [من مجزوء الكامل] :

وإذا انتهيت إلى السلا مة في مداك فلا تجاوز

فقلت : هذا والله الوحي الناطق ، والفأل الصادق ، وقد تقدمت بعطف
ضبني إليها^(١) . وعشت ستة أشهر بها في أنعم عيش وأرخاه ، وأهنا شرب وأمراه .
إلى أن أتاني كتاب الأمير في استدعائي إلى حضرته بتبجيل وتأميل ، وترتيب
وترجيل ، فنهضت وحظيت بما حظيت منها إلى يومي هذا ، فكان اختياره ذلك
أحد ما استدل به ذلك الأمير على رأيه وتدبيره ورزاقته ، ودرجه به إلى محله
ومكانته ، وصار من بعد ينظم بأقلامه ، منشور الآثار عن حسامه ، وينسج
بعباراته . وشي فتوحه ومقاماته ، وهلم جرا إلى زمان السلطان المعظم يمين الدولة
وأمين الملة .

وقد كتب له عدة فتوح ، قال في أحد كتبها : كتبت وقد هبت ريح النصر من
مهبها ، والأرض مشرقة بنور ربها .

إلى أن زحزحه القضاء عن خدمته ، ونبذه إلى ديار الترك عن غير قصده
وإرادته ، فانتقل بها إلى جوار ربه في سنة اربعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها
أفضل الصلاة والسلام .

* * *

(١) بعطف ضبني : أي بالاتجاه ناحيتها وحط الرحال فيها .

ما أخرج من فصوله القصار ، ومن ألفاظه وأمثاله

من أصبلح فاسده ، أرغم حاسده . من أطاع غضبه ، أضاع أدبه . عادات السادات ، سادات العادات . من سعادة جدك ، وقوفك عند حدك . أفحش الإضاعة الإذاعة ، الخيبة تهتك الهيبة . الدعة رائد الضعة . من لم يكن لك نسيباً ، فلا ترج منه نصيباً . الرشوة رشاء الحاجة . اشتغل عن لذاتك ، بعمارة ذاتك . أجهل الناس من كان للإخوان مذلاً ، وعلى السلطان مدلاً . حبيبك لا يعيبك . الآثار ألسنة الأقدار ، إذا بقي ما قاتك^(١) ، فلا تأس على ما فاتك . الدنيا فناء الفناء . البشر عنوان الكرم ، ربما كانت الفطنة فتنة ، والمهنة محنة . من حسن أطرافه ، حسن أوصافه من تبرج بره . تأرج ذكره^(٢) . من كان عبد الحق فهو حر . المرء يهدم المروءة^(٣) . الفهم شعاع العقل . رضي المرء عن نفسه دليل تخلفه ونقصه . الحدة والندامة فرسا رهان ، والجود والشجاعة شريكا عنان ، والتواني والخبية رضيعا لبان . الفكر رائد العقل . الجود وضع الموجود ، بموضع الجود . نعم الشفيع إلى عدوك عقله ، لا تغتر بصحة مزاجك في الهواء الوبيء ، ولا تغتر بقوة بصرك في الظلمة الراكدة ، إفراط التعاقل ثاقل^(٤) الحدة تريك صورة الجهل . رب مقال لا تقال عثرته . حسن الأخلاق ، أنفس الأعلام ، المرء من غرر الأيام في غرر ومن صفوها في كدر ، أفضح الفضيحة عدم القريحة ، الحلم مطية وطية لكل علو ، يوشك أن يقصر من يغلو ويسفل من يعلو . كيف القرار ، على الشرار ، المنية تضحك من الأمنية . مسلك الحزن حزن ، ضيق الصدر ، من صغر القدر . أحصن الجنة ، لزوم السنة^(٥) ، الرد الهائل ، خير من الوعد

(١) إذا بقي ما قاتك : يعني القوت من أجل الحياة .

(٢) تبرج بره : أي انكشف خيره للناس فنالوا منه . تأرج ذكره : أي أصبح عاطراً .

(٣) المرء : من رأى رثاء ومراءة : أي أرى الآخرين خلاف ما هم عليه .

(٤) الإفراط : الإكثار .

(٥) الجنة : الدرع ، والسنة : الشريعة .

الحائل . الخلاف غلاف الشر ، من كان رأيه صحيحاً ، لم يكن بميسور البر شحيحاً ، نعم العدة ، طول المدة ، عسى تحظى في غدك برغدك ، زمام العمل بيد الأمل ، البرايا أهداف البلايا . طلوع العقوق ، أفول الحقوق . حد العفاف ، الرضى بالكفاف ، لا ضمان على الزمان ، من لزم السلم سلم . ليكن قرينك من يزينك . الخرق آفة الخلق^(١) . إفراط السخاوة رخاوة . ربما كانت العطية خطية . لا يعدم الصرعة ، ذو السرعة . الفلسفة فلٌ السفه^(٢) . لكل حادث حديث ، وربما أغنت المداراة عن المباراة . البشر نور الإيجاب ، ما كل خاطر بعاطر . البخل سوس السياسة . العفو يطمس الهفو . العقل جهيز النقل ، التبذل تبذل . العفيف يكفيه الطفيف ، ثقل العفيف خفيف . لسان النصيح فصيح ، التصلف ترجمان التخلف ، كفى بالنهاى ناهياً ، وبالهدي هادياً ، من تعطل تبطل . أدهى المصائب المعايب ، ربما تشوّر من تهوّر . إفراط الدماثة غثاثة ، إفراط الفخامة وخامة ، رب معبوط مغبوط^(٣) . إفراط التأني تواني . لا ضياع بين الصناعة والقناعة . الانصاف أحسن الأوصاف . عليك بالحذر من الهذر ، ربما تكون المنية هنية . معنى المعاشرة ترك المعاشرة . ما لخرق الرقيق مرقع . ربما تكون العناية جناية . من أفرط أورد . رب مورد هو مورط ، ورب مصعد هو مهبط . قدر الأمين ثمين . من قصر أمله ظهر عمله ، التضريب زند العداوة ، الشكر جنة الفارس . والصبر جنة الملابس . ظل الجفاء ، يكشف شمس الصفاء ، من لزم الأدب أمن العطب . قوتك قوتك . البيان علم العلم ، ليكن إقدامك توكلًا ، وإحجامك تأملاً . إخوان هذا الزمان خوان ، الناس عبيد الخواطر ، الغيث لا يخلو من العيث^(٤) . الحر نحل السكر إن أجنّاه المرء من برء شكدا^(٥) ، أجنّاه من سكره

(١) الخرق : الجهل ، والآفة : البلية .

(٢) الفلسفة فلٌ السفه : أي قطع السفاهة والقضاء عليها .

(٣) المغبوط : من عبط الذبيحة أي ذبحها ، أو الموت أخذ الإنسان شاباً ، ومغبوط : من غبط غبطاً وغبطة : أي أن يتمنى أحداً أن يكون حاله كحالهِ .

(٤) الغيث : المطر ، والعبث : الفساد في الأشياء . (٥) الشكد : أي الشكر والإعطاء .

شهدا . إن لم يكن لنا مطمع في درك درك ، فأعفنا من شرك شرك . لفلان طبع غير طبع ، وقريحة غير قريحة ، وخيم ، وخيم ، باع فلان الباسقات . واشترى الفاسقات .

فصل من كتاب له عن السلطان المعظم

إلى شمس المعالي في شأن الشيخين أبي نصر وأبي سعيد ابني الشيخ أبي بكر الإسماعيلي .

من علم الأمير شمس المعالي آدام الله عزه الكريم ، فكأنما علم الغيث سجاما^(١) ، والليث إقداما . وذلك لأن المكارم من خصائص معانيه ، ونتائج مساعيه ومعاليه . غير أن العادة جارية بهز السيّف وإن كان ماضي الغرار . وقدح الزند لا تنضاء ما فيه من الأنوار .

ومساق هذا القول إلى ذكر شيخينا أبي نصر وأبي سعيد ابني الشيخ أبي بكر الإسماعيلي أيدهما الله تعالى ورحم أباهما فإنهما غصنا دوحة شريفة ، وفرعا نبعة صليبة ، ولكلّ منها الفضائل التي سارت أخبارها ، والمحاسن التي سألت أوضاحها . ولئن جرى منهما فيما تقدم زلل فقد يكبو الحليم ، وينبو الحسام ومن عادته التصميم ، ولو لم يكن هفو ، لما عرف عفو . والكريم إذا قدر غفر وشكر الظفر ، وأنا أسأل الأمير أن يمن عليّ فيهما بما يعيد جاههما ، ويقل عثرتهما ، وينيل بغيتهما ، إن شاء الله تبارك وتعالى .

(١) السجّام : المخطول .

ما أخرج من ملحه في الغزل والخمر

قال [من البسيط] :

يا يوسف الحسن ليلي بعد فرقتكم
والشأن في أنني أرمى من أجلكم
وله [من الكامل] :

ومهفهف غنج الشمائل أزعجت
درت الطبيعة أن فاحم شعره
وله [من الكامل] :

قالت وقد راودتها عن قبله
لاقدم يداً من قبل أن تدني يداً
إن الغرام غرامة فمتى تكن
وله [من الكامل] :

ومهفهف يسعى بكأس مدامه
وإذا تثنى مائساً في مشيه
وله [من الكامل] :

أرأيت قد قال لي بدر الدجى
حاتم ترمقني بعيني ساهل
وله [من الرمل] :

(١) مُغَرَّمًا الأولى : من الغرام وهو الحب .

ومَغَرَّمًا الثانية : من الغرم : أي الدين والدَّيَّة ونحوهما أداها المرء عن غيره .

وغزتغل كلَّ من شبَّهه بلالٍ أو بيدٍ ظلمةً
قالَ إذ قبَلت بالوهم فمه قد تعدَّيت وأسرفت فمه

وله [من الخفيف]:

بأبي من أدار من خديّه مثل ما قد أداره بيديه
قمرٌ يقمر العقول بسحرٍ ماله مركزٌ سوى عينيه
هو أغنى الأنام عني ولكنَّ أنا من أفقر الأنام إليه

وله [من الخفيف]:

يا غزالاً أراه ندّاً وصدّاً بعد ما كان للوصال تصدّي^(١)
بيننا للرقب سدّاً فلا تجمع ذي الهوى مع السدّ صدّاً

وله [من الوافر]:

أوانٌ أنت في هذا الأوان عن الراح المروِّق في الأواني
تعال إلى الصواني مترعاتٍ وأبرز نورهن من الصواني
وفكّ إसार لذاتٍ عوانٍ بيكرٍ من كؤوسك أو عوان^(٢)

وله [من الخفيف]:

ربّ يومٍ للأنس فيه فراغٌ ولكأس السرور فيه مساغٌ
قد فرغنا له من البثّ والشكوى وما للكؤوس فيه فراغٌ
عند حرٍّ له فلائد في الأعناق من جوهر الأيادي تصاغ
بيننا للبخور غيمٌ وللما ورد طيشٌ وللغوالي رداغ^(٣)

(١) ندّ: هام على وجهه وشرذ ، وصدّ: امتنع وهجر . والوصال : اللقاء وتصدّي : برز وتهبّا .

(٢) العوان الأولى : الشديدة المتتالية ، والعوان الثانية : من النساء المتوسطة في السن .

(٣) الرداغ : الوَحْل والطين .

وله [من الكامل]:

يومٌ له فضلٌ على الأيامِ فالبُرْقُ يخفق مثل قلبِ هائمٍ
وكانَ وجهُ الأرضِ خدًّا متيمًّا فاطلب ليومك أربعاً هنَّ المنى
وجه الحبيب ، ومنظراً مستشرفاً وجه الغيم يبكي مثل طرفِ هامِي^(١)
وصلت دموع سحابه بسجام^(٢) وبهنَّ تصفو لذَّةُ الأيامِ
ومغنياً غرداً ، وكأس مدام مزجَ السحابُ ضياءه بظلامِ

وله في وصف الكتب والخط والبلاغة [من الوافر]:

كتابك سيدي جلِّي همومي كتابٌ في سرائره سرورٌ
فكم معنىً لطيفٍ ضمن لفظٍ فكم معنىً لطيفٍ ضمن لفظٍ
كراجٍ في زجاجٍ بل كروحٍ كراجٍ في زجاجٍ بل كروحٍ
وجلٌّ به اغتباطي وابتهاجي^(٣) مُناجيه من الأحزان ناجي
هناك تزوجا أيّ ازدواجٍ سرت في جسم معتدل المزاجِ

وله [من الطويل]:

بنفسي من أهدى إليّ كتابهُ فأهدى لي الدنيا مع الدين في درجٍ
كتابٌ معانيه خلال سطورِهِ لآلئ في درجٍ كواكب في برجٍ

وله [من البسيط]:

لما أتاني كتابٌ منك مبتسمٌ عن كلِّ برٍّ وفضلٍ غير محدودٍ
حكّت معانيه في أثناء أسطره آثارك البيض في أحوالي السود

وله من نتفة [من البسيط]:

(١) الطرف الهامي : العين الدامعة .

(٢) المتيم : العاشق ، والسجام : الدموع .

(٣) جلّ همومي : أذهبها ، وجلّ اغتباطي أي ازداد وكثر .

هـ إن سلّ أقلامه يوماً ليعملها أنساك كلّ كميّ هزّ عامله^(١)
 وإن أمرّ على رقِ آنامله أقرّ بالرق كُتّابُ الأنام له
 وله [من السريع]:

لم تر عيني مثله كاتباً لكلّ شيء شاء أو شاء
 يبدع في الكتب وفي غيرها بدائعاً إن شاء إنشاء
 وله [من البسيط]:

ما إن سمعت بنوّارٍ له ثمرٌ في الوقت يمتع سمع المرء والبصرا
 حتّى أتاني كتابٌ منك مبتسمٌ عن كلّ لفظ ومعنى يشبه الدررا
 فكان لفظك من لألائه زهراً وكان معناه في أنثائه ثمرا
 تسابقا فأصابا القصد في طلقٍ لله من ثمرٍ قد سبق الزهرا
 وله [من مجزوء الكامل]:

بأبي كلامك أيها السحر النقيّ من العيوب
 يجنيك من ثمر الكلا م ويجتني ثمر القلوب
 وله [من المتقارب]:

بأبي كلامك إنّي نظر ت منه إلى صورة الفاتن^(٢)
 كلامٌ تهشُّ إليه النفوس ويلقي القلوب بلا آذن
 بدأ بالمعاني وتهذيبها فأبرزها بالوجوه الحسان
 وقدّر ألفاظه بعد ذاك على ما اقتضته قدود المعاني

وله في أبي نصر بن أبي زيد [من المتقارب]:

(١) سلّ: شهر، والكمي: البطل الشجاع، والعامل: الرمح.
 (٢) كذا، صدر هذا البيت غير مستقيم الوزن.

له قلمٌ غربه لا يكلُ إذا كان حدٌ حسامٍ يكلُ
فيوجز لكنه لا يخلُ ويطنب لكنه لا يملُ
وكيف يملُ وتوفيق من أفاد العلوم عليه يملُ

وله [من البسيط] :

كتاب مولاي أوفى بي على أملٍ وصار في كلِّ نادٍ قبلة القبلِ
فقلت لما تراءت لي محاسنهُ وبردت بغوادي صوبها عللي
أما المعاني فأجسامٌ منعمَةٌ واللفظ أوشحةٌ الديباج والحلل^(١)

وله [من الوافر] :

إذا أحببت أن تحظى بسحرٍ فلا تختَرْ على لفظي وشعري
فأحسن من نظام الدرِّ نظمي وآنق من نثار الورد نثري

ومن ملححه في الفقهيات

وقوله [من الطويل] :

عليك بمطبوخِ النِّبذِ فإنه حلالٌ إذا لم يخطف العقل والفهما
ودع قول من قد قال إنَّ قليله معينٌ على الإسكار فاستويا حكما
فليس لما دون النِّصابِ قضية النِّصابِ وإن كان النِّصاب به نماً

وله في معناه [من البسيط] :

معاشر الناس أصبحوا قد نصحت لكم في الراح حكماً ملحياً غير ممقوتٍ

(١) الأوشحة : جمع وشاح ، وهو ما تتشح به المرأة .

قليلها مستباحٌ ، والكثير حمى كغرفة فردق من نهر طالوت^(١)

وله من قصيدة [من الرمل] :

يا بديع الفضل لا فينا ولكن في كرام الناس خير الناس ناس
أنت عين الجود نصاً وقياساً وبين الفقه نصٌ وقياسٌ

وله من قصيدة [من الكامل] :

زفت إليك لنا عرائس أربع ففضضتها بالسمع وهي قصائدُ
فابعث إليّ مهورهنّ بأسرها إنَّ النكاح بغير مهرٍ فاسدُ

وله [من مخلع البسيط] :

تخطب ودّي وليس كفواً لودك المبدع النبیه
فهل نكاحٌ بلا نكافٍ يجوز في مذهب الفقيه

وله من الأدبيات

قال [من مجزوء الرمل] :

وبصير بمعاني ال شعر والإعراب جداً
قال لي لما رأيته طالباً ملاً ورغداً^(٢)
إن مالي يا حبيبي لازم لا يتعدى

وله [من الطويل] :

عذلتُ ولم أذنبُ ولم أك جانياً وهذا الإنصاف الوزير خلافُ

(١) كغرفة فردق : يقصد بها الشاعر ما جاء في القرآن الكريم عند ما أعلم طالوت جنوده بأن الله مبتليهم بنهر

فمن شرب منه لا يكون من أتباعه إلا من اغترف غرفة واحدة .

(٢) الرفض : العطاء .

حذفت وغيري مثبتٌ في مكانه كَأَنِّي نونُ الجمع حين يضافُ

وله [من مجزوء الخفيف] :

إن عبد العزيز شيخٌ به يكشف الشُّبُه
وترى للخليل فيه وأقرانه شَبَه
وهو لا شك شاهدٌ أنَّ إبريقنا شبه^(١)

وله [من السريع] :

أدرجت في أثناء نسيانكم حتَّى كَأَنِّي ألف الوصل
ومن أخرى [من البسيط] :

أفدي الغزال الذي في النحو كلَّمني
وأورد الحجج المقبول شاهدها
ثم افترقنا على رأي رضىتُ به
مناظراً فاجتنتِ الشهد من شفته
محققاً ليريني فضل معرفته
والرفع من صفتي والنصب من صفته

ومن الطيبات والفلسفيات

قال [من الخفيف] :

لا يغرنك أَنِّي لِيْنُ المسِّ فغربي إذا انتضيت حسام^(٢)
أنا كالسورد فيه راحة قومٍ ثم فيه لآخرين زكام

(١) الشبه الأولى : أي ما تشابه من العلم وحصل فيه الالتباس .

والشبه الثاني : المثل والشبيه .

والشبه الثالث : أي أنه من النحاس .

(٢) لين المس : أي لين الملمس ، الغرب : السهم ، وانتضى : شَهَر .

وله [من المتقارب] :

وإنني لأختصُّ بعض الرجال وإن كان فدماً ثقيلاً عيماً^(١)
فإنَّ الجبن - على أنه ثقیلٌ وخیمٌ - يُشهي الطعاما^(٢)
وله من قصيدة [من البسيط] :

فلا تكن عجلاً بالأمر تطلبه فليس يحمد بعد النضح بحران^(٣)
وله من نتفة [من المتقارب] :

وقد يلبس المرء خزَّ الثياب ومن دونها حالة مضنيه^(٤)
كمَن يكتسي خدَّة حمرة وعلَّتها ورمٌ في الريه
وله [من الكامل] :

إن الجهول تضرُّني أخلاقه ضرر السعال بمن به استسقاء
وله [من الكامل] :

اقبلْ مشورة ناصحٍ نفاعٍ وتلقَ ما يهدي بسمعٍ واعٍ
لا تعتمد إلاً رئيساً فاضلاً إنَّ الكيان أطبُّ للأوجاع
وله [من الطويل] :

عذرتك يا إنسان إن كنت مغرماً بعذرٍ ومغرىً بالتحيل والنكت^(٥)
وكيف ألوم المرء في خبث فعله وأول شيءٍ قد غداه دم الطمث^(٦)

(١) القدم : الأحق الغليظ . العيام : العمي الثقيل .

(٢) صدر هذا البيت غير مستقيم الوزن .

(٣) النضح : رشاش الماء ونحوه أي أنه لا ينفع الماء الكثير بعد نضح الزرع بالماء .

(٤) في وفيات ابن خلكان « حاله مضنية » .

(٥) النكت : عدم الوفاء بالعهود والمواثيق .

(٦) الطمث : الحيض .

وله [من الكامل] :

عدل قطوبك بالبشاشة يعتدل وزناهما فيمن يذل ويكرم
فالحر طلق ضاحك ولربما تلقاه وهو العابس المتجهم
كالورد فيه عفوصة ومرارة وهو الذكي الناصر المتبسم^(١)

وله [من المتقارب] :

خفر الله واطلب هدى دينه وبعدهما فاطلب الفلسفة
لئلا يغرك قوم رضوا من الدين بالزور والفلسفه
ودع عنك قوماً يعيدونها ففلسفة المرء فل السفة

وله من النجوميات

قال [من البسيط] :

قد غص من ألمي أني أرى عملي أقوى من المشتري في أول الحمل
وأني زاحل عما أحاوله كأني أستدر الحظ من زحل

وله [من البسيط] :

إذا غدا ملك باللهو مشغلاً فاحكم على ملكه بالويل والحرب
أما ترى الشمس في الميزان هابطة لما غدا برج نجم اللهو والطرب

وله [من البسيط] :

لا تعجبن لدهر ظل في صبي أشرافه . وعلا في أوجه السفل^(٢)
وانقذ لأحكامه أنى تقاربها فالمشتري السعد عال فوقه زحل

(١) العفوصة : المرارة والتقبض يصعب معها الابتلاع .

(٢) الصيب : الانحدار .

وله [من الوافر] :

سل الله العظيم تسل جواداً
وإن أدناك سلطاناً لفضل
فقد تدني الملوك لدى رضاها
كما المريخ في التلث يعطي

وله [من المتقارب] :

ألا فثقوا بي فإنني كما
فلا كوكبي راجع في الوفا
تمدحت فليمتحن من يجِبُ
ولا برج قلبي بالمنقلب

وله [من المتقارب] :

لئن كسفونا بلا علة
فقد يكسف المرء من دونه
وفازت قداحهم بالظفر
كما تكسف الشمس جرم القمر

وله [من الرمل] :

شرف الوعد بوعدٍ مثله
ودليل الصدق فيما قلته
مثله ما فيه زيغٌ وخلل
شرف المريخ في بيت زحل

وله [من الكامل] :

قل للذي غرته عزةٌ ملكه
شرف الملوك بعلمهم وبرأيهم
حتى أخل بطاعة النصحاء
وكذاك أوج الشمس في الجوزاء

وله من نثفة [من المتقارب] :

وقد يفسد المرء بعد الصلاح
فساد الأماكن والشرُّ يعدي

(١) الحفد : التسرع ، أو الاستخدام .

كما السعد يقبل طبع النحوس إذا كان في موضع غير سعد
وله [من الرجز] :

ما أنس ظمآنً بعذبٍ باردٍ من بعد طول العهد بالموارد
إلا كأنسي بكتابٍ واردٍ من سيد محض النجار ماجد^(١)

* كأنما استملاه من عطار*

وله من نتفة [من الكامل] :

طبعي كطبع المشتري ما فيه من شوبٍ فهل من مشتري للمشتري^(٢)
ومن أخرى [من الكامل] :

يا من تولّى المشتري تدبيره حاشاك أن تنقاد للمريخ
ومن أخرى [من الكامل] :

لا تفزعن من كل شيءٍ مفزعٍ ما كلُّ تريع البروج بضائر^(٣)
ومن أخرى [من الخفيف] :

أيُّ عذرٍ أن صام عنه ثنائي وأنا الدهر منه في يوم فطر
وأتم الأشياء نوراً وحسناً بكر شكرٍ زُفّت إلى صهربر
ما قران السعدين في الحوت أبهى منظراً من قران برٍّ وشكر
وله [من المتقارب] :

(١) محض النجار : صافي الأصل .

(٢) الشوب : ما اختلط بغيره .

(٣) بضائر : مؤذٍ .

دعاني إلى بيته سيدُ له الخلق الأشرف الأظرفُ
فلازمت بيتي ولاطفته بعذرٍ هو الألفظ الأظرف
عطارد نجمي ولا شك أنْ عطارد في بيته أظرف

وله [من الكامل] :

يا معشرَ الكتاب لا تتعرضوا لرياسةٍ وتصاغروا وتخادموا
إنَّ الكواكب كنَّ في أشراقها إلا عطارد حين صوّر آدمُ

* * *

ومن ملح مدحه وما يتصل بها

قال [من الوافر] :

سيف الدولة اتسقت أمورُ رأيناها مبددة النظامِ
سما وحمى بني سامٍ وحامٍ فليس كمثله سامٍ وحامٍ

وله [من البسيط] :

يا من أعاد رميم الملك منشورا وضمَّ بالرأي ملكاً كان منشورا
أنت الأمير وإن لم تؤت منشورا والأمر بعدك إن لم تؤتمن شوري

وله من نثقة [من البسيط] :

وسائل الناس شتى عند سادتهم ولي وسائل آدابي وآمالي
فاسحب لبرك أذيالاً على أمني أسحب بشرك ما عمُرت أذيالي

ومن أخرى [من الطويل] :

مدحتك فالتامت قلائد لم يفزُ بأمثالها الصيد الكرام الأعظم
لأنك بحرٌ والمعاني لآلىءُ فطبعي غواصٌ وقولي ناظم

وقوله [من الكامل] :

فرواؤه ملءُ العيون ، وفضله
ملء القلوب ، وسيبه ملء اليد^(١)

ومن أخرى [من الوافر] :

أقول لمن يعلمه المعالي
أراك تعلم الصدر التزاماً
ويذكره لذي حقٍّ ذماما
لمن يهواه ، والثغر ابتساما

ومن أخرى [من المتقارب] :

رعى الله دولة كافي الكفاة
ولا زال إقبال هذا الزمان
وبلَّغَهُ كنه آماله
يقبُّل أطراف أقباله^(٢)

ومن أخرى [من البسيط] :

أفعاله غررٌ ، أقواله سورٌ
أقلامه قُضِبٌ ، آراؤه شهب .

ومن أخرى [من المتقارب] :

كأنَّ الغصون وقد أثقلتْ
رقاب الأنام وقد أصبحتْ
بما حملتْ من بديع الثمار
مثقلةً بالأيادي الكبار

ومن أخرى [من الكامل] :

لا تعظمَنَّ عليك مدحة خادمٍ
فالظفر وهو أحسنُ أجزاء الفتى
إيَّاكَ يقصر عن مذاك مديحهُ
يشفي بحكٍّ جسمه فيريحهُ

ومن أخرى [من الطويل] :

فتى جمع العلياء علماً وعفةً
وبأساً وجوداً لا يفيق فواقا

(١) الرِّوَاء : الماء العذب المروي ، والرِّوَاء : المنظر الحسن . والسَّيب : العطاء .

(٢) أقباله : المرتفع من الأرض ، أو مقاصده .

كما جمع التفاح حسناً ونضرةً ورائحةً محبوبةً ومذاقاً
ومن أخرى [من المتقارب] :

شكوت إلى جوده خلتي ورقة حالي وتقصير قسمي
ففزع من رقة الحال قلبي وأفرغ في قالب الرقّ جسمي

ومن أخرى في الأمير أبي نصر أحمد بن علي الميكالي [من الخفيف] :

جمع الله في الأمير أبي نصر خصالاً تعلو بها الأقدارُ
راحةً ثرةً وصدراً فضاءً وذكاءً تبدو له الأسرار
خطه روضةً وألفاظه الأزهار يضحكن والمعاني ثمار

وله [من الطويل] :

ولما رأيت الناس إلّا أقلّهم وأطيب ما مجّوا من السكر أخبثُ
نشرتُ ثناءً عطّرَ الأفقَ طيبُهُ كذاك ثناءَ الحرّ ندُّ مثلثُ
وألفتُ أحناءاً بشكرك لم يصبُ تناسبها زيرٌ ومثنى ومثلثُ^(١)

وله [من الكامل] :

يا سيد الأمراء يا من جوده أوفى على الغيث المطير إذا همي
الغيث يعطي باكياً متجهماً ونذاك يعطي ضاحكاً متبسّماً

وله [من الوافر] :

سقى الله امرأً إنْ كفّ دارتْ صروف زماننا ممّا يليه
فلم أر مثله حرّاً تولّى فولّى ما يليه ما يليه

وله [من مجزوء الخفيف] :

(١) الزّير : الوتر الدقيق من أوتار العود .

لا يسوءُكَ إنْ برا نِيَ دهرٌ فلم يُرْش^(١)
أنتَ عَشْرُ سالماً فَإِنَّكَ إنْ عشتَ أنتَ عَشْرُ

وله [من الكامل] :

ملكٌ يفيضُ على العفاة سجالة وعلى العداة بسطوه سجيلاً^(٢)
وَإِذَا حباك بغيرِ من ماله ثنى وأعقب غرةً تحجيلاً^(٣)

وله [من الطويل] :

أبوك حوى العليا وأنت مبرزٌ وللخمر معنى ليس في الكرم مثله
عليه إذا نازعته قصب المجد وللنار نورٌ ليس يوجد للزند
وخيرُ من القول المقدم فاعترف نتيجه ، والنحل يكرم للشهد

وله [من الخفيف] :

لا تظنن بي وبرك حي أن شكري شكر غيري موات
أنا أرضٌ، وراحتاك سماءٌ . والأيادي وبُلٌ ، وشكري نبات

* * *

ومن الإخوانيات

قال [من المتقارب] :

تحمل أخاك على ما به فما في استقامته مطعمُ
وأنى له خلقٌ واحدٌ وفيه طبائعه الأربعُ

(١) براني : أنحلني وأسقمني . ويرش : أي يجعل لي ريشاً ، أو يغنيني .

(٢) العفاة : المعدمين والسجال : العطاء والسجيل : الحجارة المسومة من نار .

(٣) حباك : وصلك وأعطاك وأعقب غرةً : وألحق لك بالخفاء عطاءً آخر .

أي أنه يعطي علانية وسراً والتحجيل : بياض في قوائم الفرس ، والتحجيل : الموافاة بالعطاء .

وله في مؤلف هذا الكتاب [من البسيط] :

قلبي مقيمٌ بنيسابور عند أخٍ ما مثله حين تستقري البلاد أخُ
له صحائف أخلاقٍ مهذبَةٍ منها الحجى والعلی والظرف تتسخُ
وله فيه أيضاً [من الطويل] :

أخُ لي زكيُّ النفس والأصل والفرع يحلُّ محلُّ العين منِّي والسمع
تمسكتُ منه إذ بلوت إخاءه على حالتي وضع النوائب والرفع
بأوعظ من عقلٍ وأنس من هوى وأرفق من طبعٍ وأنفع من شرع
وله فيه أيضاً [من المتقارب] :

إذا نسي الناس إخوانهم وخان المودة خوائها
فعندي لإخواني الغائبين صحائفُ ذكرك عنوانها
وله في أبي النصر العتيبي [من الهزج] :

كلامٌ لأبي النصر موفى واجبُ النحل^(١)
فما أدري جنى النحل أتاني أم جنى النحل

وكتب إلى بعض إخوانه [من المتقارب] :

لقاؤك يدني من المرتجى ويفتح باب الهوى المرتج^(٢)
فأسرع إلينا ولا تبطنُ فإنَّا صيامٌ إلى أن تجي

وكتب أيضاً [من الكامل] :

عندي فديتك سادةٌ أحرارُ وقلوبهم شوقاً إليك حرارُ
وشرابنا شربُ العلوم، وروضنا نزه الحديث . وثقلنا الأشعار

(١) النحل : العطاء .

(٢) المرتج : المفضل .

فامنن علينا بالبدار، فإنما أعمار أوقات السرور قصار^(١)
وله من نتفة [من البسيط] :

عرج عليّ فما في رونقي رنقٌ لمن أصافي، ولا في خلتي خلل^(٢)
وله من أخرى [من البسيط] :

ولا أصالح أنسي بعد فرقتكم حتى يصافح كفّ اللامس القمر
ولا أملٌ مدى الأيام ذكركم حتى يملّ نسيمُ الروضة السحرا
وله [من المنسرح] :

إن لم تكن نيّتي مصوّرةٌ ولم تكن واثقاً بناجيتي^(٣)
فسلّ ثنائي فإنّه علنٌ تشهد على نيّتي علانيتي

وله [من الكامل] :

قل للذي يرجو ثبات مودتي ودوام ما أعطيه من إخلاصي
أيدوم إخلاصٌ بغير مودّو كلاً ومُنزلُ سورة الإخلاص^(٤)

وله [من المتقارب] :

فهمت كتابك يا سيدي فهمت ولا عجب أن أهيم
وذاك لأنّي تأملتُ منه درّاً نطيماً وبرّاً عظيماً
وصادفته صدفاً للعلو مضمّن منها البديع اليتيما

(١) البدار : أكياسٌ توضع فيها الدراهم .

(٢) الرنق : الكدر .

(٣) الناجية : ما أسرّ له من عواطف قلبه .

(٤) سورة الإخلاص « قل هو الله أحد ، الله الصمد » .

فكم من كواكب تجلو البهيم
وكم روضة تستفيد الريا
وكم قد قراني لفظاً وسيماً
وكم من مشارع يروين هيماً^(١)
ض منهن نوراً ونبتاً عميماً
عليه من الطبع حسنٌ وسيماً^(٢)

وله [من الكامل] :

لا تحقرن أخاً وإن أبصرته
فالغصن يذبل ثم يصبح ناضراً
لك جافياً ولما تحب منافيا
والماء يكدر ثم يرجع صافيا

وله [من الكامل] :

ذكر أخاك إذا تناسى واجباً
فالرأي يصد كالحسام لعارض
أو عن في آرائه تقصير
يطراً عليه وصقله التذكير

وله [من الطويل] :

أتاني كتاب من أخ لي ماجل
وقلت لروحي كن له من جميع ما
فأكرم به بين المواهب وافدا
يخاف من الأيام أو يختشي فدا

وله [من الكامل] :

كم من أخ قد هدمت أخلاقه
نسي الوفاء ولست أنسى عهد ما
من آخر ما قد بنى في الأول
شاهدت منه في الزمان الأطول
يرمي سهاماً إن أسر المقت لي
بالكيد لا يقصدن غير المقتل^(٣)

وله [من مixel البسيط] :

أرقت حتى كأن عيني
قد وهبت لي بلا جفون

(١) البهيم : المظلم البهيم . والمشارع : مكان مشروع المياه للشراب . والهيم : الحيوانات .

(٢) لفظاً وسيماً : أي رائعاً ، وحسنٌ وسيماً : أي عليه سياء الحسن وعلاماته .

(٣) المقت : البغض .

ففاض في الخدماء عيني فحلته فاض من عيون
وذاك أنّ الزمان أفضى بي من سهولٍ إلى حزون^(١)
وسامني البعد عن أناس هم فارقوني فأرقوني

وله [من الخفيف] :

بأبي من شفى فؤاداً عليلاً بكلامٍ حكى النسيم عليلاً
زاد في طوله ارتياحاً إليه وغراماً به عريضاً طويلاً
كرضاب الحبيب يروي غليلاً ثم ينشئ إلى المزيد غليلاً

وله [من المتقارب] :

فديتك قلّ الصديقُ الصدوق وقلّ الخليلُ الحظيُّ الوفي
ولي رغبةٌ فيك إن ما وفيتُ فهل راغبٌ أنت في أنْ تفي

* * *

وله من باب الشكوى والعتاب

قال [من الطويل] :

عفاءً على هذا الزمان فائئهُ زمانٌ عقوقٍ لا زمان حقوقٍ
وكلُّ رفيقٍ فيه غير موافقٍ وكلُّ صديقٍ فيه غير صدوقٍ

وله [من الطويل] :

رأيتك تكويني بميسم منّةٍ كأنك قد أصبحت علّة تكويني^(٢)
وتلويني الحقّ الذي أنا أهله وتخرج في أمري إلى كلّ تلوين

(١) الحزون : الأرض الوعرة .

(٢) المسم : المكواة أو الآلة ، أو العلامة أو يريد : إنه يكويه بجميل صلاته وأنعامه .

فمهلاً ولا تمنن عليّ فبلغةً
من العيش تكفيني إلى يوم تكفيني^(١)
وله [من الطويل] :

ومن عجب أني لغيرك شافعٌ
ولكنّ أحرار الزمان وإن جفوا
وله [من الكامل] :

يا من عقدتُ به الرجاء فلم يكنْ
إن كان قد جرحَ المطامع عفتي
وله [من البسيط] :

لقاء أكثر من يلقاك أوزارُ
لهم لديك إذا جاءوك أوطار
أخلاقهم فتجنبهنّ أوعار
وله [من البسيط] :

لا تغبننّ ولا تخدعك بارقةٌ
فلو قلبت جميع الناس قاطبةً
لم تلفَ فيها صديقاً أبداً
وله [من الطويل] :

أبا قاسمٍ كم ظالمٍ متعجرفٍ
فسلمني الله الكريم بلطفه
نضالي حديّ سيفه وسانه
وصيرني في لطفه وضمانه

(١) البلغة : ما يكفي به من العيش ولا يفضل .
(٢) ياسو : من آسى مواساة : أي عزاه وسلاه .
(٣) أوطار : غايات ومقاصد .

ومنهم أبوك إنه سلّ مصلتاً
فلما غلا في ظلمه وعتوّه
صبرت على مكروهه فتكشفت
فإن تتقيه أو صبرت فإنما
وله [من الكامل] :

يا ذا الذي ركب الفساد وعنده
أضللت رأيك عامداً أو ساهياً
وله [من الطويل] :

أكتب بستٍ كم نناجزكم على
وخفٍ حنينٍ فوق ما تطلبونه
وله [من السريع] :

لله نيسابور من حلّة
للخير والمير بها كثرة
فيها كرامٌ سادةٌ أجلة
ما عيها إلاّ بعمالها
جفوا فما في طينهم للذي
فهذه أولى خطابي لهم
ما مثلها دارٌ ولا حلّة
للشرّ والضير بها قلة
سادوا على السادة والجلّة
فالبخل والمنع لهم ملّة
يعصره من بلّة بلّة
وبعدها ما يهتك الكلّة

وله [من السريع] :

-
- (١) العتوّ : الظلم ، والعير : البهائم . ولجّ : أكثر وألح ، والنزوة : الشرّ والميل الى الفساد .
(٢) سخنة العين : أي لم تقرّ عينه من حزن أو حرارة وألم .
(٣) خفّ حنين : مثل يضرب بمن سعى إلى شيء ولم يحصل عليه وعاد إلى دياره بالفشل والخسران .

ولم يطع أمري ولا زجري
تحوي مدى الغايات إذ تجري
حتى متى أجري بلا أجر

وله [من الكامل] :

ولكلهم فيها نصيب راتب
منها نصيبا شاعر أو كاتب
يسعد باعتاب الزمان معاتب

وله [من الهزج] :

بلا جرم ولا تبيل^(١)
وما زغنا عن العدل
د والهمة والفضل
وفي عزل وفي أزل^(٢)
على الكاتب أنتم لي

جعلنا أجنيين
وأقصينا وما خنا
فقل لي يا أخا السؤد
إلى كم نحن في ضيق
أما تنشط أن تملي

وله [من مخلع البسيط] :

مستحقراً ليس بالثمين
فكان غثاً بلا سمين

وجدت ما قد بعثت غثاً
فليت شعري قليت شعري

وله [من المتقارب] :

فدعه فدولته ذاهبه^(٤)

إذا ملك لم يكن ذاهبه

(١) ونى : ضعف وانكسر والزجر : النهي بشدة .

(٢) التبيل : العداوة ، والحقْد .

(٣) أزل : جذب وضيق وحبس .

(٤) ذاهبة : أي صاحب عطاء . وذاهبة : ماضية .

وله [من مجزوء الوافر] :

إلى حتفي مشى قدمي أرى قدمي أراق دمي
فكم أنقذ من ندم وليس بنافعي ندمي

وله [من الوافر] :

ألم تر ما ارتآه أبو علي وكنت أراه ذا لبٍّ وكيس
عصى السلطان فابتدرت إليه جنودٌ يقلعون أبا قبيس
وصير طوس معقله فأمسى عليه طوس أشأم من طويس

وله [من البسيط] :

قلٌ للذي غره عزٌ وساعدة فيما يحاوله نقضٌ وإمرار^(١)
لا تفتخر بغنى أمطيت كاهله فإن أصلك يا فخار فخار

وله [من مخلع البسيط] :

قل للوزير الكريم قولاً يغض من ناظر الكريم
دارك لي جنة ولكن بوابها مالك الجحيم

وله [من المتقارب] :

إلى الله أشكو اتصال الخطوب وصرف زمانٍ بلينا به
وقد كان يسم عن ثغره فأصبح يكشر عن نابيه

وله [من مخلع البسيط] :

الدهر خداعٌ خلوب وصفو بالقذى مشوب^(٢)

(١) نقض وإمرار : حلٌ وربط وقتل من نقض الحبل : حله ، وامره : قتله .

(٢) ورد الصدر « الدهر خداعة خلوب » . ولا يستقيم الوزن واللغة . ومشوب : ممزوج .

وأكثر الناس فاعتزلهم قوالبُ مالها قلوب
فلا تغرَّنك الليالي وبرقها الخلبِ الكدوب
ففي قفا أنسها كروب وفي حشى سلمها حروب

وله [من الخفيف]:

نحن والله في زمانٍ سفيه يصفع النائبات من كأس فيه
فتشكَّلُ بشكله يكُ أحفى بك ، إنَّ السفيه صنو السفيه

وله [من مخلع البسيط]:

الدهر سلمٌ لكلٍ نذلٍ لكنه للكريم حربُ
فارثُ لذي حكمةٍ وإربٍ فحظه غمةٌ وكربُ
همته للسماك سمكُ وخده للتراب تربُ

وله [من الوافر]:

إذا أحسست في لفظي فتوراً وخطي والبلاغة والبيان
فلا ترتبْ بفهمي . إن رقصي على مقدار إيقاع الزمان^(١)

وله [من الوافر]:

أراح الله قلبي من زمانٍ محت يده سروري بالإساءة
فإن حمد الكريم صباح يومٍ وأتني ذاك لم يحمدُ مساءه

(١) ترتب : أي تشك ، والإيقاع الموسيقى والحركات .

وله من باب الذم والهجاء

قال [من السريع]:

شيخٌ لنا يُقَطِّعنا عرضه	من قبل أن يُقَطِّعنا ماله
أخيبُ خلق الله من خالِه	حرّاً ومن شام صدى خالِه ^(١)
وأكثرَ الفتيانِ بئاً فتى	بيّنه معتفياً حاله
شيخٌ كثير المال لكنّه	ملكٌ ما يملكِ أفضالُه
وكلُّ ما عنّ له مشكلٌ	وراح أن يوضح أشكاله
يبنى على الفكرة أعماله	وذاك في التحقيق أعمى له
فقيّض الرحمن أفعى له	تريه في الخلوة أفعاله

وله [من الكامل]:

من مبلغ الأشرار عني أني	ما دام لي حسٌّ وعرقٌ ينبضُ
أقلّهم طراً لأنّي ضدّهم	والضدُّ للضدِّ المنافر مبغضُ
فاذا رأوني مقبلاً فليعلموا	أنّي بوجه الجدّ عنهم معرضُ

وله [من البسيط]:

إذا اتخذت أخاً فاسبرِ خلائقه	فإن ذا الحزم والتدبير من سبرا ^(٢)
ولا تعول على شخصٍ له عم	وصورة ذات حسن تبهر القمرأ
فكم فتى راق منه ظاهرٌ حسنٌ	وكان باطنه ضدّ الذي ظهرا
أعدّته لصروف الدهر مدخراً	فكان في السبك والتحقيق مدخرا

وله [من السريع]:

(١) خاله : حسيه ، وشام : تطلع ونظر . وخاله : تخيُّله .

(٢) سبر : كشف .

يا قوم أرعونيَ أسماعكم حتى أؤدي واجب الفرض^(١)
أشهد حقاً أن سلطانكم ليس بظلم الله في الأرض
وله [من السريع] :

لي صاحبٌ أحقُّ هلباجه دعوتهُ الكبرى بلا باجه^(٢)
يقري الأخلاء . ولكنهُ يطبخ في خديه سكباجه
وله [من السريع] :

قلتُ له لمّا مضى وانقضى لا ردك الرحمن من هالك
أما وقد فارقتنا فانتقلُ من ملك الموت إلى مالك
وله [من مجزوء الرمل] :

لي جارٌ فيه حيره عرسُهُ تلعن أيره
خلق الله إليه الناس للغيرة لغيره
وله [من الكامل] :

في الناس من تجنيسه تجنيس أبداً كما تدرسه تدليس^(٣)

ومن باب الشيب والكبر

قال [من الخفيف] :

دع دموعي تسيل سيلاً بدارا وضلوعي يصلين بالوجد نارا^(٤)

(١) أرعوني : أعروني .

(٢) الهلباجه : الأحمق الضخم الأكل الجامع كل شر . باجه : صرفه ، والرجل صاح وأمر باج :

أي سواء . (٣) التدليس : الإتيان في الحديث بغير الثابت المتين .

(٤) سيلاً بداراً : أي سيلاً مسرعاً والوجد : الحب الشديد .

قد أعاد الأسى نهاري ليلاً مذ أعاد المشيب ليلي نهارة
وفه [من الكامل] :

يا شيتي دومي ولا تترحلي وتيقني أني بوصلك مولعُ
قد كنت أجزع من حلوك مرةً فالآن من حذر ارتحالك أجزعُ
وله [من الخفيف] :

ما استقامت قناة رأبي إلا بعد ما قوس المشيب قناتي
وله [من الطويل] :

أرى المرء يرجو أن يطول بقاءه ليدرك ما يرجو بطول بقاءه
فأية جدوى في البقاء وقد هت قواه وأقوى قلبه من زكائه
إذا ما نبا حسٌ وكلتُ بصيرةً فطول بقاء المرء طول شقائه

ومن باب الأمثال والنوادر والحكم والمواعظ

وما يجري مجراها

قال [من مجزوء الرمل] :

بين من يعطي ومن يأخذ في التقدير عرضُ
فيد المعطي سماءٌ ويد الآخذ أرضُ
وعلى الآخذ أن يشكر إن الشكر فرضُ

وله [من الخفيف] :

كنت في نعمةٍ وظلٌ رخاءٍ ونسيمٍ من النعيم رخاءٍ
فاتبع الهوى وخالفت رأبي واتباع الهوى وبئس الهوى

وله [من الطويل]:

حبست ومن بعد الكسوف تبُّلجُ
فلا تعتقدُ للحبس غمّاً ووحشةً

وله [من الطويل]:

أفد طبعك المكدود بالهم راحةً
ولكن إذا أعطيته ذاك فليكنُ

وله [من البسيط]:

لا تنكرنْ إذا أهديت نحوك منْ
فقيّمُ الباغ قد يهدى لمالكة

وله [من البسيط]:

لا تحسبني إذا أوليتني نعماً
فإنني نحلُّ شكرٍ إن جنى ثمرأ

وله [من الكامل]:

لا درّ درّ نوازل الأحداث
فغدت مأنسنا وهنّ مقابرُ

وله [من الطويل]:

توقّ خلافاً إن سمحت بموعدي
فلو أثمر الصفصاف من بعد نوره

وله [من البسيط]:

من شاء عيشاً رخيّاً يستفيدُ به

تضيء به الأفاق للبدر والشمسِ
فأولُ كون المرء في أضيّق الحبسِ

تجمّ وعلّله بشيء من المزح^(١)
بمقدار ما تعطي الطعام من الملح

علومك الغرُّ أو آدابك التنفا
برسم خدمته من باغه التحفا

أنّي أخو وهنٍ في الشكر أو كسلٍ
أجناك من قوله أحلى من العسل

نقلتُ أحبّتنا إلى الأحداث
وغدت مدائحنا وهنّ مراثي

لتسلم من هجو الورى وتعافى
وإراقه ما لقّبوه خلافا

في دينه ثم في دنياه إقبالا

(١) المكدود : المغلوب ، ونجم : تراح .

فلينظرنَّ إلى من فوقه أدباً . ولينظرنَّ إلى من دونه مالا
وله [من الكامل] :

إن كنت تطلب ثروةً وغنىً فعليك بالإجمال في الطلب
فالرُّسل ليس يدرُّ في العلب من غير إيساس ولا حَلَب^(١)
وله [من المنسرح] :

لا تحقر المرء إن رأيت به دمامةً أو رثاءةً الحُلل
فالنحل شيءٌ على ضؤولته يشتار منه الفتى جنى العسل^(٢)
وله [من المتقارب] :

إذا ما اصطفت أمرءاً فليكنْ شريف النَّجار زكي الحسبْ
فندلُّ الرجال كندل النبات فلا للثمار ولا للحطبْ
وله [من المتقارب] :

رضيتُ بعيش كفافٍ حلالٍ وبعث المدام بماءٍ زلالٍ
فمن يك يحلّوله ما يصيب حراماً فإنَّ حلالِي حلالِي
وله [من السريع] :

دعني فلن أخلق ديباجتي ولست أبدي للورى حاجتي
عليّ أن ألزم بيتي وأنْ أرضى بما يحضر من باجتي^(٣)
منزلي يحفظها منزلي وباجتي تحفظ ديباجتي
وله [من السريع] :

(١) الرُّسل : اللبن ، والإيساس : الدعوة للحلب .

(٢) إشتار : يستخرج .

(٣) الباجة : أي ما يخصني .

يا أيها السائل عن مذهبي ليقتدي فيه بمنهاجي
منهاجي العدل وقمع الهوى فهل لمناجي من هاجي
وله [من الطويل]:

يقولون ذكر المرء يحيا بنسله فقلت لهم نسلي بدائع حكمتي
وليس له ذكرٌ إذا لم يكن نسلُ فان فاتنا نسلُ فانّا بها نسلو^(١)
وله [من الوافر]:

نصحتك جامل الإخوان طراً ولا ترجُ الصفاء بغير مذاق
على عذب سقوه أو أجاج فلا يخلو السراج من السناج^(٢)
وله [من المتقارب]:

إذا ما هممت بكشف الظلم فعول على خلتين اثنتي
وحفظ الثغور وسد الثلم ن خرق الحسام ورفق القلم^(٣)
وله [من البسيط]:

لا يعدم المرء كنأ يستكن به ومن نأى عنهم قلت مهابته
ومنة بين أهليه وأصحابه كالليث يحقر إمّا غاب عن غابه
وله [من الرجز]:

ألذ من رشف رضاب الحور والبارد الزلال للمخمور
ومن رضاع درق السرور رشف الثناء من فم الشكور
وله [من الطويل]:

تأخّرت عن قومٍ ولا غرو أنّي سأسبقهم بالجدّ والجدّ معوان

(١) نسلي : عاقبتني من بعدي ، ونسلو : نصبر من السلو .

(٢) المذق : المزج ، ومذق اللبن : خلطه بالماء ، والسناج : أثر دخان السراج في الحائط .

(٣) الخرق : الغلظة ، والخشونة .

أَلَسْتُ تَرَى الْعَنْوَانَ يُكْتَبُ آخِراً
وله [من الطويل] :

إِذَا حَيَوَانٌ كَانَ طَعْمُهُ ضِدَّهُ
وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمَرْءَ طَعْمُهُ دَهْرُهُ
وله [من الكامل] :

لَا يَسْتَخْفِنُ الْفَتَى بَعْدُوهُ
إِنَّ الْقَذَى يُوْذِي الْعَيُونَ قَلِيلُهُ
وله [من الطويل] :

أَحْرَكَ بِالتَّذْكِيرِ قَوْمًا لَعَلَّهُ
وإن كَانَ تَحْرِيكِي يَشْقُ عَلَيْهِمْ
وله [من الطويل] :

لَقَدْ هَنَّتْ مِنْ طَوْلِ الْمَقَامِ وَمَنْ يُقِمُّ
وَطَوَّلَ جَمَامَ الْمَاءِ فِي مَسْتَقَرِّهِ
وله [من البسيط] :

لِئِنْ تَنْقَلَّتْ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ
فَالْحَرُّ حَرٌّ عَزِيزُ النَّفْسِ حَيْثُ ثَوَى
وله [من البسيط] :

إِذَا تَحَدَّثْتَ فِي قَوْمٍ لَتَوْنَسَهُمْ
بِمَا تَحَدَّثْتَ مِنْ مَاضٍ وَمِنْ آتِي

(١) الوقْر : الصَّمَم .

(٢) الزير والبم : من أوتار العود ، والنقر : الضرب .

(٣) الجمام : المكوث والراحة .

فلا تعيدُنْ حديثاً إنَّ طبعهم
وله [من المتقارب] :
بمعاداة موكلٌ المعاداتِ

إذا خذِلَ المرء من نفسه
وشرَّ سلاحٍ يحامي به
وله [من الطويل] :
فليس له من سواه نصيرُ
لسانٌ طويلٌ وباعٌ قصيرُ

دعوني وأمري واختياري فإنَّني
إذا مرَّ بي يومٌ ولم أصطنع يداً
وله [من السريع] :
عليمٌ بما أفري وأخلق من أمري^(١)
ولم أستفد علماً فما هو من عمري

أشفيقُ على الدرهم والعينِ
فقوَّةُ العينِ بإنسانها
وله [من الكامل] :
تسلم من العينة والذين^(٢)
وقوَّةُ الإنسان بالعينِ^(٣)

يا من يرجى أن يعيش مسلماً
أفرطت في شطط الأمانى فاقصدُ
ليس الأمان من الزمان بممكنٍ
معنى للزمان على الحقيقة كاسمِهِ
وله [من المتقارب] :
جدلان لا يدهى بخطبٍ يحزنُ
واعلمُ بأنَّ من المنى ما يفتنُ
ومن المحال وجود ما لا يمكنُ
فعلامٌ ترجو أنه لا يزمنُ^(٤)

وثقت بربي وفوضت أمري
إليه وحسبي به من مُعينِ

(١) أفري : أقطع .

(٢) العين : المال والنفيس ، والعينة : الحاجة .

(٣) إنسان العين : يؤبؤها .

(٤) يزمن : يمرض .

فلا تبشّس لصروف الزمان ودعني فإنّ يقيني يقيني

٦٦ - أبو سليمان الخطابي أحمد بن محمد بن إبراهيم

كان يشبه في عصرنا بأبي عبيد القاسم بن سلام في عصره علماً وأدباً وزهداً وورعاً وتديساً وتأليفاً ، إلا أنه كان يقول شعراً حسناً وكان أبو عبيد مفتحاً . ولأبي سليمان كتب من تأليفه وأشهرها وأسيرها كتاب في غريب الحديث وهو في غاية الحسن والبلاغة .

وأنشدني غير واحد له [من الطويل] :

وما غمّة الإنسان في شقّة النوى ولكنّها والله في عدم الشكل
وإنني غريبٌ بين بست وأهلها وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي
وقد أخذ هذا المعنى عمر بن أبي عمر السجزي فقال [من الطويل] :

وليس اغترابي في سجستان أنّي عدمتُ بها الإخوان والدار والأهلا
ولكنّني ما لي بها من مشاكل وإنّ الغريب الفرد من يُعدم الشكلا^(١)
وأنشدني أبو الفتح قال : أنشدني أبو سليمان لنفسه [من البسيط] :

شرُّ السباع العوادي دونه وزرُّ والناس شرّهم ما دونه وزرُّ
كم معشرٍ سلّموا لم يؤزهم سبعٌ وما نرى بشراً لم يؤذِهِ بشرٌ
وأنشدني له أيضاً [من البسيط] :

ما دمت حياً فدار الناس كلّهم فإتّما أنت في دار المداراة

(١) المشاكل : الشبيه .

(٢) العوادي : الضاربة ، والوزر : الملجأ .

من يدر داري ومن لم يدر سوف يرى عمّا قليلٍ نديماً للنداماتِ

وله [من الوافر] :

لعمرك ما الحياة - وإن حرصنا عليها - غير ريحٍ مستعارةٍ
وما للريح دائمةٌ هبوبٌ ولكن تارةً تجري وتارةً

وله [من البسيط] :

وقائل ورأى من حجتِي عجباً : كم ذا التواري وأنت الدهرُ محجوبُ
فقلت : حلَّت نجومُ العمر منذ بدا نجمُ المشيب ودَيْنُ الله مطلوبُ
فلذت من رجلٍ بالاستتار عن الـ أبصار إنْ غريم الموت مرعوبُ

وله [من الطويل] :

تغنّمُ سكونِ الحادثات فإنّها وإن سكنتُ عمّا قليلٍ تحرّكُ
وبادر بأيامِ السلامة إنّها رهونٌ وهل للرهن عندك متركُ

وله [من البسيط] :

قلّ للذي ظلّ يلحاني ويعذلني لنائلٍ فاتهُ ، والخيرُ مأمولُ
لا تطلب السمن إلاّ عند ذي سمنٍ نال الولاية فالمعزول مهزولُ

وله [من الكامل] :

قد جاء طوفان البلاء ولا أرى في الأرض ويحي للنجاة سفينةُ
فاصعدُ إلى وزر السماء فإن يكنُ يعيبك فابك لنفسك المسكينه^(١)

(١) وزر السماء : الملجأ العالي والمنيع . ويعيبك : يحميك ويمنعك .

وله [من الطويل] :

تسامح ولا تستوفِ حقَّك كَلَّهُ وأبْقِ فلم يستقصِ قطُّ كريمٌ^(١)
ولا تغلُّ في شيءٍ من الأمرِ واقتصدْ كلا طرفي قصدِ الأمورِ ذميم

وله [من مخلع البسيط] :

قد أولع الناس بالتلاقي والمرء صبُّ إلى هواه
وإنما منهم صديقي من لا يراني ولا أراه

وله [من الطويل] :

سلكت عقاباً في طريقي كأنها صياصي ديوكٌ أو أكفُ عقابٍ^(٢)
وما ذاك إلا أنْ ذنباً أحاط بي فكان عقابي في سلوكِ عقابٍ

وله [من البسيط] :

إذا خلوتُ صقاً ذهني وعارضني خواطرُ كطراز البرق في الظلمِ
وإن توالى صياحُ الناعقين على أذني عرثي منه حكلة العجم^(٣)

٦٧ - أبو محمد شعبة بن عبد الملك البستي

سمعت أبا الفتح البستي يقول : لما أنشدني شعبة قوله [من المنسرح] :

فدیت من زارني على حذرٍ من الأعادي وقلبه يجِبُ^(٤)
فلو خلعتُ الدُّنيا عليه لما قضيت من حقه الذي يجِبُ

(١) استوفى حقه : أخذه بكامله . وأبق : أي اترك ، لم يستقص : أي لم ينل حقه كاملاً ، لأن الكريم يتسامح بشيء من ماله .

(٢) العقاب : أي العقبات المعترضة . والصياحي : مغالب في سوق الديكة .

(٣) الحكلة : العجمة وعدم الإيانة والإفصاح .

(٤) الوجيب : الخفقان .

استحسنته ، وأنا إذ ذاك في زمان الصبا ، فأخذت نفسي سلوك طريقته في
المتشابه حتى قلت ما قلت .

قال : وأنشدني أيضاً لنفسه [من الكامل] :

إن كنتَ أزمعتَ الفراق فلا تدعْ نفسي تعاجلني بوشكٍ فراقِ
وأصلٌ بكتبك ميثاً يحييه ما يلقاه فيها من غداة تلاقي

وأنشدني غيره له [من البسيط] :

نفسى الفداء لمن لم أخلُ مذ علقتُ نفسي بذكراه من حسنٍ وإحسانِ
ما إنْ تزال أياديه تواصلني كأنه - وأنا أهواه - يهواني

وله [من الوافر] :

لكلُّ من بنى الدنيا مرادٌ ومالي غير وصلك من إرادَه
فلو شاهدت قلبي لم تجده تضمّن غير حبّك والشهادة

أخذه من قول القائل [من السريع] :

لو شقُّ قلبي لرأوا بينه حبّك والتوحيد في سطر^(١)

وله [من الخفيف] :

ضقت ذرعاً بذلتي واعترابي وفراق الإخوان والأحباب
جاوز الدهر حدةً في اهتضامي وكانَ الزمان يهوى عذابي
لايني في حشاي مسمومٌ نابٍ لليالي وفي فمي كأس صاب^(٢)
زمنٌ جائرٌ وجَدُّ عثورٌ وأسى لازمٌ وزندٌ كابي

(١) في «ب» «فلو شقّ قلبي رأوا بينه» وصدره غير مستقيم فأصلحناه إلى ما ترى .

(٢) لا يني : لا يتعب ولا يفتر ، والصاب : العلقم .

٦٨ - أبو بكر النحوي البستي

له شعر كثير ، لا يحضرني الآن منه إلا قوله لأبي بكر الخوارزمي ، وكان هجاء بقوله [من مجزوء الرجز] :

نحويكم في حمقه معرفة لا نكره
ذو لحيه مبسوطه وفطنة مختصره

وغير ذلك ، فقال [من الطويل] :

وعاوي عوى مناهل خوارزم خيفة كذا الكلب عند الخوف مجتهداً يعوي
تعاظم فعلي أهل ودِّي أن رأوا سكوتي وهجري هجو من دأبه هجوي
قلت : اسكتوا فالهجونجو وإنني حلفت بأن لا أغسل النجو بالنجو^(١)

* * *

٦٩ - الخليل بن أحمد السجزي

كان أحد الأئمة في فقه الحنفية ، ومن شعراء الفقهاء ، وتقلد القضاء لآل سامان بسجستان وغيرها سنين كثيرة ، وهو القائل لأبي جعفر صاحب سجستان في تهنته بقصر بناه [من السريع] :

شيدت قصرأً عالياً مشرفاً بطائريّ سعدٍ ومسعودٍ
كأثما يرفع بنيانه جنّ سليمان بن داودٍ
لا زلت فيه باقياً ناعماً على اختلاف البيض والسود

وكان مكتوباً في صدر الإيوان الذي فيه [من البسيط] :

(١) أغسل النجو : أي الغائط ، بالنجو : بالسحاب الذي صبّ مطره .

من سرّه أن يرى الفردوس عاجلةً فليُنظرَ اليوم في بنيان إيواني
أو سرّه أن يرى رضواناً عن كثبٍ بملء عينيه فليُنظرَ إلى الباني
ولما قتل أبو جعفر أمر الخليل أن يكتب تحتها من قبله [من البسيط] :

لو كانت الدار فردوساً وساكنها رضوانٌ لم ييلُ فيها جسمُ رضوانِ
الموت أسرع في هذا فأهلكه والدمر أسرع في تخريب إيوانِ
وأُشد الخليل قول التنوخي القاضي [من الطويل] :

خُذِ الفلاس من كفِّ اللّثيم فائهُ أعزُّ عليه من حشاشة نفسهِ
ولا تحتشم ما عشتَ من كلِّ سفلةٍ فليس له قدرٌ بمقدار فلسهِ
فعارضه بقوله [من الطويل] :

صن النفس عن ذلِّ السؤال ونحسهِ فأحسن أحوال الفتى صونُ نفسهِ
ولا تتعرّضْ للثّيم فائهُ أذلُّ لديه الحرّ من شطر فلسهِ
وكتب إليه أبو القاسم السجزي الذي تقدم ذكره يستفتيه [من مخلع البسيط] :

هاك سؤالاً ففيه شرقُ هاتِ فأحضِرْ له الجوابا
هل في اصطبارٍ لذي اشتياقٍ على فراقٍ ترى ثوابا
فأجابه بهذين البيتين [من مخلع البسيط] :

أحضرتُ عن قولك الجوابا أتلو ببرهانه الكتابا
الله وفى الصبور أجراً يفوت في فضله الحسابا

وكتب إليه مرة أخرى يكنى عن القبله [من الطويل] :

إمام الورى هل للفتى في اشتياريهِ من الأرى ما يبقّي حشاشته وزر^(١) ؟

(١) اشتياريه : استخراجّه ، والأرى : عسل النحل ، والحشاشة : الروح ، والوزر : الذنب .

فأجابه بهذا البيت [من الطويل] :

أرى الأرى في حكم الشريعة شورةً مباحاً لمن كان قد كان في ملكه الدبر^(١)

* * *

٧٠ - أبو زهير بن قابوس السجزي القاضي

من شعره قوله [من الكامل] :

نظرتُ إلى رأسي فقالت ماله قد ضمّ فوديه قناعٌ أدكنُ
يا هذه لولا النجوم وحسناها لم تألف الليل البهيمَ الأعينُ
فتضحكت عجباً وقالت يا فتى نقصان عقلك في قياسك بينُ
الليل يحسنُ بالنجوم وإنما ليل الشباب بلا نجومٍ أحسنُ

وله [من المتقارب] :

إذا المرء لم يركب الأشقرا ولم يصد الشادن الأحورا
ولم يتمتع بطيب الطعام ولين اللباس وقد أيسرا
فقد عدم الربيع من عمره وقد حصد المتجر الأخرى

* * *

٧١ - أبو القاسم محمد بن محمد بن جبير السجزي

كاتب الأمير خلف ، والأخذ من النثر والنظم بطرفيهما ، وله شعر كثير وقع
إلى بخطه فلم أستصلح منه لكتابي هذا غير مقطوعات سلك فيها طريقة أبي الفتح
وضرب فيها على قلبه ، فمنها قوله [من الكامل] :

بأبي غلامٍ لست غير غلامِهِ مذ جاد لي بسلامِهِ وكلامِهِ

(١) الدبر : بفتح الدال وسكون الباء . أي النحل .

ذو حجبٍ ما إن رأيت كونه أبداً ، وصدغ ما رأيت كلامه^(١)
وقوله [من الكامل] :

وحديقة صَبَّحْتُهَا في فتية كحديقة ، والطير في أوكارها
كم ماجنٍ فينا وكم متعَفِّفٍ قد صار يمجن طائعاً أو كارها
وقوله [من المتقارب] :

أرى الدهر ينسي ذنوب الرجال ويذكر ذنبي وذنبى كمال^(٢)
يرمون شأوي ، وما إن لهم من الفضل قولٌ وفعل كمال^(٣)
فأموالهم قد تصان كعرضي وأعراضهم تستباح كمال^(٤)
وقوله [من السريع] :

يا ماکراً بي وبخلانِيهِ مهلاً فما المکر من المکرّماتِ
عليک بالصحبة فهي التي تحيا فتحييک إذا المکرّماتِ
* * *

٧٢ - أبو العباس أحمد بن إسحاق الجرمقي

كاتب فيلسوف مهندس شاعر ، من كتاب الأمير خلف ، وتنقلت به الأحوال
والأسفار بعده ، فوقع إلى نيسابور في عوده إلى بلاده ، ومن مشهور شعره قوله [من
المتقارب] :

رحلتُ وذاهبٌ عقلي ورأيي لبعذك باءٍ ودانٍ ورائي
أسير أسير الهوى سادراً فعزمي أمامي ورأيي ورائي

(١) الصدغ : ما بين العين والأذن من الوجه .

(٢) كمال : هو هنا « كمال » مضافاً لياء المتكلم .

(٣) كمال : هو هنا كاف التشبيه وما الموصولة ولام الجر وياء المتكلم .

(٤) كمال : هو هنا كاف التشبيه ولفظ « مال » مضافاً لياء المتكلم .

وقوله مع الإشارة [من الوافر] :

أنا من لست أعرف لي سواه من الأقوام ركناً أو ملاذاً
أحبك حباً صَبَّ مستهامٍ وفي استِ أمّ الذي يقلبك هذا
وكتب لي بإسفرائين شيئاً من شعره ، فمن ذلك قوله من قصيدة في أبي الفتح
بشر بن علي ، أولها [من المنسرح] :

غيري يطلُّ الدموع في الطلل موهماً بالغزال والغزل
كنت عزوفاً عن الملاعب في غدوة عمري فكيف في الطفل^(١)
ولم يكن لي من الهوى نهلٌ فكيف تسمو نفسي إلى علل^(٢)
ولم أقبل زهواً يدي ملكٍ فأين لعس الشفاه من قبلي
ومنها :

يا عاذلي في قصور حظي قد ترى اجتهادي فاكفف عن العذل
إن فلّ مالي فذاك من قبل الـ أقدار إمّا اعتبرت لا قبلي
ومنها :

ويلزم اللوم في الخصاصة لو كانت تنال الحظوظ بالحيل
لو كان يسمو بفضلِه أحداً لما تأخّرت عن مدى زحل
ومنها :

إن زال ما كنت فيه من عملٍ فإنّ ما كان فيّ لم يزل
وإنّني بعد من معاودة الـ إقبال لي آنفاً على أمل
بيمن جدّ الأستاذ مولاي بشـر بن علي بن يوسف بن علي

* * *

(١) الطفل : الوقت الذي يسبق الغروب .

(٢) العلل : الشراب .

٧٣ - أبو الحسن عمر بن أبي عمر السجزي النوقاني

أديب شاعر فقيه ، من حسنات سجستان ، وله غير رحلة واحدة إلى خراسان والعراق في طلب الأدب والعلم . وكان أقام على حضرة الصاحب برهة يستفيد من مجالسها ويقتبس من محاسنها ، وحين استأذنه لمعاودة بلده والتمس الكتاب بالوصاية به . وقع على ظهر رقعة : كنا نؤثر - أطال الله تعالى بقاءك ! - أن تقيم ولا تريم ، فقد جمعت من آلات الفضل ما يقتضي اصطناعك في خواص الأصحاب : العقل صحيح الطابع ، والدين سليم الباطن ، والعلم غزير المشرع ، والطبع فياض المورد ، سلسال المكرع ، وأما الشعر فرحيب المباءة مشرق المطلع ، كثير البديع ، واسع الخط ، يترقق فيه ماء القبول . قد صينت جزالته عن صلابة القسوة . وسلاسته عن رقة الركة ، وعمدنا الأدب النحو واللغة ، ولك في كل منهما قدح يجول ، حتى يجلب إليك أعشار الجزول ، وقد استفدت بحمد الله من علم الكلام ما يدعى كفاية المتحقق إن لم يكن مذخورة المتلهف ، ولولا ما وراءك من فرض لا يستحل صدك عن أدائه ، ثم إن لسانك رهينة عندنا على إيابك ، لطال تشبث من لدينا من إخوانك بعطفي مقامك ، ففي دعة الله وحفظه وبركته وعونه ، ومن يقرأ هذا الجواب وخطي عليه مهيمن ولفظي به شاهد يستغنى به عن لقائه بكتاب فاجعله عصرة المبين وعمدة اليقين .

ومن ملح شعره قوله [من الكامل] :

يا ويح قلبي لا يزال يروعه مَن يعزُّ عليه وشك فراق
تتقاذف البلدان بي فكأنتي وُلِّيتُ أمر مساحة الآفاق

وقوله [من الطويل] :

أبت نفسي الدنيا فأنفس مالها كتابُ أبى إلاَّ إليه سكونها
أصون كتابي عن يدٍ لا تصونه صيانة نفسي عن أخٍ لا يصونها

وقوله [من الطويل] :

غلا الشعر في بغداد من بعد رخصه وإني في الحالين بالله واثق

فلمست أخاف الضيق والله واسعٌ
وقوله [من السريع] :

الفقر والإفلاس والضرُّ
أحسن بالحرِّ على قبحها

وقوله [من المجتث] :

إذا بخلتُ بيري
فأنت مثلي عبدٌ

وقوله [من مخلع البسيط] :

إن الدماميل برّحت بي
أزحف مهما أردت مشياً

وقوله [من المتقارب] :

وإني لأعرف كيف الحقوق
ورحبٌ فؤاد الفتى محنةً

وقوله من نثفة [من الوافر] :

يعزّ عليّ إنفاقي شبابي
ولاح بعارضي كافور شيب

وقوله [من الطويل] :

لعمرك إن العمر ما لا يسرّني
وإنّ غنى لا يأمن الفقر ربّه

وله من قصيدة في الأمير خلف [من الوافر] :

لك الدنيا ومن فيها ولكنّ
تكبرَ ذا الزمان على بنيهِ

تلاحظها بعينيك احتقارا
فعشْ حتى تعلّمه الصغاراً^(٢)

(١) الدماميل : جمع دمل ، وبرّحت : آلت . (٢) الصغار : الضعة والاحتقار .

وصار صغارهم فيه كباراً قدم حتى تردّهم صغاراً
خدمت لك الملوك أروضُ نفسي لآمن تحت خدمتك العثارا^(١)
ولو كانت لك الدنيا جعلنا لك الدنيا وما فيها نثارا^(٢)

* * *

(١) العثار : السقوط والزّلل .

(٢) النثار : ما ينثر في العرس من الدراهم وغيره .

الباب السابع

في تفاريق من ملح أهل بلاد خراسان ، سوى نيسابور وغرهم

٧٤ - أبو القاسم الداودي

هو اليوم صدر أهل الفضل ، وفرد أعيان الأدب والعلم بهراة ، يضرب في المحاسن بالقدرح المعلى ، ويسمو منها إلى الشرف الأعلى ، وأخباره في الكرم مذكورة ، ومآثره في الرياسة مأثورة .

وهو القائل وكتب به إلى صديق له من الغرباء أنفذ إليه مبرة [من الخفيف] :
ربما قصرَ الصديقُ المقلُّ عن حقوقٍ بهنَّ لا يستقلُّ
ولئن قلَّ نائلُ فصفاءٍ في ودادٍ ومنَّةٍ لا تقلُّ
أرخِ سترًا على حقارة برِّي هتكُ ستر الصديق ليس يحلُّ

وأنشدني يحيى بن علي البخاري لأبي القاسم [من الكامل] :
قالوا ترفَّقْ في الأمور فإنَّه يجدي ويمري الدرُّ بالآساس^(١)
ولقد رفقت فما حظيت بطائلٍ ما ينفع الآساس بالآتيااس

وأنشدني غيره له ، ويجوز أن يكون تمثل به [من الكامل] :
وإذا الذئباب استعجبت لك مرَّةً فحذار منها أن تعود ذئابا

(١) يمري الدرُّ بالآساس : أس أن استخراج اللبن باللبن والملاطفة .

فالدُّبُّ أَخْبَثُ مَا يَكُونُ إِذَا بَدَأَ مُتَلَبِّساً بَيْنَ النَّعَاجِ إِهَاباً^(١)

* * *

٧٥ - أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ يَحْيَى الدَّائِدِيُّ الْهَرَوِيُّ الْفَقِيه

أَنشَدَنِي لَهُ أَبُو سَعْدٍ نَصْرُ بْنُ يَعْقُوبَ فِي التَّفَاحِ الْمُنْقَطِ [مِنْ الْخَفِيفِ] :
نَاوَلْتَنِي تَفَاحَةً وَسَمْتَهَا دَائِرَاتٌ بِحَسَنِ نَقْطٍ عَجِيبٍ^(٢)
كَدُمُوعِي مَمْزُوجَةً بِدُمَاءٍ قَاطِرَاتٍ فِي صَحْنٍ خَدَّ حَبِيبِي
وَلَهُ فِي السَّفَرَجَلِ [مِنَ الْمُتَقَارِبِ] :

غُصُونُ السَّفَرَجَلِ مَلْتَفَةٌ فَمَعْتَدِلُ الْقَدِّ أَوْ مَشْنَى
وَقَدْ لَاحَ فِي زُبُرٍ شَامِلٍ كَصَفَرَاءَ فِي مَعْجَرٍ أَدَكْنَ^(٣)
وَلَهُ [مِنَ الْوَافِرِ] :

أَمَّا شَاقَتُكَ رَوْضَةٍ دَسْتَجَرْدَ كَعَقْدٍ أَوْ كَوْشِيٍّ أَوْ كَبْرَدٍ
تَطِيرُ فَرَاشَهَا بَيْضاً وَحَمِراً كَرِيحٍ طَيَّرَتْ أَوْرَاقَ وَرْدٍ

* * *

٧٦ - أَبُو الْحَسَنِ الْمَزْنِي

هُوَ أَشْهَرُ بِالشَّرَفِ وَالْمَجْدِ ، وَذَكَرَهُ أَسِيرٌ فِي الْأَدَبِ وَالْفَضْلِ ، مِنْ أَنْ يَنْبَهَ عَلَى
مَحَلِّهِ فِي الْوَجَاهَةِ وَالسِّيَادَةِ وَالرِّيَاسَةِ وَالْوِزَارَةِ ، وَلَهُ شَعْرٌ كَثِيرٌ لَمْ يَلْقَ بِحَفْظِي مِنْهُ إِلَّا
بَيْتٌ وَاحِدٌ قَالَهُ فِي الْأَمِيرِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ سَيِّمَجُورٍ ، وَهُوَ هَذَا الْبَيْتُ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

(١) الإِهَابُ : الْجَلِيدُ .

(٢) وَسَمْتَهَا : عَلَّمْتُهَا وَعَضَّتْهَا .

(٣) الزُّبُرُ : مَا يَعْلُو الثَّوبَ الْجَدِيدَ مِنْ وَبَرٍ أَوْ نَحْوِهِ . وَالْمَعْجَرُ : ثَوْبٌ تَشَدُّهُ الْمَرْأَةُ عَلَى رَأْسِهَا . وَالْأَدَكْنَ :
الْمَائِلَ إِلَى السَّوَادِ .

ولم أر ظلماً مثل ظلمٍ يمَسُّنا يُسَاءُ إلينا ثم نؤخذ بالشكرِ

* * *

٧٧ - أبو سعد أحمد بن محمد بن ملة الهروي

أحد بلغاء خراسان المذكورين ، وفضلائها المشهورين ، وعقلائها الموصوفين ، وكان في آخر عمره مرتبطاً بالحضرة السامانية في جملة المشايخ الذين يشاورون في الأمور ويستضاء بآرائهم في ظلم الخطوب ، وكان متبحراً في النثر ، مقلداً من قول الشعر ، وهو القائل [من المتقارب] :

وكان الصديقُ يزور الصديقَ لشرب المدامِ وعزفِ القيانِ
فصار الصديق يزور الصديق لبثُ الهموم وشكوى الزمانِ

وله في نفسه [من الطويل] :

له همٌّ ما إن تزال سيوفها قواطعُ لو كانت لهنَّ مقاطعُ

* * *

٧٨ - أبو روح ظفر بن عبد الله الهروي

فاضل بحقه وصدقه ، كاتب شاعر فقيه ملء ثوبه ، ممدوح باللسنة الفضلاء

من أهل عصره ، وفيه يقول أبو الفتح [من الوافر] :

أبو روحِ أدام الله عزَّه ألدُّ إذا انبرى للخصم عزَّه
وذاك لأنه هجر الملاهي فصار كثيراً والعلم عزَّه^(١)

وله أيضاً [من الخفيف] :

(١) كثيرٌ : أحد الشعراء المعروفين بالعشق والنسب ، وعزَّة : حبيته التي عرف بها وتغرَّل فيها .

قل لذي العزِّ والمحَلِّ النبيه لأبي روحِ الفقيه الوجيه
من دعاه إخوانه فتباطى لا لعذرٍ عنهم ففيه وفيه
وولى قضاء عدة من بلاد خراسان ، وشعره كثير مدون ، يجمع الجزالة
والسهولة ، والمتانة والعذوبة ، ويخرج منه الفقر والغرر ، كقوله من قصيدة [من
الكامل] :

السيف يعلم أنّ لي في حدّه سراً نهاه الدهر عن إفشائه
والدهر يعلم أنّ لي في صدره ناراً مضرّةً على أحشائه
هممٌ مؤرّقةٌ جفوني كلّما أرخى الظلام عليّ ذيل خبائه^(١)
ولو أن أطراف الرماح وفين لي لأخذت حقّ الدهر من أبنائه
همم النفوس منوطةٌ بعنائها والمرء يخدعه لسانُ رجائه
وقوله ولم يسبق إليه في مدح الطفيلي [من السريع] :

إنّ الطفيلي له حرمةٌ زادت على حرمةِ ندماني
لأنّه جاء ولم أدعُه مبتدئاً منه بإحسان
مائدتي للناس مبسوطةٌ فليأتها القاصي مع الداني
أحبُّ بمن أنساه لا عن قلبي وهو يجيني ليس ينساني

وقوله وهو في نهاية الملاحاة [من الكامل] :

يا مَنْ تذكّرني شمائله ريحَ الشمال تنفّست سحرا
وإذا امتطى قلماً أنامله سحرَ العيون به وما سحرا

وقوله لبعض أصداده [من الهزج] :

حقيقٌ بك أن تُطعم عفصاً وهو معكوس

(١) وقع هذا البيت في « ب » متأخراً في الترتيب عن البيت الذي بعده .

وأن يلبس جنباك الذي مقلوبه طوس
فهذا لك مطعم وهذا لك ملبوس

٧٩ - منصور بن الحاكم أبي منصور الهروي

قد حسن الله شمائله ، وكثر فضائله ، فهو من أعيان هراة ، وآحادهها ،
ومفاخرها وأفرادها ، وشعره مدون كثير الملح ، كقوله [من مجزوء الخفيف] :

يوم	دجن	هواؤه	فاختي ^(١)	رواؤه ^(١)
مطرتها	مسرة	حين	صابت	سماؤه
أشبه	الماء	راحة	وحكى	الراح ماؤه ^(٣)
داو	بالقهوة	الخما	ر	ففيها دواؤه
لا	تعاتب	زماننا	إن	عرانا جفاؤه
شدة	الدهر	تنقضي	ثم	يأتي رخاؤه
كدر	العيش	للفتى	يقتفيه	صفاءه
وكذا	الماء	يسبق	الصفو	منه جفاؤه

وقوله [من الوافر] :

معتقة أرق من التصابي ومن وصل أتى بعد الثنائي
يطوف بها قضيب في كتيب تطلع فوقه بدر السماء^(٣)

(١) يوم دجن : يوم مظلم بالسحاب الممطر. فاختي رواؤه : أي رواؤه مباح أو أنه يسمع لمطره وهوائه صوت .

(٢) الراح : الخمرة .

(٣) القضب : الرشيق القد ، والكتيب : ما علا من الرمل .

لواظله تبثُّ السحر فينا وفي شفّيته أسباب الشفاء
وله [من الكامل] :

قرن الزمان إلى البنفسج نرجساً
كخدود عشاقٍ بدت ملطومةً
متبرّجاً في حلّة الإعجاب
نظرتُ إليها أعين الأحابِ
وله [من الوافر] :

وأغيد ساحرِ الألحاظِ أدعجُ
أضاف إلى فؤادي السقم لمأً
يتيه به على الخدِّ المضرج^(١)
أضاف إلى شقائقه البنفسجُ
وله [من الكامل] :

قم يا غلام فهاتها حمراءُ
فاليوم قد نشر الهواء بأرضنا
كالنار يورث شربها السراءُ
من ثلجه ديباجةً بيضاءُ
وله [من البسيط] :

خشفُ من الترك مثلُ البدر طلعتُهُ
كأنَّ عينيه والتفتير كحلُّهُما
تحوز ضديّن من ليلٍ وإضاحِ
آثار ظفريّ بدت في صحن تفاحِ
وله [من الكامل] :

الله جار عصابةٍ رحلوا
ما الشأن ويلك في رحيلهم
عني وقلب الصبِّ عندهمُ
الشأن أتّي عشت بعدهمُ
وقوله في المرأة [من الرجز] :

زاهيةً تشبه كلّ صورة
تنمُّ إلاّ أنّها معذوره
أسرارها مستورةٌ مشهورةٌ
نفس أخي الحُسن بها مسرورةٌ

(١) الدعج : السعة في العين مع شدة البياض والسواد . والمفرّج : المصبوغ بالحمرة الدموية .

وله [من الخفيف]:

روضة غضة علاها ضبابٌ قد تجلّت خلالها الأنوار
فهى تحكي مجامراً مذكياتٍ قد علاها من البخور بخارٌ

وله [من الوافر]:

أبا عبد الإله العلم روحٌ وجدتكَ دون كلِّ الناس شخصه
لذلك كلُّ أهل الفضل أمسوا كحلقة خاتمٍ وغدوت فصه

وله [من الرجز]:

وشادنٍ في الحسن فوق المثلُّ أبصر مني بوجوه العمل
قبّلت كفيه فقال انتقلُ إلى فمي فهو محلُّ القبل

وله [من الوافر]:

بقيت مدى الزمان أبا عليٍّ رفيع الشأن ذا جدٍّ عليٍّ
فأنت من المكارم والمعالي بمنزلة الوصي من النبي

وله [من البسيط]:

يا أيُّها العاذل المردود حجتهُ أقصرُ فعذري قد أبدته طلعتُهُ
ماذا بقلبي من بدرٍ بليتٍ بهِ لليث أخلاقه ، والخشف خِلقتُهُ

٨٠ - أبو أحمد الساوي الهروي

قال [من السريع]:

هراة ارضٌ خصبها واسع ونبتها اللّقاح والنرجس

ما أحدٌ منها إلى غيرها يخرج إلا بعد ما يفلس

٨١ - أبو الربيع البلخي

من المتصرفين على أعمال المظالم من الحضرة السامانية ، وهو القائل في الشاش [من المجتث] :

الشاش في الصيف جنةٌ ومن أذى الحر جنةٌ^(١)
لكنه يعتريني بها لدى البرد جنةٌ

وله [من مجزوء الكامل] :

ما يوم منكوبٍ حزينٍ مستهام القلبِ خائفٍ
بأمدٍ من يوم الظريف إذا تجوَّع للقطائفِ

وإنما نسج فيه على منوال من قال [من مجزوء الكامل] :

ما ليلةٌ المهجوةُ با عدت النوى عنه أنيسةُ
أو ليلةُ الملسوع حا ذر مية النفس النفيسة
بأمدٍ من ليل الظريف إذا تجوَّع للهريسه

٨٢ - أبو المظفر البلخي

من شعره قوله [من الطويل] :

بلوتك يا دنيا مراراً كثيرةً فلم تُرعيني في هواك قريبه

(١) جنة الأولى : من الجنة أي الظلال الوارفة وجنة الثانية : أي السرّ والدرع . وجنة الثالثة : من الجنون .

فإن كنت في عين اللئيم خطيرةً فإنك في عين الكريم حقيره
 وإن تصرفني عني أذاك فخيرهُ وإن تصرفني نحوي أذاك فحيره
 وله [من مجزوء الكامل] :

قال الحكيم الفارسي بزرجمهر ثمّ مزدك
 لا ترضين من الصديق كيف أنت ومرجأ بك
 حتى تجرّب ما لديه لحاجة إما بدت لك
 فإذا وجدت فعاله كمقاله فيه تمسك

٨٣ - أبو بكر بن الوليد البلخي

من شعره قوله [من مخلع البسيط] :

ثلاثة فقدّها كبيرُ الخبزُ واللحمُ والشعيرُ
 والبيت من كلّها خلاءُ فجَدُّ بها أيُّها الأميرُ

وله من نتفة [من مجزوء الرمل] :

أحسن الأشعار عندي «وأنف بالخمير الخمارا»
 وألذُّ الآي عندي (وترى الناس سكارى)

وله [من الخفيف] :

خلّة في من خلّال الحمير لم يطب لي شربٌ بغير صفير
 وله [من البسيط] :

ما سمّت العجم الهيمان هميانا إلّا لإجلال ضيفر كان من كانا^(١)

(١) ورد عجز البيت : إلى لإجلال ضيفر كان من كانا « ولا يستقيم المعنى والوزن .

فالمه أكبرهم ، والمان منزلهم ، والضيف سيدهم ما لازم المانا^(١)

٨٤ - الحسن الضرير المروروزي

في غلام نصراني [من المتقارب] :

وما أنس لا أنس ظبي الكناس يريد الكنيسة من داره
يحوط بزناره خصره ومرعى الجمال بأزراره
فياحسن ما فوق أزراره ويا طيب ما تحت زناره

٨٥ - أبو الحسن محمد بن إبراهيم بن إسماعيل الفقيه الطوسي

افتتن بغلام من الشطار فقال فيه [من الطويل] :

أتوعدني بالقتل والقتل راحتي فلا تخلف الإبعاد خلفك ميعادي

وقال في غلام أعطاه كتاب العين [من الوافر] :

كتاب العين ظل يقر عيني ويصلح بين من أهوى وبينني
كتاب العين قواد لطيف يحل إليك عصم التفلتين^(٢)

(١) المة : الرفق ، والمان : المؤونة والقوت ،

(٢) القواد : سمسار المرأة البغي . والغصم : المنع . والتفلتين : الشفتين ، فهما ممر الريق والبصاق .

٨٦ - أبو محمد الطوسي

قال [من مخلع البسيط] :

أبوك في الناس سل سيفاً بمضريه يفلُ صفاً
وذلك الصفُ كان غزلاً وذلك السيف كان خفاً

٨٧ - أبو سهل المعقلي الطوسي

قال [من المجتث] :

يا دولة ليس فيها من المعالي شظية
زولي فما أنت إلا على الكرام بليه

٨٨ - أبو نصر الروزبازي [الفقيه الطوسي]

من شعره قوله [من مجزوء الرمل] :

لي خمسون صديقاً بين قاضٍ وشریف
وأمرٍ ووزيرٍ وفقیه وظریف
فاذا احتجت إليهم لم يفوا لي برغيف

الباب الثامن

٨٩ - في ذكر الأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي

وإيراد محاسن من نثره ونظمه

* وما محاسن شيء كله حسن *

القول في آل ميكال وقدم بيتهم ، وشرف أصلهم ، وتقدم أقدامهم ، وكرم أسلافهم وأطرافهم ، وجمعهم بين أول المجد وآخره ، وقديم الفضل وحديثه وتليد الأدب وطريقه ، يستغرق الكتب ، ويملاً الأدراج ، ويحفي الأفلام ، وما ظنك بقوم مدحهم البحري ، وخدمهم الدريدي وألف لهم كتاب الجمهرة وسير فيهم المقصورة التي لا يبلها الجديدان ، وانخرط في سلكهم أبو بكر الخوارزمي وغيره من أعيان الفضل وأفراد الدهر ، وكان كل من الشيخ أبي العباس إسماعيل بن عبد الله وابنيه الرئيس أبي محمد عبد الله والأمير أبي القاسم على أمة على حدة ، وعالماً في شخص واحد ، وما منهم إلا من يضرب به المثل في الشرف ، والأمير أبو نصر أحمد بن علي الآن بقية الأماجد وغرة الأكارم وعمدة الأفاضل وواحد خراسان ومفخرتها وجمالها وزينتها ، ومن لا نظير له في شرف النفس وبعد الهمة ورفعة الشأن وتكامل آلات السيادة . والأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد يزيد على الأسلاف والأخلاف من آل ميكال زيادة الشمس على البدر ، ومكانه منهم

الواسطة من العقد ، لأنه يشاركهم في جميع محاسنهم وفضائلهم ومناقبهم وخصائصهم ، ويتفرد عنهم بمزية الأدب الذي هو ابن بجدته^(١) وأبو عذرته وأخو جملته ، وما على ظهرها اليوم أحسن منه كتابة وأتم بلاغة ، وكأنما أوحى بالتوفيق والتسديد إلى قلبه . وحبت الفقر والغرر بين طبعه وفكره ، فهو من ابن العميد عوض ، ومن الصاحب خلف ، ومن الصابي بدل ، ثم إذا تعاطى النظم فكأن عبد الله بن المعتز وعبيد الله بن عبد الله بن طاهر وأبا فراس الحمداني قد نشروا بعد ما قبروا ، وأوردوا إلى الدنيا بعد ما انقرضوا . وهؤلاء أمراء الأدباء ، وملوك الشعراء ، وقد أنصف من وصف بلاغته في النثر وبراعته في النظم حيث قال من قصيدة [من الكامل] :

يا من كساه الله أردية العلى	وحباهُ عطر ثنائها المتضوع ^(٢)
وإذا نظرت إلى محاسن وجهه المسعود	قلت لمقلتي فيها ارتعي
وإذا قرئت الأذن شهد كلامه	قلت اسمعي وتمتعي وارعي وعي ^(٣)
وكانما يوحى إلى خطراته	في مطلع أو مخلص أو مقطع ^(٤)
لك في المحاسن معجزات جمّة	أبدا لغيرك في الورى لم تجمع
بحران بحر في البلاغة شابه	شعر الوليد وحسن حفظ الأصمعي
وترسل الصابي يزين علوه	خط ابن مقلّة ذي المحلّ الأرفع
شكراً فكم من فقرة لك كالغنى	وافى الكريم بعيد فقر مدقع
وإذا تفتّق نور شعرك ناضراً	فالحسن بين مرصّع ومضرّع ^(٥)
أرجلت فرسان القريض ورضت أف	راس البديع وأنت أفرس مبدع

(١) بجدته : أهله ، والعالم المتقن له .

(٢) الأردية : جمع رداء وهو الثوب أو يرتديه الانسان . المتضوع : الذي يفوح بالعطر .

(٣) قرئت الأذن : من القرى : أي اسمعتها أجمل كلامه .

(٤) خطراته : أي ما يحظر في باله من أمر .

(٥) المضرّع : أي ذليل وخاضع .

ونقشت في فصّ الزمان بدائعاً
 وحويت ما تكنى به طراً فلم
 وقال من أخرى [من الكامل] :

يا من له كلّ الذي يكنى به
 غنّت بسؤددك الحمام الهنّ
 وتصرفت بك في المكارم والعلی
 وملكت أحرار الكلام كأنها
 وكأما نورّ الربيع وزهره
 ومفرّق العليا لديه مؤلف^(١)
 وحكت أناملك الغيوم الوكف^(٢)
 همم على قمم النجوم تصرف
 خدم وغلمان لأمرک وقف^(٣)
 من وشي خطك في المهارق أحرف^(٤)

وقال [من السريع] :

إني أرى ألفاظك الغراً
 لك الكلام الحرّ يا من غدا
 عطّلت الياقوت والدرّاً
 معروفه يستعبد الحرّاً

وقال [من المنسرح] :

سبحان ربي تبارك الله ما أشبه بعض الكلام بالعسل
 والمسك والسحر والرقى وابنه الكرم وحليّ الحسان والحلل
 مثل كلام الأمير سيدنا نثراً ونظماً يسير كالمثل

وقال من أخرى [من مجزوء الرجز] :

يا	كعبة	المعالي	وقبله	الآمال
وغرّة	الجمال	وصورة	الكمال	
وطالع	الإقبال	وعارض	الإفضال	

(١) و(٢) : أراد بما تكنى به : الفضل ، لأن كنيته أبو الفضل .

(٣) الوكف : المطرة السائلة .

(٤) الوشي : الزخرفة والاتقان . والمهارق : الصحف البيضاء .

وآفة	الأموال	بدر	بني	ميكال
كم لك من مقال	أصفى	من	الزلال	
أحلى من السلسال	أبهى	من	اللالى	
أزكى من الغوالي	أمضى	من	العوالي	
أقصى من النصال	أضوا	من	الهلال ^(١)	
أسرى من الخيال	أبقى	من	الجبال	
فاسلم على الليالي	ودم	بخير	حال	

وقد أوردت في هذا الباب من فصوص فصوله التي أخرجها من رسائله وبوبها في كتاب له وسمه بالمخزون ما يؤرخ به محاسن الكلام ، ويزيد في مفاخر الأقلام ، ويستحق أن يدعي لفظ الدر ، وخدع الدهر ، وعقد السحر ، وأتبعته من غرر شعره ، وثمار فكره ، بما تجمع منه اليد على البازي الأبيض والحجر الأسود والكبريت الأحمر ، والعيش الأخضر ، وملك بني الأصفر .

فصول من باب وصف الكتب بالحسن والبلاغة ولطف المواقع

من الكتاب المخزون المستخرج من رسائله

فصل - إنه ألقى إلي كتاب كريم ، عنوانه غنم جسيم ، وعيانه فضل عميم ، فلو استطاع قلبي لسعى إليه إعناقاً ، والتف عليه عناقاً .

فصل - وصل كتابه فأدركت به بغية الحريص ، وخلتني يعقوب وقد بشر بالقميص .

(١) أضوا : أراد أضوا فسهل الهمة بقلبها ألفاً لانفتاح ما قبلها وذلك للضرورة الشعرية .

فصل - كتابه تعلقة الرجاء . وقوت النفس . وعلة النشاط ، وقوة الأنس .
فصل - كتابه أوصل الأنس إلى سواد القلب وصميمه ، وأماط الوجد وقد ألح
في تصميمه .

فصل - أنا أولى بالحمد وقد لحظت مواقع أنامله ، وشممت بوارق فضائله ،
من راعى القفر وقد رأى القطر سكبا ، بعد سنين تتابعت جدبا .

فأصاخ يرجو أن يكون حيًا ويقول من فرح هيًا ريا
فصل - الحمد لله ملء القلوب والضمائر ، وفوق وسع الحامد الشاكر ، إذ
أقبلت غمامة من ناحيتك برقها خلق كريم ، وقطرها برعميم ، فروت روض الأنس
وقد اكتسى ذبولاً ، وأهدى إليه من نسيم عهده صبا وقبولا ، حتى انجلت عنه
غبرته ، وعادت إليه نصرته .

فصل - كتابك تميمة فضل ، وثمانية عقد ، ولطيمة خلق ، ویتيمة مجد ،
وغنيمة بر .

فصل - كتابك يجلو صفحة العهد^(١) ، ويجيل قداح الأنس^(٢) ، ويجل عن
قدر الشكر .

فصل - نشرت من كتابك عصب اليمن^(٣) . ونظرت منه إلى الطالع الأسعد
والطائر الأيمن .

فصل - لقيت كتابك تحلية الإحسان والإبداع ، وحلية النواظر والأسماع
ومسن الخواطر والطباع ، وصيقل الأفكار والألباب ، وعيار المعارف والآداب .

فصل - كتاب سلب الماء رفته ، والنحل ريقته .

(١) العهد : أول مطر السنة ، أو الذمة والميثاق .

(٢) يجيل : من أجال : أي أدار .

(٣) عصب اليمن : أثواب اليمن الملوثة .

فصل - كلامك شهدة النحل ، وثمره الغراب ، وبيضة العقر ، وزبدة الأحقاب .

فصل - وصل كتابك فأذعنت القلوب لفضله بالاعتراف ، واختلفت الألسن في تشبيهه ببذائع الأوصاف ، فمن مدح أنه رقية الوصل ، وريقة النحل ، ومنتحل أنه سلاف العنقود ، وقائل هو نور خمائل ، وسحر بابل ، فأما أنا فتركتم التمثيل ، وسلكت التحصيل ، وقلت : هو سماء فضل جادت بصوب الحكم ، ووشى طبع حاكته سن القلم ، ونسيم خلق تنفست عنه روضة الكرم .

فصل - سررت بكتابك سرور من فُدي بذبح عظيم ، ويُسّر بغلام عليم .
فصل - قلمك ترب البروق ونظيرها^(١) ، ويدك أم البلاغة وظئرها^(٢) وكلامك هو الدر يستغني عن السلك ، والابريز يجل عن السبك ، والسحر إلا أنه بريء من الشرك .

فصل - كتابك شريعة وردي ، ومهب شمالي ، ومرمى طرفي . ومسرح آمالي ، ونجي فكري ، وحلم هجودي ، وأرض خصبي ، وسماء سعودي .

* * *

ومن باب الإخوانيات

فصل - أيام ظل العيش رطب ، وكنف الهوى رحب . وشرب الصبا عذب ، وما لشرق الأنس غرب .

فصل - أنا في مقاساة حر الشوق إليك * كما اعتاد محموداً بخير صالب *
وفي تذكر الاجتماع معك * كما اهتز من صرف المدامة شارب * وفي تكلف الصبر

(١) الترب : المثيل .

(٢) الظئر : الموضع .

عنك * كطالب جدوى خلّة لا تواصل * وفي القلق لفراقك * كطائر جوّ أعلّته
الحبائل * .

فصل - أيامي معك بين غرة ولمعة ، وعيد وجمعة .

فصل - أنا أخو مودتك الذي لا يخشى نبوه وعقوقه ، وسهم نصرتك الذي
نحو العدى نصله ونحوك فوقه^(١) .

فصل - إني لأجد ريح مولاي فأتنسم روح السكون ، ولا أقول لولا أن
تفندون^(٢) .

فصل - كنت كمن خرج يبغي قبساً ، فرجع نبياً مقدساً .

فصل - أشكو إليك شوقاً لو عالجه الأعرابي لما صبا إلى رمل عالج ، أو
كابده الخلي لانشئ على كبد ذات حرق ولواعج .

فصل - وددت لو أنه ركب الفلك الدائر ، وامتنطى النجم السائر . وكان
البرق زاملته^(٣) ، والبراق راحلته^(٤) ، والسماك هاديه ، والخضر حاديه^(٥) والصبا
إحدى مراكبه ، والجنوب بعض جنائبه^(٦) ، لينقضي عمر الانتظار ، ونسعد بالقرب
والجوار .

فصل - لا خير في ود لا يعرف إلا بشاهد ، ولا ينهض إلا براقد .

(١) الفوق : موقع الوتر من رأس السهم .

(٢) تفندون : تكذبون .

(٣) الزاملة : ما يحمل عليه من الدواب .

(٤) الراحلة : ما يمتطى عليه من الدواب .

(٥) الخضر : أحد الأنبياء الذين كتب لهم الخلود .

(٦) الصبا : الريح الشمالية الباردة ، والجنوب الريح الجنوبية .

مشرق السحنة^(١) ، واضح السنة ، بعيد من الظنة^(٢) .

فصل - طالعت عهدي لديه ضاحي البشر ، ضاحك الزهر ، طلق الوجه ،
باسم الثغر ، قد رفت عليه ظلال كرمه ، ورقّت له حواشي أخلاقه وشيمه ، فحمى
وجه بهائه أن يشحب ، ورونق مائه أن ينضب .

فصل - وصل كتابه لا أقبل دعوى ولا يعدله شهود ، ولا يعدله يوم مشهود .

فصل - أنا أتوقع كتابك أطول من ليلة الميلاد ، وأمتع من نسيم ريح
الأولاد .

فصل - كتبت هذه الأحرف وأنا أود أن مدادها سواد طرفي ، وبياضها جلدة
بين عيني وأنفي ، وحاملها دون سائر الناس كفي .

فصل - لا تفارق نفسي فيك أشواقها ، حتى تفارق الحمامم أطواقها .

فصل - لولا التعلل باللقاء لتصدعت أكباد وقلوب ، وكانت بيني وبين النوى
شؤون وخطوب .

فصل - ما آسى إلا على أيام أمتعتني من مؤانستك بالعين طلقا ما عليه
رقوب^(٣) ، وأسعفتني من مجالستك بالدهر ليس فيه خطوب .

فصل - بي إليك شوق لم يكابده قلب متمم ، ووجد لم يدعه مالك لمتمم^(٤)

فصل - أنا في مفارقتك كبنات الماء نضب عنها الغدير ، ونبات الأرض أخطأه
النوء المطير .

(١) السحنة : الهيئة واللون .

(٢) الظنة : الشبهة .

(٣) رقوب : أي رقيب نحذره .

(٤) مالك ومتمم : هما ابنا نويرة ، قتل مالك في حروب الردة على يد خالد بن الوليد وبكاه متمم بكاءً أطال
لواعجه .

فصل - شوق عابث أقاسيه . وامتنع عنه الصبر فما يواسيه .
فصل - ذمام ودك عندي لا يخفر ، وإن أتيت بما لا يغفر .

* * *

ومن باب الشكر والثناء

فصل - للنعم عماد من الشكر يحرسها أن تميل وتميد ، وعقال من الثناء والحمد يمنعها أن تبید وتحدید ، وكثيراً ما يسكر الشارب بكأس سرورها . ويعشى عينه بشعاع نورها^(١) ، فيذهل عن حفظ ذمارها ، ويذهب عن واجب مرتبتها واستثمارها ، ويكون كمن أزعجها بعد الاستقرار ، وعرضها للنقار ، فلا يلبث أن يزل عن مرقاتها قدمه^(٢) ، ويطول على ترك موجباتها ندمه ، ويحصل منها في برج منقلب ، وينظر من نعيمها في أعجاز نجم مغترب .

فصل - كم لك عندي من يد غصة ما لي بشكرها يدان ، وعلى عاتقي من ثقل منة يعجز عن حملها الثقلان .

فصل - لولا أن من عاداته متابعة النعم لقلت رفقا بكاھلي ، فقد أثقله الرغد ، وأناملني فقد أعيأها العدّ ، لكنه الغيث لا يستكف واكف سحابه ، والبحر لا يزحم زاخر عبابه .

فصل - لو ملكك من مقاود البيان ، ما يملك من مقالة الإحسان ، لأجلبت عليه من شكري بخيل ورجل ، وجلبت إليه من فيض بناني سجلا بعد سجل ، وكلاً فقد خذلتني عبارتي مذ تناصرت عندي مواهبه ، ونزفت بلاغتي منذ درت على سحائبه .

(١) يعشي عينه : يغض طرفه من شدة النور، والأعشى : الضعيف البصر .

(٢) المرقاة : المنزلة والمكانة ، وارتنى : صعيد .

فصل - لا أعدمه الله نعمة يطوق الشكر جيدها ، ويمتري بلطفه الحمد
مزيدها^(١) .

فصل - قلدني مئة تندي ألسنة الشكر ، وتنادي بذكرها أندية الفضل .

فصل - ذاك فضل ملك عنانه ومقادته ، فقهر أعيانه وقادته .

فصل - لو استطعت لطرت إليه بأجنحة الجنائب^(٢) ، وخطبت بالشكر على
متون الكواكب .

فصل - ما هو إلا صوب كرم إذا فاضت منه سجال تلتها سجال ، وإذا جادت
بها يمين رفدتها شمال .

فصل - خدمته أيام كانت رياسته سراً في ضمير الأيام ، ونوراً في أكمام
الظنون والأوهام .

فصل - أنامله فرصة كل وارد ، وعرضه كل قاصد .

فصل - يذبُّ عن حرم المعالي بذباب حسامه ، ويحمي غربها بغرار
أقلامه^(٣) .

فصل - كم له من مكارم جدد منهج أطمارها ، وأذكى سنا أقمارها .

فصل - له الأمر المطاع ، والشرف اليفاع^(٤) ، والعرض المصون والمال
المضاع .

فصل - مساعيه ضرائر النجوم ، وأنامله ضرائر الغيوم .

فصل - أملى محاسنه وأيدي الأيام تكتب ، وأثنى بأياده وألسنة الحال تشهد
وتخطب .

(١) يمتري : يستخرج .

(٢) الجنائب : الشوق أو الريح .

(٣) يذبُّ : يدفع ويحمي .

(٤) اليفاع : التل المشرف من الأرض .

فصل - وهو واحد العصر ، وثاني القطر ، وثالث الشمس والبدر .
فصل - ذاك سلطان فضل هو عرابية رايته^(١) ، وميدان سباق وهو عكاشة
عنايته .

فصل - ما هو إلا صفيحة فضل طبعت من سكتك ، وسبيكة مجد ضربت
على سكتك^(٢) .

فصل - ما هو إلا نجم طلع في سمائك ، ومعنى اشتق من أسمائك .
فصل - أفاض عليه من صوب رشاشه ، ما أروى غلة مشاشه^(٣) .
فصل - ثناء أطيب من فوح الأزاهر ، وأطيب من ترجيع المزاهر .
فصل - ثناء كما يفتق المسك من أكاماه ، ويتفص الروض غب^(٤)
رهامه^(٥) .

فصل - ما هو إلا لمعة من برقك ، ورذاذ من ودقك^(٦) ، ونجم طلع في
أفكك ، وشعلة قدحت من نارك ، ورشاش ارفض من سحابك^(٧) .

فصل - أحيا كتابك مني نفساً مواتا ، وأنشر أملاً رفاتاً ، وتلافى حشاشة
كانت من الهلك على شفا^(٨) ، وبل ريقاً لم يدع للناس فيه مرتشفا .

* * *

(١) عرابية : أشار به إلى عرابية الأوسي الذي مدحه الشماخ بن ضرار بقوله :
إذا ما راية رُفِعَتْ لمجدٍ تلقأها عرابية باليمين
وعكاشة : أشار به إلى عكاشة بن محصن الذي قال فيه رسول الله عليه الصلاة والسلام : « سبقك بها
عكاشة » .

(٢) الشكة : مختلف الأخلاق والطباع .

(٣) المشاش : النفس .

(٤) غب رهامه : بعد ضعفه وذبوله .

(٥) الودق : المطر .

(٦) ارفض : هطل .

(٧) شفا : حرف ، وحده .

ومن باب العتاب والذم وشكوى الحال

فصل - عتاب من قلب خالص ، وصدر سليم من القوارص ، خير من ودّ سامري ، وعرض سائري .

فصل - لو تكلفت بالشعري العبور ، وتلثمت بالفجر المنير ، واتخذت الثريا وشاحاً ، والجوزاء نطاقاً ، واستعرت من الشمس ضياء ، ومن البدر إشراقاً ، لما كنت إلا مغموراً خاملاً ، وعقداً عاطلاً .

فصل - لست أدري سبب عتبك فأتوب إليك توبة سحرة فرعون ، وأخلص وأعتذر إليك اعتذار النابغة إلى النعمان ، وأبلغ وأخضع لك خضوع المعزول للوالي ، بل خضوع الجرب للطالي ، وأضرع إليك ضراع الصبي للمعلم ، بل الذمي للمسلم .

فصل - كيف ترميني بظنة ؟ وقد علمت أن قلبي لودك غير مظنة .

فصل - صدعت بالعتاب أعشار فؤادي^(١) ، وتركتني بمنزلة ماء سال به الوادي .

فصل - سحب على ذنبه أذنان التجوّز ، وستره بأجنحة التجاوز .

فصل - طويت ودي طي الطوامير^(٢) ، ونبذت عهدي في المطامير .

فصل - عاد شرر عتبه ضراما ، وقوارص قوله سهاماً .

فصل - إذا نطق لسان الاعتذار ، فليوسع نطاق الاغتفار .

فصل - جربني تجدني سهل الرجعة ، سمح المقادة ، قريب المنالة ، دائب الصنيعة ، جامد السكينة ، سريعاً إلى المحافظة ، بطيئاً عن الحفيظة^(٣) .

(١) الأعشار : القطع .

(٢) الطوامير : الصحف .

(٣) الحفيظة : المرجدة .

فصل - رددني من جفائه زماناً بين إعراض وقطعة ، وأوردني منها أَوْخَمَ شريعة^(١) ، حتى إذا ورد كتابه وبى فرحة الظمآن وافق بلالاً ، والعليل صادف إبلالاً ، تضمن من مر العتاب ، ما هو أمض من القذف والسباب ، وكان كثافة مدت بماء^(٢) ، وجمرة أعينت بحلفاء^(٣) .

فصل - وما زلت أداريه وألاطفه ، أوئل أن تلين لي مكاسره ومعاففه ، حتى إذا كشف لي قناع الجفوة ، ومد إلي ذراع السطوة ، جزيته صاعاً بصاع ، وبسطت له باعاً بباع ، وسعيت إلى معارضته بخطى وساع ، وكذلك من ساء سمعا ساء جابة ، ومن زرع مكرراً حصد خلاية^(٤) .

فصل - كشف لي قناع المجادل ، ورماني من عتبه بالجنادل^(٥) .

فصل - قد تجاريت والدمر في الظلم إلى غاية واحدة ، واخترعتها في العقوق كل بدعة وآبدة^(٦) ، لعلك تزيد عليه وطأ في الظلم ثقيلاً ، وسبحا في التحيل طويلاً ، بل أنت أبعد منه في الإساءة غورا ، وأحد في النكاية غربا ، وأجرى في المناكير قلباً ، لا بل أنت أكثر منه مذاقاً^(٧) ، وأمر مذاقا ، وأظهر خلافا ، وأقل وفاقا ، فما هذه المكاشفة والمخاشنة ؟ وأين المهادنة والمداهنة ؟ وأين الحياء والتذمم ؟ والعفاف والتكرم ، وأين لين المكسر ، ولدونة المعطف ، وحلاوة المذاق ، وسهولة المقطف ؟

فصل - أنا من حاضر جفائك بين ناب ومخلب ، ومن منتظر وعدك بالرجعى

(١) أَوْخَمَ شريعة : أنتن مورد للماء .

(٢) الثاظة : الحمأة والطين .

(٣) الحلفاء : نبات محدّد الأطراف يصنع من ورقه القفف والحصر والحبال ونحوها .

(٤) الخلاية : الخداع .

(٥) الجنادل : الصخور .

(٦) الآبدة : الداهية ، والقافية الشارة .

(٧) المذق : خلط المودة بالكدر أي لم يخلص في مودته وكلامه .

بين جهام وخب^(١) .

فصل - كتابك أقصر من نبقه^(٢) ، وأصغر من بقه ، وأخون من دره ، وأخفى من ذره .

فصل - النعمة عنده تكتسي من لؤمه أظماراً . وتشتكي غربة وإسارا .

فصل - طواني في أدراج نسيانه ، وألقاني في مدارج هجرانه .

فصل - حاجتي عنده في سر الوعد وإضماره ، وميدان المطل ومضماره^(٣) .

فصل - ناديت منه من لا يمكن لفظي من سمعه ، ودعوت من ضره أقرب من نفعه . فقلت إذ أخلف التقدير ، لبس المولى ولبس العشير .

فصل - قرأت كلاماً خير منه تعاطي السكوت ، وحجاباً أقوى منه نسج العنكبوت .

فصل - لو خلع الصباح على عذري كسوته ، وأمدّه البلغاء من البيان ما يجلو صفحته ، ثم صلى منه بنار انتقاد ، ولم يرد من صفحه وإغضائه على لين مهاده ، لأتى بنيانه من القواعد وقطع زنده من الساعد .

فصل - يأبى الدهر إلا ولوعاً بشمل وصل يشرده ، ونظام أنس يبده ، ومخلب ظلم يحدده ، ولو انبسطت فيه يدي لكسرت جناحه ، وخفضت جماحه ، ولكنه الحية الصماء^(٤) لا تستجيب لراقي ، والداء العضال لا يشفى منه طيب ولا وافي .

فصل - ما أقول في دهر يعطي تفاريق ويسترجمها جملا ، ويرجع أفاويق وقطعها عجلا ، يأتي شره دفعا ، ويواتي خيره لمعاً ، إن هاجت نوازله خصت

(١) جهام وخب : الجهام : السحاب الذي لا مطر فيه والخب : الفوز والظفر .

(٢) النبق : الغرس ، وحمل شجر السدر .

(٣) المطل : الماطلة ، والمضمار : حيث تضر الخيل للسباق .

(٤) الصماء : الميتة .

الأحرار بالبطش ، وإن سكنت زلازله فكالصل ينطح بالأرض ثم يثور للنهش .
فصل - لا تجز عن من عتابي فالمسك إذا سحق ازداد عباً ، والورد إذا
أحمي طاب عرقا .

* * *

ومن باب التهاني

فصل - أهنا النعم شرباً ، وأمرعها شعباً ، ما جاء عفواً من غير التماس ، ودر
سمحا بلا إبساس .

فصل - النعم إذا حلت بفنائها فاضت على الأحرار فيضاً ، وكانت بينه
وبينهم فوضى .

فصل - عمرك الله حتى ترى هذا الهلال قمراً منيراً ، وبدراً مستديراً ، يكثر به
عدد أحفادك ، ويعظم به كمد حسادك .

فصل - الحمد لله على النجل الموهوب ، ومرحباً بقرّة العيون وريحانة
القلوب ، ولد سعيد يهنأ به أكرم والد ، ومجد طريف أضيف الى شرف تالد^(١) ،
فأبقاه الله لك بسطة عضد تتصل بذراعك ، وخب كبد تطول به مدة إمتاعك .

فصل - ما ارتعنا لفقد الفقيد ، حتى ارتحنا لقيام الخلف الحميد ، ولا
استهل الباكي منا للرزية مستعبراً ، حتى تهلل للعطية مستبشراً .

فصل - من كانت النعم تزيه فإنها تلبس بك وشاح فخر وخيلاء ، وتحل من
أفنيك بطاح مجد وسناء .

* * *

(١) شرف تالد : موروث .

ومن باب العيادة

فصل - أما علته فقد أرتني الفضل ترجف أحشاؤه فرقاً ، والصبر تنقطع أجزاؤه
فرقا .

فصل - كآني به وقد طلع كالحسام مجردا ، والهلال مجددا .

فصل - صادفني كتابه وفيه علة أجحفت بالجسد ، وتحققت جوانب الصبر
والجلد^(١) ، واستأنفت به برد الحياة ، ولبست عنه برد المعافاة .

فصل - كنت صريع سقم قد أولتني عقبه ، وزالت بالبرء عواقبه .

فصل - كنت رهين علل لا أرجو من صرعتها استقلالاً ، ولا أومل من أسر
وثاقها انحلالاً ، فلم يزل لطف الله ينفث منها في العقد ، ويمسح جانب الداء
والألم ، حتى أنشطني من عقال^(٢) ، وأنهضني من كبوة وعثار .

فصل - برز من علته بروز السيف المحلّى ، وفاز بالعافية فوز القدح
المعلّى .

فصل - لو استطعت لخلعت عليه سلامتي سربالا ، وأعرته من جسمي صحة
واقبالا ، فلست أتهنأ بالعافية مع سقمه . ولا أتمتع بنضارة عيشي مع شحوب
جسمه .

فصل - كان من العلة بين أنياب وأظفار . ومن الردى على شفا جرف هار ،
فتداركه الله برحمة رشت على سقمه ماء الشفاء ، ومجّت برد العافية في حرّ
الأحشاء^(٣) .



(١) تحيّف الشيء : أخذه من نواحيه وإنقاصه .

(٢) العقال : الأمر .

(٣) مجّت : أدخلت وأشربت .

ومن باب التعازي

فصل - الله تعالى في خلقه أقدار ماضية لا ترد أحكامها ، ولا تصد عن الأغراض سهامها ، والناس فيما بين موهبة تدعو إلى الشكر المفترض ، ومرزية يوثق فيها بجميل العوض .

فصل - الموت منهل مورود ، وسيان فيه والد ومولود .

فصل - كتبت والقلم هائم والدمع هام ، والكرب دائم والجفن دام .

فصل - كتبت وسكرات المنية بي محدقة ، ولحظات الأجل نحوي محدقة .

فصل - أعوذ بالله من كل ما يؤدي إلى موارد نقمته^(١) ، ويحجب عن موارد رحمته .

فصل - مصيبة طرقت بالمخاوف والأوجال ، وطرقت شرب الأمانى والآمال ، وأعادت سرب العيش نافراً ، ووجه الحزن سافراً .

فصل - يا لها من مصيبة أصمى سهم راميتها^(٢) ، وأصمّ صوت ناعيتها .

فصل - وفقه الله للصبر الذي إليه يرجع الجازع ، وإن أغرق في قوسه النازع .

فصل - هو من لا تستر له النوازل عن عزيمة أناته ، ولا تفجعه الفجائع بسكينة حزمه وثباته .

فصل - طال تلهفي على هلال استسرّ قبل أن يقمر^(٣) ، وغصن خضد قبل أن يثمر^(٤) .

(١) موارد نقمته : أي الوقوع الأشراك التي يصعب الخلاص منها ويكون فيها الهلاك .

(٢) أصمى : أصاب وقتل .

(٣) استسرّ : احتفى ، من السرار وهو أن يكون القمر في جانب المحاق .

(٤) خضد : كسر ، وقطع .

فصل - ما سلامة من يرى كل يوم راحلاً مشيعاً . وشملاً مصدعاً ، وصديقاً مودعاً .

فصل - شابت بعده لمم الأقلام^(١) ، وضلّت مفاتيح الكلام ، ونضبت غدر الأفهام .

فصل - لا أملك في مصيبتيه إلا عبرات ترق ولا ترقاً^(٢) ، وزفرات تهدأ ولا تهدأ .

فصل - قد نغص الموت كلّ طيب ، وأعيا داؤه كل طيب .

فصل - الموت يكتال الأرواح بلا حساب ، ويغتال النفوس بلا حجاب .

فصل - لئن طواه الردى طي الرداء ، لقد نشرته ألسنة الشناء .

ومن باب السلطانيات

فصل - بين ضرب يصدع جنوباً^(٣) ، وطعن يدع الصدور جيوباً .

فصل - إذا عبأ للغزو كتائبه ، وأخرج نحو العدا مضاربه ، خفقت بنصره الأعلام ، ونطقت وراء رماحه الأقلام .

فصل - بين صفوف ترصف . وسيوف تقصف ، ورماح تنصف ، وأرواح تخطف ، حيث الدواهي سود المناظر ، والمنايا حمر الأظافر .

فصل - لا يقف لمناجزته عدوّ إلا عاد موطىء قدمه شفيراً . وكان سهم الردى إليه سفيراً .

(١) اللّمة : الشعر .

(٢) العبرات : الدموع ، وترقأ : تكفّ وتقطع .

(٣) الجنوب : وهو الجنب من الإنسان ، ويصدع : يكسر .

فصل - أصبحوا كغناء احتمله ظهر سيل جارف^(١) ، أو كرماد اشتدت به الريح
في يوم عاصف .

فصل - لما مشى إليهم مشت قلوبهم في الصدور ، وحلت بهم قاصمة
الظهور ، فهم بين أعمار تباح ، ودماء تساح ، وأجسام تطاح ، وأرواح تسفي بها
الرياح^(٢) .

نبد من شعره في الغزل

قال [من الطويل] :

لقد راعني بدر الدجى بصدوده ووكل أجفاني برعي كواكبهُ
فيا جزعي مهلاً عساه يعودُ لي ويا كبدي صبراً على ما كواك بهُ

وقال [من المجتث] :

أنكرت من أدمعي ترى سواكبها
سلي جفوني هلُ أبكي سواك بها

وقال [من الخفيف] :

إن لي في الهوى لساناً كتوما وفؤاداً يخفي حريق جواه^(٣)
غير أنني أخاف دمعي عليه ستره يفشي الذي ستره

وقال [من مجزوء الكامل] :

(١) الغناء : الزبد والرغوة وما يجرفه السيل من أوراق أو ثمار هو على وجه الأرض .

(٢) تسفيها : تدورها .

(٣) الجوى : الحرقه المتولدة من العشق .

يا من بيت محبة منه بليلة أنقد^(١)
 إن غبت عني سمتني وشك الردى وكأن قد

وقال [من الطويل] :

عذيري من رامٍ رماني بسهمه فلم يخط ما بين الحشا والترائب^(٢)
 فأصدغه يلسعني كالعقارب وأحاطه يفعلن فعل العقاري^(٣)

وقال [من مجزوء الكامل] :

ومهفهف يهفو بللب المرء منه شمائل
 فالردف دعص هائل والقذ غصن كائل^(٤)
 والخذ نور شقائق تنشق عنه خمائل
 والعرف مثل حدائق نمت بهن شمائل
 والطرف سيف ماله إلا العذار حمائل

وقال في مخمور جمش وجهه [من الكامل] :

هبه تغير حائلاً عن عهده ورمى فؤادي بالصدود فأزعجا
 ما بال نرجسه تحول وردة والورد في خديّه عاد بنفسجا

وقال [من هجزوء الكامل] :

ومهفهف أبدى الجما ل بخذه روضاً مريعا
 فقد الطيب ذراعه فجرى له دمعي ذريعا
 وأمني وقع الحديد بعرقه ألما وجيعا

(١) بات بليلة أنقد : أي لم يتم .

(٢) لم يخط ما بين الحشا والترائب : أي أصاب القلب .

(٣) الألفاظ : العيون وفعل العقار بي : أي فعل الخمر التي ترك محتسبها سكيراً غمورا .

(٤) الردف : إلية المؤخرة . والدعص : الكتيب من الرمل .

فأرسته من عبرتي ما سال من دمه نجيعاً^(١)
وقال [من الخفيف]:

وغزالٍ منحته خالص الو
لم ألمه أن أتقى بحجابٍ
هو روعي وليس ينكر للرو
وله [من الوافر]:

كتبت إليه أستهدي وصلأ
ألا ليت الجواب يكون خيراً
وقال [من الرجز]:

ظبيّ يحار البرق في بريقه
فلم أزل أرشف من رحيقه
وقال [من مجزوء الرجز]:

شافه كفي رشأ
فقلت إذ قبلها
بقبله ما شفت
يا ليت كفي شفتي

وقال [من البسيط]:

من لي [كفيلاً] بشمل الأنس أجمعه
ما زال يعرض عن وصلي فأخذه
وقال [من مجزوء الرمل]:

(١) النجيع : الدم الأحمر الصافي .

(٢) توار : اختفاء .

(٣) يعرض : يصد ويشيح ، والأخدع : عرق في الرقة ، أي أقبل بجيده نحوه .

ويح جسمي من غزالٍ مقلته شفتاه
هو إن جاد بلثم شفتاه شفتاه

وقال [من مجزوء الكامل] :

صدف الحبيب بوصله فجفا رقادي إذ صدف^(١)
ونثرت لؤلؤ أدمع أضحى لها جفني صدف

وقال [من الرجز] :

ماذا عليه لو أباح ريقه لقلب صبٍ يشتكي حريقه

وقال [من الطويل] :

بنفسي غزالٌ صار للحسن كعبةً يُحجُّ من الفجِّ العميق ويُعبَدُ
دعاني الهوى فيه فلبيت طائعاً وأحرمت بالإخلاص والسعي يشهدُ
فجفني للتسهد والدمع قارنٌ وقلبي فيه بالصباة مفرد

قطعة من شعره في الأوصاف والتشبيهات

قال في الريحان [من الكامل] :

أعددت محتفلاً ليوم فراغي روضاً غداً إنسان عين الباغ
روضاً يروض هموم قلبي حسنه فيه لكأس الأنس أي مساغ^(٢)
وإذا بدت قضبان ريحانٍ به حيث بمثل سلاسل الأصداغ

وقال في الشقائق [من الطويل] :

(١) صدف : امتنع ، والرقاد : النوم .

(٢) يروض : يذهب ويزيل ويقود ويهدي ، والمساغ : الشراب جعله سائغاً سهلاً .

يصوغ لنا كفُ الربيعِ حدائقاً كعقد عقيقٍ بين سمط لآلي
وفيهن أنوار الشقائق قد حكتُ حدود عذاري نُقُطت بغوالي
وقال فيه [من المتقارب] :

كَأَنَّ الشَّقَائِقَ إِذْ بَرَزَتْ غلالة لاذِ وثوباً أحم^(١)
قطاع من الجمر مشبوبةً بأطرافها لمعُ من حمم
وقال فيه [من الخفيف] :

لاح لي في الرياض نور الشقيق فحكى لي غلائلاً من عقيق^(٢)
ما يشقُّ الهموم مثل شقيقٍ عند راحٍ لكلِّ روحٍ شقيق
وقال في النرجس [من الطويل] :

وما ضمَّ شمل الأنس يوماً كنرجسٍ يقوم بعذر اللهو عن خالع العذر
فأحداقه أقداح تبرٍ وساقه كقامة ساقٍ في غلائله الحضر^(٣)
وقال [من المجتث] :

أهلاً	بنرجس	روضٍ	يزهـي	بحسنٍ	وطيبٍ
يرنو	بعيني	غزالٍ	على	قضيـبٍ	رطيبٍ
وفيه	معنى	خفي	يزينه	في	القلوب
تصـحيفه	إن نسقت	الحروف	بر	حبيب	

وقال في التيمن بالبنفسج [من المنسرح] :

يا مُهـدياً لي بنفسجاً أرجأ يرتاح صدري له وينشرح

(١) الغلالة : الثوب الرقيق ، واللاد : ثوب حرير أحمر ، وأحم : اسود .

(٢) نور الشقيق : زهره ، والغلائل : جمع غلالة

(٣) الأحداق : العيون ، والتبر : الذهب الخالص .

بشّرني عاجلاً مصحفه بأن ضيق الأمور ينفسح
وقال في ضد ذلك [من المنسرح] :

يا مهدياً بنفسجاً سمجاً وددتُ لو أن أرضه سيخ^(١)
ينذرني عاجلاً مصحفه بأن عهد الحبيب ينفسخ
وله [من الكامل] :

ومدامة زُفّت إلى سلسال يختال بين ملابس كالآل
فبنى بها حتى إذا ما افتضّها بالمزج أمهرها عقود لآلي^(٢)
وقال في اقتران الزهرة والهلال [من الرجز] :

ومدامة زُفّت إلى سلسال يختال بين ملابس كالآل
فبنى بها حتى إذا ما افتضّها بالمزج أمهرها عقود لآلي^(٢)
وقال في اقتران الزهرة والهلال [من الرجز] :

أما ترى الزهرة قد لاحت لنا تحت هلالٍ لونه يحكي اللهبُ
ككرو من فضّة مجلوة أوفى عليها صولجانٌ من ذهبُ
وقال في الفجر [من الكامل] :

أهلاً بفجرٍ قد نضا ثوب الدُّجى كالسيف جرّد من سواد قراب
أو غادقٍ شقّت صداراً أزرقاً ما بين ثغرتها إلى الأتراب
وقال في وصف الثلج الساقط على غصون الشجر [من الكامل] :

نثر السحاب على الغصون ذريّةً أهدت لها نوراً يروق ونورا^(٣)

(١) سيخ : جذباء فاحلة .

(٢) بنى بها : أي نكحها وتزوَّجها ، وافتضّها : أي أزال بكارتها ، والمهر : ما يدفع عند عقد النكاح من

مالٍ وغيره . (٣) الذريّة : من الطيوب .

شابت ذوائبها فعُدنَ كأنها أجفان عينٍ تحملُ الكافور^(١)
وقال في الجمد [من الرجز] :

ربُّ جنينٍ من جنى نمر	مهتِك الأستار والضمير
سللته من رحم الغدير	كأنه صحائف البلور
أو أكرُّ تجمَّست من نور	أو قطع من خالص الكافور ^(٢)
لو بقيت سلكاً على الدهور	لعطَّلت قلائد النحور
وأخجلت جواهر البحور	وسمَّيت ضرائر الثغور
يا حسنه في زمن الحدور	إذ فيضه مثل حشى المهجور
يهدي إلى الأكباد والصدور	روحاً تحاكي نفثة المصدور ^(٣)

وقال في مدية وألقاه على طريق الإلغاز [من مجزوء الرجز] :

مأسورةٌ أبدع في تركيبها	أصحابها
تركبها الأيدي وفي هاماتها	أذناها

وقال في الخمر [من الخفيف] :

غيرتني ترك المدام وقالتُ هل جفاها من الكرام لبيبُ
هي تحت الظلام نورٌ وفي الأكباد بردٌ وفي الخدود لهيبُ
قلت يا هذه عدلت عن النصح أما للرشاد فيك نصيبُ
إنها للستور هتِكُ وبالألباب فتكُ وفي المعاد ذنوب

وقال في السيف [من الخفيف] :

(١) الذوائب : خصلات الشعر في مقدمة الوجه .

(٢) أكرُّ : جمع كرة ، تجمَّست : تجمَّدت .

(٣) المصدور : السلول ، أو مريض الصدر .

لي رفيقٌ شهم الفؤاد يمانى غزلٌ في قصفة القضبان^(١)
لا يعني في العظم إلا إذا أصبح نشوان من نجيع قاني
وقال فيه [من الخفيف] :

خير ما استعصمت به الكفُّ يوماً في سواد الخطوب عصبٌ صقيلٌ^(٢)
عن سؤال اللثام مغنٍ وفي العظم مغنٍ وللمنايا رسولٌ
وقال في الفرس [من الخفيف] :

خير ما استظرف الفوارس طرفٌ كلُّ طرفٍ لحسنه مبهوتٌ^(٣)
هو فوق الجبال وعلٌ وفي السهل عقابٌ وفي المعابر حوتٌ

غرر من شعره في الإخوان

قال [من الكامل] :

وأخٍ إذا ما شطَّ عني رحلُهُ أدنى إليَّ على النور معروفةٌ
كالكرم لم يمنعه بعد عريشه من أن يقربَ للجنة قطوفهُ

وقال في مؤلف هذا الكتاب [من الكامل] :

أخٌ لي أمانٌ الودّ منه فرائد وألفاظه بين الحديث فرائد^(٤)
إذا غاب يوماً لم ينب عنه شاهد وإن شهد ارتاحت إليه المشاهد

(١) الياني : السيف منسوب الى اليمن ، وقصافة من قصف : أي قطع .

(٢) العصب الصقيل : السيف القاطع الماضي .

(٣) الطرف الأول : الكريم الأصل من الخيل والطرف الثاني : النظر .

(٤) الفرند : السيف .

وقال فيه [من المديد] :

قد أتاني من صديق كلامٌ	كلالٍ وانهنّ نظام
فسرى في القلب مني سرورٌ	مطربٌ يعجز عنه المدام ^(١)
مثلما يرتاح شيخ بناتٍ	حوله من جمعهنّ زحام
فدعا الله طويلاً يرجى	خلفاً من نسله ما يرام ^(٢)
وأناه بعد يأسٍ بشيرٌ	قال يا بشراي هذا غلام ^(٣)

وقال [من الطويل] :

بنفسي أخٌ قد برّني بشكاته	ولم يجعل الحمى دون ماله
فطاب ثناءٌ بين أثناء سقمه	كطيب نسيمٍ الريح عند اعتلاله
بودّي لو نفّستُ عنه سقامه	بنفسي لو نافسته في احتماله
فلم تصب الأوصاب راحة جسمه	ولم تخطر الأشجان يوماً بباله ^(٤)

وقال [من الكامل] :

تمّت محاسنه فما يزري بها	مع فضله وسخائه وكماله
إلاّ قصورٌ وجوده عن جوده	لا عون للرجل الكريم كماله ^(٥)

-
- (١) في الأصول : « فسرى في الفؤاد مني سرورٌ » ولا يستقيم مع وزن البيت .
(٢) في الأصول : « فدعا الله طويلاً يرتجي » ووزن البيت لا يستقيم إلا كما ذكرنا .
(٣) في الأصول : « وأناه من بعد يأسٍ بشيرٌ » ووزن البيت لا يستقيم مع ما قبله إلا بحذف « من » .
(٤) الأوصاب : الأوجاع ، والأشجان : الأحزان .
(٥) قصور وجوده : قصور إقامته .

لمع من شعره في المداعبات وما يشاكلها

كتب إلى كاتب له [من المتقارب] :

أبا جعفر هل فضضت الصدف هل
و هل جئت ليلاً بلا حشمة
و هل إذ رميت أصبت الهدف
لهول السرى سدفاً في سدف^(١)

وقال [من المتقارب] :

يريد يوسّع في بيته
فتى سخط النصب في قدره
ويأبى به الضيق في صدره
كما رضي الخفض في قدره

وقال [من مخلع البسيط] :

لنا صديقٌ يجيد لقماً
ما ذاق من كسبه ولكن
راحتنا في أذى قفاه
أذى قفاه أذاق فاه

وقال [من مجزوء الكامل] :

يا من دهاه شعره
سيان فاجأ أمرداً
وكان غضاً أمرداً
في الخد شعراً أم ردى

وقال [من السريع] :

لنا مغنٌ سمج وجهه
رام غناءً فأبى صوته
أبداع في القبح أبازيره^(٢)
ورام ضرباً فأبى زيره^(٣)

وقال [من الطويل] :

(١) الحشمة : الحياء والمسلك المحمود والسرى : السير ليلاً والصدف : الظلم .

(٢) السميح : الثقيل الكريه .

(٣) الزير : وتر العود .

هو السؤل لا يعطيك وافر منه يد الدهر إلا حين أبصرته جلدا

* * *

وفي المراثي

قال يرثي أبا بكر بن حامد البخاري [من مخلع البسيط] :

يا بؤس للدهر أيّ خطب دها به الناس في ابن حامد
قد استوى الناس مذ تولى فما يرى موقف الحامد
يبكي على فقدته ثلاث العلم والزهد والمحامد

وله من قصيدة يرثي بها أبا القاسم علي بن محمد الكرخي [من الخفيف] :

هل إلى سلوة وصبر سبيل كيف والرزء ما علمت جليل
فجعتني الأيام لما ألت بصديق وجدي عليه طويل^(١)
بأبي القاسم الذي أقسم المجد يميناً أن ليس منه بديل
كان معنى الوفاء والبر إن حا ل زمان فودة ما يحول
كان زين الندى في العلم والآ داب ترعى رياضهنّ العقول
كان بدر النهى فحان أقول كان شمس الحجى فحان أصيل

ومنها :

خلق كالزلال زلّ عن الصخر ونفس للعب عنها زليل^(٢)
واجتناب لما يعيب من الأمور وعرض عن الدنيا صقيل
من يكن بعده العزاء جميلاً فاجتناب العزاء فيه جميل

(١) وجدي : حزني وأسفي .

(٢) زليل : تمولّ وابتعاد .

ومنها :

أيُّ مرأىٍّ ومنظرٍ لا يهول من خليلٍ عليه تربٌ مهيل^(١)
فعليه سلام ذي العرش يهديه إلى حشو قبره جبريل
وأناه من رحمة الله كفلٌ هو بالخلد في الجنان كفيل^(٢)

وقال في غلام له توفي في دهستان [من البسيط] :

لي في دهستان لا جاد الغمام لها	إلا صواعق ترمي النار والشهبأ
ثأو ثوى منه في قلبي جوىً ضرم	يشب كالسيف حدّاً والسنان شبا ^(٣)
دعاه داعي المنايا غير محتسب	فراح يرفل عند الله محتسباً
هلال حسن بدا في خوط أسلحة	قد كاد يقمر لولا أنه غرباً ^(٤)
لو يقبل الموت عنه فديةً سمحت	نفسى بأنفس ذخر دون ما سلباً
لكن أبى الدهر أن ترزا فجائعه	إلاً عقال ما نحويه والنخبأ ^(٥)
تراه قد نشبت فينا مخالفه	فليس يبقى لنا علقاً ولا نشبأ ^(٦)
لئن أناخ على وفري بنكبته	فالدين والعرض موفوران ما نكبأ
أقابل المر من أحكامه جلدأ	بالحلم والصبر حتى يقضى العجبأ



(١) ترب مهيل : أي دثر بالتراب ، وأمال التراب على القبر : أي غطاه به .

(٢) الكفل : أي الرحمة المضاعفة .

(٣) ضرم : متقد ، والشبا : الحدّ القاطع .

(٤) الخوط : الغصن الناعم ، والأسحلة : شجرة تتخذ منها المساويك ، وهي عيدان تنظف بها الأسنان .

(٥) العقائل : النفائس والأشراف ، والنخب ، أي أفضل ما يختاره الإنسان .

(٦) العلق : النقيس الغالي ، والنشب : المال من دراهم وأملاك .

وفي التوجع وشكوى الدهر

قال [من الكامل] :

يا دهر ما أقساك يا دهرُ
أما اللثام فأنت صاحبهمُ
يبقى اللئيم مدى الحياة فلا
تصفو له الدنيا بلا كدرٍ
فمرامه سهلٌ وكوكبهُ
وعلى الكريم يدٌ يُسلطها
إن ناب خطبٌ فهو عرضتهُ
أو ييخ معروفاً لديك غدا
مرعاه جَدَبٌ والحظوظُ لهُ
وجناه شوكٌ والبحورُ لهُ
يا دهر دُعْ ظلم الكرام فهم
سالمهم واستبقِ ودَّهمُ

لم يحظ فيك بطائلٍ حرُ
ولهم لديك العطف والنصرُ
يرتاع منه لحادثٌ صدرُ
ويطبعه في عيشه اليسرُ
سعدٌ وغصن سروره نضرُ
منك الجفاء المرُّ والقسرُ
يفريه منه الناب والظفر^(١)
ينحي عليه حادثٌ نُكرُ
حربٌ وجانب عيشه وعرُ
وشلٌ وحشؤ فؤاده جمر^(٢)
عقدٌ لنحرك لو درى النحرُ
فهمُ نجوم ظلامك الزهرُ

وله في النكبة كفاناها الله تعالى [من الوافر] :

جفونٌ قد تملكها السهاد
وأحداثٌ أصابتنى وقومي
فقد شطَّت بنا وبهم ديارُ
أقول وفي فؤادي نارٌ وجدو
وللأحزان في صدري اعتلاجُ

وجنبٌ لا يلائمه مهادُ
يذلُّ من الحليم لها القيادُ
وفرَّق جامع الشمل البعاد^(٣)
لها ما بين أحشائي اتقاد
وللأفكار في قلبي اطراد

(١) ناب : حلّ ، يفريه : يقطعه .

(٢) الوشل : الماء القليل .

(٣) شطَّت : بعدت .

ألا هل بالأحبة من لمام
ولا والله ما اجتمعت ثلاث
فإن تجمع شتيت الشمل منّا
تنجزنا من الأحداث عهداً
وكيف يصح للأيام عهد
وقال [من المنسرح] :

ما لليالي ولي كأن لها
أظنها قد تراهنت جملاً
في مهجتي إن لقيتها غرضاً
في رميها واتخذني غرضاً

* * *

وفي الحكمة والأمثال والزهد

قال في معنى لم يسبق إليه [من السريع] :

كم والد يحرم أولاده وخيره يحظى به الأبعد
كالعين لا تبصر ما حولها ولحظها يدرك ما يبعد

وقال في معنى آخر اخترعه [من البسيط] :

لا تمنع الفضل من مال حبيب به
والكرم يؤخذ من أطرافه طمعاً
فالبذل ينميه بعد الأجر يدخر
في أن يضاعف منه الأكل والثمر
وقوله [من مجزوء الكامل] :

أخوك من إن كنت في نعمي وبؤس عادلك^(١)

(١) لمام : لقاء واحتضاء .

(٢) عادلك : هو هنا مؤلف من « عادل » فعلاً ماضياً وضمير المخاطب .

وإن بدا لك منعماً بالبرِّ منه عادلِكَ^(١)

وقوله [من مجزوء الخفيف] :

جامل الناس في المعاش وخلُّ المزاحمة
وتنصَّح وقل لمن يتعاطى المزاح مه^(٢)

وقوله [من الكامل] :

يشقى الفتى بخلاف كلِّ معاندٍ يؤذيه حتى بالقذى في مائه
يهوى إذا أصفى الإناء لشربه ويروغ عنه عند صبِّ إنائه

وله [من الطويل] :

دع الحرص واقنع بالكفاف من الغنى فرزق الفتى ما عاش عند معيشه
وقد يهلك الإنسان كثرةً ماله كما يُذبح الطاووس من أجل ريشه

وقوله [من البسيط] :

أمتِّع شبابك من لهوٍ ومن طرب فخير عيش الفتى ريعان جدته
ولا تصخِّ لملامٍ سمعَ مكترث فالعمر من فضةٍ والشيب كالخبث^(٣)

وقوله [من الوافر] :

أتركضُ في ميادين التصابي وقد ركض المشيب على الشباب
وتأمن نوبةً الحدثان نفسي وما نابُ لها عني بناي^(٤)
وكيف تلذُّ طعم العيش نفسٌ غدت أترابها تحت التراب

(١) مؤلف من « عاد » ولام الجذر ، وضمير المخاطب .

(٢) أمه : اسكت وكفَّ ، اسم فعل مبني على السكون وقد يكسر فيقال مو .

(٣) ريعان جدته : ريعان شبابه ونشاطه والخبث : النجس ، وما لا خير فيه .

(٤) الحدثان : الليل والنهار ، أي الزمن ومصائبه بناي : بمبتعد ومفارق .

وقوله [من الخفيف] :

قد أبى لي خضاب شبي فؤادُ فيه وجدٌ بكتم سري ولوعُ
خاف أن يعقب الخضاب نصولُ ونصول الخضاب سيرٌ بديع

وقوله [من السريع] :

ذو الفضل لا يسلم من قدح وإن غدا أقوم من قدح^(١)
وقال وقد نظم كلام سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه [من المجتث] :
تقصيرك الذيل حقاً أبقى وأتقى وأنقى

وقال [من البسيط] :

عمر الفتى ذكره لا طول مدتهِ وموته خزيه لا يومه الداني
فأحي ذكرك بالإحسان تودعه تجمعُ بذلك في الدنيا حياتان

(١) القدح : الذم ، وأقوم : أكثر استقامة ، والقدح : السهم .

الباب التاسع

في ذكر الطارئین علی نيسابور من بلدان شتى على اختلاف مراتبهم
فمنهم من فارقتها ، ومنهم من استوطنها
وسياقة الملح من كلامهم سوى من تقدم ذكره منهم في سائر الأبواب

٩٠ - أبو عبد الله الواحشي البشري محمد بن الحسين

شاعر ظريف الجملة والتفصيل ، ورد نيسابور فاستوطنها إلى أن توفي بها ،
وله شعر كثير أخرجت منه ملحاً قليلة ، كقوله في وصف الشموع .

وهو معنى مبتدل [من الوافر] :

عرائسٌ تستضيءُ بها الكؤوسُ	كأنّ ضياء أوجهها الشموسُ
لنا من حسنّها أبداً نعيمٌ	لها منه مدى الأيام بوس ^(١)
تذوق الموت ما سلمتُ وتحيا	إذا ما قطعّت منها الرءوسُ

وقوله في الغزل [من الوافر] :

(١) بوس : يعني البؤس خففت الهمة لضرورة الشعر .

بمثل هواك تنتهك الستورُ ويبدو ما تضمّنه الضميرُ
يسرُّ بما يسُرُّك كلُّ شيءٍ يرى حتى يسرُّ بك السرورُ
ولست البدر لكنّ فيك حسنٌ تلاشى في دقائقه البدورُ
وله من أخرى [من الطويل] :

وما الناس إلا الرقُّ منه مصاحفٌ ومنه بأعناق النساء طبولُ
وله من قصيدة [من الخفيف] :

عالم الغيب شاهدٌ أنّ غيبي لك كالظاهر الذي ترتضيه
ليس فخري ولا اعتدادي بشيءٍ غير أنني في عالم أنت فيه

٩١ - أبو طاهر بن الخبز أرزي

قد تقدم ذكره عند ذكر أبيه وعمه ، وكان - على انتحاله كثيراً من أشعار أهل عصره - شاعراً لا بأس بكلامه ، ونقب في بلاد خراسان ، وأقام بنيسابور مدة ، ومن شعره السائر بنيسابور قوله لحاكمها [من البسيط] :

كم من سعيدٍ على الأيام قد نُحِسَا وصاعدٍ قد رماه الدهر فانتكسا
وحاكمٍ ظنَّ أنّي دون ثروته مذبذبٍ فقرا لي وجهه عبسا^(١)
سنستجدُّ خلاف الحاليتين فلا أبقى فقيراً ولا تبقى لحكم نسا
وقوله [من الطويل] :

عليّ ثيابٌ فوق قيمتها الفلس وفيهنّ نفسٌ دون قيمتها الإنس
فتوبك مثل الشمس من تحتها الدجى وثوبي مثل الغيم من تحته الشمس
وقوله [من المنسرح] :

(١) مذبذب : متردّد ، « فقرا لي وجهه عبسا » أي عبس وتولّى وهي سورة من سور القرآن الكريم .

وروضة راضها الندى فغدت لها من الزهر أنجم زهر
تنشر فيها أيدي الربيع لنا ثوباً من الوشي حاكه القطر
كأنما شق من شقائقها على رباها مطارف خضر
ثم تبدت كأنها حدق أجفانها من دماها حمر

* * *

٩٢ - أبو الحسن أحمد بن أيوب البصري المعروف بالناهي

ورد نيسابور فأقام بها سنين يشعر ، ثم فارقها إلى جرجان ، وألقى عصاه بها
مدة إلى أن سار منها ، فأنشدني الدهخذا أبو سعيد محمد بن منصور ، قال :
أنشدني الناهي لنفسه في البعوض والبرغوث [من المنسرح] :

لا أعذر الليل في تطاوله لو كان يدري ما نحن فيه نقص
لي والبراغيث والبعوض إذا ألحفنا حنّداً الظلام قصص^(١)
إذا تغنى بعوضه طرباً ساعد برغوته الغنا فرقص

المعنى جيد وفي اللفظ خلل .

وقوله [من السريع] :

كنت إذا أصبحت في حاجة أستعمل التقويم والزيج^(٢)
فأصبح الزيج كتصحيفه وأصبح التقويم تعويجا

* * *

(١) ألحفنا : سترنا ، والحنّدا : الظلام الشديد .

(٢) الزيج : في علم الفلك : جدول يدل على حركة الكواكب ، ومنه يستخرج التقويم .

٩٣ - أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي

أحد أفراد الدهر ، وأعيان العلم ، وأعلام الفضل ، وهو الإمام اليوم في النحو بعد خاله أبي الحسن بن أحمد الفارسي ، ومنه أخذ ، وعليه درس ، حتى استغرق علمه ، واستحق مكانه ، وكان أبو علي أوفده على الصاحب فارتضاه ، وأكرم مثواه ، وقرب مجلسه .

وكتب إليه في بعض أيامه عنده هذه المعمة ليستخرجها .

ما أسود غريب ، بعيد الدار قريب ، يقدم فحواه على نجواه ، ويتأخر لفظه عن معناه . له طرفان فأحدهما جناح نسر ، والآخر خافية صقر . يلقاك من مياسره سانح^(١) ، ومن ميامنه بارح^(٢) . تجودك أنواؤه والسنون جماد ، وتسقيك سماؤه والعيش جهاد ، بينا تراه على كواهل الجبال ، حتى يتهيل الرمال^(٣) ، قد تجافى قطراه عن واسطته ، وانضم ساقاه على راحلته . يخونك إن وفي لك الشباب ، وفي لك إن جهدك الخضاب ، رفعت رفعة المنابر ، ورفقته رفقة المحابر ، يروي عن الأحمر ، وإن شئت عن يحيى بن يعمر . قد أفضى بك إلى روضة غناء ينعم رائدها ، وشريعة زرقاء يكرع واردها ، أخرجه أبا الحسين ، أسرع من خطفة عين [من الوافر] :

وذاك له إذا العنقاء صارت مربيةً وشبَّ ابنُ الخصي !
ولما استأذنه للصدر وقع في رقعة : لا استدلال يا أخي على الملل ،
أقوى من سرعة الارتحال ، لكننا نقبل العذر وإن كان مرفوضاً ، ونبسطة وإن كان مقبوضاً ، ولا أمنعك عن مرادك ووافقك . وإن منعت نفسي مرادها بفراقك ،

(١) السانح : من الطير ما مر من يسار الرائي الى يمينه

(٢) البارح : من الطير ما مر من يمين الرائي الى يساره .

(٣) يتهيل : يهيل التراب والرمل : انهال وتصيب .

فاعزم على ذلك وفقك الله في اختيارك ، ووصل النجح بإيثارك .

وأصبحه كتاباً إلى خالة أبي علي هذه نسخته :

كتابي أطال الله بقاء الشيخ ، وأدام جمال العلم والأدب بحراسة مهجته ، وتنفيس مهلته ، وأنا سالم والله حامد ، وإليه في الصلاة على النبي وآله راغب ، ولبر الشيخ أيده الله بكتابه الوارد شاكر ، فأما أخونا أبو الحسين قريبه أيده الله فقد ألزمني بإخراجه إلى أعظم منه ، وأتحفني من قربه بعلق مضنة^(١) ، لولا أنه قلل الأيام ، واختصر المقام ، ومن هذا الذي لا يشاق إلى ذلك المجلس ؟ وأنا أحوج من كافة حاضرتة إليه ، وأحق منهم بالمثابرة عليه ، ولكن الأمور مقدره ، وبحسب المصالح ميسرة ، غير أنا ننتسب إليه على البعد ، ونقتبس فوائده عن قرب ، وسيشرح هذا الأخ هذه الجملة حق الشرح بإذن الله ، والشيخ أدام الله عزه يبرد غليل شوقي إلى مشاهدته ، بعمارة ما افتتح من البر بمكاتبتة . ونقتصر على الخطاب الوسط ، دون الخروج في إعطاء الرتب الى الشطط ، كما يخاطب الشيخ المستفاد منه التلميذ الأخذ عنه ، وينبسط إلي في حاجاته ، فإنني أظنني أجدر إخوانه بقضاء مهماته ، إن شاء الله تعالى .

وتصرفت بأبي الحسين أحوال جميلة في معاودته حضرة صاحب ، وأخذه بالحظ الوافر من حسن آثارها ، ثم وروده خراسان ونزوله نيسابور دفعات وإملائه بها في الأدب والنحو ما سارت به الركبان ، ثم قدومه على الشار صاحب غرسان وحظوته عنده ووزارته له ، ثم وزارته للأمير إسماعيل بن سبكتكين ، ثم اختصاصه بعده بالشيخ أبي العباس الفضل بن أحمد الإسفرائيني وأبنائه بغزنة ورجوعه منها إلى نيسابور وإقامته بإسفارئين ، ثم مفارقتة إياها إلى جرجان واستقراره بها الآن ، ومحله يكبر عن الشعر إلا أن بحر علمه ربما يلقي الشعر على لسان فضله .

(١) علق مضنة : النفيس الذي يحرص عليه المرء ، أي أنه أولاه الرعاية والحرص .

فمما أنشدنيه وحديثه أن رئيس مرور الروز سأله أن يجيز قول الشاعر [من الطويل] :

سرى يخبط الظلماء والليل عاكفٌ غزال بأوقاتِ الزيارة عارف
فقال [من الطويل] :

وما خلتُ أنَ الشمس تطلع في الدجى	وما خلتُ أنَ الشمس تطلع في الدجى
ولجلج إذ قال السلام عليكم	ولجلج إذ قال السلام عليكم
وقمت أفديهِ وقلبي كأنه	وقمت أفديهِ وقلبي كأنه
ولما سرى عنه اللثام بدت لنا	ولما سرى عنه اللثام بدت لنا
وطال تناجينا ورقَ حديثنا	وطال تناجينا ورقَ حديثنا
ولا غرو أن لا باخلُ بخياله	ولا غرو أن لا باخلُ بخياله
فيا لك لبلاً قد بلغت به المنى	فيا لك لبلاً قد بلغت به المنى
كانَ يد الأيام عندي بوصله	كانَ يد الأيام عندي بوصله
إذا ادخر الأموال قومٌ فذخره	إذا ادخر الأموال قومٌ فذخره
ومن شَغَفَ البيضَ الأوانس قلبه	ومن شَغَفَ البيضَ الأوانس قلبه

وله من قصيدة في الشيخ أبي الحسن علي ابن الشيخ أبي العباس
الاسفرائيني [من الطويل] :

فتى ساد في عصر الفتاء وقد حوى	فتى ساد في عصر الفتاء وقد حوى
يصدقُ ظنَ المرتجى ويزيدهُ	يصدقُ ظنَ المرتجى ويزيدهُ
فلا مطله يمتدُّ قدّام نيله	فلا مطله يمتدُّ قدّام نيله

(١) جادف : جدف الطائر من باب نصر أي طار وهو مقصوص الجناح .

(٢) الفتاء : أي الافتاء بالشرعة وأحكامها ، وشتيت العلى : أي جوانبه المتفرقة .

(٣) المطل : من الماطلة في العطاء، والمن : العطاء والتكرم .

من الشد ، وهو : العدو .

ومنها :

ألا أبلغ الشيخ الجليل رسالة
تقلبت في نعماك عشراً كواملاً
وأنقذت شلوي من يد الموت بعدما
وسيت لي عيشاً يسدّ خصاصتي
أكفر من صغرى أياديه مهجتي
أعدت قوى جبلي وشيدت بنيتي
وتربية المعروف شرط تمامه

مترجمة عن شكره وثنائه
حلبت بهن العيش ملء إنائه
ترامته من قدامه وورائه^(١)
ووجهي محقون صباية مائه^(٢)
وبلغة عيشي من دقاق حبايه
وكم رمّ بانٍ مسترمٌ بنائه
وهل تمّ شرطٌ دون ذكر جزائه

الشرط والجزاء في النحو معروفان .

ولا بدّ من سرّ إليك أبثّه
تمادى عليّ في الجفاء ولم أكن
كأنّي يوماً عقتّه عن سماحه
طوى كشحة من دون عتبٍ أسرّه
تكدر بالادمان صفوً وداده
فإن جرّ تخفيفي عليّ قطيعةً

ففي نفثة المصدور بعض شفاثه
خليقاً بما أبداه لي من جفاثه
كأنّي يوماً لُمته في سخائه؟^(٣)
وجهل أمرىء بالداء جهل دوائه^(٤)
فحاولت بالاعتاب عود صفائه
فربّ سقيمٍ سقمه لاحتمائه

وله من قصيدة [من الطويل] :

(١) الشلو : العضو ، وكلّ مسلوخ أكل منه شيء وبقيت منه بقية .

(٢) الخصاصة : البلغة والحاجة .

(٣) عقتّه : من عاق : أي منع ، والساح الكرم مع المروءة ، والسخاء : الكرم .

(٤) طوى كشحه على أمر : أي أخفاه وطوى كشحه عنه : أعرض عن لقاءه والكشع ما بين الخاصرة والسرّة ووسط الظهر .

ولا غصنٌ إلا ما حواه فباؤه ولا دعصٌ إلا ما خبته مآزره^(١)
وأَمْضَى من السيف المنوط بخصره إذا شيم سيفٌ تنتضيه محاجرهُ
وله من أخرى في الأمير خلف [من الطويل] :

وما كتبت سطرأ من الوجد أدمعي لنحوك إلا وهو بالدم معجم
ومالي ألقى في جنبك غلةً وحوضك للعافين غيري مفعمٌ
وقد يغتدي الوراد ييغون نُجعةً فيرزق مرتادٌ وآخر يحوم^(٢)
وله من أخرى [من الكامل] :

كم أعقبت نوب الزمان جميلاً وكفين خطباً قد ألمّ جليلاً
لا تستقل جميل دهرك إنّه ليس القليل من الجميل قليلاً
واسألُ بي الأيام حين جسستني بخطوبها جسّ الطيب عليلاً
أقريتها لما نزلن بساحتي صبراً على ريب الزمان جميلاً
ومنها :

يرعى محياه الجميل رواؤه ثمر القلوب محبةً وقبولا
حلو الكلام كأثما أنفاسه ألفت عليه خلقه المعسولا
ومنها :

يا راكباً والجوسقان قصاره يجفو مبيتاً دونه ومقيلاً
قل للأمير إذا سعدت بوجهه وقضيت حقّ بساطه تقبيلاً
لا تيأسن من الإله فروحه إن لم يغادك بكرةً فأصيلاً^(٣)

(١) القباء : الثوب والحباء ، والدعص : الكثيب من الرمل تشبّه به أرداف المرأة، وخبته المآزر : أي أخفاه
الإزار الذي تتشح به المرأة في وسطها .
(٢) النُجعة : طلب العيش في أماكنه .
(٣) الروح : الفرج ، والكرم ، والرحمة . ويغادك : من الغدو صباحاً ، والأصيل : المساء .

وَأَمَلْ لَطَائِفَ صَنَعِهِ فَلَطَالَمَا كَشَفَ الْهَمُومَ وَبَلَغَ الْمَأْمُولَا
 يَا رَبِّ مَكْرُوهٍ تَعَذَّرَ حُلُّهُ لَيْلًا فَأَصْبَحَ عِقْدُهُ مَحْلُولَا
 وَمَلَمَّةٍ أَعْيَا نَهَارًا خُطْبَهَا أَمَسَتْ فَسَهَّلَ خُطْبَهَا تَسْهِيلَا
 ذَكَرْتُكَ الصَّبْرَ الْجَمِيلَ وَإِنِّي كَمَذَكَّرٍ غَزَلَ النِّسَبَ جَمِيلَا
 وله في وصف الفرس من قصيدة [من الكامل] :

وَمَطْهَمٍ مَا كُنْتُ أَحْسِبُ قَبْلَهُ أَنْ السُّرُوجَ عَلَى الْبَوَارِقِ تَوْضِعُ^(١)
 وَكَأَنَّمَا الْجُوزَاءُ حِينَ تَصَوَّبَتْ لَبَبٌ عَلَيْهِ وَالْثَرِيَّا بَرَقُ^(٢)

٩٤ - أبو سعد نصر بن يعقوب

تعقد عليه الخناصر بخراسان في الكتابة ، والبراعة في الصناعة . وله في الأدب تقدم محمود ، وفي المروءة قدم مشهورة ، وفي المعالي همة بعيدة ، وشهادة الصاحب له بالفضل ، تسجل بها أحكام العدل . وفيما أحكيه من كتابه إليه في ارتضاء تأليفه ونظمه ونثره ، غنى عن الإسهاب في ذكره ، والإطناب في وصفه .

ولما بعث إلى حضرته بكتابه المترجم بروائع التوجيهات ، من بدائع التشبيهات ، مقروناً بكتاب يشتمل على كل صواب ، وقصيدة في فنها فريدة ، ورد عليه كتاب هذه نسخته :

كتابي - أطل الله بقاءك يا ولدي - وقد شارفت أصبهان سالما ، والحمد لله حمداً دائماً . ووصل كتابك أيدك الله فأنبأ من محاسنك عن مجال فسيح ، ونطق في فضائلك بلسان فصيح . وأذكر بحرمتك وإنها لمحصدة المرائر . وخبر

(١) المطهم : التام الحسن .

(٢) تصوَّبَتْ : انحدرت وهمت ، واللبب : موضع القلادة من الصدر ، أو سير يشدّ به السرج . البرقع : قناع للدواب .

بقربائك وإنها لخالصة السرائر . فأما كتاب التشبيهات فقد فرغت به كافة الأشباه^(١) ، وأنبت على سبقك كل الإنباه . إذ تعاطاه ابن أبي عون فلم يطاول يدك . وحمزة بن الحسن فلم يبلغ أمدك ، وهذان شيخان مقدمان ، وفحلان مقرمان^(٢) ، وما ظنك بكتاب نفرته على نظائره^(٣) ، وصار ألزم لمجلسي من مساوره^(٤) ، وحين هزني نثر حتى كأنه نثر الورد ، عطفت على نظمك فإذا هو نظم العقد . وإني ليعجبي أن يكون الكاتب شاعراً ، كما يعجبي أن يكون الشعر سائراً فيها نحن ندعيك في فضلاء هذا الصقع ، ونجتذبك اجتذاب الأصل للفرع ، فاكتب متى شئت ، عامراً من الحال ما أسست ، ومستثمراً من الخصوص ما غرست ، إن شاء الله . خاطبت أيدك الله في معنى الضيعة وليس حلها لك بمستنكر ، ولا إطعامك أياها بمستكثر إلا أن الرأي والرسم أوجبا أن يجعل بدء النظر تسويغاً ، يعود من بعد تمليكا وتخويلاً . فليقبض المرسوم ، لينتظر الموعد ، إن الهلال يدور بعد ليال بديراً كاملاً ، والطلل يكسب ثم يعود وابلاً ، والحمد لله وصلواته على النبي محمد وآله .

ولأبي سعد كتب كثيرة سوى ما تقدم ذكره ، فمنها كتاب ثمار الأنس في تشبيهات الفرس ، وكتاب الجامع الكبير في التعبير ، وكتاب الأدعية ، وحقبة الجواهر في المفاخر ، وهي من مزدوجة بهجة في الأمير خلف ، وهو الآن يتولى عمل الفرض والإعطاء بنيسابور ، وإذا احتاج السلطان المعظم يمين الدولة وأمين الملة الإجابة عن كتب الخليفة القادر بالله أطال الله بقاءهما اعتمد فيها عليه ، لما يتحققه من حسن كلامه ، وقوة بيانه ، وغزارة بحره ، وشرف طبعه .

وله شعر كثير قد كتبت منه ما حضرني الآن إلى أن الحق به أخواته

(١) فرغت به : تجاوزت وافتضضت .

(٢) مقرمان : القرم : السيد .

(٣) نفرته على نظائره : أي فضّلته وقدمته .

(٤) مساوره : مشاربه ، أو أساده .

فمن ذلك قوله للصاحب من قصيدة أولها [من الوافر] :

أبى لي أن أبالي بالليالي وأخشى صرفها فيمن يبالي
حلولي في ذري ملكٍ كطودٍ رفيعٍ مشرف الأعلام عالي
إلى شمس الشتاء إلى ظلال المصيف إلى الغمام إلى الهلال
إذا ما جاءه المذعور يوماً وحلّ ببابه عقد الرحال
تبوّأ من ذراه خير دارٍ فلم يخطر لمكروه ببال

ومنها عند ذكر القصيدة :

بودّي لو نهضت بها ولكنّ ضعفت عن الحراك لضعف حالي
وله إليه في صدر كتابه [من الرجز] :

نعم رسول الخادم المحتشم إلى الوزير السيد المحترم
الصاحب البرّ الأجل الأكرم كافي الكفاة وليّ النعم
مدبّر الأرض وراعي الأمم بلغه الله أقاصي الهمم

* ما في الكتاب من ثمار القلم *

وله من قصيدة إلى أبي محمد الخازن [من الطويل] :

أتاني كتاب الشيخ مولاي بغتةً فطار له غمّي كما طاب موردي
وفيه معانٍ لا تدين لكاتبٍ وتعنو لعبد الله أعنى ابن أحمد^(١)
فأسكرون حتّى دونها خمر بابلٍ وأطربن حتّى دونها لحنٌ معبد^(٢)
قرأت سواداً في بياضٍ كأنّه طراز عذارٍ لاح في خدٍّ أمرد

وله من أبيات في وصف الزلزلة [من الرمل] :

(١) لا تدين : أي لا تخضع ، وتعنوا : تسمع وتطيع .

(٢) معبد : أحد المغنين المشهورين .

أسقني كأساً كلون الذهب وأمزج الريق بماء العنب
فقد ارتجّت بنا الأرض ضحىً كارتجاج الزئبق المنسرب
وكانّ الأرض في أرجوحة وكأنا فوقها في لولب

وقوله في كسوف القمر [من الرجز]:

كأنما البدر به الكسوف جامٌ لجينٍ رائقٍ نظيف^(١)

* في نصفه بنفسج قطيف *

٩٥ - أبو نصر سهل بن المرزبان

أصله من أصبهان . ومولده ومنشؤه قاين ومستوطنه الآن نيسابور وهو غرة في جبهة عصره ، وتاج على رأس أهل مصره ، وخارج بمحاسنه وفضائله عن المعتاد ، إلى ما لا يدرك بالاجتهاد . واقف من الآداب على أسرارها ، قاطف من العلوم أحلى ثمارها ، وبلغ من غلوه في محبتها ، وشدة حرصه على اقتناء كتبها . أن ركب إلى قرارتها بغداد الشقة ، وتحمل فيها المشقة ، ولم يرض بذلك مرة ، حتى كر إليها كرة ، ليس له بها غير الأدب أرب ، ولا سوى الكتب طلب ، أنفق على تلك الفوائد ، من الطارف والتالد ، ما عوضه عنه صنوف المحامد ، وقديما قيل :

إنفاق الفضة ، على كتب الآداب ، يخلفك عليها ذهب الألباب .
وليس اليوم بنيسابور ديوان شعر غريب يجري مجرى التحف ، ولا كتاب جديد يشتمل على بدائع الطرف ، إلا ومن عقده انتثر ، ومن يده انتشر ، ولابها سواه من تسموهمته على يساره ، لارتباط الوراقين في داره ، وله من مؤلفاته كتاب

(١) جام لجين : الجام : إناء ، واللّجين الفضة .

أخبار أبي العيناء وفيه يقول [من الهزج] :

تفاءلتُ على علمٍ بأخبار أبي العينا
إذا ما قرأ القاري بها قرأ بها عينا

وله كتاب أخبار ابن الرومي مما ألفه لي ، وكتاب أخبار جحظة البرمكي ،
وكتاب ذكر الأحوال في شعبان وشهر رمضان وشوال ، وكتاب الآداب في الطعام
والشراب ، وله شعر كثير النكت ، وقد كتبت أنموذجاً منه ، كقوله [من الكامل] :

كم ليلةٍ أحييتها ومؤانسي طرفُ الحديث وطيبُ حثِّ الأكؤسِ
شبهتُ بدرَ سمائها لما دنتُ منه الثريا في قميصِ سندسي
ملكاً مهياً قاعداً في روضةٍ حيّاه بعض الزائرين بنرجسِ

وقوله [من الرمل] :

قال لما قلت لم تهجرنا إن أتى بردٌ وإن ثلجٌ وقعُ
أنا كالحية أشتو كامناً ثم أنساب إذا الصيف رجعُ

وقوله لبعض الرؤساء [من المتقارب] :

إذا ما سكت على ما أسأم فنفسي بتكليفه لا تفي
وإمّا نطقت فعيبٌ يمضُ ولومٌ يجدُّ ولم أنصف^(١)
فهل من سبيلٍ إلى ثالثٍ لأسلكه وهو عني خفي

وقوله [من البسيط] :

لم ألق مثل أبي بكرٍ معدلكم في الآدميين شباناً ولا شيبا
حكى عليٌّ أحاديثاً أكاذيباً وفي اختلاسِ حقوقي قد حكى ذيبا

(١) في ب « وإذا ما نطقت فعيبٌ يمضُ » ولا يستقيم الوزن ، إلا بحذف « إذا » .

وقوله [من الطويل] :

تسبّ صديقي في المجالس عائياً ومن عابه يوماً كمن هو عائياً
فدع مثل هذا جانباً في الملاعب وإلاً فدعني مثله في الملاعب

وقوله في لدغة عقرب أصابته [من الطويل] :

تداويت من أوجاع لدغٍ أصابني براحٍ شفتي من سموم العقارب
فحمداً للطف الله حين أزالها ومن بعده حمداً لفعل العقاربي

وله في كتاب الذخيرة [من المتقارب] :

إذا أنت عالجت ذا علّةٍ فخذ للعلاج كتاب الذخيرة
فنعم الذخيرة للمقتني ونعم الغياث لنفسٍ خطيره

وله [من السريع] :

لا تجزعن من كلّ خطبٍ عرى ولا تُرِ الأعداء ما يُشْمِتُ
أما سمعت الله في قوله (إذا لقيتم فئةً فاثبتوا)

وقوله [من المتقارب] :

مجاوزه الحدّ والاعتدال إلى ما يقود المنايا سريعه
فلا تفرطن في جميع الأمور فكلّ كثيرٍ عدوٌّ الطبيعة

وقوله [من الطويل] :

تجنّب شرار الناس واصحب خيارهم لتحذوهم في جلّ أفعالهم حدوا
فإنّ لأخلاق الرجال وفعلهم إلى غيرهم عدوى توافيهم عدوا^(١)

(١) فعل العقاربي : أي فعل الخمرة وأثرها .

(٢) توافيهم عدواً : أي تأتيهم مسرعة .

وكتب إليه مؤلف هذا الكتاب يحاجيه [من الرجز] :

حاجيت شمسَ العلم فرد العصرِ نديم مولانا الأمير نصرِ
ما حاجةٌ لأهل كلِّ مصرٍ في كلِّ ما دار وكلُّ قصرِ
* يباع في الأسواق بعد العصر *
فكتب إليه [من الرجز] :

يا بحر آدابٍ بغير جزر وحظه في العلم غير نزر
حزرت ما قلت وكان حزري أنّ الذي عنيت دهن البزر
* يعصره ذو قوة وأزر *

٩٦ - أبو محمد الحسن بن أحمد اليرجودي

كاتب بحقه وصدقه ، متبحر في ترسله ، منقطع القرين في كتاب عصره ،
أخذ بأزمة الكلام البارع يقودها كيف أراد ويجذبها كيف شاء ، قد خدم صاحب
في عنفوان شبابه ، وتأدب بآدابه ، واختص به ، وراض طبعه على أخذ نمطه ،
ومن جانبه وقع إلى بلاد خراسان فاشتهر بها ، وسار كلامه فيها ، وهو الآن صدر
كتاب الأمير أبي نصر أحمد بن علي الميكالي ، ولعل ما قد ارتفع من سواد رسائله
إلى هذه الغاية يقع في أربعة آلاف ورقة وتزيد أبوابها على خمسة وعشرين ، وله
محاضرة حسنة مفيدة . وشعر كتابي كثير المحاسن مستمر النظام ، ومن أوائله أن
الصاحب اتهم بعض المرد في مجلسه بسرقة كتبه ، فقال [من المجث] :

سرقْتَ يا ظبيُّ كُتبي ألحقت كُتبي بقلبي

وأمر أبا محمد بإجازته فقال [من المجث] :

فلو فعلت جميلاً رددت قلبي وكتبي

وأنشدني بحضرته يوما هذان البيتان [من المديد] :

يا نسيم الريح من بلدٍ خبري بالله كيف هم
ليس لي صبرٌ ولا جلدٌ ليت شعري كيف صبرهم

فأمره بإجازتهما ، فقال [من المديد] :

ولسانُ الدمع يشهد لي وهو ممن ليس يتهم

ومن ملحه قوله [من الخفيف] :

قد سمعنا بكل آبدؤٍ نك راء تبلى بمثلها الأحرارُ
وغفرنا الجميع للدهر لكن ما سمعنا بكاتبٍ يستعارُ

وقوله في حوض لبعض الرؤساء [من الكامل] :

حوضٌ يجود بجوهرٍ متسلسلٍ ساد الجواهر كلُّها بنفاسه
لا زال عذباً جارياً ببقاء من هو مثله في طبعه وسلاسته

وقوله من مزدوجة كتب بها إلى أبي سعد نصر بن يعقوب [من الرجز] :

أهلاً بمن أهدي إلينا الجُونه ولا عدمناً أبداً مجونه^(١)
فقد أعاد منزلي خصباً وازددت في الخير به نصيباً
فمن فراخٍ رخصةٍ مسمّنه قد جعلت برسمها مطجنه
وباقلاء كالليالي عظمت معقودةً في سلكها قد نظمت
إذا التقطت حبّها من الأقط حسبتني بها اللّالي ألتقط^(٢)
وبعضها في خلّه منقوعٌ جوع الفتى بطيه مدفوعٌ

(١) الجُونه : الحايبة ، والجُونه : سلة صغيرة مغطاة بالجلد يوضع فيها الطيب ، وهي المقصودة ، والمجون :
التظرف والمداعبة .

(٢) الأقط : الجبن .

خطفته باللقم خطف البازي
ينزع عن ذائقه ثوب الكسل
ولا يساوي كل هذا جملاً

وفلك بالروع يدعى رازي
وبعد هذا كله شهد العسل
شكرت مولاي على ما حملاً

وكتب إلى صديق له [من الوافر]:

وزهر الروض وشي أو حرير
بمنطق طيرها بم وزير^(١)
لقد عادت لدينا وهي نور
إذ العيش الهنيء هو السرور
وجوهم شمس أو بدور
بغير القطب فيه رحي تدور^(٢)
عليك وقد دعيت له الحضور

بساط الأرض مسك أو عبير
وللعيدان عيدان عليها
وقد صفى الزمان الخمر حتى
ومن يرد السرور يعيش هنيئاً
وعندي اليوم فتان كرام
وقطب الأمر أنت وهل لأمر
فرايك في الحضور فحق يومي

وكتب إلى آخر [من مخلع البسيط]:

وقت الضحر وهوفي المنام
عندي على جودة المدام
إليه في جملة الندام

حضرت مولاي للسلام
فقلت هذا دليل صدق
والعتب في تركه دعاني

كتب [من المنسرح]:

عنه بغير السرور مشتغلاً^(٣)
يطيب إلاً والدهر قد غفلاً
فالدست والله لأمر عجلاً

يوم الثلاثا للسرور فلا تكن
والدهر في غفلة وعيشك لا
عجل وبادر بدار مغتنم

(١) البم والوزير : من أوتار العود .

(٢) قطب الأمر : أي صاحبه ومالكه ، والرحى : المطحنة .

(٣) صدر هذا البيت غير مستقيم الوزن .

وله في سكين [من مخلع البسيط]:

سكينٌ عزٌّ لمن مداه في العزِّ يغنيه عن مداه
فلو سطا ضاربٌ يعود لعاد سيفاً على عداه

٩٧ - أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي

هو لمحاسن الأدب وبدائع النثر ولطائف النظم ودقائق العلم كالينبوع
للماء ، والزند للنار ، يرجع معها إلى أصل كريم ، وخلق عظيم .

وكان فارق وطنه الري في اقتبال شبابه . وقدم خراسان على خاله أبي نصر
العتبي ، وهو من وجوه العمال بها وفضلائهم ، فلم يزل عنده كالولد العزيز عند
الوالد الشفيق ، إلى أن مضى أبو نصر لسبيله ، وتنقلت بأبي النصر أحوال وأسفار
في الكتابة للأمير أبي علي ، ثم للأمير أبي منصور سبكتكين مع أبي الفتح البستي ،
ثم النيابة بخراسان لشمس المعالي ، واستوطن نيسابور ، وأقبل على خدمة
الآداب والعلوم .

وله كتاب لطائف الكتاب وغيره من المؤلفات . وله من الفصول القصار
شيء كثير ، كقوله :

تعز عن الدنيا تعز ، الشباب باكورة الحياة ، اللهم في وخز النفوس ، أثر
النفوس في خز السوس ، لسان التقصير قصير .

ولا بأس أن أورد أنموذجاً من سائر نثره البهج . وكلامه الغنج الأرج .

رقعة في إهداء نصل

خير ما تقرب به الأصاغر إلى الأكابر . ما وافق شكل الحال ، وقام مقام
الفال ، وقد بعثت بنصل هندي إن لم يكن له في قيم الأشياء خطر ، فله في قمم

الأعداء أثر ، والنصل والنصر أخوان ، والإقبال والقبول قرينان والشيخ أجل من أن يرى إبطال الفال ، ورد الإقبال .

رقعة في الاستزارة يوم النحر

أمتع الله مولاي بهذا العيد واليوم الجديد ، وأطال بقاءه في الجد السعيد والعيش الرغيد . هذا يوم كما عرفه التاريخ العام ، وغرة الأيام ، قد قضيت فيه المناسك ، وأقيمت المشاعر ، وأديت الفرائض والنوافل ، وحطت عن الظهور بها الأصار والمثاقل^(١) ، فالصدور مشروحة ، وأبواب السماء مفتوحة والرغبات مرفوعة ، والدعوات مسموعة . وليت المقادير أسعدتنا بتلك المواقف الكرام والمشاعر العظام ، فنحظى بعوائد خيراتها ، ونستهم في محاسن بركاتها ، وإذ قد فاتنا ذاك فما أحوجنا إلى أن نحرم من ميقات الطرب . ونغتسل من دنس الكرب ، ونلبس إزار المجون ، ونلبي على تلبية الأوتار ، ونطوف بكعبة المزاح ، ونستلم ركن النشاط ، ونسعى بين صفاء القصف ومروة العزف ، ونقف بعرفة الخلاعة ، ونرمي جمرات الهموم ، ونقضي نفث^(٢) الوسوس ، ونضحى ببدن الأفكار في العواقب^(٣) ، فإن رأى أن يتفضل بالحضور ، لتتميم حجة السرور ، فعل إن شاء الله .

رقعة في خطبة الود

أنا خاطب إلى مولاي كريمة وده ، على صداق قلب معمور بذكره ، مقصور على شكره . معترف بفضلته ، عالم بتبريز خصلته . على أن أصونها من غواشي

(١) الأصار : جمع إصر : وهو الذنب والاثم .

(٢) النفث : ما يلقيه الشيطان في قلب الانسان .

(٣) البدن : الضحية في مكة المكرمة كالبقرة والناقة والشاة .

الصدر في سجوف^(١) . وأمسكها مدى الدهر بمعروف ، وأنحلها من عادة الرفق ،
ودمائه الخلق ، ووطاءة الجنب ، ولطافة العشرة والاصطحاب ، ما لا تكتسي معه
نفوراً وانقباضاً ، ولا تشتكي نشوزاً وإعراضاً ، فإن وجدني مولاي كفؤاً له بعد أن
جئت راغباً ، وبلسان الخطبة خاطباً ، أنعم بالإسعاف ، وجعل الجواب مقدمة
الزفاف ، حامياً به ديباجه السؤال . عن خجلة الرد ووصمة المطال ، وقد قدمت بين
يدي هذه النجوى صدقة ، طلباً للتحاب لا على حكم الاستحقاق والاستيجاب ،
ومهما أنعم مولاي بقبولها أيقنت استكفائه إياي لوده ، واستغرقت الوسع والإمكان
في شكره . والتحدث بعظيم بره ، إن شاء الله تعالى .

وله كتاب

هذا كتاب من ديوان العتب والاستبطاء ، إليك يا عامل الصدود والجفاء .
أما بعد ، فقد خالفت ما أوجبه التقدير فيك ، وأخلفت ما وعده الظن بك ،
وافتحت ما توليته من عمل الوداد بهجران أطار وادع القرار . وأودع القلب أحرم من
النار . وتعقبته بخلع عذار الوفاء أصلاً ، ومعاقرة ندمان الجفاء نهائراً وليلاً .
وشغلك خمر الهجران ، وخمار النسيان ، عن ترتيب أمور المودة وتهذيب جرائد
الوصال والمقة^(٢) ، واستعراض روزنامجة الكرم ، واسترفاع ختمات العهد
المقدم ، وتأمل مبلغ الورد والإخراج من الود ، وتعرف مقدار الحاصل والباقي من
أثر الرعاية في القلب ، وسلطت أيدي خلفائك ، وهم عدة من إعراضك وصدك
وجفائك ، على رعية النفس وهي التي جعلت أمانة عندك ووديعة قبلك ، فأسرفوا
في استيكالها ، وهموا باجتياحها واغتيالها ، غير راع لحزمة الثقة بك ، ولا واف
بشرط الاعتماد عليك ، ولا قاض حق الإيثار لك ، والاستئانة إليك^(٣) ، ولا ناظر

(١) السُجوف : السُور .

(٢) جرائد الوصال : مقالاتها ، والمقة : المحبة .

(٣) الاستئانة : الاستئناس والسكون .

لغذك إذا استعدت إلى الباب ، وطولبت برفع الحساب ، واستعرضت جريدة أفعالك ، واستقرت صحيفة أعمالك ، هنالك يتبين لك ما جنى عليك سوء صنيعك ، وما الذي جاش إليك فرط تضييعك ، فتصحو تارة عن سكرة جفائك ، وتسكر أخرى عن سورة أحبائك ، وكم تقرر من ندم اسنانك ، وتعض من سدم بنانك^(١) . هيهات ! لا ينفع اذ ذاك إلا القلب السليم ، والعهد الكريم ، والعمل القويم ، والسنن المستقيم ، ومن لك بها وقد سودت وجوه آثارك ، وتلقيت امانة العهد بسوء جوارك ، وقبح إخفارك ، ولولا التأمل لفيأتك وارعوائك ، وانتهائك عن تماديك في غلوائك لأتاك من أشخاص الإنكار ما يقفك على صلاحك ، ويكفك عن فرط جماحك ، فاجلُ أعزك الله الغشاء عن عين رعايتك ، واطرح القذى عن شرب مخالصتك ، واراع ما استحفظته من أمانة الفؤاد ، واعلم بأنك مسئول عن عهدة الوداد ، واكتب في الجواب بما نراعيه منك ، وتعذر إن كان فيما أقدمت عليه لك ، إن شاء الله تعالى .

رقعة استزارة

هذا يوم رقت غلائل صحوه ، وختشت شمائل جوّه ، وضحكت ثغور رياضه ، واطرد زرد الحسن فوق حياضه . وفاحت مجامر الأزهار ، وانتشرت قلائد الأغصان عن فرائد الأنوار . وقام خطباء الأطيّار . فوق منابر الاشجار ودارت أفلاك الأيدي بشموس الراح ، في بروج الأقداح ، وقد سبينا العقل في مرج المجون ، وخلعنا العذار بأيدي الجنون . فمن طالعنا بين هذه البساتين وأنواع الرياحين ، طالع فتيانا كالشياطين ، ونصارى يوم الشعانين ، فبحق الفتوة التي زان الله بها طبعك ، والمروة التي قصر عليها أصلك وفرعك ، إلا تفضلت بالحضور ، ونظمت لنا بك عقد السرور .

(١) السّدم : الغضب والندم والحزن .

رقعة أخرى

أمتع الله الشيخ بعنوان الشتاء ، وباكورة الديم والأنواء . وهناه الله اليوم الذي هو نسخة جوده ، ومجاجة ماء أرواه الله بماء المجد من عوده^(١) . وعرفه من بركاته ، أضعاف قطر السماء بأقطاره وساحاته ، وأضحك قلوبنا ببقائه ، كما أضحك الرياض بأندائه ، وحجب عنه صروف الأيام ، كما حجب السماء عنا بأجنحة الغمام ، قد حضرني أيد الله الشيخ عدة من شركائي في خدمته ، فارتحت لاشتراكهم إياي فيما أدرعته من فضل نعمته^(٢) ، وأشفقت من سمة التقصير لديه ، فقدت هذه الرقعة جنية عذر بين يدي عارض التقدير إليه ، وفي فائض كرمه ما حفظ شمل الأنس على خدمه ، لا زال مأنوس الجناب ، بالنعيم الرغاب ، مأهول المعاهد ، بالقسم الخوالد .

فصل في الإنكار على من يذم الدهر

عتبك على الدهر داع إلى العتب عليك ، واستبطأوك إياه صارف عنان اللوم إليك ، فالدهر سهم من سهام الله منزعه عن مقابض أحكامه ، ومطلعه من جانب ما حررته مجاري أفعاله . والوقية فيه بمرس بحكم خالقه وباريه ، ومجاري الأشياء على قدر طباعها ، وبحسب ما في قواها وأوضاعها . ومن ذا الذي يلوم الأرقام على النهش بالأنياب ، والعقارب على اللسع بالأذنان ، وأنى لها أن تدم ، وقد أشربت خلقتها السم ، وحكم الله في كل حال مطاع ، وبأمره رضى واقتناع ، فاعف الزمان عن قوارص لسانك ، واضرب عليها حجاب الحرص بأسنانك ، واذكر قول النبي ﷺ « لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر » وعليك بالتسليم ، لحكم العلي العظيم ، فذاك أحمد عقبى ، وأرشد ديناً ودنيا .

(١) مجاجة الماء : عصارته ، وعوده : أي عطائه .

(٢) ادرعته : أي اتخذته درعاً فيه حياً ووقاية .

رقعة إلى صديق له قامر على كتب لها خطر فقمر

المحن - أيدك الله - معلقة بين جناحي تقدير ، وسوء تدبير . فأما التي تطلع من جانب المقدار ، فالمرء فيه معفى عن كلفة الاعتذار ، وأما التي أوكتها يده ونفخها فوه^(١) ، فليس لخرقها أحد يرفوه^(٢) . وفي فصوص الأفلاك الدائرة ، ما يغني عن فصوص العظام الناخرة ، اللهم إلا إذا عميت عين الاختبار ، وصمت أذن الروية والاعتبار ، والله ولي الإرشاد إلى طريق الصواب والسداد . وبلغني ما كان من خطارك بما اعتدته غرة الغرر ، ودرة الدرر . ونهبة الأدب ، وزبدة الحقب . حتى قمرته الأيدي الخاطفة ، واختطفته الأطماع الجارفة ، فأعدمت من غير لص قاطع ، وأصبت بغير موت فاجع . فيا له من غبن يلزم المغرم ، ويحرق الأرم . ويقطع البنان ، ويحير العين واللسان ، نعم يا سيدي قد مسني من القلق لسوء اختيارك ، وقبح آثارك ، ما يمس من يراك بضعة من لحمه ، ودفعة ن دمه ، ولا يميزك عن نفسه ، في حالتي وحشته وأنسه ، لكن من طباع النفوس الناطقة أن تنفر عمن يسيء النظر لذاته ، وتذهب عمن يعمل الفكر في مصالح أموره وجهاته . ومن غفل عن صلاح نفسه فهو أغفل عن صلاح من سواه ، ومن عجز عن تدبير ما يخصه فهو أعجز عن تدبير من عداه . والله يلهمك الصبر على ما جنته يدك ، ويدرك السلوة عما أورطتك فيه نفسك ، ويجعل هذه الواحدة منبهة لك من سنة الضلال ، ومزجرة عن سنة الجهال . وبعد فلم ينقص من عمرك ما أيقظك ، ولا ذهب من مالك ما وعظك ، فإياك ان يطعمك اللجاج في معاودة تلك الخطئة الشوهاء^(٣) فإنها تأخذ منها أكثر مما تعطيك ، وتسخطك فوق ما ترضيك ، وإن يرد الله بك خيراً يهديك ، ويسعدك بيومك وغدك .

* * *

(١) يشير بهذه الفقرة إلى مثل لهم ، وهو قولهم : « يداك أوكتا وفوك نفخ » وأوكى الوعاء : شدّه بالرباط .

(٢) الخرق : الفتحة ، ويرفوه : يصلحه .

(٣) اللجاج : الإلحاح في الطلب .

ملح وغرر من شعره

قال [من الوافر] :

له وجه الهلال لنصف شهر
فعند الابتسام كليل بدر
وأجفان مكحلة بسحر
وعند الانتقام كيوم بدر^(١)

وقال [من الوافر] :

بنفسي من غدا ضيفاً عزيزاً
ينال هواه من كبدي كباباً
عليّ، وإن لقيت به عذاباً
ويشرب من دمي أبداً شراباً

وقال [من الطويل] :

أيا ضرة الشمس المنيرة بالضحي
عذرتك إن لم أحظ منك برؤية
ومن عجزت عن كنهها صفة الوري^(٢)
فأنت لعمرى الروح والروح لا ترى

وقال [من البسيط] :

لي شادن ما أطيق الدهر هجرته
شمس تظللني ، نجم يضلّني
أمن يجرعني داءً يداويني
ماء يسكرني ، راح تصحيني

وقال [من البسيط] :

إنّي أضنّ بحبيّه على سقمي
قال الطبيب اقتصد يوماً فقلت له
وليس والله داء الحب بالأمم
أخشى خروج هواه مع خروج دمي

وقال [من الوافر] :

(١) يوم بدر : يوم انتصار المسلمين على الأعداء في أول معركة مواجهة .
(٢) ضرة الشمس : شبيبتها ، والضرة هي المرأة الثانية التي يتزوجها الرجل مع ابقاء الأولى في عصمته
والكنة : المعرفة والاحاطة .

فتكت بمهجتي عمداً ، فهلاً
أرى نار الصدود على فؤادي
وقال [من الطويل] :

بنفسي مَنْ نفسي لديه رهينةُ
أغارَ على قلبي فلما استباحهُ
وقال [من الطويل] :

وقائلةٍ ما بال خدك كلما
فقلت كذا بدر السماء إذا بدا
وقال [من الكامل] :

عجبتُ لفاقع سحتني ومدامعي
فأجبتها لا تعجبني فأنه
وقال [من الكامل] :

يا ذا الذي فتن الورى وبوجهه
يحكي محياه خلال عذاره
وقال [من المتقارب] :

إذا رمت من سيئر حاجةً
فإن التهجم ليلُ المنى
وقال [من الكامل] :

لا تحسبن هشاشتي لك عن رضى

طويت الجرم في ثني اعتذارك
فما بال الدخان على عذارك

يجرّعها صبراً ويمنعها الصبرا
أغار على دمعي فنظّمه ثغرا

رأني يلقاني بصفرة جلاب
أفاض على الغبراء صفرة زرياب

منهلةً ، ورأته قبلُ مورداً
يصفرُّ لون الزعفران من النداء

أخيا رسوماً للمحاسن عافيه^(١)
علم السلامة في طراز العافيه

فراع لديه الرضا والغضب
وإنّ الطلاقة صبحُ الأدب

فوحق فضلك إنني أتملّق

(١) عافيه : دارسه ومحمّيه .

ولقد نطقت بشكر برك مفصلاً
وقال [من الطويل] :

شكرتك طول الدهر غير مقابل
ومن لك بالطرف الجواد بمسكه
وقال [من المتقارب] :

أدلّ على ثقة بالهوى
فلا تنكرنّ دلالة له
وقال [من الكامل] :

أدى الخلاف لك الخلاف تشابهاً
لو كان خيراً في الخلاف لزانه
وقال [من البسيط] :

الله يعلم أنّي لستُ ذا بخل
لكنّ طاقة مثلي غير خافية
وقال [من البسيط] :

ما أنت في الأخذ من دون العطاء سوى
فما ترى دسماً يوماً بظاهره
وقال [من الكامل] :

لما سئلت عن المشيب أجبتهم
طحن الزمان بريبه وصروفه
قول امرئ في أمره لم يمدق^(١)
عمري فثار طحينه في مفرقي

(١) لم يمدق : لم يوارب ولم يخالف الحقيقة .

وقال [من الكامل] :

شيبني عزيزٌ غير أنَّ شيبتي من ذا الذي ساوى سواد لحاظه
علقُ كريمٌ لا يجاوزهُ الأملُ بياض عينيه وحسبُك ذا المثل

وقال [من الطويل] :

تعلّم من الأفعى أمالي طبعها لئن كان سمٌّ نافعٌ تحت نابها
وأنس إذا أوحشت تعفٌ عن الدّم ففي لحمها تريقُ غائلة السمّ

وقال [من البسيط] :

يا من يقابل ديناري بدرهمه وأيُّ عيبٍ لعين الشمس إن عميت
أقصِرُ فدعواك طاووسُ بلا ريش أو قصّرت عنه أبصار الخفافيش

وقال [من الطويل] :

عليك بإغياب الوصال فضدّه ولو كلفَ الإنسان رؤية وجهه
يعيد حبال الودّ منك رثائاً^(١) لطلّقه بعد الثلاث ثلاثاً

وقال [من الطويل] :

أظنُّ زمانَ السوء قارف أبنةً زففتُ إلى دهري عروس كفايتي
فأنّي أراه يتبع العلج والغمرا^(٢) فطلّقها قبل الدخول بها عشرا

وقال يعزي الشيخ أبا الطيب سهل بن أحمد بن سليمان عن ابنه [من البسيط] :

من مبلغ شيخ أهل العلم قاطبةً عنّي رسالة محزونٍ وأواه
أولى البرايا بحسن الصبر ممتحناً من كلّ فتياه توقيعٌ عن الله

(١) إغياب الوصال : أي اللقاء فترة بعد فترة ، الرثاء : أي رثاءً بالياً .

(٢) قارف : قارب ، الأبنة : العيب والحقد ، والعلج : الحمار الأحمر ، والغمر : الجاهل .

وقال [من البسيط] :

عليك عند اعتراض الهمم بالقدح فأنه أبدأ قداحة الفرح

وقال [من الرجز] :

عبس لما أن مسست نقله كأنني نزعته منه مقله

وقال له يوماً أبو الفتح البستي : يا شيخ ، ما تقول في الكرب ؟ فقال مرتجلاً :

* أطعمه إن لم يكن كرى بي *

٩٨ - أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري

من أعاجيب الدنيا ، وذلك أنه من الفاراب إحدى بلاد الترك ، وهو إمام في علم لغة العرب ، وخطه يضرب به المثل في الحسن ويذكر في الخطوط المنسوبة لخط ابن مقلة ومهلل واليزيدي ، ثم هو من فرسان الكلام ، وممن آتاه الله قوة وبصيرة ، وحسن سريرة وسيرة ، وكان يؤثر السفر على الوطن ، والغربة على السكن والمسكن ، ويخترق البدو والحضر ، ويدخل ديار ربيعة ومضر ، في طلب الأدب ، وإتقان لغة العرب . وحين قضى وطره من قطع الأفاق ، والاعتباس من علماء الشام والعراق ، عاود خراسان ، وتطرق الدامغان ، فأنزله أبو علي الحسن ابن علي - وهو من أعيان الكتاب وأفراد الفضلاء - عنده وبذل في إكرام مشواه وإحسان قراه جهده . وأخذ من أدبه وخطه حظه ، ثم سرحه بإحسان إلى نيسابور فلم يزل مقيماً بها على التدريس والتأليف وتعليم الخط الأنيق وكتابة المصاحف ، والدفاتر اللطائف ، حتى مضى لسبيله ، عن آثار جميلة ، وأخبار حميدة .

وله كتاب الصحاح في اللغة ، وهو أحسن من الجمهرة ، وأوقع من تهذيب اللغة ، وأقرب متناولاً من مجمل اللغة ، وفيه يقول أبو محمد إسماعيل بن محمد

النيسابوري وعنده الكتاب بخط مؤلفه [من المنسرح] :

هذا كتابُ الصَّحاحِ سيِّدُ ما صُنِّفَ قَبْلَ الصَّحاحِ في الأدبِ
يشمل أنواعه ويجمع ما فُرِّقَ في غيره من الكتبِ

وللجوهرى شعر العلماء ، لا شعر مفلقى الشعراء ، وأنا كاتب من لمعه ما
أنشدنيه أبو سعد بن دوست وإسماعيل بن محمد ، فمن ذلك قوله [من
السريع] :

لو كان لي بدٌّ من الناس قطعْتُ حبلَ الناسِ باليأسِ
العزُّ في العزلة لكنَّه لا بدُّ للناسِ من الناسِ

وقوله من نتفة [من الوافر] :

فها أنا يونس في بطنِ حوتٍ بنيسابور في ظللِ الغمامِ
فبיתי والفؤادِ ويومِ دجنٍ ظلامٌ في ظلامٍ في ظلامِ

وقوله [من المتقارب] :

رأيت فتىً أشقراً أزرقاً قليلَ الدماغِ كثيرَ الفضول^(١)
يفضل من حمقه دائماً يزيد بن هندٍ على ابنِ البتولِ

وقوله [من السريع] :

يا صاحبِ الدَّعوة لا تجزَعَنَّ فكلُّنا أزهَدُ من كرزِ
والماءِ كالعنبرِ في قومٍ من عزِّه يجعلُ في الحرزِ
فسقنا ماءً بلا منةٍ وأنت في حلٍّ من الخبزِ

(١) الفضول : الحشوية والتطفُّل .

٩٩ - أبو منصور أحمد بن محمد اللجيمي

أديب كاتب شاعر ، خدم صاحب ومدحه ورثاه ، ووقع من الدينور إلى نيسابور فتصرف بها وتأهل ، ومما أنشدنيه لنفسه قوله [من البسيط] :

وقفتُ يوم النوى منهم على بعد ولم أودعهمُ وجداً وإشفاقاً
إنّي خشيت على الأظعان من نفسي ومن دموعي إحراقاً وإغراقاً
وقوله [من المنسرح] :

ودّعت إلفي وفي يدي يده مثل غريق به تمسكتُ
فرحت عنه وراحتي عطرت كأنتي بعده تمسكتُ
وقوله من قصيدة كتب بها إلى ابن بابك [من الكامل] :

يا من يجددني مع الأوهام عهداً ويطرقني مع الأحلام
ومجال ودك إنّه متحصنٌ بمجال أفكاري مع اللّوام
ما أومضتُ نحو العراق عقيقةً إلّا سرى معها إليك سلامي
فارجع إذا نحت الجبال تحيةً تحيي قتيل صباةٍ وغرام
ومخيّم للأنس حفّاً بفتيةٍ بيض الخلائق والوجوه كرام
تابعت فيه بادكارك مترعاً حامى بوابل دمعي السجّام^(١)
وتركت عرضته بذكرك روضةً نابت عن النسرين والنّمام
بأبي خلائفك التي لو أنّها في الراح لم يك شربها بحرام^(٢)
أوفى الزمان غداً نهراً كلّه لا يعقب الإصباح بالإظلام
أهدى إليّ لك الحجيج عرائساً تجلي فتجلو نقبة الأفهام

(١) حامني : احتفى ، دافع .

(٢) العرّض : الوادي الذي فيه قرى وشجر .

غراً إذا شдох الرواة بها الفلا
فسرحت فيها ناظريّ مفدياً
وغدت صحيفتها عليّ تميمةً
فاجعل أخاك لأختها أهلاً فما

[وقوله في مريّة الصاحب وقد حمل تابوته من الري إلى أصبهان ودفن في محلة تعرف بباب ذرية [من الطويل] :

مضى من إذا ما أعوز العلم والندى
مضى من إذا أفكرت في الخلق كلّهم
ثوى الجود والكافي معاً في حفيرة
هما اصطحبا حين ثم تعانقا

وقال أيضاً فيه [من الوافر] :

وأكافينا العظيم إذا وردنا
أردنا منك ما أبت الليالي
شقتك عليك جيبي غير راضٍ
ولو أنّي قتلت عليك نفسي
أفدنا شرح أمرٍ فيه لبسٌ
ألم تك منصفاً عدلاً فأني
وكيف تركت هذا الخلق حالت
تملّكنا اللثام وصيرونا

ومولينّا الجسيم إذا فقدنا
فأبطل ما أرادت ما أردنا
به لك فاتخذت الوجد خدنا^(١)
لكان إلى قضاء الحق أدنى
فإنّا طالما كنّا استفدنا
عمرتُ حفيرةً وقلبت مدنا
خلّثهم فليس كما عهدنا
عبيداً بعد ما كنّا عبدنا

(١) شдох الرواة : تناقلوها ونشروها ، وشдох : قطع .

(٢) التميمة : ما يتعوّذ به الإنسان دفعاً للعين .

(٣) الوجد : الحزن ، والخذن : الصاحب .

لئن بلغت رزيتته قلوباً فذبن وأعيناً منا فجدنا
لما بلغت حقائقها ولكن على الأيام نعرف من فقدنا
وله من قصيدة [من الكامل] :

ولرب مخطفة تضم جفونها عيني مهاة بالصريمة خاذل^(١)
تغتيال راقها بقدر راح وتصيد وامقها بطرف نابل^(٢)
ومن أخرى [من البسيط] :

ياليلة حزت فيها كواكبها وضاعفت كمدي أذيالها السود
أنت الفداء لليل شردت حزني فيه الأغاريد والغيد الأماليد^(٣)
وقهوة في احمرار الورد شعشعها مورد الثوب في خديه توريد
تمر محوثة حث الركاب بنا تحدو بها نغم القينات والعود^(٤)
ما أنس لا أنس ذات الخال إذ حسرت قناعها فبدت تلك العناqid
وأطلعت بمحياتها وجمتها شمساً عليها رواق الليل ممدود^(٥)
بي من هواها رسيس لا يزال له في جبه القلب تصويب وتصعيد^(٦)
ومن أخرى [من الخفيف] :

لا تلمني على الدموع التي لو لأك لم تدم من جفوني غربا^(٧)

(١) المخطفة : السريعة أو التي تمرّ خلسة والصريمة : القطيعة ، أو الرمال ذات الشجر . وخاذل : منفردة ، وخذل ، تخلى .

(٢) الراق : المتطلع ، والواق : المحب والطرف : العين ، ونابل : من النبل .

(٣) الأماليد : جمع أملد وهو الناعم اللين من الناس والغصون .

(٤) محوثة : مسرعة .

(٥) الجمّة : مجتمع شعر مقدّم الرأس . والرواق : مقدم الليل أو جانب منه .

(٦) الرسيس : الشيء الثابت ، وتصويب : من صوب السهم : وجهه إلى الهدف والتصعيد : الارتقاء .

(٧) الغرب : السيلان الذي لا ينقطع .

طرف الغصن لا تلام على القطر إذا النار شعلت فيه رطباً
وله [من السريع]:

لو ضمَّ قلب الدهر ما ضمَّه قلبي من حرِّ النوى والبعادِ
لاحترق الحوتان من دونه فصار ما بينهما كالرماد

١٠٠ - أبو جعفر محمد بن الحسين القمي

كاتب شاعر، أقام بنيسابور يكتب للعمال، ويتصرف في الأعمال، وهو
القائل [من الهزج]:

أرى عمال نيسابور دهرُ الله في النَّحسِ
فمن يعمل بها يوماً يقع شهرين في الحبس
بها يضرب بالقلس أعزُّ الناس في فلس^(١)

وقال في معقل وكان بNDAR نيسابور [من الكامل]:

يا أيُّها الشيخ الكبير المفضلُ آقبض يديه فمعقلٌ لا يعقلُ
ظلموه إذ ودعوا دواةً عنده ولديه يوضع منجلٌ أو معولٌ

وقال لأبي محمد بن أبي سلمة [من الرمل]:

أيُّها الشيخ الذي كلَّ الورى يتلقى وجهه بالتفديه
هل يوازي فضلك المشهور أن تحضر الديوان يوم الترويه

وقال [من المجث]:

(١) القلّس: حبل ضخم للسفينة.

يا من إليه المعالي من كل أوبٍ تُحازُ
إن لم يكن لي فيه شغلٌ لديكم فجازوا^(١)

وقال [من الهزج] :

يقول الناس لي جامعُ خطيب المسجد الجامع
ومن ذا يأكل الميتة إلا الجائع النائع^(٢)

وقال [من الخفيف] :

يا جواد اللسان من غير جودٍ ليت جود اللسان في راحتِكَ

١٠١ - أبو الغطاريف عملاق بن غيداق العثماني

أعرابي جهوري ، متفعر في كلامه^(٣) ، كثير الشعر ، قليل الملح ، وممن
ثقل حتى خف ، وقبح حتى ملح ، طراً على نيسابور أطواراً ، وأقام بها في المرة
الأولى بضع سنين ينتسب الى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ويقرأ القرآن بجهارة
شديدة ، ويشعر ويتعاطى الفواحش ، فإذا قيل له : كيف أصبحت أيها الشريف ؟
قال : أصبحت جوالاً في السكك ، حلالاً للتكك^(٤) ، على رأسه طائرُكم معكم
سرمداً ، وعلى جبينه ولن تفلحوا إذا أبدا ، وكثيراً ما ينشد لنفسه [من الطويل] :

تلبس عملاق بن غيداق للشقا وللحزن والإفلاس أثواب حارس
يطوف بنيسابور في كل سكة خليفة مولاة طفيل العرائس

(١) ورد المعجز « شغل لديكم فجاز » ولا يستقيم به الوزن ، فأصلحناء وجازوا : أي أنعموا .

(٢) النائع : العطشان .

(٣) متفعر في كلامه : أي يخرج من حلقه .

(٤) التكة : رباط السراويل .

وذلك أن طفيل العرائس الذي ينسب إليه الطفيليون من موالي عثمان بن عفان رضي الله عنه^(١).

ومدح عملاق فائق الخاصة بقصيدة أولها وهو أمير شعره [من المنسرح] :

يا دولةً أيدت بخالقها وبالأمر الجليل فائقها
فأمر بإثبات اسمه في جملته واستصحبه ووصله ولم يزل معه إلى أن فرق
الدهر بينهما ، ثم إن الشيخ الجليل أبا العباس أحسن النظر له ، وأجرى إنعامه
عليه ، ووصله وهو الآن ممن يعيش في كنفه ، ومما سمعته ينشد لنفسه قصيدة
أولها [من الطويل] :

لبسنا لهذا الفصل حمر المطارف وفيه انسلخنا من لباس المصايف
وفاقم صقلاب وأفتاك خدلج حذار رياح الزمهرير العواصف
وسنجاب خرخيد وسمور بلغر وأوبار آباء الحصين التوالف^(٢)
مع الخز والديجاج حيكاً بتستر وبالسقلاطوني تحت الملاحف

١٠٢ - أبو المعلى ماجد بن الصلت المعروف بناقذ الكلام اليامي

ورد نيسابور متطرقاً لها إلى غزنة ، وأدعى أكثر مما يحسن ، وأنشد لنفسه
شعراً كثيراً أخرجت منه قوله في ممهد الدولة هذه [من الكامل] :

بعدت صفاتك يا ممهد وأدنت كغموض معنى في كلام ظاهر
خفيت وأظهرها الطباع خفية كالنور يوجد في سواد الناظر

(١) في كتاب المعارف أنه من ولد عبد الله بن غطفان بن سعد .

(٢) التوالف : المجتمعة بعضها إلى بعض .

وقوله [من الكامل]:

لم يكفني بالريّ خيبة مطلبي حتى حرمت لذائذ الايناس
كالأعور المسكين أعدم عينه وأعيض عنها بغضةً في الناس

وقوله [من الطويل]:

إذا فكرَ الإنسان فكرة عاقل رأى عيشه معنىً لمغنى مماته
إذا نال يوماً زائداً في معاشه فذلك يومٌ ناقصٌ من حياته

وقوله [من السريع]:

أنت لعمري خير شرّ الورى ترصاك من ترضى بإقلال
والأعور المقوت مع قبحه خيرٌ من الأعمى على حال

وقوله [من مخلع البسيط]:

في ثغر عبد الكريم شيءٌ من فمه ليس بالكريم
تحسب طول الحياة فاهٌ يمجُّ خمراً بغير ميم

وقوله [من المنسرح]:

ربّ صديقٍ قدمت من سفرٍ فجئت من مقدمي أهنيه
لا حقّ لي عنده فيقضيه وحقّه لا أزال أقضيه

وقوله [من الكامل]:

ظلم امرؤ نذب التجار إلى العلى حسب التجار دفاتر الحساب
هممٌ لهم بين النقود وصرفها والسعر والمكيال والميزان

وقوله [من الوافر]:

لسان الحقّ أفصح من لساني وصمتي عن كلامي ترجماني

وَأَنْتَ لِمَنْ رَمَاهُ الدَّهْرُ عَوْنٌ فَكُنْ عَوْنِي عَلَى صَرْفِ الزَّمَانِ

١٠٣ - عبد القادر بن طاهر التميمي أبو منصور

فقيه وجيه ، نبيه قليل الشبيه ، يتفقه على مذهب الشافعي ، ويتكلم على مذهب الأشعري ، ويرجع الى رأس مال في الأدب ، والنحو ، وكان أبوه عبد الله^(١) انتقل من بغداد إلى نيسابور ومعه أبو منصور فتفقه بها وبرع وبلغ ما بلغ ، وله شعر يحذو في أكثره حذو منصور الفقيه البصري ، كقوله [من مجزوء الرجز] :

يا سائلي عن قصتي دعني أمتُ بغصتي
المال في أيدي الوري واليأس منهم حصتي

وقوله [من مجزوء الرجز] :

يا ماجداً فاق الوري لا زلتَ مأوىً للقي^(٢)
عليّ دينٌ مانعٌ عيني من طيب الكرى
فكن لديني قاضياً يا خير من فوق الثرى

وقوله [من المتقارب] :

ألا إنّ دنيك مثل الوديعة جميع أمانيك فيها خديعه
فلا تغترّر بالذي نلت منها فما هو إلّا سراب بقيقه^(٣)

وقوله [من المتقارب] :

إذا ضاق صدري وخفتُ العدى تمثّلت بيتاً بحالي يليقُ

(١) القري : الضيافة .

(٢) السراب : ما يشاهد في الصحراء أثناء الحرّ وكأنّه ماء . وبقية : المكان المتسع الذي فيه أشجار مختلفة .

فبالله نبلغ ما نرتجي وبالله ندفع ما لا نطيق
وقوله [من الطويل]:

سقتني لتروي الروح راحاً وحققت مواعدها ذات الوشاح بانجاز
على نرجسٍ حيثُ به فكأنما أناملها انضمتُ على حدق البازي

١٠٤ - أبو علي محمد بن عمر البلخي الزاهر

كان فارق بلدته في صباه ، وركب الأسفار إلى العراق والشام ، وتلقب
بالزاهر مقتدياً بقوم من الشعراء تلقبوا بالناجم والناشي والنامي والزاهي والطارح
والطاهر ، ثم كر إلى خراسان ، وألقى عصاه بنيسابور ، وتكسب بالشعر ، واستكثر
منه ، فمما علق بحفظي مما أُنشدنيه لنفسه قوله ويروي لأبي الحسن علي بن
محمد الغزنوي [من الطويل]:

أقول وقد فارقت بغداد مكرهاً سلامٌ على عهد القطيعة والكرخ
هواي ورائي والمسيرُ خلافه فقلبي إلى كرخٍ ووجهي إلى بلخ
وقوله [من البسيط]:

قولوا لقوم بنيسابور أمدحهم عند الضرورة والإفلاس والضيق
أصبحت فيهم وحقاً الله خالقنا كمصحفٍ دارسٍ في بيت زنديقٍ

١٠٥ - أبو القاسم يحيى بن علي البخاري الفقيه

من أبناء التجار المياسير ببخارى ، وورد مع أبيه نيسابور متفقهاً ، وهو من
آدب الفقهاء وأحفظهم لما يصلح للمحاضرة ، فبقي بها مدة ، واختير للإمامة في
المسجد الجامع ولم يزل يتولاها إلى أن أثر العزلة فقاده زهده وورعه إلى المراقبة

بدهستان وهو بها الآن ، وكان أنشدني وكتب لي من شعره غرراً لا يحضرني منها
إلا قوله [من الهزج]:

أيا من همّ الجمعُ لما حاصله القوتُ
كأنّي بك يا نائم قد أيقظك الموتُ

فصل

كان من حق هذا الباب أن يتضمن ذكر أبي الحسين الرخجي ، وأبي الحسن
الممتاخي صاحب كتاب من غاب عند النديم ، وأبي الحسن الحنظلي
السهروردي ، وأبي سعيد البلدي ، وأبي القاسم علي بن محمد الكرخي ، وأبي
الحسن محمد بن عيسى الكرخي ، وأبي المظفر الكمال بن آدم الهروي ، وأبي
الحسن علي بن محمد الحميري، ولكن لم يحضرني شيء من أشعارهم في هذه
الغربة ، وإن نفس الله المهمل ، وعادت الوطن ، جبرت كسره بما يصلح له من
كلامهم ، وإن عاق محتوم الأجل عن ذلك فإني أرغب إلى من ينظر بعدي في هذا
الكتاب من الفضلاء الذين يصيدون شوارد الكلم وينظمون قلائد الأدب ، أن
ينوب عن أخيه فيه ، ويلحق ما يجده منه بمواضعه من هذا الباب ، إن شاء الله
تعالى ، وبه التوفيق، ومنه الإعانة .

الباب العاشر

في ذكر النيسابوريين الذين تقع محاسن أقوالهم في هذا الباب وكتبة لطائفهم وظرائفهم .

١٠٦ - رئيس نيسابور أبو محمد عبد الله بن إسماعيل الميكالي

هو أشهر ، وذكره أسير ، وفضله أكثر ، من أن ينه عليه وله - مع كرم حسبه وتكامل شرفه - فضيلة علمه وأدبه . وكان من الكتابة والبلاغة بالمحل الأعلى ، وله من سائر المحاسن القدح المعلى ، فكان يحفظ مائة ألف بيت للمتقدمين والمحدثين يهدها في محاضراته^(١) ، ويحلها في مكاتباته ، وله شعر كتابي يشير لشرف قائله ، لا لكثرة طائله ، فمن ذلك ما قاله على لسان كاتبه أبي الطيب [من الرمل] :

يوم دجنٍ قد تنهى طيئهُ وحقيقٌ أن يجينا بالمطرٍ
والثلثاء ينادي غدوةً ما للهو بعد هذا منتظرٍ
هل يجوز الصحو في أثناؤه إن هذا الرأي من إحدى الكبر

وقوله في النكبة التي عرضت له في آخر أيامه [من الخفيف] :

خانني الأير حين خان زماني وجفاني كأنه إخواني

(١) يهدها : يسردها .

وثنى عني العنان غزالاً
 يتجنى عليّ من غير جرمٍ
 كيف يصبو إليّ وهو عليمٌ
 ليس يرجى له انتباهٌ من النو
 كان من قبل سامعاً مستجيباً
 بل رأني مصادراً مستكيناً
 ولوى جيده فأصبح لدناً
 لا يجيب الصريح في غسق الليل ولا دعوة الوجوه الحسان^(١)
 لم أكلّفه حمل غرمٍ ثقلٍ
 إنما الغرم والوبال على الما
 هل سمعتم بمقمعٍ من حديد
 ليته عادٍ تابعاً لمرادي
 أيها العاذلان حسبي ما بي
 وارثيا لي من البلاء وكفّاً
 إن يكنْ خائني الأحبة طراً
 فعلى الله في الأمور اتكالي
 كان قبل المشيب طوع عنائي
 ويراني كأثّة لا يراني
 أن أيري كعطفة الصولجان
 م ولا صبرةً لذكر الغواني
 مسعداً لي فعقني وجفاني
 فرثي لي من انقلاب الزمان
 يثنى يثنى الخيزران^(٢)
 لا ولا دفع معضلٍ قد عراني^(٣)
 ل فماذا عليه ممّا دهاني
 ذاب من فرط خيفة السلطان
 فأسلي به جوى الأحزان
 فدعاني من الملام دعاني
 إنني في يد الحوادث عاني^(٤)
 فشجاني جفاؤهم وبراني
 وبه الاعتصام ممّا أعاني

* * *

١٠٧ - ابنه أبو جعفر محمد بن عبد الله بن إسماعيل

كان متقدماً في الأدب . متبحراً في علم اللغة والعروض ، مصنفاً للكتب
 مستكثراً من قول الشعر ، ولعل شعره يربى على عشرة آلاف بيت ، ولما أنشد أباه

(١) اللدن : الطري الرخص ، يثنى : يتلوى .

(٢) الصريح : المستنجد ، والغسق : الظلام .

(٣) الغرم : الدين والغرامة . وعراني : حلّ بي .

(٤) العاني : المتعب ومقهور .

قوله في مقصورة له هذا البيت [من الرجز] :

إذا ركبْتَ كنتَ خيرَ راكبٍ وإنْ نزلتَ كنتَ خيرَ من مشى

قال له : استحييت لك يا بني ، ما تركت رسول الله ﷺ ؟ وأمره بإسقاط هذا

البيت من القصيدة ، فلم يفعل ، وعندي أن أمير شعره قوله [من الرجز] :

إذا أراد الله أمراً بامرىءٍ وكان ذا عقلٍ ورأى وبصرٍ
وحيلةٍ يعملها في كلِّ ما يأتي به جميع أسباب القدر
أغراه بالجهل وأعمى قلبه وسلَّه من رأيه سلُّ الشعراء^(١)
حتى إذا أنفذ فيه امرأةً ردَّ عليه عقله ليعتبر

١٠٨ - الأستاذ أبو سهل محمد بن سليمان الصعلوكي

معلوم أنه كان في العلم علماً ، وفي الكمال عالماً ، ومن شاهد الآن ابنه
الشيخ الإمام أبا الطيب سهل بن محمد بن سليمان رأى شجرة للعلم نمت على
عروقتها ونفسا غذيت في حجر الفضل فجرت على سنن أولها . وأحيت فضائله
بفضائلها . وولدا أشبه والده في الإمامة ، عند الخاصة والعامة . وله شعر كثير
يذكر في شعر الأئمة ويروى لشرف صاحبه وتحسين الكتب بذكره ، فمن ذلك ما
أنشدنيه الشيخ الإمام أبو الطيب قال : أنشدني والذي لنفسه [من الطويل] :

سلوتُ عن الدنيا عزيزاً فلتها وجدت بها لمّا تناهت بآمالي
علمت مصير الدهر كيف سبيله فزايَلته قبل الزوال بأحوال^(٢)

وأنشدني له أبو الحسن الفارسي الماوردي الفقيه [من مجزوء الوافر] :

دع الدنيا لعاشقها ستصبحُ من ذبائحها

(١) وسلَّه : أخرجه .

(٢) زایل : فارق ، والزوال : الانتهاء . وأحوال : جمع حول : وهو العام .

ولا تغررك رائحة تصيبك من روائحها
فمادحها بغفلته يصير إلى فضائحها

* * *

١٠٩ - علي بن أبي علي العلوي

كان في نهاية النجاة فاحتضر في عنقوان شبابه ، وله شعر علق بحفظي منه
ما أنشدني أخوه أبو إبراهيم له [من الكامل] :

همم الرجال تبين في أفعالهم والفعل عدلٌ شاهدٌ للغائب
ولنا تراث المجد حُزناً فضلهُ عن خير ماشٍ في الأنعام وراكب^(١)
والآن أخوه أحمد نعم العوض عنه ، والخلف منه :

* والشمس تسليك عما حلّ بالقمر *

وله شعر حسن لا يحضرني منه إلا قوله [من الطويل] :

هواك من الدتيا نصيبي ، وإنني إليك لمشتاقٌ كجفني إلى الغمض
فرزني وبادر يوم ثلجٍ كأنه شمائم كافورٍ نثرن على الأرض

* * *

١١٠ - أبو البركات علي بن الحسين العلوي

يزين تالد أصله ، بطارف فضله ، ويحلي طهارة نسبه ، ببراعة أدبه ،
ويرجع من حسن المروءة وكرم الشيمة وعفة الطعمة إلى ما تتواتر به أـباره . وتشهد
عليه آثاره ، ويقول شعراً صادراً عن طبع شريف ، وفكر لطيف كقوله من قصيدة
[من السريع] :

(١) حُزناً : حصلنا وامتلكنا .

مدامعي تهتك أستاري تعلن بين الناس أسراري
أنكرت ما بي، غير أن البكا قرّر بالإقرار إقراراي

ومنها :

أحييت خشفاً ليس في مثله تحمّل العار من العار^(١)

ومنها :

كأنما إبريقنا طائر يحمل ياقوتاً بمنقار

ومنها :

كأنّ ريح الروض لما أتت فتت علينا مسك عطار

وقوله [من الطويل] :

وأغيدُ سحّارٌ بالحاظ عينه حكى لي تشنيه من البان أملودا^(٢)
سلخت بذكراه عن الصبح ليلةً أنادمه والكأس والناي والعودا
ترى أنجم الجوزاء والنجم فوقها كباسط كفيه ليقطف عنقودا

وله [من المنسرح] :

مكذبُ الظنّ ناقص الأمل يقطر من خده دم الخجل
يكاد ينفض فصّ وجنته إذا علاه الحياء للقبل

وقوله [من السريع] :

يا عصبه الأتراك أولادكم من يوسف الحسن وبلقيس
أحافظكم تحيي وتردي الورى وحسنكم فتنة إبليس
لا تقربوا مني ففي قربكم هلاك دين المرء والكيس

(١) الخشف : ولد الغزال ، والعار : العيب .

(٢) البان : شجرين ، ورقه طويل ، أبيض الزهر . والأملود : الغصن الطري الناعم .

وقوله من قصيدة [من الخفيف] :

وكأنني ركبتي للصيد ريحاً لا يبالى بحزنها والسهول^(١)
أدهم اللون مثل ليل بهيم ذي صباحٍ من غرةٍ وحجول
فهو يطوي البسيط كالسيط طياً بيدي طالبٍ ورجلي عجول^(٢)
وقوله من نتفة [من البسيط] :

الشيخ ينجز وعداً منه قد سبقا وليس الغصن من إفضاله الورقا
إنني غريقٌ ببحرِ المطل منتظرٌ حالاً تكشف عني الموج والغرقا



١١١ - أبو الحسن محمد بن ظفر العلوي

شريف فاضل ، عالم زاهد ، يلبس الصوف ، وكان في صباه يقول الشعر ،
فمن ذلك قوله [من مخلع البسيط] :

أسكرني طرفه ولكن خمار أجفانه حمام^(٣)
إن دمي عنده حلال وهو لدى غيره حرام
وهكذا سحر كل طرف يصنع ما تصنع المدام

وله [من الرجز] :

وأمرؤ أزهّد من صهيب في علم موسى وتقى شعيب
إذا رأى شعر أبي ذؤيب أو فارسيات أبي شعيب

(١) الحزن : الأرض الصعبة المسالك .

(٢) البسيط : الأرض .

(٣) الخمار : أثر الحمرة ، والحمام : الموت .

تحسبه أشعر من نُصيبٍ إن لم تساعدني فوي بي وويبي^(١)
وله [من الطويل] :

إذا عَضَّكَ الدهر الخوُّون بناه وأسلمك الخدن الشَّفِيق إلى الهجرِ
فلا تأسفنْ يا صاحٍ واصبر تجلُّداً فلا شيء عند الهجر أجدى من الصبرِ

* * *

١١٢ - أبو العباس محمد بن يحيى العنبري

من أبناء نيسابور ، وأهل البيوتات بها ، وله شعر كثير ، منه [من الكامل] :

لا يشغلنك حديث ما في الكاس شرب المدام محلُّلٌ في الناس
الله حَرَمَ سكرها لا شربها فاشرب هنيئاً يا أبا العباس
صفراء صافية كأنَّ شعاعها ضوءُ الصباح وشعلة المقياس^(٢)
تنفي بها داءً وحزناً كامناً في القلب ليس بشربها من باس
وإذا قميصك بللته مدامةً وعرتك منه وساوسُ الخناس
فدع القميص يُشِمُّ منه ريحها واغسل فؤادك من أذى الوسواس

وقوله [من الكامل] :

متفقه شغف الفؤاد بحبه خضعت محاسن وجهه لمحبه
أحببت كورة زوزنٍ من أجله ورجالها ونساءها من حبه

وله [من الوافر] :

يقول الناس لي رجلٌ سديدٌ وما فعلي بفعل فتى سديد

(١) نُصيب : هو نصيب بن رباح ، أبو عجن شاعر مقدّم في النسب والمدح .

فوي بي : أي فعجباً بي ، ووي : هي كلمة للزجر والتهديد ، وويبي : المصيبة الفضيحة

(٢) المقياس : الضوء ، والنار .

إذا ما كنت لا أخشى وعيدا فما يغني مقالني بالوعيد

* * *

١١٣ - [أبو] سلمة بن أحمد المعاذي

حضر بعض مجالس الأنس بنيسابور فانصبت محبرة فتى مليح على ثوبه
فخجل الفتى ، فقال أبو سلمة [من الكامل] :

صبّ المدام وما تعمّد صبّه فتورّد الخدّ البديع الأزهرُ
يا من يؤثر حبره في ثوبنا تأثير لحظك في فؤادي أكثر

* * *

١١٤ - أبو سهل سعيد بن عبد الله التكلي

من أدباء نيسابور وفضلاء المتصرفين بها ، يقول [من الطويل] :

وكان فؤادي جامحاً في عنانه إذا انتابه العذالُ في غيه أبي
وأقصرَ عن قصد التصابي وصدّه مقال بنيّ بعد خمسين يا أبا
وقوله [من المتقارب] :

همومٌ تفيضُ وصبرٌ يغيضُ وجسمٌ صحيحٌ وقلبٌ مريضُ
يُبَيِّضُ ما اسود من لمتي خطوبٌ حذاهن سودٌ وبيضُ
ورؤية من يدّعي أنّه علا فلک الشمس وهو الحضيض
فإن سكتوا فشفاهُ تغيض وإن نطقوا فبطور تحيض^(١)
وأمتع من شرب كأس الحمام حياةٌ يشارك فيها بغيض

(١) تغيض : أي تبلع ، وغاض الماء : ذهب في الأرض . والبطور : جمع بظر يعني به فرج المرأة .
والحيض : معروف وهو العادة الشهرية عند المرأة .

وقوله [من الوافر] :

ألا قالت أمامة إذ رأنتي وماء الوجهه بالجادي شيئا^(١)
تعرتك الهموم فقلت حقاً هموم تجعل ولدان شيئا
وقوله [من الكامل] :

إن المقصر في الحضور لخدمة في مثل هذا اليوم للمعذور
يوم كأن الأرض فيه سنجنجل والجو فيه صارم ماثور

* * *

١١٥ - القاضي أبو بكر عبد الله بن محمد البستي

أدب قضاة نيسابور وأشعرهم ، ولما تقلد قضاءها في أيام شبيبته مضافاً الى
ما كان يليه من قضاء كورة نسا لقب بالكامل ، وله شعر كثير كتب لي بخطه صدرها
منه وأنشدني بعضه ، فمن ذلك قوله [من المنسرح] :

انظر إلى النفس وهي واقفة نصب عيون الوشاة والحرس
يخفى على الناظرين موقفها كأنها نفس آخر النفس
وله [من الكامل] :

قل للذي حبس الفؤاد بصدّه فوددت أنّي عند ذاك فؤادي
مسترخص المبتاع لا يغلى به ولذلك ما أرخصت بيع ودادي
وقوله [من الطويل] :

يقولون أبل العذر فيما ترومه فإبلاء عذر في الأمور نجاح
فقلت لهم إبلاء عذر وخيبة نجاح كما افتض العروس نجاح

(١) الجادي : الزعفران ، وشيبا : خلط .

وله في وصف طين الأكل [من الرجز] :

وتحفة نقلنيها غاليه
شبهتها من بعد ما أهدى ليه
ذو همم في المكرمات عاليه
قطاع كافور عليها غاليه!

وله في البندق [من مخلع البسيط] :

وبندق لبه عجب
أشبه شيء به يقينا
للدر والمسك فيه شركه
لؤلؤة ضمخت بمسكه

وله في الورد [من الكامل] :

حيًا بما خجل العقيق للونه
لولا لحاظي خده من بعده
لما أتانني في الصباح بورده
لقضيت أن عليه جلدة خده

وله في الورد الموجه [من الطويل] :

حباني بورد جامع بين وصفه
على جانب منه تورّد خده
ووصفي لما زرتهم وجفوني
وفي جانب منه تلون لوني

وله في البهار [من الطويل] :

حكاني بهار الروض حتى ألفتة
وقلت له ما بال لونك شاحباً
وكل مشوق لبهار مصاحب
فقال لأتي حين أقلب راهب

وله [من مجزوء الكامل] :

يا من قنعت بحس رأ
إن قمت في أمري برأ
ي منه لو أعطيت رايه
ي صادق أعطيت رايه

(١) الغالية : أخلاط من الطيب .

وله [من مجزوء الخفيف] :

مستبِدُّ برأيه عازبُ الرأي معجبٌ^(١)
وتماديه بعد ما عرف الغيَّ أعجبُ

وله [من الرجز] :

يعجبني من كلِّ شعيرٍ جزلٌ جيّدٌ جدُّ وركيكُ هزلٌ^(٢)

* * *

١١٦ - أبو سعد عبد الرحمن بن محمد بن دوست

من أعيان الفضلاء بنيسابور وأفرادهم ، يجمع من الفقه والأدب ، بين التمر والرطب . ومن النظم والنثر ، بين الياقوت والدر ، وشعره كثير الملح والنكت ، حسن الديباجة ، كأنه يصدر عن طباع المفلقين من شعراء العراق وهذا أنموذج منه [من الهزج] :

ألا يا ريمُ خبرني عن التفاح مَنْ عَصَا
وحدُّثْ بأبي عن حسنك البكر من افتضَّه
وختمُ الله بالورد على خدك من فضَّه
لقد أثرت العضَّه في وجنتك الغضَّه
ولاح الدرُّ إذ بضَّ على جلدتك البضَّه^(٣)
كلون العنبر الوردِيَّ إذا فضَّ عن الفِضَّه

(١) العازب : البعيد الطلب .

(٢) الجزل : الفصيح والفخم والمتين .

والهزل : الضعيف الرديء .

(٣) بضَّ : إذ ظهر أبيضاً ، والجلدة البضَّة الرقيقة اللينة في سمنٍ وامتلاء .

وله [من الكامل] :

ولقد مررت على الظباء فصادني ظبيٌ وعهدي بالظباء تصادُ
نفذت لوحظه إليّ بأسهمٍ أغراضها الأرواح والأجسادُ

وله [من الوافر] :

جعلت هديتي لكم سيواكاً ولم أقصد به أحداً سواكاً^(١)
بعثت إليك عوداً من أراك رجاءً أن أعود وأن أراكاً^(٢)

وله [من الكامل] :

ومهفهفٍ ملك القلوب وحازا خطّ الجمال بعارضيه طرازا
شبهته قمراً فكان حقيقةً وغدا له قمر السماء مجازا
ما باع بزاً قط إلا أنه بزّ القلوب فلُقبَ البزّازا

وله [من السريع] :

وشادنٍ نادمت في مجلسٍ قد مطرت راحاً أباريقه
طلبت ورداً فأبى خده ورمزت راحاً فأبى ريقه

وله [من مجزوء الرجز] :

وشادنٍ قلت له هل لك في المنادمه
فقال ربّ عاشقٍ سفكتُ بالمنى دمه

وله [من الوافر] :

يغيب البدر يوماً ثم يبدو فما لك غبتَ عن عيني ثلاثا
فإن لم تطلع الاثنتين عصراً فلست بواجدي يوم الثلاثا

(١) السواك : عود يستعمل لتنظيف الأسنان من بقايا الأطعمة ، وهو طيب الرائحة .

(٢) الأراك : شجر يتخلّل الناس بعود لطيب رائحته .

وله [من الوافر] :

وقالوا اصفرَّ وجهك إذ تراءى وقد صار الفؤاد له شعاعا
فقلت لأئنسي قابلت بدراناً فقد ألقى على وجهي الشعاعا

وله [من مجزوء الكامل] :

الدهرُ دهرُ الجاهليين وأمرُ أهل العلم فاترُ
لا سوق أكسدَ فيه من سوقِ المحابرِ والدفاترِ

وله [من البسيط] :

عليك بالحفظ دون الجمع في كتب فإنَّ للكتب آفاتٍ تفرِّقُها
الماء يغرقُها ، والنار تحرقُها والفار يخرقُها ، واللص يسرقُها

وله في الفصد [من الرجز] :

لما رأيت الجسم ذا اعتلالٍ ودبَّت الآلام في أوصالي
دعوت شيخاً من بني الجوالي بطريقٍ عمٍّ جاثليق خال^(١)
فسلَّ سيفاً ليس للقتال ومرهفاً ليس من العوالي
أدقُّ في العين من الخيال أقطع من هجرٍ ومن ملالٍ
أحسنَ من وصلٍ ومن إقبال كأنَّه نصفُ من الهلال
ففتَّح القفل عن القيفال بضربةٍ تشبه نصف الدال
أو شكلةٍ في موضع الاشكال ولجَّ دمع العرق في انهمال
كقهوةٍ تبزل بالميزال فولَّت العلة في انفلال^(٢)
فأقبلت عساكر الإقبال محفوفةً بالبرء والإلال
ومثل الجسم من المثال كأنما أنشط من عقال^(٣)

(١) البطريق والجاثليق : من كهنة النصارى .

(٢) الميزال : المصفاة التي يصفى بها الشراب أو نحوه . فولَّت : ذهبت ، انفلال : انقطاع .

(٣) العقال : الأسر .

وله [من السريع] :

قل للأمير الأريحي الذي نفديه بالأنفس إن جازا
جودك قد أورق لي موعداً فكيف لا يثمر إنجازا

وقوله [من الرمل] :

أيها البدر الذي يجلو الدجى قل لنجمي في الهوى كم تحترق
أنا من جملة أحرار الهوى غير أنني من هواكم تحت رق^(١)

* * *

١١٧ - أبو عبد الرحمن محمد بن عبد العزيز النيلي

هو وأخوه أبو سهل من حسنات نيسابور ومفاخرها ، فأبو عبد الرحمن من
الأعيان الأفراد في الفقه ، وأبو سهل من الأعيان الأفراد في الطب . وما منهما إلا
أديب شاعر آخذ بأطراف الفضائل ، فمن ملح شعر أبي عبد الرحمن قوله [من
المنسرح] :

وذي جدال لنا كشفت له عن خطأ كان قد تعسفه
فلم يجبني بغير ما ضحك والضحك في غير حينه سفه
وله [من البسيط] :

أدرك بقية نفس روحها رمو
وإنما سلمت منها بقيتها
فقد أذابت هموم الناس أكثرها
لأنها خفيت ضعفاً فلم ترها
وله [من مجزوء الرجز] :

أعرضت لما عرضت سهام تلك الحدق

(١) الرق : العبودية .

ظننت أني هاربٌ منها بأدنى رمق
فقال لي فيها الهوى هيهات مما تتقي
إنّ سهام الحقد لا تُتقى بالدّرق^(١)

وله [من مجزوء الرمل] :

نحن في مجلس أنسٍ بك تحقيقٌ مجازه
لُطفُ الدهر عزيزٌ فتجلّد لانتهازه
قد نسجنا الأنس ثوباً فتفضّل بطرازه

وله [من الرمل] :

يوم غيم زاد قلبي شجناً ذو نشيج وهو قد أنشجنا^(٢)
وسحابٍ قد حكى لماً بكى يوم قالوا (عارضٌ ممطرنا)

وله [من الوافر] :

تغاضٍ عن البخيل ولا تلمةٌ ودع ما في يديه ولا ترمة^(٣)
ومن لم يحو غير المال فضلاً وجاد بفضلِه جهلاً فلمةٌ

وله [من المجثث] :

خلعتُ خفيّ من خلّع ذا السحاب عذاره
فالיום ليل ظلام والأرض حشٌّ قذاره
من حقّ ذا العقل فيه أن لا يفارق داره

(١) الدّرق : الصلب من كل شيء .

(٢) الشجن : الحزن ، والنشيج : الصوت في الصدر .

(٣) تغاضى : أي غصّ الطرف ، ولا ترمه : أي لا تقصده .

وله [من البسيط] :

أما تراني على بغى العلاء لأحمال العناء حمولاً دائم النصب^(١)
فما استوى شرفاً إلا على كلفٍ ولا صفا ذهباً إلا على لهبٍ

وله [من السريع] :

أفدى الذي أكره أن أفدياً لأنه جلّ عن التفتية
يقتل بالعين ، ولا بدّ لي من طلبي من شفتيه الدية^(٢)

وله [من مخلع البسيط] :

إذا رأيت الوداع فاصبرُ ولا يهمنك البعادُ
وانتظر العودَ عن قريبٍ فإنّ قلب الوداع عادوا

وله من نتفة [من البسيط] :

للنار في وجهه من أحبته أثرُ فاللون في خدّه والفعل في كبدي

* * *

١١٨ - أبو سهل بكر بن عبد العزيز النيلي

قد تقدم ذكره^(٣) ، وجاء الآن شعره ، قال [من المجث] :

قد رضتُ باليأس نفسي فعلُ اللبيب الحكيم^(٤)
قنعتها بكفافٍ وفيه كلُّ النعيم
فما يدُّ لكريمٍ عندي ولا للثيم

(١) النصب : التعب .

(٢) الدية : الغرم ، أي المال الذي يدفع لذوي القتيل .

(٣) رضت : من راض أي ذلّل وكبح الجراح . الخلة : الصداقة .

وللقناعة روح يا طيبه من نسيم

وقال [من الخفيف] :

يا مفدى العذار والخذ والقـدْ بنفسي وما أراها كثيرا
ومعيري من سقم عينيه سقماً دمت مضنى به ودمت معيرا
سقني الراح تنفُ لوعة قلبِ بات مذ بنت للهموم سميرا
هي في الكأس خمرة فإذا ما أفرغت في الحشى استحالت سرورا

وقال [من البسيط] :

رجوت دهرأ طويلاً في التماس أخِ
فكم ألفت وكم آخيت غير أخِ
فما زكى لي على الأيام ذو ثقةٍ
فقلت للنفس لما عزَّ مطلبها
يرعى ودادي إذا ذو خلّة خانا^(٣)
وكم تبدّكتُ بالأخوان إخوانا
ولا رعى أحدٌ ودّي ولا صانا
بالله لا تألفي ما عشت إنسانا

وقال [من البسيط] :

دب المشيب إلي فودي مبتكراً
فقلت يا نفس حثي للرحيل ضحى
وللشباب رداء ليس بالخلقِ
فأقصرُ الليل أدناه من الفلقِ

وقال [من الكامل] :

نشر الربيع الغضُّ قبل أوانه
أنوارَ لفظٍ من جناب جنابه
فأراح أنساً عازباً بوروده
وأرى بني الآداب معجز نظمه
فأسرَّتِ الأبواب إجلالاً له
لما نشرت كتاب فردِ زمانه
ونسيمَ وردٍ من غراس بنانه
وأراح قلب الصبِّ من أشجانه
أن ليس في الإمكان نيل مكانه
وفدى المسامع ترجمان جمانه^(١)

(١) الجمان : اللؤلؤ .

وقوله [من مخلع البسيط] :

رُقُّ لمن قد ملكَتْ رَقَّةُ حَقُّ له لو رَعيت حَقَّةُ
ذاب فما مثله خِلَالُ ولا هلال ضياً ورقه^(١)

وقال [من مجزوء الرجز] :

الله في مَتِّمٍ عَذَبَتْهُ فراقب
يكفيك ما أَبْقَيْتُهُ من ألم الفراق بي

وقال [من الرجز] :

من وجهه يطلع نجم المشتري ياقوتة تثمر شهداً فاشتر
يا من نضا باللحظ سيف الأشر إذا وجدت الحرَّ عبداً فاشتر

* * *

١١٩ - أبو محمد إسماعيل بن محمد الدهان

أنفق ماله على الأدب ، فتقدم فيه ، وبرع في علم اللغة والنحو والعروض ، وأخذ عن الجوهري الذي تقدم ذكره ، واستكثر منه ، وحصل كتاب الصحاح في اللغة بخطه ، واختص بالأمير أبي الفضل الميكالي ومدحه وأباه بشعر كثير ، ثم أثر الزهد والإعراض عن أعراض الدنيا ، وقال لما أزمع الحج والزيارة [من الوافر] :

أتيتك راجلاً ووددت أني ملكت سواد عيني أمطيه
ومالي لا أسير على المآقي إلى قبر رسول الله فيه

(١) الخلال : عودٌ يزال له الطعام من بين الأسنان .

وقال [من الطويل] :

أيا خير مبعوثٍ إلى خير أمةٍ نصحتَ وبلغتَ الرسالة والوحيا
فلو كان بالإمكان سعيي بمقلتي إليك رسول الله أنضيتها سعيًا

وقال [من مخلع البسيط] :

عبدُ عصى ربّه ولكنّ ليس سوى واحدٍ يقولُ
إن لم يكن فعله جميلًا فإنّما ظنّه جميلٌ

وقال للأمير أبي الفضل الميكالي [من مجزوء الكامل] :

في دار مولانا الأمير محلّ أهل العلم عالي
لا سوق أنفق فيه من سوق المكارم والمعالي

وقال لصديق له [من الوافر] :

نصحتك يا أبا إسحاق فاقبلُ فإنّي ناصحٌ لك ذو صداقه
تعلّم ما بدا لك من علومٍ فما الآداب إلا في الوراقه^(١)

وقال من قصيدة في مرثية البديع [من الوافر] :

وما الإنسان في دنياه إلّا كبارقةٍ تروق إذا تلوحُ
نفيسةٌ نفسه نفسٌ توالى ومدته مدىّ، والروح ريحُ

وقال من أخرى [من الكامل] :

عزّ الغزال بمسكه لا مسكه والصرف للدينار لا الصرّفان
شبه الزمرّد لا يكون زمرّدًا ولئن تقارب منهما اللونان

(١) الوراقة : أي في الأوراق التي تجمع ما كتب من أدبٍ وغيره . والوراقة : صناعة الورق أو ملازمتها .

وقال [من مجزوء الرمل] :

خفُّ إذا أصبحت ترجو وارحُ إن أمسيت خائفُ
ربُّ مكروهُ مخوفٍ فيه لله لطائفُ

ولولا أنه سألني أن لا أورد في كتابي هذا شيئاً من شعره في الغزل والمدح
لكتبت من ذلك جملة صالحة ، لكنني انتهيت إلى رأيه ، وعملت بما سألني به ولم
أتعده .

* * *

١٢٠ - أبو حفص عمر بن علي المطوعي

شاب لبس برد شبابه على عقل مكتهل ، وفضل مقتبل . وسما الى مراتب
أعيان الأدباء والشعراء ، التي لا تدرك إلا مع الانتهاء ، واتصل بخدمة الأمير أبي
الفضل الميكالي ، فتخرج بالاقتباس من نوره ، والاغتراف من بحره ، وألف
كتاب « درج الغرر ، ودرج الدرر ، في محاسن نظم الأمير ونشره » وحين ألف
صاحب هذا الكتاب كتاب « فضل من اسمه الفضل » عارضه بكتاب « حمد من
اسمه أحمد » وله كتاب « أجناس التجنيس » وغيره ، وشعره كثير الملح والظرف ،
لا يكاد يخلو من لفظ أنيق ، ومعنى بديع ، كقوله في وصف النارنج [من
الكامل] :

أهلاً بنارنج أتنا غدوةً في منظرٍ مستحسنٍ موموقٍ
أصبحت أعشقه ويحكي عاشقاً يا حسنه من عاشقٍ معشوقٍ

وقال [من الوافر] :

ومعشوقِ الشمائل قام يسعى وفي يده رحيقُ كالرحيقِ
فسقاني عقيقاً حشو درُّ ونقّلني بدرُّ في عقيقِ

وقال [من الطويل] :

ألست ترى أطباق وردٍ وحولها
فتلك حدودٌ ما عليهن أعينٌ
من النرجس الغضّ الطري قدودٌ
وهذي عيونٌ ما لهنّ حدود

وقال [من السريع] :

وشادنٍ ما مثله في الصّباح
لي من ثنياه ومن طرفه
كالشمس أو كالبدر أو كالصباح
وخدهٍ راحٌ وراحٌ وراح

وقال [من الكامل] :

سحر العيون غداة خطّت كفّه
فأتى بمثل الوشي واحد نسجه
خطٌ يحاكي منه سحرَ جفونه
وطرازٌ عارضه ولؤلؤُ ثغره
في رائق القرطاس رائقَ سطره
أو مثل زهر الروض ثاني قطره

وقال [من الطويل] :

بنفسي من تمّت محاسن وجهه
وأرسل صدغاً فوق خطّ كائنه
فما هو إلّا البدر عند تمام
جناح غرابٍ فوق طوق حمام

وقال [من السريع] :

انظر إلى وجه صديق لنا
قد كتب الدهر على خده
كيف محا الشوك به النقشا
بالشعر (والليل إذا يغشى)

وقال [من الوافر] :

غدا منذُ التحى ليلاً بهيماً
فقد كتب السواد بعارضيه
وكان كائنه البدر المنيرُ
لمن يقرأ (وجاءكم النذيرُ)

وقال [من المتقارب] :

تكبر لما رأى نفسه
على هيئة الشمس قد صوّرت

سيندم ألفا على كبره إذا الشمس في خده كورتُ
وقال [من المجتث] :

قل للذي يهواه أذاقني كأس صاب^(١)
تركتني مستهاماً أصلي بحرّ التّصابي^(٢)
ما بين دمع مصوب وبين قلب مُصاب

وقال [من البسيط] :

إنّي علقت غزالاً قلبه علقُ بالمثل في كمال الحسن واللين
فالحمد لله حمداً لا انقضاء له أصبحت جدّاً وسني دون عشرين
وقال [من البسيط] :

لما استقلت بهم غير النوى أصلاً وشتّهم صروف البين تشيتا^(٣)
جلست أنظم في وصف الهوى دُرّاً والعين تنثر من دمعي يواقيتا
وقال [من الطويل] :

أيا منية المشتاق فيم تركتني كئيباً بلا عقلٍ قتيلاً بلا عقل^(٤)
فإن كنت أنكرت الذي بي من الهوى أقمت به من أدمعي شاهدي عدل
وقال [من الكامل] :

يا ليلُ هل للصبح فيك وميضُ فعلي غمٌ من دجاك عريضُ

(١) الصاب : العلقم ، والمر .

(٢) أصلي : احترق ، والتصابي : تكلف الصبّ والميل إلى الفتوة والجهل .

(٣) مصوب : أي هائل ، ومُصاب : أي أصيب بالهوى وبغيره .

(٤) استقلت بهم : حملتهم ، وأصلاً : ليلاً أو عند مغيب الشمس .

وشتّهم : فرقهم . صروف البين : أحداثه وغيره .

(٥) « عقل » الأول هو أداة التفكير ، والثاني بمعنى الذّية .

ليلٌ حكى الغربان سوداً لونه وكأنَّ أنجمه البزاة البيضُ
وقال [من البسيط] :

يكفيك أن الهوى لم يبقَ في جسدي من الجوارح عضواً غير مجروح
إني نحتُ الهوى قلبي فأنحلني حتى غدا جسدي أخفى من الروح
وقال [من البسيط] :

نفسى فداء غزالٍ ما اكتحلت به إلاَّ تصوّرتَه أنموذج الحورِ
وكلما رام نطقاً وهو مبتسمٌ فالدرُّ ما بين منظومٍ ومثورِ
أضحى جنى النحل ممزوجاً بريقته لكنّما الخصر منه خصر زنبور^(١)
وقال [من الطويل] :

أرى الفطر عيد الناس في كلِّ بلدة ووجهك لي عيدٌ ورؤيته فطري
إذا ما أعدّ الناس للفطر عطرهمُ فحسبي بما في عارضيك من العطر
وقال [من الخفيف] :

قم إلى الراح فاسقنيها ففيها قوّةٌ للفتى وقرّةٌ عينِ
ما ترى الصوم صار بالأسودين وأتانا شوال بالأحمرين
وقال [من الوافر] :

صديقك قد أَلَمَ به صديقٌ وأعوزه الشرابُ الأرجواني
وقد بعثا إليك وليس شيئاً سوى معهودِ فضلك يرجوان
وقال [من الكامل] :

لا تعرضنَّ على الرواة قصيدةً ما لم تبلغ قبل في تهذيها^(٢)

(١) الزنبور : « الدّبور » هكذا تسمّيه العامة وخصره يكون مذهباً .
(٢) المحفوظ : ما لم تكن بالغت في تهذيها « والتهذيب : الصقل والعناية .

فمتى عرضتَ الشَّعرَ غيرَ مهذبٍ عدَّوه منك وساوساً تهذي بها
وله من نتفة في ذكر جوين حين كان بها مع الأمير أبي الفضل الميكالي [من
الكامل] :

طابت جوين لنا وطاب هواؤها فسقى السحاب الجون أرض جوين
أرضُ أقام بها الأمير فألبست بمقامه فيها ملابس زين
فكأنَّما أنهارها من كفِّه تجري وقد جادت لنا بلجين
وكانَ زهر رياضها من بشره يهدي الضياء لكل ناظر عين
وله فيها [من الوافر] :

ومرتُ في جوين لنا ليالٍ عددناهنَّ من عيش الجنانِ
رضعنا في حبور الأمن فيها بأفواهِ الرضى ثدي الأمانِ
لدى قمرٍ خلَّاتْقه نجومٌ ولكنَّ وجهه للبدر ثاني

١٢١ - أبو العباس الفضل بن علي الأسفرائيني

إسفرائين من كور نيسابور ، مخصوصة بإخراج الأفراد ، كأنو شروان الذي
افتخر به النبي ﷺ ، فقال «ولدت في زمن الملك العادل» فهو أفضل ملوك العجم
وأعدلهم بالإجماع وإن كانت لأزدشير فضيلة سبق . ومسقط رأس أنو شروان
مشهور بإسفرائين .

وكأبي جعفر حمويه بن علي الذي أحيا دولة آل ساسان وحاطها ، واجتاح
أعداءها ، وتولى لهم أربعين حرباً لم ترد له فيها راية ، ولم تفته من مطالبه غاية ،
حتى وطأ الله لهم على يده مهاد الملك ، وجبى إليهم ثمرات الأرض ، هذا مع
رجوعه إلى نفس أمانة بالعدل والخير ، بعيدة من الجور والشر ، مدلولة على سبيل
البر ، تشهد بها آثاره بنيسابور وأوقافه وأخباره .

وكالشيخ الجليل أبي العباس الفضل بن أحمد ، فإنه هو الذي ربي ملك
السلطان المعظم أبي القاسم محمود بن سبكتكين ، أدام الله تأييده ! كما يربي
الطفل الصغير حتى يشتد عظمه ، ويؤنس رشدَه . وما زال يدرجه بحسن هدايته
وكفايته إلى الزيادة ، وبلوغ الإرادة ، حتى ثبتت أركانه ، وعلا مكانه . وتلاحقت
رجالُه ، وتكاثرت أمواله . وتوالت فتوحه ، وارتقت فتوقه وكأبي حامد بن أحمد بن
أبي طاهر الإسفرائيني إمام أصحاب الحديث ببغداد وصدر فقهاها ، فإنه بلغ من
الفقه والتدريس مبلغاً تشني به الخناصر ، وتشني عليه الأفاضل .

وكأبي العباس بن علي ، فإنه من بقية الكرام الأجواد الذين لا تخرج
أوصافهم إلا من الدفاتر وكتب المآثر ، فهو من حسنات نيسابور ومفاخرها وهو
الآن الحاكم والزعيم باسفرائين والناظر في أمورها ، والمناضل عن أهلها ،
والمتكفل بمصالحها ومناجحها ، يرجع إلى أدب غزير ، وفضل كثير ، وطبع كريم
وخلق عظيم ، ومن حسن أثره ويمن نقيته أن إسفرائين حرم أمن ، وجنة عدن ،
عامرة به ، وقد شمل سائر كور نيسابور نواحيها الخراب وعمها الاختلال وكانت
إسفرائين فيها لمعة في ظلم وغرة في غرر ، ومن عجيب شأنه أنه - على إقلاله وكثرة
ديونه وقصور دخله عن خرجِه - يقيم من المروءة وسعة الرحل ما لا عهد لمن فوقه
في الجاه والمال بمثله ، ويبذل للزوار والعفاة ما لا يقدم أجواد المياسير على
بذله ، وكان الأشجع السلمي عناه بقوله [من المتقارب] :

وليس بأوسعهم في الغنى ولكن معروفه أوسع

وله كتابه حسنة ، ومحاضرة مفيدة ، وفصاحة مرضية ، وشعر كثير لا
يحضرني منه الآن إلا قوله [من الطويل] :

وكنت إذا ما سرح المشط عارضي رأيت سحيق المسك بين يدياً
فصرت إذا ما خللته أناملي تنائر كافور بهنً علياً

وقوله لبعض أصدقائه [من الطويل] :

أراني إذا ما سرت نحوك زائراً خطاي وساعاً ، والمسير ذميل^(١)
وإن ما أرحُ بالإنصراف مودعاً فأدرم مشياً والحراك قليل^(٢)

وقوله في شمعنة نصبت في بركة [من المنسرح] :

وشمعة وسط أيمن البرك تميس في الماء ميس مرتبك
كأنها البدر في السماء سرى فحار في أوجه من الفلك

وقوله في فوارة أقلت تفاحة [من المتقارب] :

وفوارة سائل ماؤها بتفاحة مثل خد العشيق
كمنفخة من رقيق الزجاج تُدار بها كرة من عقيق

١٢٢ - أبو الفتح أحمد بن محمد بن يوسف الكاتب

من رستاق جوين ، وقع إلى بخارى في آخر الدولة السامانية ، واتصل
بالخانية ، فتولى ديوان الرسائل لبغرا قراخان ونازع أبا علي الدامغاني في الرتبة ،
ثم زال أمره وانحطت حاله ، وقصد غزنة فلم يحظ بطائل ، وعاود نيسابور فمات
بها ، وكان أعطاني من شعره مجلدة أخرجت منها قوله [من المتقارب] :

تزوجت ويحك عوادةً ليطعمك الناس من أجلها
لقد جثت في اللوم أعجوبة أرى الكلب يأنف من مثلها

وقوله [من البسيط] :

شعري متينٌ وخطي حين تلحظه كالروض حسناً وما في منزلي قوتٌ

(١) الذميل : السير السريع اللين .

(٢) أدرم : تعثر وسقط ، يقال أدرمت أسنان الولد : تحركت وسقطت لنبات أسنان أخرى .

عند الأديب ولا الياقوت ياقوتُ
لذاكمُ أنا مهجورٌ وممقوتُ^(١)

لا الدرُّ عندهما درُّ إذا جمعا
لكنَّ عيبي أني لست ذا قحةٍ
وله [من البسيط]:

أجلُ وطولَ نهار الصيف في جسدي
من اللثام وأهلُ البغي والحسدِ

ما للبراغيث طولَ الليل راتعةٌ
بليت منها بما تبلى الكرام بهِ
وله [من السريع]:

وآزورُ عني وآزدرى قدري
في منزلٍ أضيقُ من صدري

لما رأيت الشيخ قد ملّني
رضيتُ بالفقر ولازمتهُ
وله [من الوافر]:

يَرْدُ غَلَّةَ الهيم العطاشُ^(٢)
لطفاً طاب بينهمُ معاشي
رواه لنا زهيرٌ عن خراشِ
بكم تخرون قبلُ على الفراشِ

سقاك الله نيسابور غيثاً
فقد أحدثت كتاباً ظرافاً
إذا أبصرتهُم أنشدت بيتاً
خريت في البياض وكان عهدي
وله [من الطويل]:

ولا سطوتي الشيخُ العميد أبو نصرٍ
وفي داره يجري من الخزي ما يجري
فما أمنه إياي وهو ابن من يدري

جفاني وهاجاني ولم يخشَ صولتي
وكان حريُّ ألاَّ يكاشِفَ شاعراً
وقد خاف أولاد العفائف جاني
وله [من السريع]:

ولحيةٍ للشيخ إنْ تلقها لقيتَ من حاملها مائقا^(٣)

(١) القحة : من الوقاحة . والممقوت : المبخوض والمستقل .

(٢) الغيث : المطر : والغلة : الظمأ ، والهيم : الذين يحتاجون للماء أي الظمأ .

(٣) المائق : الأحمق .

سلط عليها ربُّنا نادفأ بلْ ناتفأ بلْ حالقأ حاذقا
وله [من الخفيف] :

سيرة الشيخ سيرةً مذكوره وأياديه بيننا مشكوره
إذ لديه محلٌ كلٌ كريمٍ كمحلٌ الكلاب في المقصوره
وله [من السريع] :

من كان ذا جارية بضئٍ ولحمها عارٍ من الشحمِ
فهذه يا إخواني فاعجبوا جاريتي عظمٌ بلا لحمِ
عظمٌ بلا لحمٍ ولكنَّها مولعةٌ بالمضغ للحمِ
وله [من السريع] :

أقول للشيخ إذا جئتُه والشيخ لا يفكر في الهجو
سبحان من أعطاك هَلْوَتهُ تصلح للهجو وللنحو^(١)
وله [من الوافر] :

لقد جلُّ ارتياحي واغتباطي بما يلقاه من ألم السقامِ
وأرجو أن يُتمم لي سروري بما يُسقاه من كأس الحمامِ
وحاشا أن يذوق الموت إلاَّ بحدٍّ مهتدٍ ذكرٍ حسام^(٢)
على أن الحسام يزلَّ عنه ولكنَّ بالحجارة والسلام
وله [من البسيط] :

جَهْلُ الرئيس وحقُّ الله يُضحِكُنَا وفعله وإلَهُ الناس يُبكِينَا

(١) الهَلْوَتهُ : اللحية الضخمة ، والنجو : أي المناجاة بالأسرار والعشق .
(٢) المهتد : السيف ، والذكر : الحديد الصلب ، والحسام القاطع .

١٢٣ - أبو القاسم الحسين بن أسد العامري

من رستاق خواف ، أحد الأدباء المذكورين ، والمؤدبين المشهورين
بنيسابور وكان يؤدب أولاد الرؤساء بها ، وله شعر كثير اقتصرت منه على قوله [من
البيسط] :

يدي على كبدي من شدّة الكمدِ كأثما خلّقتُ كفّاي من كبدي
نظرت فاحترقتُ أحشائي من نظري فمن ألوم وقد أحرقتها بيدي
الشوق يجمعني والهمُّ في قرنٍ جمعاً يفرّق بين الروح والجسد^(١)
جودي لي اليوم أو عودي غداً دنفاً أو آندبي لقتيل الحبّ بعد غدٍ
وقوله [من الرجز] :

فرسكة حمراء كالعقيق هدية جاءتك من صديق^(٢)

١٢٤ - ابنه أبو النصر طاهر بن الحسين

كتب إلى أبي الحسين بن فراسكين ، وكان يؤدب ولده [من الكامل] :

حثّ الكريم على التفضّل بدعةً يا خيرَ من يمشي على وجه الثرى
جاء الشتاء ولست أملك درهماً والاعتماد عليك ، فانظر ما ترى

١٢٥ - أبو عبد الله الغواص

من قرية الجنيد ، من رستاق بست بنيسابور ، أديب متبحر في اللغة شاعر
باللسانين كثير المحاسن ، وهو الآن حي يرزق ، وله نعمة ودهقنة^(٣) وديوان شعره

(١) القرن : في جبل واحد ، أو رباط واحد .

(٢) الفرسك : الخوخ ، والفرسق لغة فيه وهي يونانية الأصل .

(٣) الدهقنة : رئاسة المقاطعة والاقليم .

عظيم الحجم ، ومن ملحه قوله [من الرمل] :

من عذيري من عذولي في قَمَرٍ قَامَرَ القلبَ هواهُ فَمَر
قَمَرٌ لم يَنقِ مِنِّي حُبُّهُ وهواه غير مقلوبِ قمر

وقوله في دار السيد أبي جعفر الموسوي [من الكامل] :

يا دار سعدٍ قد علتْ شرفاتها بَنيتْ شبيهة قلبه للنَّاسِ
لورود وفلرٍ ، أو لدفع مَلَمَةٍ أو بذل مالٍ ، أو إدارة كاسِ

وقوله في قوم من المتفقهة وسخى الثياب جيدي الأكل [من الهزج] :

أناسٌ نَتَّهَمُ يربى على نتن الظرايين^(١)
وأكلٌ لَهُمُ يربى على أكل الثعابين

وقوله [من البسيط] :

الخيريون في أَسْأَتِهِمْ سَعَةٌ وفي أَكْفُهُمْ ما شئت من ضيقِ
ومَنْهُمْ أَحْمَدُ المذموم ، مَذْهَبُهُ بَلْعُ الأيُورِ بلا ريقٍ على الريقِ

١٢٦ - أبو حاتم الوراق

من قرية كشم من رستاق نيسابور ، ورق بنيسابور خمسين سنة ، وهو القائل

[من الكامل] :

إِنَّ الوراقَةَ حَرْفَةٌ مَذْمُومَةٌ محرومةٌ ، عِشْيَ بِهَا زَمِنُ^(٢)
إِنْ عَشْتُ عَشْتُ وليس لي أَكُلٌ أو متٌ متٌ وليس لي كَفَنٌ

(١) الظرايين : جمع ظرباء ، وهي دويبة منتنة كالهرّة .

(٢) الزَمِنُ : الذي مرض مرضاً طويلاً يصعب شفاؤه .

ومن ملحه قوله في نور الخلاف المسكي [من الرجز]:

كأنّ نورَ شجر الخلافِ أكفُ شُورٍ بلا خلاف

١٢٧ - أبو جعفر البحات، محمد بن الحسين بن سليمان

من زوزن إحدى كور نيسابور ، مشهور بالأدب والعلم ، وكان له محل من الشعر وتصرف في القضاء ببلاد خراسان ، وأنشد قول ابن المنجم [من الطويل]:

فلا تجعلني للقضاة فريسةً فإنّ قضاة العالمين لصوصُ
مجالسهم فينا مجالسُ شرطةٍ وأيديهم دُونُ الشصوصِ شصوصُ^(١)
فقال مجيزاً لهما [من الطويل]:

سوى عصبةٍ منهم تُخصّ بعفةٍ والله في حكم العموم خصوص
خصوصهم زان البلاد، وإنّما يزين خواتيم الملوك فصوصُ^(٢)
ومن ملحه السائرة قوله [من المجتث]:

هديةً	بنسبةٍ	أذيةً	أو	بليّةً
باللهِ	قل لي	أكانت	هديةً	أم
ووصيه	وإني	عاجلتني	المنيّة	
فأعطها	بعد	موتي	أقاربي	بالسويّة

وهذه قصيدة له كتبها كلها لحسن ديباجتها [من المتقارب]:

شبابُ كلامٍ برقِ رحلٍ وشيبُ كمثلٍ غريمِ نزلٍ

(١) الشصوص : جمع شيص : وهي حديدة عقفاء يصاد بها السمك . والشصوص : اللصوص المهرة .

(٢) خصوصهم : ما يخصهم ، أو ما يتفردون به ، والفصوص : جمع فص ، وهو لب الخاتم .

وقد قويمٌ جفاه الزمان
وشعرٌ تطاير فيه البياض
وثغرٌ تناثر كالأقحوا
وجهُ نبت عنه نجل العيون
وخطوٌ كخطو القطا في الرما
وجسمٌ تراجع بعد النماء
ترحل ما سرٌ مستعجلاً
مضت وانقضت غفلاتُ الشباب
كأنني رأيت الصبا في المنام
أمالكَ فيما ترى عبرةً
إلى كم تطوفُ بباب الملوك
فطوراً تُجلّ وطوراً تُغلّ
أتغفلُ عن نائباتِ الزمان
زمانٌ يدير على أهله
فإحدى يديه تمجُّ الذعاف
ألم تعتبرُ بيقصور الملوك
فسلها وقل أين سكانها
وأين الجيوش وأين الخيول
وأين الذين حكوا بالقدود
كجنٌ على الجنّ قد أقبلوا

كخوطٍ تحاني وغصنٍ ذبل^(١)
يحاكي سواه خضابٌ نصل
ن غازله الليل رشٌ وطل
وقد كان روضاً لهور المقل
ل من بعد وثبٍ كوثب الإبل
كزرعٍ تناهى وبردٍ سمل^(٢)
وشيك الرحيل وما ساء حلّ
وجاء المشيب وبش البدل
خيالاً تمثّل ثمّ اضمحلّ
وشاهد صدقٍ بقرب الأجل
كطيرٍ الفراش بضوء الشعل
وطوراً تُعزّ وطوراً تُذل
وهنّ سراعٌ إلى من غفل
بسعدٍ ونحسٍ كؤوس الدول
وإحدى يديه تمجُّ العسل^(٣)
خلت منهم بوشيك الرحل
وأين الملوك وأين الخول^(٤)
وأين السيوف وأين الأسل^(٥)
غصوناً ثناها الندى والبلل
بسود القلانس حشو الجلل

(١) الخوط : الغصن الناعم .

(٢) سَمَلٌ : أبلى وسمل العين : فقأها بحديدة عمّامة ، وسمل الخوض : لم يخرض منه إلا ماء قليل .

(٣) الذعاف : السُّمُّ القاتل الميت .

(٤) الخول : العبيد .

(٥) الأسل : الرماح .

طوتهم عن الأرضِ آجالُهُم
وما ذاك من كوكبٍ قد بدا
ولا الخير يأتي به المشتري
وما الأمرُ إلا لرب السماء
قليلٌ جميع متاعِ الغرور
وضلّ عن الرشَدِ جماعه
سباعٌ حواليه زرقُ العيون
فهذا يجاذبُ ما قد حواه
إذا وضعوه على نعشه
وإن دفنوه نسوه معاً
فهذا قصارى جميع الأنا
أقول وللدمع في وجنتي
سلامٌ على طيبِ عيشٍ مضى
سلامٌ على قوتي للقيام
سلام على الختم في ليلةٍ
سلام على الكتب ألفتها
سلامٌ على مدحِ صغتها
سلام امرئٍ ما اشتهى لم يجدْ
أناب إلى ربه تائباً
ولم تغن عنهم صنوف الحيل
من الشرق أو كوكبٌ قد أفل
ولا الشرّ يقضي علينا زُحل
وقاضي القضاة تعالى وجلّ
وطالبه من قليلٍ أقلّ
وحاسده منه فيه أضلّ
كلابٌ وأسدٌ وذئبٌ أذلّ
وهذا يخالسه ما فضل
أشاعوا البكا وأسرّوا الجذل^(١)
وكلٌ بميراثه مشغِل
م من جلٍّ أو قلٍّ منهم وذلّ
سوابق قطرٍ له مستهلّ
وأنسٍ بإخوان صدقٍ نبيل^(٢)
إلى الفرض في وقته والنفل^(٣)
بقلب كئيب حليف الوجل^(٤)
ووشحَتْها بصحاحِ العلل
وحبرَتْها في الليالي الطول
وما رامٍ مجتهداً لم ينل
ومستغفراً للخطأ والزُغل^(٥)

(١) أسرّوا : أخفوا وكنتموا ، والجذل : السرور والفرح .

(٢) نبيل : فارق ، من نبيل السهم : أي فارق القوس

(٣) الفرض : أوان الصراة ، والنفل : النوافل المستحبة طاعة لله .

(٤) الختم : أي الانتهاء من قراءة القرآن ، والوجل : الخوف والخشية .

(٥) أناب : أي عاد تائباً ، والزُغل : الخطأ .

وله وقد حلم بخيال حبيب له فنبهه ذلك الحبيب فقال [من البسيط] :

يا من ينبّهني عن رقدة جمعتُ بيني وبين خيالٍ منه مانوسٍ
دعني فإنّك محروسٌ ومرقبٌ وخلّني وخيالاً غير محروسٍ

١٢٨ - أبو منصور محمد بن علي الإسماعيلي الجويني

أحد أفاضل الأدباء ، بل أوحدهم ، يجمع تفاريق المحاسن ويرجع بناحيته
إلى دهقنة وكفاية . ويتحلّى بستر وقناعة ، وله شعر كثير يحضرني منه قوله [من
المجتث] :

يا واصفاً لي شوقه وما سما منه فوقه
حسوتُ من ذاك مالاً مشنوقٌ يستطيع ذوقه
وفوق ظهري منه ما يشتكي قدس أوقه^(١)

وقوله [من المجتث] :

إنّ الزيارة يزري إدمانها بالمحبة
وعادة الغبّ فيها أولى بحسن المغبة^(٢)

وقوله [من مخلع البسيط] :

ما أبين العذر في كتابٍ في الظهر حيث البياض يعوزُ
أليس عند افتقاد ماءٍ تيمّمٌ بالصعيد يجوزُ

وقوله [من السريع] :

اعذر صديقاً في بياضٍ حكى كاتبه في دقة الجسم

(١) الأوق : الثقل .

(٢) الغبّ : الزيارة حيناً بعد حين .

كأثما أعدته أشواقه قصيرته ناحل الجرم^(١)

١٢٩ - أبو نصر أحمد بن علي بن أبي بكر الزوزني

كان غرة في وجه زوزن ، وورد نيسابور وهو غلام يتناسب وجهه وشعره حسنا ، فأخذته العيون ، وقبلته القلوب ، وارتاحت له الأرواح ، واستكثر من أبي بكر الخوارزمي وأخذ عنه الفصاحة حتى كاد يحكيه ، وتفتحت له أبواب الشعر وتفتت أنواره فقال ، من قصيدة [من الطويل] :

ولا أقبل الدنيا جميعاً بمنئ ولا أشتري عزّ المراتب بالذل
وأعشق كحلاء المدامع خلقة لئلا يرى في عينها منة الكحل
وقال [من المتقارب] :

ألا حلّ بي عجبٌ عجبٌ تقاصر وصفيّ عن كنهه
رأيت الهلالَ على وجهٍ من رأيت الهلالَ على وجهه

وحدثني أبو نصر سهل بن المرزبان قال : أنفذ إلى أبو نصر الزوزني رقعة وسألني أن أعرضها على والذي فإذا فيها هذه الأبيات [من مخلع البسيط] :

يا أيها السيد المرجى إن حلّ صعبٌ وجلّ خطبٌ
عندي ضيفٌ وليس عندي ما هو للملهيات قطبٌ
فالصدر مني لذلك ضيقٌ لكن رجائي لديك رحبٌ
أقم علينا سماء لهُو أنجمها بالمزاح شهبٌ
نشرب ونوقظ به قلوباً ويصبح الجسم وهو قلب

ولما استوى شبابه وشعره ورد العراق وانخرط في سلك شعراء عضد الدولة ،

(١) الجرم : الجسم .

فهب عليه نسيم الثروة ، وتمهد له فراش النعمة ، ثم إنه احتضر أحسن ما كان
شباباً ، وأكمل ما كان آداباً ، وكتب إلى والده قصيدة وهو في سكرة الموت أولها
[من الوافر] :

ألا هل من فتى يهب الهوينا لمؤثرها ويعتسف السهوبا^(١)
فيلغ والأمور إلى مجازٍ بزوزن ذلك الشيخ الأريبا
بأن يد الردى هصرت بأرض السعراق من ابنه غصناً رطيبا^(٢)
وليس يحضرني باقيها .

* * *

١٣٠ - أبو العباس محمد بن أحمد المأموني

كان من علماء المؤدبين وخواصهم ، وانتقل من زوزن إلى نيسابور واشتغل
بالتدريس والتأديب ، وله شعر كثير وقصائد مسمطة ، كقوله من قصيدة أولها [من
مجزوء الوافر] :

لعل سعاد تسعد من أضرَّ به الفراق وأن
تكفَّ يد الصبابة عن فؤادٍ شيقٍ تعبٍ

ومنها :

وفقد الغمد لا يزري بعضبٍ فيصلٍ يري
وإن الطرف قد يجري بغير ثيابه القشب^(٣)

وقوله من أخرى في التوحيد أولها [من مجزوء الوافر] :

إله الخلق معبودي وفي الحاجات مقصودي

(١) يعتسف : يسرع على غير هدى ، والسهوب : من الأرض : البعيدة السهلة .

(٢) هصرت : كسرت .

(٣) الطرف : الجيد الأصيل من الخيل . والقشب : الجديدة النظيفة .

ودين الكفر مردودي وعصمة خالقي وزري

وأنشدني لنفسه في وصف تفاحة [من الطويل] :

وتفاحة من سوسنٍ صيغ نصفها ومن جَلَنار نصفها وشقائقِ
كَأَنَّ الَّذِي فِيهَا مِنَ الْحَسَنِ صَائِحٌ بَأَنَّ آمَنُوا يَا جَاهِدُونَ بِخَالِقِي
وأنشدني أيضاً لنفسه [من البسيط] :

لَا الْعَسْرُ يَبْقَى عَلَى حَالٍ وَلَا الْيَسْرُ أَلَا تَرَى أَنَّ مَنْ يَعْلُو سَيَنْحَدِرُ
لَا تَسْخَطُنْ عَلَى دَهْرٍ لِحَادِثَةٍ فَكُلُّ حَادِثَةٍ يَأْتِي بِهَا الْقَدْرُ
وَكُنْ بِرَبِّكَ فِي الْأَحْوَالِ ذَا ثِقَةٍ بَأَنَّهُ دَافِعُ الْآفَاتِ لَا الْحَذَرُ

* * *

١٣١ - أبو القاسم علي بن أحمد بن مبروك الزوزني

كان متفنناً في العلوم ، قائلاً بالاعتزال والزهد والتصوف ، وله شعر كثير من أشهره قوله [من البسيط] :

سَوَادٌ صَدَغِينَ مِنْ كَفَرٍ يُقَابِلُهُ بِيَاضُ خَدَّيْنِ مِنْ عَدْلٍ وَتَوْحِيدِ
قَدْ حَلَّتِ الزَّنْجُ أَرْضَ الرُّومِ فَاصْطَلَحَا يَا وَيْحَ رُوحِي بَيْنَ الْبَيْضِ وَالسُّودِ

١٣٢ - أبو محمد عبد الله بن محمد العبدلكاني

أديب شاعر ، ظريف الجملة ، خفيف روح الشعر ، كثير الملع والظرف ،
فمما أنشدني لنفسه في دار الأمير أبي الفضل الميكالي قوله في بعض الصدور
بنيسابور [من مجزوء الكامل] :

لَوْ كُنْتُ أَعْظَمُ فِي الْوَلَايَةِ مِنْ يَزِيدِ بْنِ الْمُهَلَّبِ

أو كنت أعلم بالروا ية من سعيد بن المسيّب
ولقيتني فالكلب منك إليّ أعجب

وقوله [من السريع] :

يا ربُّ وفقني للخير واقتل عدوي بيديّ غيري
وقوْ أيري فإنّ الفتى لذّته في قوّة الأير^(١)

وقوله [من مخلع البسيط] :

يا سيدي نحن في زمانٍ أبدلنا الله منه غيره
كلُّ خسيسٍ وكلُّ نذلٍ متّع بالطيبات أيره^(٢)
وكل ذي فطنةٍ وكيسٍ يجلد في بيته عميره

وقوله [من مجزوء الرجز] :

يا كاسباً من إسته ومنفقاً على الذُكر^(٣)
استك تشكوك فلا تفرح إذا الأيرُ شكرُ

وقوله [من المجث] :

يا ماح الشعر جهلاً أعين أخاك بصمتٍ
لو كان في الشعر خيرٌ ما كان ينبتُ في استي

وقوله [من الوافر] :

له أنفٌ حكى خرطوم فيلٍ إلى شفتين مثل الكلبتين
فلا تغرركُ مردته فأنّي رأيتُ القبح إحدى اللحيتين^(٤)

(١) ورد صدر البيت : وتولّ أيري فإن الفتى « وهو غير مستقيم الوزن ، وأصلحناه إلى الوجه الذي ذكر .

(٢) النذل : الخسيس الحقير .

(٣) الأست : فتحة المؤخرة . والذُكر : عضو التناسل عند الرجل .

(٤) المردة : اللحية الحديثة .

وأنشدني الأمير أبو الفضل له [من المتقارب] :

إذا كنت معتقداً ضيعةً فإيّاك والشّوة الوجوها^(١)
لأنك تقرأ إنّ الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها

وله [من مخلع البسيط] :

إلبس ثياباً وكنّ حماراً فإنّما تكرم الثّيابُ

* * *

انتهى الباب العاشر فتم به الكتاب ، وبقي على ذكر قوم من أهل نيسابور لم تحضرني أشعارهم ، وهم : أبو سلمة المؤدب ، وأبو حامد الخارزنجي ، وأبو سهل البستي ، وأبو الحسن العبدوني الفقيه ، وأبو بكر الجلابادي ، وأبو القاسم العلوي ، وأبو سعد الخيزروذي ، وأبو سعيد مسعود بن محمد الجرجاني ، والفقيه أبو القاسم بن حبيب المذكر ، وأبو القاسم الحسن بن عبد الله المستوفى الوزير ، والشيخ أبو الحسن الكرخي ، والشيخ أبو نصر بن مشكان ، وأبو العلاء بن حنبل ، وسيتفق لي أو لمن بعدي إلحاق ما يحصل من ملح أشعارهم بهذا الباب إن شاء الله تعالى ، وله الحمد والمنة والشكر ، وصلواته على النبي المصطفى محمد وآله الطاهرين ، والصحابة أجمعين ، والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين ، والحمد لله رب العالمين ، آمين .

* * *

وهذه زيادة ألحقها الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي رحمه الله تعالى ! بخطه في آخر المجلدة الرابعة من نسخته على لسان المؤلف ولقد قال الشيخ أبو منصور رحمه الله تعالى لبعض تلامذته أوان القراءة : قد أجزت ما فعله

(١) الشّوة : القباح .

الأمير ، وإن شئت أن تثبته في موضعه من الكتاب فافعل فقد أجزتك بذلك .

* * *

١٣٣ - أبو الحسن علي بن محمد

الغزنوي مولدا ، الأصبهاني منشأ ، حسنة أرضه ، ونادرة دهره ، ونجم أفقه ، وعقد قلائد الفضل وأهله ، والجامع بين كرم الخيم والخير^(١) ، والمكتفي بالفهم الثاقب والطبع الغزير ، والمتفنن في محاسن الآداب والعلوم ، والناظم حواشي المنظوم والمنثور ، ومما حضر في الوقت من بارع نظمه قوله [من المتقارب] :

إذا سلّم الله دين امرئ
فما بعد هذين من حادث
وعرضاً له من دواعي الخلل
تلقاه أو ريب دهرٍ جَلَلُ
وقوله في بغداد [من المتقارب] :

سقى الله بغداد مجنى العلوم
على أنها حسرة المفلسين
ومغنى الأمانى ومثوى الأدب
وجنة عدنٍ لأهل النشب^(٢)
إذا ما استببت لنا عودة
إليها قضينا أقاصي الأرب

وقوله [من الطويل] :

سقى الله أياماً ببغداد لي مضت
ولم يك إلا عقد عمري وعلقة
خلت فالذت وانقضت فأمضت^(٣)
تقضّى فكانت عيشتي قد تقضت

(١) الخيم : السجايا والأصل .

(٢) النشب : المال .

(٣) أمضت : آلت وأوجعت .

وقوله في نكته [من الخفيف] :

ليس إلّا الرضى بما قدّر الله والإلا الإذعان والتسليم
والعزاء الجميل والصبر والإيقان أنّ المولى رحيمٌ كريمٌ
ومصير المظلوم عقبى نجاؤه ومعاد البغاة مرعى وخيمٌ
ليس فيما [مضى] من الخير خيرٌ إنّما الخير في الذي لا يريم^(١)
وكذا الشر ينقضي ليس شرّاً إنّما الشرُّ شرٌّ من يستديم
فاحمد الله إن حصلت مصيراً واشكره أن لست ممّن تضيم^(٢)
واتق الله واستعنه وأيقن إنّ أجر الصبور أجرٌ عظيم

وقوله [من البسيط] :

الزجرُ والفألُ والرؤيا تعاليلُ والله بالغيب والتقدير منفردٌ
فلا معجلٌ للمقضيّ آجله وليس للعاجل المقضيّ تأجيلٌ
ثقّ بالعليم الذي يقضي الأمور ولا يغرك ما دونه فالكُلُّ تعليلٌ

وقوله [من الكامل] :

يا من يُثْمَرُ للحوادث ماله فوّتَ نفسك حظّها من مالها
كن واحداً منها لسهمٍ واحدٍ لك إن حرمت سهامها بكمالها

وقوله في مرثية وجيه بن أحمد [من الطويل] :

أتى نبأ من نحو دينور مصعداً أقام جميع السامعين وأقعدا
وأورث أحناء القلوب تملأاً وأودع أحشاء الضلوع توقداً
وذوّب من بحر المدامع جامداً وجرد من سيف الكآبة مغمداً

(١) يريم : يفارق .

(٢) الضيم : الظلم والإذلال .

وغادر وجه الفضل والنبيل أغبراً
وأبقى أساه كل دمع مهلهلاً
فعاد به شملُ الهموم مجمّعاً
ففي كل دارٍ منه نوحٌ ورثه
بأنّ الردى أنحى على المجد والعلی
بمن كان للإحسان والفضل مألُفاً
فويح الردى كيف انبرى دفعةً له
عساه أتاه في معارض سائلٍ
فما ردهً لما اجتداه تکرماً
عفاءً على دهرٍ عفارسم مجده
وأنف المعالي والكمال مجدّعاً
لقد كان حقاً غرةً في جبينه
سلامٌ عليه فائضٌ بركاته
ولا زال ريحان الجنان وروحها

وطرف الحجب والعقل واللبُّ أرمداً
وأبقى بكاه كلَّ خدٍّ مخدّداً^(١)
وأضّ به شمل السرور مبدّداً^(٢)
وفي كل قلبٍ منه كلّمٌ تجدّداً^(٣)
وأودى بحزم العلم والحلم والندى
ومن كان للإنعام والطول معهدا
وكان به من قبلُ يستدفع الردى
فراوده عن روحه باسطاً يداً
وكان قديماً لا يردُّ من اجتدى^(٤)
فغادر شلو المكرّمات مقدّداً^(٥)
ووجه المساعي والفعال مسوداً^(٦)
فعاد بهيماً بعد أكلف أربداً^(٧)
من الله والرضوان مثىً وموحداً
يضافحه في كلّ ممسى ومغتدى

وقوله في علة عرضت له فحلف الطبيب أنها سليمة [من الكامل] :

حلف الطبيب لأبرأناً من علتي
هوّن عليك فكلُّ ما هو كائنٌ
ومتى يريح من الممات يمينُ
سيكون إمّا حان منه الحينُ

(١) المخدّد : متقبّض من الضعف والهزال .

(٢) أضّ : عاد ، وصار .

(٣) الكلم : الجرح .

(٤) اجتدى : سأل وطلب الحاجة .

(٥) الشلو : العضو ، مقدّداً : من القديد : وهو المجفّف من اللحم .

(٦) مجدّعاً : مقطّعاً .

(٧) أربد : مغتبر .

ولئن نجوت مسلماً من هذه إني بأخرى بعدها لرهينُ
وقوله [من الطويل] :

سقى الله أيام الصِّبا ونعيمها وإذ لا أحاشي لذة كيفما انبرتُ
لئن كان عذري في شبابي واسعاً وله في نكبة [من الطويل] :

لئن غصبت أيدي المظالم ضيعتي وإن ثمدت مالي الجوائح فالذي
فدينني موفورٌ، وعقلي راجحٌ وعرضني مصونٌ عن مخازٍ تظاهرتُ
وما أرتجي في آجلي من مثوبةٍ فسبحان من في كلِّ عارضٍ محنةٍ
فلم تغتصب ديني وعلمي وأخلاقي تكفل بالأرزاق يوسع أرزاقِي^(١)
ووزري منزورٌ، وعلمي لي باقي^(٢) على هاضمي ، والحمد لله خلاقي
وذخرٍ جزيلٍ فهو أنفُسُ أعلَاقِي^(٣) له منحةٌ يقضي لها الشكر أطواقي^(٤)

انتهت زيادة الإلحاق

* * *

تم الجزء الرابع من « يتيمة الدهر ، في محاسن أهل العصر » لأبي منصور
الثعالبي ، وبتمامه تمام الكتاب ، والحمد لله الذي يسر سبل إكماله ، وصلاته
على خير خلقه وعلى صحبه وآله .

(١) أحاشي : أجنب ، ورَيْقٌ : به رونق الشباب ونضارته .

(٢) ثمدت : قللت وأفنت ، والجوائح المصائب ، والمكارة التي تنزل بالمرء

(٣) الوزر : الذنب ، منزورٌ : مُبعد ومجأى .

(٤) أعلَاقِي : نفائسي .

(٥) العارض : ما يعترض الإنسان في حياته من عوارض وصعاب . وأطواقي : قدرتي وجهدي .

فهرس الجزء الرابع

من كتاب « يتيمة الدهر ، في محاسن أهل العصر »
لأبي منصور الثعالبي

الباب التاسع

شعراء وكتاب جرجان وطبرستان

الصفحة

٣	أبو الحسن علي بن عبد العزيز
١٠	ملح من شعره في الغزل
١٥	ملح من شعره في حسن التخلص
١٨	غرر من شعره في المدح وما يتصل به
٢١	درر من شعره في وصف الشعر
٢٥	فقرله من كل فن
٢٩	أبو الحسن علي بن أحمد الجوهري
٣٣	ملح من مقطوعاته في كل فن
٣٦	غرر من قصائده
٤٨	أبو معمر بن أبي سعيد بن أبي بكر الأسماعيلي
٥٢	القاضي أبو بشر الفضل بن محمد الجرجاني
٥٤	أبو القاسم العلوي الأطروش
٥٥	أبو نصر عبد الله بن محمد البجلي الإسترابادي

فصل في ذكر شعراء طبرستان

الصفحة

- ٥٦ أبو العلاء السروي
٥٨ أبو الفياض سعد بن أحمد الطبري
٦٤ أبو هاشم العلوي الطبري

الباب العاشر

- ٦٧ شمس المعالي قابوس بن وشمكير

القسم الرابع

في محاسن أهل خراسان وما وراء النهر

الباب الأول

- ٧٣ أبو أحمد بن أبي بكر الكاتب
٧٩ أبو الطيب الطاهري
٨٤ أبو منصور الطاهري
٨٥ أبو الحسين محمد بن محمد المرادي
٨٧ أبو منصور العبدوني أحمد بن عبدون
٩٠ أبو الطيب المصعبي محمد بن حاتم
٩١ أبو علي الساجي
٩٢ أبو منصور الخزرجي
٩٣ أبو أحمد محمد بن عبد العزيز النسفي
٩٤ أبو القاسم الكسروي
٩٦ أبو بكر محمد بن عثمان النيسابوري الخازن
٩٦ الحسين بن علي المروروزي
٩٧ محمد بن موسى الحدادي البلخي

٩٩	أبو الفضل السكري المروزي ، أحمد بن محمد بن زيد
١٠٣	أبو عبد الله الضرير الأبيوردي
١٠٣	أبو محمد السلمي
١٠٦	أبو ذر البلخي الحاكم
١٠٦	أبو أحمد الياامي البوشنجي
١٠٨	أبو علي السلامي
١٠٨	أبو القاسم علي بن محمد الإسكافي النيسابوري
١١١	فقر من كرمه
١١١	ملح من شعره
١١٢	ذكر آخر أمره

الباب الثاني

في ذكر العصريين المقيمين في بخارى

١١٥	تقدمة في منزلة بخارى
١١٦	أبو الحسن علي بن الحسن اللحام الخراساني
١١٨	مدحه
١١٩	ما يستملح من أهاجيه
١٢٩	فنون شتى
١٣٠	نبد من هجائه
١٣١	آخر عمره
١٣٢	أبو محمد المطراني الحسن بن علي بن مطران
١٤٠	أبو جعفر محمد بن العباس بن الحسن
١٤٤	ابن أبي الثياب أبو محمد
١٤٦	أبو الحسن علي بن هرون الشيباني

الصفحة

١٤٧	أبو النصر الهزيمي ، المعافى بن هزيم
١٥٣	أبو نصر الظريفي الأبيوردي
١٥٤	رجاء بن الوليد الأصبهاني ، أبو سعد
١٥٥	أبو القاسم الدينوري ، عبد الله بن عبد الرحمن
١٦٢	أبو منصور أحمد بن عبد الله
١٦٢	أبو منصور أحمد بن محمد البغوي
١٦٢	أبو علي محمد بن عيسى الدامغاني
١٦٤	أبو علي الزوزني الكاتب
١٦٦	أبو عبد الله الشبلي
١٦٧	أبو علي المسبحي
١٦٨	أبو الحسن أحمد بن المؤمل
١٧١	أبو إسحاق إبراهيم بن علي الفارسي
١٧١	أبو جعفر الرامي ، محمد بن موسى بن عمران
١٧٥	أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الجرجاني ، الملقب طرمطراق
١٧٥	أبو محمد عدي بن محمد الجرجاني
١٧٦	عبد الرحيم بن محمد الزهري
١٧٦	أبو القاسم إسماعيل بن أحمد الشجري
١٧٨	أبو الحسن محمد بن أحمد الإفريقي المتيّم
١٨٠	أبو الحسن أحمد بن محمد بن ثابت البغدادي
١٨١	أبو منصور البوشنجي (مضراب الشعر)

الباب الثالث

في ذكر المأموني والواقفي ، ومحاسن أخبارهما

١٨٣	أبو طالب عبد السلام بن الحسين المأموني
١٩٥	من أوصافه

الصفحة

- ٢١٢ وله في عدة من المطعومات
٢١٩ ومما قاله على السنة أشياء مختلفة
٢٢٠ أبو محمد عبد الله بن عثمان الوائلي

الباب الرابع

في ذكر غرر فضلاء خوارزم

- ٢٢٣ أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي
٢٢٣ كلمات له تجري مجرى الأمثال
٢٢٨ فصول له كالأنموذج
٢٢٩ فصل في فضل الحمية
٢٣٠ فصل في اقتضاء حاجة
٢٣٠ فصل في ذكر آفات الكتب
٢٣٠ فصل في إلا ولولا
٢٣١ فصل في الاعتداد
٢٣١ فصل في ذم عامل تقلد الخراج
٢٣١ فصل في الاعتذار
٢٣١ فصل في ذكر هدة
٢٣٢ فصل في ذكر الرمد
٢٣٢ فصل في مدح الفقر
٢٣٣ فصل في ذم عامل
٢٣٣ فصل في ذكر الآفات
٢٣٤ جملة من أخباره تطرق لأشعاره
٢٣٩ ملح ونكت من شعره في النسيب والغزل
٢٤٣ ملح من تضميناته
٢٥٤ نبذة من سقطاته وعرره الواقعة في غرره

٢٥٥	غرر من مدحه وما يتصل بها
٢٥٩	فقر من مراثيه
٢٦٤	نتف من أهاجيه في خلفاء العصر
٢٦٧	فقر وطرف له في فنون مختلفة
٢٧٧	أبو سعيد أحمد بن شبيب الشيبلي
٢٧٨	أبو الحسن مأمون بن محمد بن مأمون
٢٧٩	أبو عبد الله محمد بن إبراهيم التاجر الوزير
٢٨١	أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الرقاشي
٢٨٤	أبو عبد الله محمد بن حامد الخوارزمي
٢٩١	أبو القاسم أحمد بن ضرغام

الباب الخامس

في ذكر أبي الفضل الهمداني (بديع الزمان)

وحاله ووصفه

٢٩٣	تقدمة في ذكر براعته
٢٩٦	رقعة إلى أبي بكر الخوارزمي
٢٩٧	من كتاب له إلى أبيه
٢٩٨	من رقعة له إلى خلف
٢٩٩	من كتاب إلى أبي نصر بن أبي زيد
٣٠١	من كتاب إلى الأمير أبي نصر الميكالي
٣٠٣	في التماس الخطب
٣٠٥	من رقعة إلى خطيب
٣٠٧	من رقعة إلى من استأاحه شرابا في يوم مطير
٣١٠	من كتاب إلى ابن فارس
٣١٢	من كتاب إلى عدنان

الصفحة

٣١٥	من كتاب إلى أبي بكر بن إسحاق
٣١٥	من كتاب إلى ابن أخته
٣١٥	من كتاب إلى ابن فريغون
٣١٨	من كتاب تعزية بحرمة
٣١٩	من كتاب في مدح الأمير خلف
٣٢٠	من كتاب إلى أبيه
٣٢١	من كتاب إلى الشيخ الجليل أبي العباس
٣٢٧	فصل من تهنئة بمولود
٣٢٨	فصل من تعزية
٣٢٨	فصل من تعزية
٣٢٩	رقعة إلى أبي محمد إسماعيل بن محمد
٣٣٠	فصل له إليه أيضا
٣٣١	فصل من رقعة إلى وارث مال
٣٣٢	فصول قصار وألغاز وأمثال
٣٣٤	ملح وغرر من شعره في كل فن

الباب السادس

في ذكر أبي الفتح علي بن محمد الكاتب البستي ، وسائر أهل بست

٣٤٥	تقدمة في منزلة أبي الفتح
٣٤٨	ما أخرج من فصوله القصار
٣٥٠	فصل من كتاب له عن السلطان المعظم
٣٥١	ما أخرج من ملحه في الغزل والخمر
٣٥٥	من ملحه في الفقهيات
٣٥٦	من الأدبيات
٣٥٧	من الطبيات والفلسفيات

الصفحة

٣٥٩	من النجوميات
٣٦١	من ملح مدحه وما يتصل بها
٣٦٤	من الإخوانيات
٣٦٩	من باب الشكوى والعتاب
٣٧٥	من باب الذم والهجاء
٣٧٦	من باب الشيب والكبر
٣٧٧	من الأمثال والنوادر والحكم
٣٨٢	أبو سليمان الخطابي أحمد بن محمد بن إبراهيم
٣٨٤	أبو محمد شعبة بن عبد الملك البستي
٣٨٦	أبو بكر النحوي البستي
٣٨٦	الخليل بن أحمد السجزي
٣٨٩	أبو زهير بن أبي قابوس السجزي
٣٨٩	أبو القاسم محمد بن محمد بن جبير السجزي
٣٩٠	أبو العباس أحمد بن إسحاق الجرمقي
٣٩٨	أبو الحسن عمر بن أبي عمر السجزي النوقاني

الباب السابع

في تفاريق ملح أهل بلاد خراسان ، سوى نيسابور

٣٩٥	أبو القاسم الداودي
٣٩٦	أبو محمد عبد الله بن محمد بن يحيى الداودي الهروي الفقيه
٣٩٦	أبو الحسن المزني
٣٩٧	أبو سعد أحمد بن محمد بن ملة الهروي
٣٩٧	أبو روح ظفر بن عبد الله الهروي
٣٩٨	منصور بن الحاكم أبي منصور الهروي
٤٠١	أبو أحمد الساوي الهروي

الصفحة

٤٠٢	أبو الربيع البلخي
٤٠٢	أبو المظفر البلخي
٤٠٣	أبو بكر بن الوليد البلخي
٤٠٤	الحسن الضرير المروروزي
٤٠٤	أبو الحسن محمد بن إبراهيم بن إسماعيل الفقيه الطوسي
٤٠٥	أبو محمد الطوسي
٤٠٥	أبو سهل المعقلي الطوسي
٤٠٥	أبو نصر الروزبازي

الباب الثامن

في ذكر الأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي

٤٠٧	تقدمة في ذكر آل ميكال
٤٠٩	فصول في وصف كتب من رسائل الأمير أبي الفضل
٤١٢	فصول له في الإخوانيات
٤١٥	فصول له في الشكر والثناء
٤١٨	فصول له في العتاب والذم وشكوى الحال
٤٢١	فصول له في التهاني
٤٢٢	فصول له في العبادة
٤٢٣	فصول له في باب التعازي
٤٢٤	فصول له في باب السلطانيات
٤٢٥	من شعره في الغزل
٤٢٨	قطعة من شعره في الأوصاف والتشبيهات
٤٣٢	غرر من شعره في الإخوان
٤٣٤	لمع من شعره في المداعبات وما يشاكلها
٤٣٥	لمع من شعره في المراثي

الصفحة

٤٣٧

لمع من شعره في التوجع وشكوى الدهر

٤٣٨

في الحكم والأمثال والزهد

الباب التاسع

في ذكر الطائرين على نيسابور من بلدان شتى

٤٤١

أبو عبد الله الوضاحي البصري ، محمد بن الحسين

٤٤٢

أبو طاهر بن الخبز أُرزي

٤٤٣

أبو الحسن أحمد بن أيوب البصري ، المعروف بالناهي

٤٤٤

أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي

٤٤٩

أبو سعد نصر بن يعقوب

٤٥٢

أبو نصر سهل بن المرزبان

٤٥٥

أبو محمد الحسن بن أحمد البروجدي

٤٥٨

أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي

٤٥٨

رقعة له في إهداء نصل

٤٥٩

رقعة في الاستراحة يوم النحر

٤٥٩

رقعة في خطبة الود

٤٦١

رقعة في الاستراحة

٤٦٢

رقعة في الإنكار على من يذم الدهر

٤٦٣

رقعة إلى صديق قامر على كتب

٤٦٤

ملح وغرر من شعره

٤٦٨

أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري

٤٧٠

أبو منصور أحمد بن محمد اللجيمي

٤٧٣

أبو جعفر محمد بن الحسين القمي

٤٧٤

أبو الغطاريف عملاق بن غيداق العثماني

٤٧٥

أبو المعلى ماجد بن الصلت (ناقد الكلام الياني)

الصفحة

- ٤٧٧ عبد القادر بن طاهر التميمي أبو منصور
٤٧٨ أبو علي محمد بن عمر البلخي الزاهر
٤٧٨ أبو القاسم يحيى بن علي البخاري الفقيه

الباب العاشر

في ذكر النيسابوريين

- ٤٨١ أبو محمد عبد الله بن إسماعيل الميكالي
٤٨٢ أبو جعفر محمد بن عبد الله بن إسماعيل الميكالي
٤٨٣ أبو سهل محمد بن سليمان الصعلوكي
٤٨٤ علي بن أبي علي العلوي
٤٨٤ أبو البركات علي بن الحسين العلوي
٤٨٦ أبو الحسن محمد بن ظفر العلوي
٤٨٧ أبو العباس محمد بن يحيى العنبري
٤٨٨ أبو سلمة بن أحمد المعاذي
٤٨٨ أبو سهل سعيد بن عبد الله التكلمي
٤٨٩ أبو بكر عبد الله بن محمد البستي
٤٩١ أبو سعد عبد الرحمن بن محمد بن دوست
٤٩٤ أبو عبد الرحمن محمد بن عبد العزيز النيلي
٤٩٦ أبو سهل بكر بن عبد العزيز النيلي
٤٩٨ أبو محمد إسماعيل بن محمد الدهان
٥٠٠ أبو حفص عمر بن علي المطوعي
٥٠٤ أبو العباس الفضل بن علي الإسفرائيني
٥٠٦ أبو الفتح أحمد بن محمد بن يوسف الكاتب
٥٠٩ أبو القاسم الحسين بن أسد العامري
٥٠٩ أبو النصر طاهر بن الحسين بن أسد

الصفحة

٥٠٩	أبو عبد الله الغواص
٥١٠	أبو حاتم الوراق
٥١١	أبو جعفر البحات محمد بن الحسين بن سليمان
٥١٤	أبو منصور محمد بن علي الأسماعيلي الجويني
٥١٥	أبو نصر أحمد بن علي بن أبي بكر الزوزني
٥١٦	أبو العباس محمد بن أحمد المأموني
٥١٧	أبو القاسم علي بن أحمد بن مبروك الزوزني
٥١٧	أبو محمد عبد الله بن محمد العبدلكاني
٥١٩	زيادة ألحقها الأمير عبيد الله بن أحمد الميكالي
٥٢٠	أبو الحسن علي بن محمد الغزنوي
٥٢٣	تمت فهرس الجزء الرابع ، والحمد لله أولا وآخرا